

تَفْسِيرُ  
التَّحْسِينِ  
الموسم  
بجواهر الحسان في تفسير القرآن

الجزء الثاني

منشورات  
مؤسسة الأعلی للطبوعات  
بيروت - لبنان  
ص.ب. ٧١٢٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاعراف مكية كلها قاله الضحاك وغيره وقال مقاتل هي مكية  
الا قوله سبحانه واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله من  
ظهورهم ذرياتهم فان هذه الآيات مدنية  
قوله جلت عظمته المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه  
لتنذر به وذكرى للمومنين تقدم القول في تفسير الحروف المقطعة في اوائل  
السور والحرج الضيق ومنه الحرجة الشجر الملتف الذي قد تضايق والحرج هاهنا  
يعم الشك والخوف والهجم وكل ما يضيق الصدر والضيق في منه عائد على  
الكتاب اي بسبب من اسبابه \* وقوله سبحانه فلا يكن في صدرك حرج منه  
اعتراض في اثناء الكلام ولذلك قال بعض الناس ان فيه تقدما وتأخيرا \* وقوله  
وذكرى معناه تذكرة وارشاد \* وقوله سبحانه اتبعوا ما انزل اليكم من  
ربكم امر يعم جميع الناس ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم اولياء يريد  
كل من عبد واتبع من دون الله وقليلاً نمت لمصدر نصب بفعل مضمر وقال مكي  
هو منصوب بالفعل الذي بعده وما في قوله ما تذكرون مصدرية \* وقوله  
سبحانه وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون قالت  
فرقة المراد وكم من اهل قرية وقالت فرقة اللفظ يتضمن هلاك القرية واهلها

وهو اعظم في العقوبة والفاء في قوله سبحانه فجاءها بأسنا لترتيب القول فقط وقيل المعنى اهلكناها بالخذلان وعدم التوفيق فجاءها بأسنا بعد ذلك وبياناتا نصب على المصدر في موضع الحال وقائلون من القائلة وانما خص وقتي الدعة والسكون لان مجيئ العذاب فيهما افطع واهول لما فيه من البغته والفضأة قال ابو حيان او للتفصيل اي جاء بعضهم بأسنا ليلا وبعضهم نهارا انتهى \* وقوله عز وجل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين هذه الآية تبين منها ان المراد في الآية قبلها اهل القرى والدعوى في كلام العرب تأتي لمعنيين أحدهما الدعاء ومنه قوله عز وجل فما زالت تلك دعواهم والثاني الادعاء وهذه الآية تحتل المعنيين ثم استثنى سبحانه من غير الاول كانه قال لم يكن منهم دعاء او ادعاء الا الاقرار والاعتراف اي هذا كان بدل الدعاء والادعاء واعترافهم وقولهم انا كنا ظالمين هو في المدة التي ما بين ظهور العذاب الى اتيانه على انفسهم وفي ذلك مهلة بحسب نوع العذاب تتسع لهذه المقالة وغيرها وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هلك قوم حتى يعذروا من انفسهم \* وقوله سبحانه فلنستلن الذين ارسل اليهم ولنستلن المرسلين الآية وعيد من الله عز وجل لجميع العالم اخبر سبحانه انه يسأل الامم اجمع عما بلغ اليهم عنه وعن جميع اعمالهم ويسأل النيين عما بلغوا وهذا هو سؤال التقرير فان الله سبحانه قد احاط علما بكل ذلك قبل السؤال فاما الانبياء والمؤمنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة واما الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابا وتوبيخا (ت) وروى ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم بسنده عن مالك انه قال بلغني ان العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الانبياء يعني عن تبليغ العلم انتهى وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث الاعمش عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة

الايصال عنها ما اراد بها وقد ذكرنا حديث مسلم عن ابي برزة في غير هذا الموضع وخرج الطبراني بسنده عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله انتهى وروى مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغني ان اول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله وروى ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه معنى هذا الحديث مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة قال يقول ربنا عز وجل للملائكة انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيء قال الله انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اتموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم توخذ الاعمال على ذلك انتهى واللفظ لابي داود وقال النسائي ثم سائر الاعمال تجرى على ذلك انتهى من التذكرة \* وقوله سبحانه فلنقصن عليهم بعلم اي فلنسردهن عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم اي بحقيقة ويقين وما كنا غائبين \* وقوله عز وجل والوزن يومئذ الحق التقدير والوزن الحق ثابت او ظاهر يومئذ اي يوم القيامة قال جمهور الامة ان الله عز وجل اراد ان يبين لعباده ان الحساب والنظر يوم القيامة هو في غاية التحرير ونهاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته افهامهم فميزان القيامة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا جمع لفظ الموازين اذ في الميزان موزونات كثيرة فكانه اراد التنبيه عليها قال الفخر والظاهر اثبات موازين في يوم القيامة لاميزان واحد لظواهر الآيات وحمل الموازين على الموزونات او على الميزان الواحد يوجبان العدول عن ظاهر اللفظ وذلك انما يصار اليه عند تعذر حمل الكلام على ظاهره ولا مانع هاهنا منه فوجب اجراء اللفظ على



حقيقته فكما لم يمتنع اثبات ميزان له كفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة وما الموجب لتركه والمصير الى التاويل انتهى قال ابو حيان موازينه جمع باعتبار الموزونات وهذا على مذهب الجمهور في ان الميزان واحد وقال الحسن لكل واحد ميزان فالجمع اذن حقيقة انتهى والآيات هنا البراهين والاوامر والنواهي \* وقوله سبحانه ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معاش الآية خطاب لجميع الناس والمعاش بكسر الياء دون همز جمع معيشة وهي لفظة تم جميع الماكول الذي يعاش به والتحرف الذي يودى اليه قليلا نصب بتشكرون \* ويحتمل ان تكون ما مع الفعل بتاويل المصدر قليلا نعمت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا شكركم او شكرا قليلا تشكرون \* وقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية هذه الآية معناها التنبيه على مواضع العبرة والتعجب من غريب الصنعة واسداء النعمة واختلف العلماء في ترتيب هذه الآية لان ظاهرها يقتضى ان الخلق والتصوير لبني آدم قبل القول للملائكة ان يسجدوا وقد صححت الشريعة ان الامر لم يكن كذلك فقالت فرقة المراد بقوله سبحانه ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم وان كان الخطاب لبنيه وقال مجاهد المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم في صلب آدم وفي وقت استخراج ذرية آدم من ظهره امثال الذر في صورة البشر ويترتب في هذين القولين ان تكون ثم على بابها في الترتيب والمهلة وقال ابن عباس والربيع بن انس اما خلقناكم فآدم واما صورناكم فذريته في بطون الالهات وقال قتادة وغيره بل ذلك كله في بطون الالهات من خلق وتصوير وثم لترتيب الاخبار بهذه الجمل لا لترتيب الجمل في انفسها \* وقوله سبحانه فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك

قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم تقدم الكلام على قصص الآية في سورة البقرة وما في قوله ما منعك استفهام على جهة التوبيخ والتقريع ولا في قوله الا تسجد قيل هي زائدة والمعنى ما منعك ان تسجد وكذلك قال ابو حيان انها زائدة كهي في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب قال ويدل على زيادتها سقوطها في قوله تعالى ما منعك ان تسجد في ص انتهى وجواب ابليس اللعين ليس بمطابق لما سئل عنه لكن لما جاء بكلام يتضمن الجواب والحجة فكانه قال منعى فضلى عليه اذ انا خير منه وظن ابليس ان النار افضل من الطين وليس كذلك بل هما في درجة واحدة من حيث انهما جماد مخلوق ولما ظن ابليس ان صعود النار وخفتها يقتضى فضلا على سكون الطين وبلادته قاس ان ما خلق منها افضل مما خلق من الطين فاخطأ قياسه وذهب عليه ان الروح الذى نفخ في آدم ليس من الطين وقال الطبري ذهب عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب وفي الطين من الوقار والانة والحلم والتثبت وروي عن الحسن وابن سيرين انهما قالوا اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالقياس وهذا القول منهما ليس هو بانكار للقياس وانما خرج كلامهما نيبا عما كان في زمانها من مقاييس الحوارج وغيرهم فارادا حمل الناس على الجادة \* وقوله سبحانه فاهبط منها الآية يظهر منه انه اهبط اولاً واخرج من الجنة وصار في السماء لان الاخبار تظاهرت انه اغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم امر آخراً بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وقوله انك من الصاغرين حكم عليه بضد معصيته التى عصي بها وهي الكبرياء فموقب بالحمل عليه بخلاف شهوته وامله والصغار الذل

قاله السدي ومعنى انظرني اخرني فاعطاه الله النظرة الى النفخة الاولى  
قاله اكثر الناس وهو الاصح والاشهر في الشرع وقوله بما يريد به القسم  
كقوله في الآية الاخرى فبعزتك واغويتني قال الجمهور معناه اضللتني  
من النبي وعلى هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي قاتل الله القدريه  
لابليس اعلم بالله منهم يريد في انه علم ان الله يهدي ويضل وقوله لا قعدن  
لهم صراطك المعنى لا تعترضن لهم في طريق شرعك وعبادتك ومنهج النجاة  
فلاصدنهم عنه ومنه قوله عليه السلام ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه نهاه  
عن الاسلام وقال تترك دين آبائك فعصاه فاسلم فنهاه عن الهجرة فقال تدع  
اهلك وبلدك فعصاه فهاجر فنهاه عن الجهاد فقال تقتل وتترك ولدك فعصاه  
فجاهد فله الجنة الحديث \* وقوله سبحانه ثم لا تينهم من بين ايديهم ومن  
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها  
مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين مقصد الآية ان  
ابليس اخبر عن نفسه انه ياتي اضلال بني آدم من كل جهة فعبّر عن ذلك بالفاظ  
تقتضي الاحاطة بهم وفي اللفظ تجوز وهذا قول جماعة من المفسرين قال الفخر  
وقوله لا قعدن لهم صراطك المستقيم اي على صراطك اجمع النجاة على  
تقدير على في هذا الموضع انتهى وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبر  
اللعين ان سعايته تفعل ذلك ظنا منه وتوسما في خلقة آدم حين رأى خلخته  
من اشياء مختلفة فلم انه ستكون لهم شيم تقتضي طاعته كالغفل والحسد  
والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس وقتاده الا ان ابليس لم يقل انه ياتي  
بني آدم من فوقهم ولا جعل الله له سبيلا الى ان يحول بينهم وبين رحمة  
الله وعضوه ومنه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل ومنه قوله سبحانه  
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فجعل اكثر

العالم كفرة ويبينه قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح يقول الله عز وجل يا آدم اخرج بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة ونحوه مما يخص امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما انتم في الامم الا كالشجرة البيضاء في الثور الاسود وشاكرين معناه مومنين لان ابن آدم لا يشكر نعمة الله الا بان يومن قاله ابن عباس وغيره وقوله سبحانه اخرج منها اي من الجنة مذوء وما اي معيبا مدحورا اي مقصيا مبعدا لمن تبعك بفتح اللام هي لام قسم وقال ابو حيان الظاهر انها الموطئة للقسم ومن شرطية في موضع رفع بالابتداء وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه ويجوز ان تكون لام ابتداء ومن موصولة في موضع رفع بالابتداء والقسم المحذوف وجوابه وهو لاملان في موضع خبرها انتهى وقال الفخر وقيل مذوء وما اي محقورا فالمدوء والمحتقر قاله الليث وقال ابن الانباري المدوء والمذموم وقال الفراء اذأتمه اذا عيبته انتهى وباقي الآية بين اللهم انا نعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء ودرء الشقاء وشهامة الاعداء \* وقوله جل وعلا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلاما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اذا امر الانسان بشيء وهو متلبس به فانما المقصد من ذلك ان يستمر على حاله ويتأدى في هيئته وقوله سبحانه لا آدم اسكن هو من هذا الباب وقد تقدم الكلام في سورة البقرة على الشجرة وتعيينها وقوله سبحانه هذه قال (م) الاصل هذى والهاء بدل من الياء ولذلك كسرت الذال اذ ليس في كلامهم هاء تانيث قبلها كسرة انتهى \* وقوله عز وجل فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوأتها الوسوسة الحديث في اخفاء همسا واسرارها من الصوت والوسواس صوت الحلي فتشبه الهمس

به وسمى القاء الشيطان في نفس ابن آدم وسوسة اذهي ابلغ الاسرار واخفاه  
هذا في حال الشيطان معنا الآن واما مع آدم فممكن ان تكون وسوسة بمحاورة  
خفية او بالقاء في نفس واللام في ليدي هي في قول الاكثرين لام الصيرورة  
والعاقبة ويمكن ان تكون لام كي على بابها وما ووري معناه ما ستر من قولك  
واري يوارى اذا ستر والسواة الفرج والدبر ويشبه ان يسمى بذلك لان منظره  
يسوء وقالت طائفة ان هذه العبارة انما قصد بها انها كشفت لهما معائنها وما  
يسوءها ولم يقصد بها العورة وهذا القول محتمل الا ان ذكر خصف الورق يرده  
الا ان يقدر الضمير في عليهما عائدا على بدنيهما فيصح \* وقوله سبحانه وقال  
مانها كما الآية هذا القول المحكي عن ابليس يدخله من التاويل ما دخل  
الوسوسة فممكن ان يقول هذا مخاطبة وحوارا وممكن ان يقولها القاء  
في النفس ووحيا والا ان تقديره عند سيويه والبصريين الاكراهية ان  
وتقديره عند الكوفيين الا ان لا على اضمار لا ويرجح قول البصريين ان  
اضمار الاسماء احسن من اضمار الحروف وقرأ جمهور الناس ملكين بفتح  
اللام وقرأ ابن عباس ملكين بكسرهما ويؤيده قوله وملك لابيلي وقال  
بعض الناس يوخذ من هذه الالفاظ ان الملائكة افضل من البشر وهي  
مسئلة اختلف الناس فيها وتمسك كل فريق بظواهر من الشريعة والفضل  
بيد الله يوتييه من يشاء وقاسمهما اي حلف لهما بالله وهي مفاعلة اذ قبول  
المحطوف له اليمين كالقسم \* وقوله عز وجل فدلاهما بغرور قال (ع) يشبه  
عندى ان تكون هذه استعارة من الرجل يدلى آخر من هوة بجبل قد  
ارم اوسبب ضعيف يغتر به فاذا تدلى به وتورك عليه انقطع به وهلك فيشبهه  
الذى يغتر بالكلام حتى يصدقه فيقع في مصيبة بالذى يدلى من هوة  
بسبب ضعيف \* وقوله سبحانه بدت قيل تمزقت عنها ثياب الجنة وملابسها

وتطأيرت تبريا منها ويخصفان معناه يلصقانها والمخصف الاشقي وضم الورق بعضه الى بعض اشبه بالحرز منه بالحياطة قال البخاري يخصفان يولفان الورق بعضه الى بعض انتهى وهو معنى ما تقدم وروى ابى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام كان يمشى في الجنة كأنه النخلة السحوق فلما أكل من الشجرة وبدت له حاله فر على وجهه فاخذت شجرة بشعر راسه فقال لها ارسلني فقالت ما انا بمرسلتك فناداه ربه جل وعلا امنى تفريا آدم فقال لا يا رب ولكن استحييك فقال اما كان لك فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تاتل العيش الا كذا \* وقوله عن تكلم يريد بحسب اللفظ انه انما اشار الى شجرة مخصوصة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبین اشارة الى الآية التي في طه في قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وهذا هو العهد الذى نسيه آدم على مذهب من جعل النسيان على بابه وقولهما ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب آدم هذا فاجيب وطلب ابليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل الى سوء رأيه قال الضحاك وغيره هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه \* وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو المخاطبة بقوله اهبطوا قال ابوصالح والسدي والطبري وغيرهم هي لآدم وحواء وابليس والحية وقالت فرقة هي مخاطبة لآدم وذريته وابليس وذريته قال (ع) وهذا ضعيف لعدمهم في ذلك الوقت (ت) وما ضعفه رحمه الله صححه في سورة البقرة فتأمله هناك وعداوة الحية معروفة روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما سلمناهن منذ حاربناهن \* وقوله سبحانه يا بنى آدم قد انا انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم الآية خطاب لجميع الامم وقت النبي صلى الله عليه وسلم والسبب والمراد

قريش ومن كان من العرب يتعربى في طوافه بالبيت قال مجاهد ففيهم نزلت هذه الاربعة آيات وقوله انزلنا يحتمل التدريج اي لما انزل المطر فكان عنه جميع ما يلبس ويحتمل ان يريد بانزلنا خلقنا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد ولباسا عام في جميع ما يلبس ويوارى يستر وقرأ الجمهور وريشا وقرأ عاصم وابو عمرو وريشا وهما عبارتان عن سعة الرزق ورفاهة العيش وجودة الملابس والتمتع وقال البخاري قال ابن عباس وريشا المال انتهى وقرأ نافع وغيره ولباس بالنصب وقرأ حمزة وغيره بالرفع وقوله ذلك من آيات الله اشارة الى جميع ما انزل الله من اللباس والريش وحكي النقاش ان الاشارة الى لباس التقوى اي هو في العبد آية اي علامة وامارة من الله تعالى انه قد رضي عنه ورحمه وقال ابن عباس لباس التقوى هو السميت الحسن في الوجه وقاله عثمان بن عفان على المنبر وقال ابن عباس ايضا هو العمل الصالح وقال عروة بن الزبير هو خشية الله وقيل هو لباس الصوف وكل ما فيه تواضع لله عز وجل وقال الحسن هو الورع وقال معبد الجهنني هو الحياء وقال ابن عباس ايضا لباس التقوى العفة قال (ع) وهذه كلها مثل وهي من لباس التقوى ولعلمهم ترج بحسبهم ومبلغهم من المعرفة وقوله عز وجل يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية خطاب لجميع العالم والمقصود بها في ذلك الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت عربانا قيل كانت العرب تطوف عراة الا لحمس وهم قريش ومن والاها وهذا هو الصحيح ثم نودي بمكة في سنة تسع لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان والفتنة في هذه الآية الاستهواء والغلبة على النفس وازاد الاخراج في هذه الآية الى ابليس تجوزا لما كان هو السبب في ذلك قال ابو حيان كما اخرج كما في موضع نصب اي فتنة مثل فتنة اخرج ابويكم

انتهى \* وقوله سبحانه انه يراكم الآية زيادة في التحذير واعلام بان الله عز وجل قد مكن ابليس من بنى آدم في هذا القدر وبحسب ذلك يجب ان يكون التحرز بطاعة الله عز وجل وقبيل الشيطان يريد نوعه وصفه وذريته والشيطان موجود وهو جسم قال النووي وروينا في كتاب ابن السني عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ما بين اعين الجن وعورات بنى آدم ان يقول الرجل المسلم اذا اراد ان يطرح ثيابه بسم الله الذى لا اله الا هو انتهى وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم اذا دخلوا الكنف ان يقولوا بسم الله رواه الترمذي وقال اسناده ليس بالقوي قال النووي قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يحوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكون مضوعا واما الاحكام كالاحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح او الحسن الا ان يكون في احتياط في شيء من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكرهه بعض البيوع او الانكحة فان المستحب ان يتنزه عنه ولكن لا يجب انتهى ونحوه لابن عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم ثم اخبر عز وجل انه صير الشياطين اولياء اي صحابة ومتدخليين للكفرة الذين لا ايمان لهم \* وقوله واذا فعلوا وما بعده داخل في صفة الذين لا يؤمنون والفاحشة في هذه الآية وان كان اللفظ عاما هي كشف العورة عند الطواف فقد روي عن الزهري انه قال ان في ذلك نزلت هذه الآية وقاله ابن عباس ومجاهد \* وقوله عز وجل قل امر ربى بالقسط تضمن معنى اقسطوا ولذلك عطف عليه قوله واقموا حملا على المعنى والقسط العدل واختلف في قوله سبحانه واقموا وجوهكم عند كل مسجد فقال مجاهد



والسدي اراد الى الكعبة والمقصد على هذا شرع القبلة والتزامها وقيل اراد الامر باحضار النية لله في كل صلاة والقصد لمحوه كما تقول وجهت وجهي لله قاله الربيع وقيل المراد اباحة الصلاة في كل موضع من الارض اي حيث ما كنتم فهو مسجد لكم تلزمكم عند الصلاة اقامة وجوهكم فيه لله عز وجل \* وقوله سبحانه كما بدأكم تعودون قال ابن عباس وقتادة ومجاهد المعنى كما اوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت والوقف على هذا التاويل تعودون وفريقا نصب يهدى والثاني منصوب بفعل تقديره وعذب فريقا وقال جابر بن عبد الله وغيره وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد الاعلام بان من سبقت له من الله الحسنى وكتب سعيدا كان في الآخرة سعيدا ومن كتب عليه انه من اهل الشقاء كان في الآخرة شقيا ولا يتبدل من الامور التي احكمها ودبرها وانفذها شيء فالوقف في هذا التاويل في قوله تعودون غير حسن وفريقا على هذا التاويل نصب على الحال والثاني عطف على الاول ومحسبون انهم مهتدون معناه يظنون قال الطبري وهذه الآية دليل على خطأ من زعم ان الله لا يعذب احدا على معصية ركبها اوضلالة اعتقدها الا ان ياتيها على علم منه بموضع الصواب \* وقوله سبحانه يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية هذا خطاب عام لجميع العالم كما تقدم وامروا بهذه الاشياء بسبب عصيان حاضري ذلك الوقت من مشركي العرب فيها والزينة الثياب الساترة قاله مجاهد وغيره وعند كل مسجد اي عند كل موضع سجود فهي اشارة الى الصلوات وستر العورة فيها (ت) ومن المستحسن هنا ذكر شيء مما جاء في اللباس فمن احسن الاحاديث في ذلك واصحها ما رواه مالك في الموطأ عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ازرّة المومن الى انصاف ساقيه لاجنّاح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما اسفل من ذلك ففي النار قال ذلك

ثلاث مرات لا ينظر الله عز وجل الى من جر ازاره بطرا وحدث ابو عمر في التمهيد بسنده عن ابن عمر قال فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الازار فهو في القميص يعني ما تحت الكعبين من القميص في النار كما قال في الازار وقد روى ابو خيثمة زهير بن معاوية قال سمعت ابا اسحاق السبيعي يقول ادر كتبهم وقصهم الى نصف الساق او قريب من ذلك وكم احدهم لا يجاوز يده انتهى وروى ابو داود عن اسماء بنت يزيد قالت كانت يدكم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ واما احب اللباس فما رواه ابو داود عن ام سلمة قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص انتهى وجاء في المسبل وعيد شديد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اسبل ازاره ان هذا كان يصلي وهو مسبل ازاره وان الله لا يقبل صلاة رجل مسبل ازاره رواه ابو داود انتهى \* وقوله سبحانه وكلوا واشربوا اباحة لما التزموه من تحريم اللحم والودك في ايام المواسم قاله ابن زيد وغيره ويدخل في ذلك البحيرة والسائبة ونحو ذلك نص على ذلك قتادة \* وقوله سبحانه ولا تسرفوا معناه لا تفرطوا قال اهل التاويل يريد تسرفوا بان تحرموا ما لم يحرم الله عز وجل واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقا ومن تلبس بفعل مباح فان مشى فيه على القصد واوسط الامور فحسن وان افراط جعل ايضا من المسرفين وقال ابن عباس في هذه الآية احل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا او بخيلة قال ابن العربي قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الاسراف تعدى الحد فنهاهم سبحانه عن تعدى الحلال الى الحرام وقيل لا يزيد على قدر الحاجة وقد اختلف فيه على قولين فقليل حرام وقيل مكروه وهو الاصح فان قدر الشعب يختلف باختلاف البلدان والازمان والانسان والطعمان انتهى من احكام القرآن \* وقوله سبحانه قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده اي قل لهم على جهة التوبيخ

وزينة الله هي ما حسنته الشريعة وقررتة وزينة الدنيا كل ما اقتضته الشهوة وطلب الملو في الارض كالمال والبنين والطيبات قال الجمهور يريد المحلات وقال الشافعي وغيره هي المستلذات اي من الحلال وانما قاد الشافعي الى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ ونحوها فانه يقول هي من الجبائث (ت) وقال مكى المعنى قل من حرم زينة الله اي اللباس الذى يزين الانسان بان يستر عورته ومن حرم الطيبات من الرزق المباحة وقيل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من السوايب والنجاسات انتهى \* وقوله سبحانه قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن جبير المعنى قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها يوم القيامة وقال ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة وغيرهم المعنى هو ان يخبر صلى الله عليه وسلم ان هذه الطيبات الموجودة هي فى الحياة الدنيا للذين آمنوا وان كانت ايضا لغيرهم معهم وهي يوم القيامة خالصة لهم اي لا يشركهم احد فى استعمالها فى الآخرة وقرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقيون بالنصب \* وقوله سبحانه كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كما فصلنا هذه الاشياء المتقدمة الذكر نفصل الآيات اي نبين الامارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم ينتفعون به \* وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الآية لما تقدم انكار ما حرمه الكفار بآرائهم اتبعه بذكر ما حرم الله عز وجل والفواحش فى اللغة ما فحش وشنع واصله من القبح فى النظر وهي هنا انما هي اشارة الى ما نص الشرع على تحريمه فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش والاثم لفظ عام فى جميع الافعال والاقوال التى يتعلق بمرتبتها اثم هذا قول الجمهور وقال بعض الناس هي الحمر وهذا قول مردود لان هذه السورة مكية وانما حرمت الحمر بالمدينة بعد اُحد والبنى التعمدى وتجاوز الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من انه حرم البهيرة

والسائبة ونحوه \* وقوله سبحانه ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون المعنى ولكل امة اجل موقت لمجيء العذاب اذا كفروا وخالفوا امر ربهم فانتم ايها الامة كذلك قاله الطبري وغيره وقوله ساعة لفظ عين به الجزء القليل من الزمان والمراد جميع اجزائه والمعنى لا يستأخرون ساعة ولا اقل منها ولا اكثر وقوله عز وجل يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الخطاب في هذه الآية لجميع العالم وان هي الشرطية دخلت عليها ما مؤكدة وكان هذا الخطاب لجميع الامم قديمها وحديثها هو متمكن لهم ومتحصل منه لحاضري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا حكم الله في العالم منذ انشاء وياتينكم مستقبل وضع موضع ماض ليفهم ان الايتان باق رقت الخطاب لتقوى الاشارة بصحة النبوة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على مراعاة وقت نزول الآية واسند الطبري الى ابي سيار السلمي قال ان الله سبحانه خاطب آدم وذريته فقال يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم الآية قال ثم نظر سبحانه الى الرسل فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون الحديث قال (ع) ولا محالة ان هذه المخاطبة في الازل وقيل المراد بالرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره النقاش ويقصون اي يسردون ويوردون والآيات لفظ جامع لآيات الكتب المنزلة والعلامات التي تقترب بالانبياء وفي الخوف والحزن يعم جميع انواع مكاره النفس وانكادها \* قوله سبحانه فمن اظلم ممن افترى على الله كدبا او كذب بآياته الآية هذه الآية وعيد واستفهام على جهة التقرير اي لا احد اظلم منه والكتاب هو اللوح المحفوظ في قول الحسن وغيره وقيل ما تكتبه الحفظة ونصيبهم من ذلك هو

الكفر والمعاصي قاله مجاهد وغيره وقيل هو القرآن وحظهم فيه سواد الوجوه يوم القيامة وقال الربيع بن انس وغيره المعنى بالنصيب ما سبق لهم في ام الكتاب من رزق وعمر وخير وشر في الدنيا ورجحه الطبري واحتج له بقوله تعالى بعد ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا اي عند انقضاء ذلك فكان معنى الآية على هذا التاويل اولائك يمتعون ويتصرفون في الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسلنا لموتهم وهذا تاويل جماعة وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري وقالت فرقة رسلنا يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيامة ويتوفونهم معناه عندهم يستوفونهم عددا في السوق الى جهنم \* وقوله سبحانه حكاية عن الرسل اين ما كنتم تدعون استفهام تقرير وتوبيخ وتوقيف على خزي وتدعون معناه تعبدون وتؤملون وقولهم ضلوا عنا معناه هلكوا وتلفوا وفقدوا ثم ابتدأ الخبر عن المشركين بقوله سبحانه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين \* قوله سبحانه قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار هذه حكاية ما يقول الله سبحانه لهم يوم القيامة بواسطة ملائكة العذاب نسأل الله العافية وعبر عن يقول بقال لتحقيق وقوع ذلك وصدق القصة وهذا كثير وخلت حكاية عن حال الدنيا اي ادخلوا في النار في جملة الامم السابقة لكم في الدنيا الكافرة (ت) وكذا قدره ابو حيان في جملة امم قال وقيل في بمعنى مع اي مع امم وتقدم له في البقرة ان في تحيي للمصاحبة كقوله تعالى ادخلوا في امم قد خلت انتهى وقدم ذكر الجن لانهم اغرق في الكفر وابليس اصل الضلال والاغواء وهذه الآية نص في ان كفرة الجن في النار والذي يقتضيه النظر ان مومنيهم في الجنة لانهم عقلاء مكلفون مبعوث اليهم آمنوا وصدقوا وقد بوب البخاري رحمه الله بابا في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وذكر عبد الجليل ان مومني الجن يكونون ترابا كالبهائم وذكر في ذلك حديثا مجهولا وما أراه يصح والله اعلم

والاخوة في هذه الآية اخوة الملة قال (ص) في النار متعلق بخلت او بمحذوف وهو صفة لامم اي في امم سابقة في الزمان كائنة من الجن والانس كائنة في النار ويحتمل ان يتعلق بادخلوا على ان في الاولى بمعنى مع والثانية للظرفية واذا اختلف مدلول الحرفين جاز تعلقهما بمحل واحد انتهى واداركوا معناه تلاحقوا اصله تداركوا ادغم فخلبت الف الوصل وقال البخاري اداركوا اجتمعوا انتهى \*

وقوله سبحانه قالت اخراهم لاولاهم معناه قالت الامم الاخيرة التي وجدت ضلالات متقرة وسننا كاذبة مستعملة للاولى التي شرعت ذلك وافترت على الله وسلكت سبيل الضلال ابتداء ربنا هؤلاء اضلونا اي طرقتوا لنا طرق الضلال قال لكل ضعف اي عذاب مشدد على الاول والآخر ولكن لا تعلمون اي المقادير وصور التضعيف \*

قوله سبحانه وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لهم علينا من فضل اي قد استوت حالنا وحالكم فذوقوا العذاب باجترامكم وهو من كلام الامة المتقدمة للتأخرة وقيل قوله فذوقوا هو من كلام الله عز وجل لجميعهم \*

وقوله سبحانه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة الآية هذه الآية عامة في جميع الكفرة قديمهم وحديثهم قرأ نافع وغيره لا تفتح بتشديد التاء الثانية وقرأ ابو عمرو تفتح بالتاء ايضا وسكون الفاء وتخفيف الثانية وقرأ حمزة يفتح بالياء من اسفل وتخفيف التاء ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء فهي عامة في نفي ما يوجب للمومنين قاله ابن عباس وغيره ثم نفى سبحانه عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون محال وهو ان يدخل الجمل في ثقب الابرّة حيث يدخل الحيط والجمل كما عهد والسم كما عهد وقرأ جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقرأ ابن عباس وغيره الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو جمل السفينة والسم الثقب من الابرّة وغيرها وكذلك اي وعلى هذه الصفة وبمثل هذا

الحتم وغيره نجزي الكفرة واهل الجرائم على الله لهم من جهنم مهاد اي فراش ومسكن ومضجع يتمدون به وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يفسى الانسان اي يغطيه ويستتره من جهة فوق \* وقوله سبحانه لا تكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون هذه آية وعد مخبرة ان جميع المؤمنين هم اصحاب الجنة ولهم الخلد فيها ثم اعترض فيها القول بمقب الصفة التي شرطها في المؤمنين باعترض يخفف الشرط ويرجى في رحمة الله ويعلم ان دينه يسر وهذه الآية نص في ان الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شيء لا يطاق وقد تقدم ذلك في سورة البقرة والوسع معناه الطاقة وهو القدر الذي يتسع له البشر \* وقوله سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل هذا اخبار من الله عز وجل انه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل والحقد وذلك ان صاحب الغل معذب به ولا عذاب في الجنة وورد في الحديث الغل على باب الجنة كعبارك الابل قد نزع الله من قلوب المؤمنين والغل الحقد والاحنة الحفية في النفس وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاشارة بهذا يتجه ان تكون الى الايمان والاعمال الصالحات المؤدية الى الجنة ويحتمل ان تكون الى الجنة نفسها اي ارشدنا الى طرقها وقرأ ابن عامر وحده ما كنا لنهتدي بسقوط الواو وكذلك هي في مصاحف اهل الشام ووجهها ان الكلام متصل مرتبط بما قبله ولما رأو تصديق ما جأت به الانبياء عن الله سبحانه وعانوا انجاز المواعيد قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا اي قيل لهم بصياح وهذا النداء من قبل الله وان مفسرة لمعنى النداء بمعنى اي وقوله بما كنتم تعملون لا على طريق وجوب ذلك على الله تعالى لكن بقرينة رحمته وتغمده والاعمال اماراة من الله سبحانه وطريق الى قوة الرجاء ودخول الجنة انما هو بمجرد رحمته والقسم فيها على قدر الاعمال واورثتم مشيرة الى الاقسام وقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة

اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية هذا النداء من اهل الجنة لاهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب وهو بان يشرفوا عليهم ويخلق الادراك في الاسماع والابصار وقوله سبحانه فاذن مؤذن بينهم اي اعلم معلم والظالمون هنا هم الكافرون (ت) حكي عن غير واحد ان طاووس دخل على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الاذان فقال وما يوم الاذان فقال قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فصق هشام فقال طاووس هذا ذل الوصف فكيف ذل المعانة انتهى ويبغونها عوجا اي يطلبونها او يطلبون لها والضمير في يبغونها عائد على السبيل وقوله سبحانه وبينها حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم وبينهما اي بين الجنة والنار ويحتمل بين الجمعين والحجاب هو السور الذي ذكره الله عز وجل في قوله فضرب بينهم بسور له باب قال ابن عباس وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال ابن عباس ايضا هو تل بين الجنة والنار وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدا جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يجتس عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شاء الله من اهل الجنة والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض ومنه عرف الفرس وعرف الديك لعلوها وقال بعض الناس سبي الاعراف اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس قال (ع) وهذه عجمة وانما المراد على اعراف ذلك الحجاب اي اعاليه وقوله رجال قال الجمهور انهم رجال من البشر ثم اختلفوا في تعيينهم فقال شرحبيل بن سعد هم المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصابة لآبائهم وذكر الطبري في ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه تعادل عقوبتهم واستشهادهم وقال ابن عباس وغيره هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ووقع في مسند خثيمة بن سليمان في آخر



الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته  
على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته  
مثقال صوابه دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال  
اولئك اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقيل غير هذا من  
التاويلات قال (ع) واللازم من الآية ان على اعراف ذلك السور او على  
مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالا من اهل الجنة يتأخر  
دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار ويعرفون كلا بسيماهم اي بعلاماتهم  
من بياض الوجوه وحسنها في اهل الجنة وسوادها وقبحها في اهل النار الى  
غير ذلك في حيز هؤلاء وحيز هؤلاء وقوله لم يدخلوها وهم يطمعون المراد  
به اهل الاعراف فقط وهو تاويل ابن مسعود والسدي وقاتدة والحسن  
وقال والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لخير اراده بهم قال (ع) وهذا  
هو الاظهر الاليق مما قيل في هذه الآية ولا نظر لاحد مع قول النبي صلى الله  
عليه وسلم \* وقوله سبحانه واذا صرفت ابصارهم اي ابصار اصحاب الاعراف  
فهم يسلمون على اصحاب الجنة واذا نظروا الى النار واهلها قالوا ربنا لا تجعلنا  
مع القوم الظالمين قاله ابن عباس وجماعة من العلماء \* وقوله سبحانه ونادى  
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم يريد من اهل النار ما اغنى عنكم  
جمعكم ما استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وما الثانية مصدرية وجمعكم لفظ يعم  
المال والاجناد والحوال \* وقوله سبحانه اهؤلاء الذين اقسمت لا ينالهم الله برحمة  
ادخلوا الجنة اهل الاعراف هم القائلون اهؤلاء اشارة الى اهل الجنة والذين  
خوطبوا هم اهل النار والمعنى اهؤلاء الضعفاء في الدنيا الذين حلفتم ان الله لا  
يعبؤ بهم قيل لهم ادخلوا الجنة وقال النقاش اقسم اهل النار ان اصحاب

الاعراف داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة اهولاء ثم نادى اصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وقرأ عكرمة دخلوا الجنة على الاخبار بفعل ماض \* وقوله سبحانه ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء الآية لفظة النداء تتضمن ان اهل النار وقع لهم علم بان اهل الجنة يسمعون نداءهم وجاز ان يكون ذلك وهم يرونهم بادراك يجعله الله لهم على بعد السفلى من العلو وراز ان يكون ذلك وبينهم السور والحجاب المتقدم الذكر وروي ان ذلك النداء هو عند اطلاع اهل الجنة عليهم وقوله سبحانه او مما رزقكم الله اشارة الى الطعام قاله السدي فيقول لهم اهل الجنة ان الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين واجابة اهل الجنة بهذا الحكم هو عن امر الله تعالى ومعنى قوله تعالى الذين اتخذوا دينهم لهواى بالاعراض والاستهزاء بمن يدعوه الى الاسلام وغرتهم الحياة الدنيا اى خدعتهم بزخرفها واعتقادهم انها الغاية القصوى وقوله فاليوم ننسأهم هو من اخبار الله عز وجل عما يفعل بهم والنسيان هنا بمعنى الترك اى تركهم فى العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم قاله ابن عباس وجماعة وما كانوا عطف على ما من قوله كما نسوا ويحتمل ان تقدر ما الثانية زائدة ويكون قوله وكانوا عطفأ على قوله نسوا وقوله سبحانه ولقد جئناهم بكتاب الضمير فى جئناهم لمن نقدم ذكره والكتاب اسم جنس واللام فى لقد لام قسم وقال يحيى بن سلام بل الكلام تم فى يحددون وهذا الضمير لمكذبي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ابتداء كلام آخر والمراد بالكتاب القرآن وعلى علم معناه على بصيرة وقوله سبحانه هل ينظرون اى ينتظرون الا تاويله اى مثاله وعاقبته يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره وقال السدي مثاله فى الدنيا وقعة بدر وغيرها ويوم القيامة ايضا ثم اخبر تعالى ان مثال حال هذا الدين يوم يأتى يقع معه ندمهم ويقولون تأسفا على ما فاتهم من

الإيمان لقد جاءت رسل ربنا بالحق فالتأويل على هذا من آل يتول ونسوه  
 يحتمل ان يكون بمعنى الترك وباقي الآية بين (ت) وهذا التقرير يرجع تأويل  
 ابن سلام المتقدم \* وقوله سبحانه ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض  
 في ستة ايام الآية خطاب عام يقتضى التوحيد والحجة عليه بدلائله وجاء في  
 التفسير والاحاديث ان الله سبحانه ابتداء الخلق يوم الاحد وكملت المخلوقات  
 يوم الجمعة وهذا كله والساعة اليسيرة في قدرة الله سبحانه سواء قال (م) في ستة  
 ايام ستة اصلها سدسة فابدلوا من السين تاء ثم ادغموا الدال في التاء وتقصيره  
 سديس وسديسة انتهى \* وقوله سبحانه ثم استوى على العرش معناه عند ابى  
 المعالى وغيره من حذاق المتكلمين الملك والسلطان وخص العرش بالذكر تشريفا  
 اه اذ هو اعظم المخلوقات \* وقوله سبحانه الاله الخلق والامر الاستفتاح كلام  
 واخذ المفسرون الخلق بمعنى المخلوقات اي هي كلها ملكه واختراعه واخذوا  
 الامر مصدرا من أمر يا امر قال (ع) ويحتمل ان تؤخذ لفظة الخلق على المصدر  
 من خلق يخلق خلقا اي له هذه الصفة اذ هو الموجد للاشياء بعد العدم  
 ويؤخذ الامر على انه واحد الامور فيكون بمنزلة قوله واليه يرجع الامر كله  
 والى الله ترجع الامور وكيف ما تأولت الآية فالجميع لله سبحانه وتبارك  
 معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته ولا يوصف بها الا الله سبحانه وتبارك لا  
 يتصرف فى كلام العرب فلا يقال منه يتبارك والعالمين جمع عالم \* قوله عز  
 وجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين هذا امر بالدعاء وتعبد  
 به ثم قرن سبحانه بالامر به صفات تحسن معه وقوله تضرعا معناه بخشوع  
 واستكانة والتضرع لفظة تقتضى الجهر لان التضرع انما يكون باشارات  
 جوارح وهيآت اعضاء تقتزن بالطلب وخفية يريد في النفس خاصة وقد  
 اثني الله سبحانه على ذلك فى قوله سبحانه اذ نادى ربه نداء خفيا ونحو

هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي والشريرة مقررّة ان السرف فيما لم يفرض من اعمال البر اعظم اجرا من الجهر (ت) ونحو هذا لابن العربي لما تكلم على هذه الآية قال الاصل في الاعمال الفرضية الجهر والاصل في الاعمال النفلية السر وذلك لما يتطرق الى النفل من الرياء والتظاهر بذلك في الدنيا والتفاخر على الاصحاب بالاعمال وقلوب الخلق جبلت بالميل الى اهل الطاعة انتهى من الاحكام وقوله سبحانه انه لا يحب المعتدين يريد في الدعاء وان كان اللفظ عاما والاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ومنها ان يدعوا في محال ونحو هذا من التشطط وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل وقال البخاري انه لا يجب المعتدين اي في الدعاء وغيره انتهى (ت) قال الخطابي وليس معنى الاعتداء الاكثر فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعاء وقال اذا دعا احدكم فليستكثر فالتما هو يسأل ربه انتهى وروي ابو داود في سننه عن عبد الله بن مفضل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهر والدعاء انتهى \* وقوله سبحانه ولا تفسدوا في الارض الآية الفاظها عامة تتضمن كل فساد قل او كثر بعد صلاح قل او كثر والقصد بالنهي هو العموم وتخصيص شي \* دون شي \* في هذا تحكم الا ان يقال على جهة المثال \* وقوله سبحانه وادعوه خوفا وطمعا امر بان يكون الانسان في حالة تقرب وتحرز وتاميل لله عز وجل حتى يكون الخوف والرجاء

كالجنّاحين للطير يميلانه في طريق استقامة وان انفرد احدهما هلك  
الانسان وقد قال كثير من العلماء ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة  
فاذا جاء الموت غلب الرجاء وقد رأى كثير من العلماء ان يكون الخوف  
اغلب على المرء بكثير وهذا كله طريق احتياط ومنه تنبى الحسن البصري  
ان يكون الرجل الذى هو آخر من يدخل الجنة وتنبى سالم مولى ابى  
حذيفة ان يكون من اصحاب الاعراف ثم انس سبحانه بقوله ان رحمت  
الله قريب من المحسنين \* وقوله سبحانه وهو الذى يرسل الرياح نشرا  
بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا الآية هذه آية اعتبار واستدلال  
وقرأ عاصم الرياح بالجمع بشرا بالباء المضمومة والشين الساكنة وروي  
عنه بشرا بضم الباء والشين ومن جمع الريح في هذه الآية فهو اسمد  
وذلك ان الرياح حيث وقعت في القرءان فهي مقترنة بالرحمة كقوله  
ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات واكثر ذكر الريح مفردة انما هو  
بقريئة عذاب كقوله سبحانه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد  
تقدم ايضا هذا في سورة البقرة ومن قرأ في هذه الآية الريح بالافراد فانما  
يريد به اسم الجنس وايضا فتقيدها بنشراً يزيل الاشتراك والارسال في  
الريح هو بمعنى الاجراء والاطلاق ونشرا اي تنشر السحاب واما بشرا بضم الباء  
والشين فجمع بشير كندير ونذر والرحمة في هذه الآية المطر وبين يدي اي  
امام رحمته وقدامها واقلت معناه رفعته من الارض واستقلت به وثقالا معناه  
من الماء والعرب تصف السحاب بالثقل والريح نسوق السحاب من ورائه  
فهو سوق حقيقة والضمير في سقناه عائد على السحاب ووصف البلد بالموت  
استعارة بسبب شعثه وجذوبته والضمير في قوله فانزلنا به يحتمل ان يعود على  
السحاب اي منه ويحتمل ان يعود على البلد ويحتمل ان يعود على الريح \*

وقوله تبارك وتعالى كذلك نخرج الموقى يحتمل مقصدين احدهما ان يراد  
 كهذه القدرة العظيمة هي القدرة على احياء الموقى وهذا مثال لها الثانى  
 ان يراد ان هكذا نصنع بالاموات من نزول المطر عليهم حتى يحيا به حسب  
 ماوردت به الآثار فيكون الكلام خبرا لامثالا \* وقوله سبحانه والبلد  
 الطيب يخرج نباته آية متممة للمعنى الاول فى الآية قبلها معرفة بعادة الله  
 سبحانه فى انبات الارضين فمن اراد ان يجعلها مثالا لقلب المومن وقلب  
 الكافر كما هو محكي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فذلك مترتب  
 لكن الفاظ الآية لا تقتضى ان المثل قصد به ذلك والطيب هو الجيد  
 التراب الكريم الارض وخص باذن ربه مدحا وتشريفا وهذا كما تقول لمن  
 تفض منه انت كما شاء الله ففى عارة تعطى مبالغة فى مدح او ذم  
 والحيث هو السباخ ونحوها من ردى الارض والتكيد العسير القليل  
 كذلك نصرف الايات اى هكذا نبين الامور ويشكرون مغناه يومنون  
 ويشنون بآلاء الله سبحانه \* قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه  
 فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال  
 الملائكة قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول  
 من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون قال  
 الطبري اقسم الله تعالى انه ارسل نوحا وكذا قال ابو حيان لقد اللام جواب  
 قسم محذوف انتهى وغيره بالرفع بدل من قوله من اله لانه فى موضع رفع  
 ويجوز ان يكون نعتا على الموضع لان التقدير ما لكم اله غيره والملائكة الجماعة  
 من الاشراف قيل انهم ماخذون من انهم يملئون النفس والعين ويحتمل من  
 انه اذا تمالسوا على امرهم وقولهم انا لنراك يحتمل من رؤية البصر ويحتمل من  
 رؤية القلب وهو اظهر وفى ضلال اى فى تلف وجهالة بما تسلك وقوله

لهم جواب عن هذا ليس بي ضلالة مبالغة في حسن الادب والاعراض عن الجفاء منهم وتناول رفيق وسعة صدر حسب ما تقتضيه خلق النبوة وقوله ولكنى رسول تعرض لمن يريد النظر والبحث والتأمل في المعجزة وقوله عليه السلام واعلم من الله ما لا تعلمون لفظ مضمنه الوعيد لاسيما وهم لم يسمعوا قط بامة عذبت \* وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلمكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك واغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمن الاستفهام هنا على جهة التقرير والتوبيخ وقوله على رجل منكم قيل على بمعنى مع وقيل هو على حذف مضاف تقديره على لسان رجل ويحتمل ان يكون معناه منزل على رجل منكم اذ كل ما ياتي من الله سبحانه فله حكم النزول ولعلمكم ترج بحسب حال نوح ومعتقده \* وقوله سبحانه فأنجيناه والذين معه في الفلك الآية وفي التفسير ان الذين كانوا مع نوح في السفينة اربعون رجلا وقيل ثمانون رجلا وثمانون امرأة وقيل عشرة وقيل ثمانية قاله قتادة وقيل سبعة والله اعلم وفي كثير من كتب الحديث الترمذى وغيره ان جميع الخلق الآن من ذرية نوح عليه السلام وقوله عمن جمع عم ويريد عمي البصائر واتي في حديث الشفاعة وغيره ان نوحا اول المرسل \* وقوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملائكة الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين عاد اسم الحى وهم عرب فيما يذكر واخاهم نصب بارسلنا وهو معطوف على نوح وهذه ايضا نذارة من هود عليه السلام وقوله افلا تتقون استعطف الى التقوى والايمان وقوله او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا  
 ءالا الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد  
 آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قوله وزادكم في الخلق اي في  
 الخلقة والبسطة الكمال في الطول والعرض وقيل زادكم على اهل عصركم وقال  
 الطبري زادكم على قوم نوح وقاله قتادة قال (ع) واللفظ يقتضي ان الزيادة  
 على جميع العالم وهو الذي يقتضيه ما يذكر عنهم وروي ان طول الرجل منهم  
 كان مائة ذراع وطول اقصرهم ستون ونحوها والآلاء جمع الى على مثل  
 معى وهي النعمة والمنة قال الطبري وعاد هؤلاء فيما حدث ابن اسحاق من ولد  
 عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشجر من ارض  
 اليمن وما الى حضرموت الى عمان قال السدي وكانوا بالاحقاف وهي الرمال  
 وكانت بلادهم اخصب بلاد فردها الله صحارى وقال علي بن ابي طالب رضي  
 الله عنه ان قبر هود عليه السلام هنالك في كئيب احمر تخالطه مدرة ذات  
 اراك وسدر وكانوا قد فشوا في جميع الارض وملكوا كثيرا بقوتهم وعددهم  
 وظلموا الناس وكانوا ثلاثة عشر قبيلة وكانوا اصحاب اوئان فبعث الله اليهم هودا  
 من افضلهم واوسطهم نسبا فدعاهم الى توحيد الله سبحانه والى ترك الظلم قال  
 ابن اسحاق ولم يامرهم فيما يذكر بغير ذلك فكذبوه وعتوا واستمروا على  
 ذلك الى ان اراد الله انفاذ امره امسك عنهم المطر ثلاث سنين فشققوا بذلك  
 وكان الناس في ذلك الزمان اذا دهمهم امر فزعوا الى المسجد الحرام بمكة  
 فدعوا الله فيه تعظيما له مومنين وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق وسيدهم  
 رجل يسمى معاوية بن بكر فاجتمعت عاد على ان تجهز منهم وفدا الى  
 مكة يستسقون الله لهم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال وعتيل بن ضد  
 ابن عاد الاكبر ومرثد بن سعد وكان هذا مومنا يكرم ايمانه وجلهمة بن



الخيرى فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ولما رأى معاوية اقامتهم وقد بعثهم عاد للغوث اشفق على عاد وكان ابن اختهم امه كلدة ابنة الخيرى اخت جلهمة وقال هلك اخوالى وشق عليه ان يامر اضيافه بالانصراف عنه فشكا ذلك الى قينتيه فقالتا اصنع شعرا نغنى به عسى ان ننبههم فقال

الا يا قيل ويحك قم فهينهم \* لعل الله يصحبنا غماما  
فتسقى ارض عاد ان عادا \* قد امسوا لايبينون الكلاما  
من العطش الشديد فليس نرجو \* به الشيخ الكبير ولا الغلاما  
وقد كانت نساؤهم بخير \* فقد امست نساؤهم عياما  
وان الوحش تاتيهم جهارا \* ولا تخشى لعادي سهاما  
وانتم هاهنا فيما اشتيتهم \* نهاركم وليلكم التماما  
فقبح وفدكم من وفد قوم \* ولا لقوا التحية والسلاما

فغنت به الجرادتان فلما سمعه القوم قال بعضهم يا قوم انما بعثكم قومكم لما حل بهم فادخلوا هذا الحرم وادعوا لعل الله يغنيهم فخرجوا لذلك فقال لهم مرثد ابن سعد انكم والله ما تسقون بدعائكم ولكنكم ان اطعمتم نبيكم وامنتم سقيتم واظهر ايمانه يومئذ فخالفه الوفد وقالوا لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم فانه قد اتبع هودا ومضوا الى الحرم فاستسقى قيل بن عنز وقال يا الاهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحاب ثلثا بيضا وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحاب ما شئت فقال قيل قد اخترت السوداء

فانها اكثرهن ماء فنودي قد اخترت رمادا رمدا \* لا تبقي من عاد احدا \*  
لا والدا ولا ولدا \* الاجلثهم همدا \* وساق الله السحابة السوداء التي  
اختارها قيل الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها  
قالوا هذا عارض ممطرنا حتى عرفت انها ريح امرأة منهم يقال لها مهدر  
فصاحت وصعقت فلما افاقت قيل لها ما رأيت قالت ريحا فيها كسهب النار  
امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما  
والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الاهلك فاعتزل هود ومن معه من  
المومنين في حظيرة ما يصيبه من ريح الا ما يلتذ به قال (ع) وهذا قصص وقع  
في تفسير الطبري مطولا وفيه اختلاف فاقتضبت عيون ذلك بحسب الاجاز  
وفي خبرهم ان الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع الظمينة عليها المرأة حتى  
تلقوها في البحر وفي خبرهم ان اقوياءهم كان احدهم يسد بنفسه مهب  
الريح حتى تغلبه فتلقه في البحر فيقوم اخر مكانه حتى هلك الجميع  
وقال زيد بن اسلم بلغني ان ضبعا ربت اولادها في حجاج عين رجل منهم  
وفي خبرهم ان الله سبحانه لما اهلكهم بعث طيرا فنقلت جيفهم حتى  
طرحتها في البحر فذلك قوله سبحانه فاصبحوا لا ترى الامساكنهم وفي  
بعض ما روي من شأنهم ان الريح لم تبعث قط الا بمكيال الا يومئذ فانها  
عتت على الحزنة فقلبهم فذلك قوله سبحانه فاهلكوا بريح صرصر عاتية  
وروي ان هودا لما هلكت عاد نزل بمن آمن معه الى مكة فكانوا بها حتى  
ماتوا فانه اعلم اي ذلك كان وقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الآية ظاهر  
قولهم وحده انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردون العبادة لله مع اقرارهم  
بالاله الخالق المبدع وهذا هو الاظهر فيهم وفي عباد الاوثان كلهم ولا يجحد  
ربوبية الله تعالى من الكفرة الامن افطت غباوته وقولهم فاتنا بما تعدنا

تصميم على التكذيب واستعجال للعقوبة \* وقوله سبحانه قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتوها انتم واءباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا الآية اعلمهم بان القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس وهو السخط والعذاب وقوله اتجادلونني في اسماء سميتوها اي في مسميات سميتوها الهة وقطعنا دابر استعارة تستعمل فيمن يتواصل بالهلاك والدابر الذي يدبر القوم ويبقى خلفهم فاذا انتهى القطع والاستيصال الى ذلك فلم يبق احد وقوله كذبوا بآياتنا دال على المعجزة وان لم تتعين (ت) ومن معجزاته قوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون على ما سيأتي ان شاء الله في موضعه \* وقوله سبحانه والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم قرأ الجمهور والى ثمود بغير صرف على ارادة القبيلة وقرأ يحيى بن وثاب والاعمش والى ثمود بالصرف على ارادة الحي والقراءتان فصيحتان مستعملتان وقد قال تعالى الا ان ثمودا كفروا ربهم واخاهم عطف على نوح والمعنى وارسلنا الى ثمود اخاهم وهي اخوة نسب وهم قوم عرب فهود وصالح عريان وكذلك اسماعيل وشعيب كذا قال الناس وفي امر اسماعيل نظر (ت) النظر الذي اشار اليه لا يخفى عليك وذلك ان اسماعيل والده ابراهيم عليه السلام اعجبي وتعلم اسماعيل العربية من العرب الذين نزلوا عليه بمكة حسب ما ذكره اهل السيرة فهذا وجه النظر الذي اشار اليه وفي نظره رحمه الله نظر ينعني من البحث معه ما اتاه قاصد من الايجاز والاختصار دون البسط والانتشار نعم خرج ابو بكر الآجري من حديث ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال واربعة من

العرب هود وشعيب وصالح ونبيك يا ابا ذر انتهى ولم يذكر اسماعيل فهذا الحديث قد يعضد ما قاله (ع) وصالح عليه السلام هو صالح بن عبيد بن عابر بن ارم بن سام بن نوح كذا ذكر مكي قال وهب بعثه الله حين راهق الحلم ولما هلك قومه ارتحل بمن معه الى مكة فاقاموا بها حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجراي كما ارتحل هود بمن معه الى مكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين \* وقوله قد جاء تكم بيته من ربكم اي اية او حجة او موعظة بيته من ربكم قال بعض الناس ان صالحا جاء بالناقة من تلقاء نفسه وقال الجمهور بل كانت مقترحة وهذا اليق بما ورد في الآثار من امرهم روي ان قومه طلبوا منه اية تضطرهم الى الايمان وقالوا يا صالح ان كنت صادقا فادع لنا ربك يخرج لنا من هذه الهضبة وفي بعض الروايات من هذه الصخرة لصخرة بالحجر ناقة عشاء فدعا الله فتمخضت تلك الهضبة وانشقت عن ناقة عظيمة وروي انها كانت حاملا فولدت سقبا المشهور وروي انه خرج معها فصيها من الصخرة وقيل لها ناقة الله تشريفا لها وتخصيصا وهي اضافة خلق الى خالق وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت اية في شربها وحلبها قال المفسرون كانت خلقا عظيما تاتي الى الماء بين جبلين فيزحمانها من العظم وقاسمت ثمود في الماء يوما بيوم فكانت الناقة ترد يومها فتستوفي ماء يريهم شربا ويجلبونها ماشاءوا من لبن ثم تمكث يوما وترد بعد ذلك غبا فاستمر ذلك ما شاء الله حتى ملتها ثمود وقالوا ما نصنع باللبن الماء احب اليها منه وكان سبب الملل فيما روي انها كانت تصيف في بطن الوادي وادي الحجر وتشتوي ظاهره فكانت مواشيهم تفر منها فتعالوا على ملل الناقة وروي ان صالحا اوحى الله اليه ان قومك سيعقرون الناقة وينزل بهم العذاب عند ذلك فاخبرهم بذلك فقالوا عيادا

بالله ان نفعل ذلك فقال ان لم تفعلوا انتم اوشك ان يولد فيكم من يفعله وقال  
 لهم صفة عاقرها احمر اشقر ازرق فولد قدار على الصفة المذكورة فكان الذي  
 عقرها بالسيف وقيل بالسهم في ضرعها وهرب فصيلها عند ذلك حتى صعد على  
 جبل يقال له القارة فرغا ثلاثا فقال يا صالح هذا ميعاد ثلاثة ايام للعذاب  
 وامرهم قبل رغاء الفصيل ان يطلبوه عسى ان يصلوا اليه فيندفع عنهم العذاب  
 به فراموا الصعود اليه في الجبل فارتفع الجبل في السماء حتى ما تناله الطير  
 وحينئذ رغا الفصيل وروي ان صالحا عليه السلام قال لهم حين رغا الفصيل  
 ستصفر وجوهكم في اليوم الاول وتحمر في الثاني وتسود في الثالث فلما ظهرت  
 العلامات التي قال لهم ايقنوا بالهلاك واستعدوا ولطخوا ابدانهم بالمر وحفروا  
 القبور وتحنطوا وتكفنوا في الانطاع فاخذتهم الصيحة وخرج صالح ومن آمن  
 معه حتى نزل رملة فلسطين وقد اكثر الناس في هذا القصص وهذا القدر  
 كاف ومن اراد استيفاء هذا القصص فليطالع الطبري قال (ع) وبلاد ثمود  
 هي بين الشام والمدينة وهي التي مربها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع  
 المسلمين في غزوة تبوك فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان  
 تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم اعتجر بعمامة واسرع السير  
 حتى جاز الوادي صلى الله عليه وسلم (ت) ولفظ البخاري ثم قنع راسه  
 واسرع السير الحديث \* وقوله سبحانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد  
 عاد وبوأكم في الارض الآية بوأكم معناه مكنكم وهي مستعملة في  
 المكان وظروفه والقصور جمع قصر وهي الديار التي قصرت على بقاع من  
 الارض مخصوصة بخلاف بيوت العمود وقصرت على الناس قصرا تاما والنحت  
 النجر والقشر في الشيء الصلب كالحجر والعمود ونحوه وكانوا ينحتون الجبال  
 لطول اعمارهم وتعتوا معناه تسفدوا قال ابو حيان ومفسدين حال موكدة

انتهى والذين استكبروا هم الاشراف والعظماء الكفرة والذين استضعفوا هم العامة والاغفال في الدنيا وهم اتباع الرسل وقولهم اتعلمون استفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف فاجاب المومنون بالتصديق والصرامة في دين الله فحملت الانفة الاشراف على مناقضة المومنين في مقالاتهم واستمروا على كفرهم \* وقوله سبحانه فمقروا الناقة يقتضى بتشريكم اجمعين في الضمير ان عقر الناقة كان على تمالي منهم واتفاق وكذلك روي ان قدارا لم يقرها حتى كان يستشير وعتوا معناه خشنوا وصلبوا ولم يذعنوا للامر والشرع وصمموا على تكذيبه واستعجلوا النعمة بقولهم ايتنا بما تعدنا فخل بهم العذاب والرجفة ما تؤثره الصيحة او الطامة التي يرجف بها الانسان وهو ان يتحرك ويضطرب ويرتعد ومنه فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده وروي ان صيحة ثمود كان فيها من كل صوت مهول وكانت مفرطة شقت قلوبهم فحتموا على صدورهم والجاثم اللاطني بالارض على صدره فجاثمين معناه باركين قد صعق بهم وهو تشبيه يحشوم الطير وحشوم الرماد وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين كالرماد الجاثم وذهب صاحب هذا القول الى ان الصيحة اقترن بها صواعق محرقة وروي ان الصيحة اصابته كل من كان منهم في شرق الارض وغربها الارجلا كان في الحرم فعنه الحرم ثم هلك بعد خروجه من الحرم ففى مصنف ابى داود قيل يا رسول الله من ذلك الرجل قال ابو رغال وذكره الطبري ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الخبر يرد ما في السير من ان ابارغال هو دليل الفيل وقوله فتولى عنهم اي تولى عنهم وقت عقر الناقة وذلك قبل نزول العذاب وكذلك روي انه عليه السلام خرج من بين اظهرهم قبل نزول العذاب وهو الذي تقتضيه مخاطبته لهم ويحتمل ان يكون خطابه لهم وهم موتى على جهة التفجع عليهم

وذكر حالهم او غير ذلك كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر قال الطبري وقيل انه لم تهلك امة ونبيها معها وروى انه ارتحل بمن معه حتى جاء مكة فاقام بها حتى مات ولفظ التولى يقتضى اليأس من خيرهم واليقين فى اهلاكهم وقوله ولكن لا تحبون الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات على الرأي السديد اذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة الذى ينصح ولذلك تقول العرب امر مبكياتك لا امر مضحكاتك \* وقوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتك انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الامراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين لوط عليه السلام بعثه الله سبحانه الى امة تسمى سدوم وروى انه ابن اخى ابراهيم عليه السلام ونصبه اما بارسلنا المتقدم فى الانبياء واما بفعل محذوف تقديره واذكر لوطا والفاحشة اتيان المذكور فى الادبار وروى انه لم تكن هذه المعصية فى امة قبلهم وحكم هذه الفاحشة عند مالك وغيره الرجم احصن ام لم يحصن وحرقت ابوبكر الصديق رضى الله عنه رجلا عمل عمل قوم لوط وقرأ نافع وغيره انكم على الخبر كانه فسر الفاحشة والاسراف الزيادة الفاسدة ولم تكن مراجعة قومه باحتجاج منهم ولا بمداغة عقلية وانما كانت بكفر وخذلان ويتطهرون معناه يتنزهون عن حالتنا وعاداتنا قال قتادة عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم واستثنى الله سبحانه امرأة لوط عليه السلام من الناجين واخبر انها هلكت والغابر هو الباقي هذا هو المشهور فى اللغة وقد يجيى الغابر بمعنى الماضى وكذلك حكى اهل اللغة غير بمعنى بقى وبمعنى مضى وقسوله وامطرنا عليهم مطرا الآية اي بججارة وروى ان الله تعالى يث

جبريل فاقتلها بجناحه وهي ست مدن وقيل خمس وقيل اربع فرففها حتى سمع اهل السماء الدنيا صراخ الديكة ونباح الكلاب ثم عكسها ورد اعلاها اسفلها وارسلها الى الارض وتبعتهم الحجارة مع هذا فاهلكت من كان منهم من كان في سفر او خارجا من البقع المرفوعة وقالت امرأة لوط حين سمعت الوجبة واقوماء والتفتت فاصابتها صخرة فقتلتها \* وقوله سبحانه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم فافوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها الآية قيل فى مدين انه اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة وقيل هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل وهذا بعيد وروي ان لوطا هو جد شعيب لأمه وقال مكى كان زوج بنت لوط واخاهم منصوب بارسلنا فى اول القصص والبيئة اشارة الى معجزته ولا تبخسوا معناه ولا تظلموا ومنه قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس اي ظالمة خادعة وقال فى سورة هود البخس النقص (ت) ويحتمل والله اعلم ان البخس هو ما اعتاده الناس من ذم السلع ليتوصلوا بذلك الى رخصها فغامله والله اعلم بما اراد سبحانه قال ابو حيان ولا تبخسوا متعد الى مفعولين تقول بخست زيدا حقه اي نقصته اياه انتهى واشياءهم يريد امتعتهم واموالهم ولا تفسدوا لفظ عام فى دقيق الفساد وجليله وكذلك الاصلاح عام ذلكم خير لكم اي عند الله ان كنتم مومنين اي بشرط الايمان والتوحيد والا فلا ينفع عمل دون ايمان ولا تقعدوا بكل صراط الآية قال السدي هذا نهي عن العشارين والمتغلبين ونحوه من اخذ اموال الناس بالباطل والصراط الطريق وذلك انهم كانوا يكثر من هذا لانه من قبيل نجسهم ونقصهم الكيل والوزن وقال ابو هريرة رضى الله عنه هو نهي عن السلب وقطع الطرق وكان ذلك من



فعلهم وروى في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وما تقدم من الآية يؤيد هذين القولين وقال ابن عباس وغيره قوله ولا تقعدوا نهى لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب وذلك انهم كانوا يقعدون على الطرقات المفضية الى شعيب فيتوعدون من اراد المجيء اليه ويصدونه وما بعد هذا من الالفاظ يشبه هذا من القول والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله وان يعود على شعيب في قول من رأى القعود على الطرق للرد عن شعيب قال الداودي وعن مجاهد يبغونها عوجا يلتمسون لها الزينج انتهى ثم عدّد عليهم نعم الله تعالى وانه كثرهم بعد قلة عدد وقيل اغناهم بعد فقر ثم حذرهم ومثل لهم بمن امتحن من الامم وقوله وان كان طائفة منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا الآية قوله فاصبروا تهديد للطائفة الكافرة وقولهم اولتعودن في ملتنا معناه اولتصيرن وعاد في كلام العرب على وجهين احدهما عاد الشيء الى حال قد كان فيها قبل ذلك وهي على هذا الوجه لا تتمدى فان عدت فبحرف ومنه قول الشاعر

الاليت ايام الشباب جديد \* وعمراتولى بابشين يـمـود  
ومنه قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والوجه الثانى ان تكون بمعنى صار وعاملة عملها ولا تتضمن ان الحال قد كانت متقدمة ومنه قول الشاعر  
تلك المكارم لاقببان من لبن \* شيبا بماء فعادا بعد ايسوالا  
ومنه قول الآخر \* وعاد راسى كالنغامة \* ومنه قوله تعالى حتى عاد كالمرجون  
القديم على ان هذه محتملة بقوله في الآية اولتعودن وشعيب عليه السلام لم يك  
قط كافرا فيقتضى انها بمعنى صار واما في جهة المؤمنين به بعد كفرهم فيرتب  
المعنى الآخر ويخرج عنه شعيب وقوله اولو كنا كارهين توقيف منه لهم على شناعة  
المعصية وطلب ان يقرروا بالسنتهم باكره المؤمنين على الاخراج ظلما

وغشما قال (ص) قد افترينا هو بمعنى المستقبل لانه سد مسد جواب الشرط وهو ان عدنا او هو جوابه على قول انتهى وقوله الا ان يشاء الله ربنا يحتمل ان يريد الا ان يسبق علينا في ذلك من الله سابق سوء وينفذ منه قضاء لا يرد قال (ع) والمؤمنون هم المجوزون لذلك واما شعيب فقد عصمته النبوة وهذا اظهر مما يحتمل القول ويحتمل ان يريد استثناء ما يمكن ان يتعبد الله به المؤمنين مما يفعله الكفار من القربات وقيل ان هذا الاستثناء انما هو تسنن وتادب وقوله وسع ربنا كل شي علما معناه وسع علم ربنا كل شي كما تقول تصيب زيد عرقا اي تصيب عرق زيد ووسع بمعنى احاط وقوله افتح معناه احكم وقوله على الله توكلنا استسلام لله سبحانه وتمسك بلفظه وذلك يؤيد التاويل الاول في قوله الا ان يشاء الله ربنا \* وقوله سبحانه وقال المسلا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا الاية اي قال المسلا لتباعهم ومقلديهم والرجفة الزلزلة الشديدة التي ينال الانسان معها اهتزاز وارتعاد واضطراب فيحتمل ان فرقة من قوم شعيب هلكت بالرجفة وفرقة بالظلة ويحتمل ان الظلة والرجفة كانتا في حين واحد (ت) والرجفة هي الصيحة يرحف بسببها الفؤاد وكذلك هو مصرح بها في قصة قوم شعيب في قوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الاية وقوله سبحانه كان لم يغنوا فيها الضمير في قوله فيها عائد على دارهم ويغنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش وهذا اللفظ فيه قوة الاخبار عن هلاكهم وزول النعمة بهم والتنبية على العبرة والاتعاظ بهم ونحو هذا قول الشاعر

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا \* انيس ولم يسمر بمكة سامر

قال (ع) فغنيت في المكان انما يقال في الاقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش مرضي وقوله يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم كلام

يقتضى حزنا واشفاقا لما رأى هلاك قومه اذ كان امله فيهم غير ذلك ولما وجد في نفسه ذلك طلب ان يثير في نفسه سبب التسلي عنهم فجعل يعدد معاصيهم واعراضهم ثم قال لنفسه لما نظر وفكر فكيف اسى على قوم كافرين ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لاهل قلب بدر و اسى معناه احزن قال مكي وسار شعيب بن معه حتى سكن مكة الى ان ماتوا بها \* وقوله سبحانه وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون اخبر سبحانه انه ما بعث نبيا في قرية وهي المدينة الا اخذ اهلها المكذبين له بالبأساء وهي المصائب في المال وعوارض الزمن والضراء وهي المصائب في البدن كالامراض ونحوها لعلهم يضرعون اي يقادون الى الايمان وهكذا قولهم الحمى اضرعتني لك ثم بدلنا مكان السيئة وهي البأساء والضراء الحسنة وهي السراء والنعمة حتى عفوا معناه حتى كثروا يقال عفا النبات والريش اذا كثر نباته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولما بدل الله حالهم بالخير لطفنا بهم فبنموا راوا ان اصابة الضراء والسراء انما هي بالاتفاق وليست بقصد كما يخبر به النبي واعتقدوا ان ما اصابهم من ذلك انما هو كالاتفاق الذي كان لا بائهم فجعلوه مثلا لاي قد اصاب هذا اباؤنا فلا ينبغي لنا ان ننكره ثم اخبر سبحانه انه اخذ هذه الطوائف التي هذا معتقدها وقوله بفتة اي فجأة واخذة اسف وبطشا للشقاء السابق لهم في قديم علمه سبحانه \* وقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي من بركات المطر والنبات وتسخير الرياح والشمس والقمر في مصالح العباد وهذا بحسب ما يدركه نظر البشر والله سبحانه خدام غير ذلك لا يحصى عددهم وما في علم الله اكثر \* وقوله سبحانه افامن اهل القرى ان ياتيهم بأسنا بياتا وهم

ناثون الآية تتضمن وعيدا للكافرين المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما اخبر عما فعل في الامم الخالية قال ومن يؤمن هؤلاء ان ينزل بهم مثل ما نزل باولائك وهذا استفهام على جهة التوقيف والبأس العذاب ومكر الله هي اضافة مخلوق الى خالق والمراد فعل يعاقب به مكر الكفرة والعرب تسمى العقوبة باسم الذنب \* وقوله سبحانه او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية هذه الف تقرير دخلت على واو العطف ويهدى معناه يبين فيحتمل ان يكون المبين الله سبحانه ويحتمل ان يكون المبين قوله ان لو نشاء اي علمهم بذلك وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد يهدى مقناه يبين وهذه ايضا آية وعيد اي لم يظهر لوارثي الارض بعد اولائك الذين تقدم ذكرهم وما حل بهم انا نقدر لو شئنا اصبناهم بذنوبهم كما فعلنا بمن تقدم وفي العبارة وعظ بحال من سلف من المهلكين \* وقوله سبحانه تلك القرى نقص عليك من اثباتها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين تلك ابتداء والقرى قال قوم هونمت والخبر نقص وعندي ان اهل القرى هي خبر الابتداء وفي ذلك معنى التعظيم لها ولملكها وهذا كما قيل في قوله تعالى ذلك الكتاب وكما قال عليه السلام اولائك المسلاوك قول ابن ابي الصلت تلك المكارم وهذا كثير ثم ابتداء سبحانه الخبر عن جميعهم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هذا الكلام يحتمل وجوها من التاويل احدها ان يريد ان الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لاول امره ثم استبانت حجة وظهرت الايات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته فلجواهم في كفرهم ولم يؤمنوا بما سبق به تكذيبهم والثاني من الوجوه ان يريد فما كان اخرهم في الزمن ليؤمن بما كذب به اولهم في الزمن بل مشى بعضهم على

سنن بعض في الكفر اشار الى هذا التاويل النقاش والثالث ان هؤلاء لوردوا من الآخرة الى الدنيا لم يكن منهم ايمان قاله مجاهد وقرنه بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والرابع انه يحتمل فسا كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله سبحانه انهم مكذبون به وذكر هذا التاويل المفسرون \* وقوله سبحانه وما وجدنا لاكثرهم من عهد الآية اخبر سبحانه انه لم يجد لاكثرهم ثبوتا على العهد الذي اخذه سبحانه على ذرية ادم وقت استخراجهم من ظهره قاله ابو العالية عن ابي بن كعب ويحتمل ان يكون المعنى وما وجدنا لاكثرهم التزام عهد وقبول وصاة مما جاءتهم به الرسل عن الله ولا شكروا نعم الله عز وجل قال (ص) لاكثرهم يحتمل ان يعود على الناس او على اهل القرى او الامم الماضية انتهى وقوله سبحانه ثم بشنا من بعدهم موسى بشايتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها الايات في هذه الآية عام في التسع وغيرها والضمير في من بعدهم عائد على الانبياء المتقدم ذكرهم وعلى اممهم \* وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فيه وعيد وتحذير للكفرة المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله سبحانه وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق قرأ نافع وحده على باضافة على اليه وقرأ الباقر على بسكون الياء قال الفارسي معنى هذه القراءة ان على وضعت موضع الباء كانه قال حقيق بان لا اقول على الله الا الحق وقال قوم حقيق صفة لرسول تم عندها الكلام وعلى خبر مقدم وان لا اقول ابتداء واعراب ان على قراءة من سكن الياء خفض وعلى قراءة من فتحها مشددة رفع وفي قراءة عبد الله حقيق ان لا اقول وهذه المخاطبة اذا تأملت غاية في التلطف ونهاية في القول اللين الذي امر به عليه السلام وقوله قد جثتكم بيينة من ربكم فارسل معي بنى اسرائيل قال ان

كنت جئت بشاية فات بها ان كنت من الصادقين البينة هنا اشارة الى جميع آياته وهي على المعجزة منها ادل وهذا من موسى عليه السلام عرض نبوته ومن فرعون استدعاء خرق العادة الدال على الصدق وظاهر هذه الآية وغيرها ان موسى عليه السلام لم تنب شريعته الا على بني اسرائيل فقط ولم يدع فرعون وقومه الا الى ارسال بني اسرائيل وذكره لعله يتذكر او يخشى \* وقوله فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبین روي ان موسى قلق به وبمجاورته فرعون فقال لاعوانه خذوه فالتى موسى العصا فصارت ثعبانا وهمت بفرعون فهرب منها وقال السدي انه احدث وقال يا موسى كف عن فكفه وقال نحوه سعيد بن جبیر ويقال ان الثعبان وضع اسفل لحيه في الارض واعلاهما في اعلى شرفات القصر والثعبان الحية الذكر وهو اهل واجراً قاله الضحاك وقال قتادة صارت حية اشعر ذكرا وقال ابن عباس غرزت ذنبها في الارض ورفعت صدرها الى فرعون وقوله مبین معناه لا تخيل فيه بل هو بین انه ثعبان حقيقة ونزع يده معناه من جيبه او من كمه حسب الخلاف في ذلك \* وقوله فاذا هي بيضاء للناظرين قال مجاهد كاللبن او اشد بياضا وروي انها كانت تظهر منيرة شفافة كالشمس تأتلق وكان موسى عليه السلام ادم احمر الى السواد ثم كان يرد يده فترجع الى لون بدنه قال (ع) فهاتان الايتان عرضهما عليه السلام للمعارضة ودعا الى الله بهما وخرق العادة بهما (ت) وظاهر الآية كما قال وليس في الآية ما يدل على انه اراد بالقاء العصا الانتصار والتخويف كما يعطيه ما تقدم ذكره من القصص \* وقوله عز وجل قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر علم يريد ان يخرجكم من ارضكم فاما تامرون لاحالة انهم خافوا امر موسى وجالت ظنونهم كل مجال وقوله فاما تامرون الظاهر انه من كلام الملا بعضهم لبعض وقيل انه من كلام

فرعون لهم وروى كَرْدَمَ عن نافع تأمرون بكسر النون وكذلك في الشعراء وما استفهام وذا بمعنى الذى فيها ابتداء وخبر وفي تأمرون ضمير عائذ على الذى تقديره تأمرون به ويجوز ان تجعل ما ذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بتأمرون ولا يضر فيه على هذا وقوله قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم اشار الملاء على فرعون بان يؤخر موسى وهارون ويدع النظر في امرهما ويجمع السحرة وحكى النقاش انه لم يكن يجالس فرعون ولد غِيَّةَ وانما كانوا اشرافا ولذلك اشاروا بالارجاء ولم يشيروا بالقتل وقالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه بالحجة \* وقوله سبحانه وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين الاجر هنا الاجرة واختلف الناس في عدد السحرة على اقوال كثيرة ليس لها سند يوقف عنده والحاصل من ذلك انهم جمع عظيم وقوله تعالى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا عين الناس وخير السحرة موسى في ان يتقدم في الالتقاء او يتأخر وهذا فعل المدل الواثق بنفسه والظاهر ان التقدم في التخيلات والمخاريق النجح لان بديتها تمضى بالنفوس فليظهر الله امر نبوة موسى قوى نفسه وبقينه ووثق بالحق فاعطاهم التقدم فنشطوا وسرّوا حتى اظهر الله الحق وابطل سعيهم وقوله سبحانه سحروا عين الناس نص في ان لهم فعلا ما زائدا على ما يحدثونه من التزييق واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم اي فزعوهم ووصف الله سبحانه سحرهم بالعظيم ومعنى ذلك من كثرته وروي انهم جلبوا ثلاثمائة وستين بعيرا موقورة بالجلال والعصي فلما القوها تحركت وملات الوادي يركب بعضها بعضها فاستهول الناس ذلك واسترهبهم قال الزجاج قيل انهم جعلوا فيها الزبيق فكانت لا تستقر \* وقوله

سبحانه واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون وروي ان موسى عليه السلام لما كان يوم الجمع خرج متكئا على عصاه ويده في يد اخيه وقد صف له السحرة في عدد عظيم حسبما ذكر فلما القوا واسترهبوا اوحى الله اليه ان الق فالتقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين فعظم حتى كان كالجبل وروي ان السحرة لما القوا والتقى موسى جعلوا يرقون وجعلت حبالهم تعظم وجعلت عصا موسى تعظم حتى سدت الافق وابتلعت الكل وروي ان الثعبان استوفى تلك الجبال والعصي اكلا واعدمها الله عز وجل ومد موسى يده الى فمه فعاد عصا كما كان فلم السحرة حينئذ ان ذلك ليس من عند البشر فخروا سجدا مومنين بالله ورسوله وتلقف معناه تبلع وتردد وقرأ ابن جبير تلقم بالميم \* وقوله سبحانه فوق الحق الآية اي نزل ووجد وقال ابو حيان فوق اي فظهر والحق يريد به سطوع البرهان وظهور الاعجاز وما كانوا يعملون لفظ يعم سحر السحرة وسعي فرعون وشيعته والضمير في قوله فغلبوا عائد على جميعهم ايضا وفي قوله وانقلبوا صاغرين ان قدرنا انقلاب الجمع قبل ايمان السحرة فهم في الضمير وان قدرناه بعد ايمانهم فليسوا في الضمير ولا لحقهم صغار لانهم امنوا واستشهدوا رضي الله عنهم \* وقوله سبحانه والتي السحرة ساجدين قالوا امننا برب العالمين رب موسى وهارون قال اأمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لا طنبكم اجمعين لما رأي السحرة من عظيم القدرة ما يتقنوا به نبوة موسى امنوا بقلوبهم وانضاف الى ذلك الاستهوال والاستعظام والفرع من قدرة الله عز وجل فخروا لله سبحانه متطارحين قائلين بالسنتهم امننا برب العالمين رب موسى وهارون قال (ع) وهارون اخو موسى اسن منه بثلاث سنين وقول فرعون اأمنتم به قبل ان



أذن لكم دليل على وهنه وضعف امره لانه انما جعل ذنبهم عدم اذنه والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله سبحانه ويحتمل ان يعود على موسى عليه السلام وعنهم فرعون على الايمان قبل اذنه ثم الزمهم ان هذا كان عن اتفاق منهم وروي في ذلك عن ابن عباس وابن مسعود ان موسى اجتمع مع رئيس السحرة واسمه شمعون فقال له موسى ارأيت ان غلبتكم اتؤمنون بي فقال نعم فلم بذلك فرعون فهذا قال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ثم توعدهم \* وقوله سبحانه قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا الآية هذا استسلام من مومني السحرة واتكال على الله سبحانه وثقة بما عنده وقرأ الجمهور تنقم بكسر القاف ومعناه وما تعد علينا ذنبا تواخذنا به الا ان آمنّا قال ابن عباس وغيره فيهم اصبحوا سحرة وامسوا شهداء قال ابن عباس لما امنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل وقول ملاّ فرعون اتذر موسى وقومه الآية مقالة تتضمن اغراء فرعون وتحريضه وقولهم ويذكرك واليهتك روي ان فرعون كان في زمنه للناس الهمة من بقر واصنام وغير ذلك وكان فرعون قد شرع ذلك وجعل نفسه الاله الاعلى فقوله على هذا انا ربكم الاعلى انما يريد بالنسبة الى تلك المعبودات وقيل ان فرعون كان يعبد حجرا يعلقه في صدره كانه يا قوته او نحوها وعن الحسن نحوه وقوله سنقتل ابناءهم المعنى سنستمر على ما كنا عليه من تعذيبهم وقوله وانا فوقهم يريد في المنزلة والتمكن من الدنيا وقاهرون يقتضى تحقير امرهم اي هم اقل من ان يهتم بهم قلت وهذا من عدو الله تجلد والافقد قال فيما اخبر الله سبحانه به عنه ان هؤلاء لشزيمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حذرون \* وقوله سبحانه قال موسى لقومه استمينا بالله واصبروا الآية لما قال فرعون سنقتل ابناءهم وتوعدهم قال موسى لبني اسرائيل يثبتهم ويعددهم عن الله

تعالى استعينوا بالله والارض هنا ارض الدنيا وهو الاظهر وقيل المراد هنا ارض الجنة واما في الثانية فارض الدنيا لا غير والصبر في هذه الآية يعم الانتظار الذى هو عبادة والصبر في المناجزات والبأس وقولهم اودينا من قبل ان تأتينا يعنون به الذبح الذى كان في المدة التى كان فرعون يتخوف فيها ان يولد المولود الذى يخرب ملكه ومن بعد ما جئتنا يعنون به وعيد فرعون وسائر ما كان خلال تلك المدة من الاخافة لهم وقال ابن عباس والسدي انما قالت بنوا اسرائيل هذه المقالة حين اتبعهم فرعون واضطرهم الى البحر قال (ع) وبالجملة فهو كلام يجرى مع المعبود من بنى اسرائيل من اضطرابهم على انبيائهم وقلة يقينهم واستعطاف موسى لهم بقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ووعدده لهم بالاستخلاف فى الارض يدل على انه يستدعى نفوسا نافرة ويقوى هذا الظن فى جهة بنى اسرائيل سلوكهم هذا السبيل فى غير ما قصة وقوله فينظر كيف تعملون تنبيه وحض على الاستقامة ولقد استخلفوا فى مصر فى زمن داود وسليمان وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع \* وقوله سبحانه ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اى بالجدوب والقحوط وهذه سيرة الله فى الامم وقوله ونقص من الثمرات اى حتى روي ان النخلة من نخلم لا تحمل الا ثمرة واحدة وقال نحوه رجاء بن حيوة وفعل الله تعالى بهم هذا لينيبوا ويزدجروا عما هم عليه من الكفر اذ احوال الشدة ترق معها القلوب وترغب فيما عند الله سبحانه \* وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية كان القصد فى اصابتهم بالقحط والنقص فى الثمرات ان ينيبوا ويرجعوا فاذا هم قد ضلوا وجعلوها تشاؤما بموسى فكانوا اذا اتفق لهم اتفاق حسن فى غلات ونحوها قالوا هذه لنا وبسببنا واذا نالهم ضر قالوا هذا بسبب موسى وشؤمه قاله مجاهد وغيره وقرأ الجمهور يطيروا بالياء

وشد الطاء والياء الاخيرة وقرأ طلحة بن مصرف وغيره تطيروا بالتاء وتخفيف  
 الطاء وقرأ مجاهد تشاءموا بموسى بالتاء من فوق وبلغظ الشؤم \* وقوله  
 سبحانه الا انما طائرهم عند الله معناه حظهم ونصيبهم قاله ابن عباس وهو ماخوذ  
 من زجر الطير فسمي ما عند الله من القدر للانسان طائرا لما كان الانسان يعتقد  
 ان كل ما يصيبه انما هو بحسب ما يراه في الطائر فهي لفظة مستعارة ومهما  
 اصلها عند الخليل ماما فابدت الالف الاولى هاء وقال سيبويه هي مه ما  
 خلطتا وهي حرف واحد لمعنى واحد وقال غيره معناها مه اي كف وما  
 جزاء ذكره الزجاج وهذه الآية تتضمن طغيانهم وعتوهم وقطعهم على  
 انفسهم بالكفر البحت \* وقوله سبحانه فارسلنا عليهم الطوفان الآية  
 الطوفان مصدر من قولك طاف يطوف فهو عام في كل شيء يطوف الا ان  
 استعمال العرب له كثير في الماء والمطر الشديد قال ابن عباس وغيره  
 الطوفان في هذه الآية هو المطر الشديد اصابهم وتوالى عليهم حتى هدم  
 بيوتهم وضيق عليهم وقيل طم فيض النيل عليهم وروي في كيفيته قصص  
 كثير وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الطوفان  
 المراد في هذه الآية هو الموت قلت ولو صح هذا النقل لم يبق مجعلا وروي  
 ان الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرقت ارضهم وامتنعوا من الزراعة قالوا  
 يا موسى ادع لنا ربك في كشف هذا الفرق ونحن نومن فدعا فكشفه الله عنهم  
 فانبثت الارض انبثاتا حسنا فنكثوا وقالوا مانود اننا لم نطر وما هذا الا  
 احسان من الله الينا فبعث الله عليهم حينئذ الجراد فاكل جميع ما انبتت الارض  
 فروى ابن وهب عن مالك انه اكل حتى ابوابهم واكل الحديد والمسامير  
 وضيق عليهم غاية التضيق وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمح فقالوا  
 لموسى ادع لنا ربك في كشف الجراد ونحن نومن فدعا الله فكشفه

ورجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم القمل وهي الدبى صنار الجراد الذى يشب ولا يطير قاله ابن عباس وغيره وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا القمل المعروف وروي ان موسى مشى بمصاه الى كتيب اهيل فضر به فانتشركلة قملا فى مصر ثم انهم قالوا ادع فى كشف هذا فدعا فرجعوا الى طغيانهم وكفرهم فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم واذا هم الرجل ان يتكلم وب ضفدع فى فيه قال ابن جبير كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع وقال ابن عباس لما ارسلت الضفادع عليهم وكانت بريّة سمعت واطاعت فجعلت تقذف انفسها فى القدور وهي تلى فاتابها الله بحسن طاعتها برد الماء فقالوا يا موسى ادع فى كشف هذا فدعا فكشف فرجعوا الى كفرهم فبعث الله عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى يستقونه ويحصل عندهم دما فروي انه كان يستقى القبطي والاسرائيلي بآنا واحد فاذا خرج الماء كان الذى يلى القبطي دما والذى يلى الاسرائيلي ماء الى نحو هذا وشبهه من العذاب بالدم المنقلب عن الماء هذا قول جماعة من التأولين وقال زيد بن اسلم انما سلط عليهم الرعاف فهذا معنى قوله والدم وقوله آيات مفصلات التفصيل اصله فى الاجرام ازالة الاتصال فهو تفريق شيئين فاذا استعمل فى المعانى فيراد به انه فرق بينها وازيل اشتباكها واشكالها فيجىء من ذلك بيانها وقالت فرقة مفصلات يراد بها مفرقات فى الزمن قال الفخر قال المفسرون كان العذاب يبقى عليهم من السبت الى السبت وبين العذاب والعذاب شهر وهذا معنى قوله آيات مفصلات على هذا التاويل اي فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايقبلون الحجة والدليل ام يستمرون على الخلاف والتقليد انتهى \* وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك

الآية الرجز المذاب والظاهر من الآية ان المراد بالرجز هنا المذاب المتقدم الذكر من الطوفان والجراد وغيره وقال قوم الرجز هنا طاعون انزله الله بهم والله اعلم وهذا يحتاج الى سند وقولهم بما عهد عندك لفظ يعم جميع الوسائل بين الله وبين موسى من طاعة من موسى ونعمة من الله تبارك وتعالى ويحتمل ان يكون ذلك منهم على جهة القسم على موسى وقولهم لئن كشفت اي بدعائك لنومن ولنرسلن قسم وجوابه وهذا عهد من فرعون وملائه وروي انه لما انكشف المذاب قال فرعون لموسى اذهب ببني اسرائيل حيث شئت فخالفه بمض ملائه فرجع ونكت واذا هنا للمفاجأة والاجل يراد به غاية كل واحد منهم بما يخصه من الهلاك والموت كما تقول اخرت كذا الى وقت وانت لا تريد وقتا بعينه فاللفظ متضمن توعدا ما وكانوا عنها غافلين اي غافلين عما تضمنته الآيات من النجاة والهدى \* وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الآية الذين كانوا يستضعفون كناية عن بني اسرائيل ومشارق الارض ومغاربها قال الحسن وغيره هي الشام وقالت فرقة يريد الارض كلها وهذا يتجه اما على المجاز لانه ملكهم بلادا كثيرة واما على الحقيقة في انه ملك ذريتهم وهم سليمان بن داود ويترجح التاويل الاول بوصف الارض بانها التي بارك فيها سبحانه \* وقوله سبحانه وتمت كلمة ربك الحسنى اي ما سبق لهم في علمه وكلامه في الازل من النجاة من عدوهم والظهور عليه قاله مجاهد ويعمرشون قال ابن عباس ومجاهد معناه يبنون قال (ع) رأيت للحسن البصري رحمه الله انه احتج بقوله سبحانه وتمت كلمة ربك الى آخر الآية على انه ينبغي ان لا يخرج عن ملوك السوء وانما ينبغي ان يصبر عليهم فان الله سبحانه يدمرهم ورأيت لغيره انه اذا

قابل الناس البلاء بمثلته وكأهم الله اليه واذا قابله بالصبر وانتظار الفرج  
 اتى الله بالفرج وروي هذا ايضا عن الحسن \* وقوله سبحانه وجاوزنا ببني  
 اسرائيل البحر ابي بحر القلزم فاتوا على قوم قيل لهم الكنعانيون وقيل هم  
 من لحم وجذام والقوم في كلام العرب هم الرجال خاصة يكفون العكوف  
 الملازمة على اصنام لهم قيل كانت بقرا وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر  
 من حجارة وعيدان ونحوها وذلك كان اول فتنة العجل وقولهم اجعل  
 لنا الها كما لهم الهة يظهر منه استحسانهم لما رأوه من تلك الآلهة فيجملهم  
 فارادوا ان يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما يتقرب به الى الله والافعيد  
 ان يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة ونكفر بربك وعلى هذا الذى  
 قلت يقع التشابه الذى نصه النبي صلى الله عليه وسلم في قول ابي واقد  
 الليثي اجعل لنا يا رسول الله ذات انواط كما لهم ذات انواط فأنكره النبي  
 صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر قلتم والله كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا  
 الها كما لهم الهة لتبتعن سنن من قبلكم الحديث ولم يقصد ابو واقد بمقالته  
 فسادا وقال بعض الناس كان ذلك من بني اسرائيل كفرا ولفظة الاله  
 تقتضى ذلك وهذا محتمل وما ذكرته اولا اصح والله اعلم قلت وقولهم هذا  
 الحكم واله موسى وجواب موسى هنا يقوى الاحتمال الثانى نعم الذى يجب  
 ان يعتقد ان مثل هذه المقالات انما صدرت من اشرارهم وقريبى العهد بالكفر  
 قال الشيخ الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي ثم السهيلي  
 ذكر النقاش في قوله تعالى فاتوا على قوم يكفون على اصنام لهم انهم  
 كانوا من لحم وكانوا يعبدون اصناما على صور البقر وان السامري كان اصله  
 منهم ولذلك نزع الى عبادة العجل انتهى والله اعلم وهذا هو معنى ما تقدم  
 من كلام (ع) وقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه اي مهلك مدمر ردى العاقبة

والتبار الهلاك وانا متبر اي مكسور وكسارته تبر ومنه تبر الذهب لانه كسارة وقوله ما هم فيه يعم جميع احوالهم وباطل معناه فاسد ذاهب مضحل وابغيم معناه اطلب ثم عدد عليهم سبحانه في هذه الآية النعم التي يجب من اجلها ان لا يكفروا به ولا يرغبوا في عبادة غيره فقال واذا انجيناكم من آل فرعون الآية ويسومونكم معناه يحملونكم ويكلفونكم ومساومة البيع تنظر الى هذا فان كل واحد من المتساومين يكلف صاحبه ارادته ثم فرس سوء العذاب بقوله يقتلون ابناءكم الآية \* وقوله سبحانه وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتمناها بعشر الآية قال ابن عباس وغيره الثلاثون ليلة هي شهر ذى القعدة وان العشر هي عشر ذى الحجة وروي ان الثلاثين انما وعد بان يصومها وان مدة المناجاة هي العشر وحيث ورد ان المواعدة اربعون ليلة فذلك اخبار بجملة الامر وهو في هذه الآية اخبار بتفصيله والمعنى في قوله وكلمه ربه انه خلق له ادراكا سمع به الكلام القائم بالذات القديم الذى هو صفة ذات وكلام الله سبحانه لا يشبه كلام المخلوقين وليس في جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات ومعلوم لا كالمعلومات كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذى فيه علامات الحدوث وجواب لما في قوله قال والمعنى انه لما كلمه الله عز وجل وخصه بهذه المرتبة طمحت همته الى رتبة الرؤية وتشوق الى ذلك فسأل ربه الرؤية ورؤية الله عز وجل عند اهل السنة جائزة عقلا لانه من حيث هو موجود تصح رؤيته قالوا لان الرؤية للشيء لا تتعلق بصفة من صفاته اكثر من الوجود فموسى عليه السلام لم يسأل ربه محالا وانما سأله جائزا \* وقوله سبحانه لن ترانى ولكن انظر الى الجبل الآية ليس بجواب من سأل محالا ولن تنفى الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفي بمجرد لقضينا انه لا يراه موسى ابدا ولا فى

الآخرة لكن ورد من جهة اخرى بالحديث المتواتر ان اهل الايمان يرون الله يوم القيامة فموسى عليه السلام اخرى برؤيته قلت وايضا قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فهو نص في الرؤية بينه صلى الله عليه وسلم ففي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال ابو عيسى وقد روي هذا الحديث من غير وجه مرفوعا وموقوفا انتهى قال مجاهد وغيره ان الله عز وجل قال له يا موسى لن تراني ولكن سأتجلى للجبل وهو اقوى منك واشد فان استقر واطاق الصبر لهيبتني فستمككك انت رؤيتي قال (ع) فلي هذا انما جعل الله الجبل مثالا قلت وقول (ع) ولو بقينا مع هذا النفي بمجردة لقضينا انه لا يراه موسى ابدا ولا في الآخرة قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله والحق الذي لا شك فيه ان لن لا تقتضي النفي المؤبد قال بدر الدين ابو عبد الله بن مالك في شرح التسهيل ولن كغيرها من حروف النفي في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعا عند حد وغير منقطع وذكر الزمخشري في انموذجه ان لن لتابيد النفي وحامله على ذلك اعتقاده ان الله تعالى لا يرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل على عدم اختصاصها بالتابيد بمجى: استقبال المنفي بها معنيا الى غاية ينتهي بانتهائها كما في قوله تعالى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وهو واضح انتهى ونحوه لابن هشام ولفظه ولا تفيد لن تؤكد المنفي خلافا للزمخشري في كشافه ولا تابيده خلافا له في انموذجه وكلاهما دعوى بلا دليل قيل ولو كانت للتأبيد لم يقيدها باليوم في فلن



اكمل اليوم انسيا ولكن ذكره الابد في ولن يتمنوه ابدا تكرارا والاصل  
عدمه انتهى من المغنى \* وقوله سبحانه فلما تجلى ربه للجبل التجلى هو  
الظهور من غير تشبيه ولا تكيف وقوله جعله دكا المعنى جعله ارضا دكا يقال  
ناقة دكا، اي لاسنام لها وخر موسى صقعا اي مغشيا عليه قاله جماعة من المفسرين  
قال (ص) وخر معناه سقط وقوله سبحانهك اي تنزيها لك كذا فسر  
النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تبت اليك معناه من ان اسألك الرؤية في  
الدنيا وانت لا تبيحها فيها قال (ع) ويحتمل عندي انه لفظ قاله عليه السلام  
لشدة هول المطلع ولم يمن التوبة من شيء معين ولكنه لفظ لائق  
بذلك المقام والذي يتحرز منه اهل السنة ان تكون توبة من سؤال  
المحال كما زعمت المعتزلة وقوله وانا اول المؤمنين اي من قومه قاله ابن عباس  
وغيره او من اهل زمانه ان كان الكفر قد طبق الارض او اول المؤمنين  
بانك لا ترى في الدنيا قاله ابو العالية \* وقوله سبحانه فخذ ماء ايتيك وكن  
من الشاكرين فيه تاديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل  
احد في حاله فان جميع النعم من عند الله سبحانه بمقدار وكل الامور بمراى  
منه ومسمع وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي من كل شيء ينفع في معنى  
الشرع وقوله وتفصيلا لكل شيء مثله وقوله بقوة اي يجذ وصبر عليها قاله  
ابن عباس وقوله باحسنها يحتمل معنيين احدهما التفضيل كما اذا عرض مثلا  
مباحان كالعفو والقصاص فيأخذون بالاحسن منهما والمعنى الثاني يأخذون بحسن  
وصف الشريعة يحتملها كما تقول الله اكبر دون مقايضة \* وقوله سبحانه  
سأوريكم دار الفاسقين الرؤية هنا رؤية عين هذا هو الاظهر الا ان المعنى  
يتضمن الوعد للمؤمنين والوعيد للفاسقين ودار الفاسقين قيل هي مصر  
والمراد ال فرعون وقيل الشام والمراد العمالقة وقيل جهنم والمراد الكفرة

بموسى وقيل غير هذا مما يفتقر الى صحة اسناد \* وقوله تعالى سأصرف  
عن آياتي الذين يتكبرون فى الارض الآبة المعنى سأمنع واصد قال سفيان  
ابن عيينة الآيات هنا كل كتاب منزل قال (ع) والمعنى عن فهمها وتصديقها  
وقال ابن جريج الآيات العلامات المنصوبة الدالة على الوحدانية والمعنى عن  
النظر فيها والتفكر والاستدلال بها واللفظ يعم الوجهين والمتكبرون فى  
الارض بغير الحق هم الكفار قلت ويدخل فى هذا المعنى من تشبه بهم من  
عصاة المؤمنين والمعنى فى هذه الآية ساجعل الصرف عن الآيات عقوبة  
للمتكبرين على تكبرهم وقوله وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتم من الله على  
الطائفة التى قدر عليهم ان لا يؤمنوا وقوله ذلك اشارة الى الصرف المتقدم \*  
وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة الآية هذه الآية  
موكدة لتى قبلها وفيها تهديد \* وقوله سبحانه واتخذ قوم موسى من  
بمده من حلهم عجلا جسدا له خوار الخوار صوت البقر وقرأت فرقة له  
جوار بالجم اي صياح ثم بين سبحانه سوء فطرهم وقرر فساد اعتقادهم  
بقوله لم يروا انه لا يكلمهم الآية وقوله وكانوا ظالمين اخبار عن جميع  
احوالهم ماضيا وحالا ومستقبلا وقد مر فى البقرة قصة العجل فاغنى عن  
اعادته قال ابو عبيدة يقال لمن ندم على امر وعجز عنه سقط فى يده وقول  
بنى اسرائيل لئن لم يرحمنا ربنا انما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم  
ورؤيتهم انهم قد خرجوا من الدين ووقعوا فى الكفر \* وقوله سبحانه ولما  
رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يريد رجوع من المناجات والاسف قد يكون  
بمعنى الغضب الشديد واكثر ما يكون بمعنى الحزن والمغنيان متربان هنا  
وعبارة (ص) غضبان صفة مبالغة والغضب غليان القلب بسبب ما يؤلم  
واسفا من اسف فهو اسف كفرق فهو فرق يدل على ثبوت الوصف

ولو ذهب به مذهب الزمان لقليل ، اسف على وزن فاعل والاسف الحزن انتهى وقوله تعالى اعجلتم معناه اسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم اتيانى قبل الوقت الذى قدر به قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كان سبب القائه الالواح غضبه على قومه فى عبادتهم العجل وغضبه على اخيه فى اهمال امرهم قال ابن عباس لما القاها تكسرت فرفع اكثرها الذى فيه تفصيل كل شيء ، وبقي الذى فى نسخته الهدى والرحمة وهو الذى اخذ بعد ذلك قال ابن عباس كانت الالواح من زمرد وقيل من ياقوت وقيل من زبرجد وقيل من خشب والله اعلم وقوله ابن ام استعطاف برحم الام اذ هو الصق القرباب وقوله كادوا معناه قاربوا ولم يفعلوا وقوله ولا تجملنى مع القوم الظالمين يريد عبدة العجل \* وقوله سبحانه ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وقد وقع ذلك النيل بهم فى عهد موسى عليه السلام فالغضب والذلة هو امرهم بقتل انفسهم وقال بعض المفسرين الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب والذلة بقيت فى عقب هؤلاء ، وقال ابن جريج الاشارة الى من مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل الانفس والى من فر فلم يكن حاضرا وقت القتل والغضب من الله عز وجل ان اخذ بمعنى الارادة فهو صفة ذات وان اخذ بمعنى العقوبة واحلال النعمة فهو صفة فعل وقوله وكذلك نجزي المفترين المراد اولاولئك الذين افتروا على الله سبحانه فى عبادة العجل وتكون قوة اللفظ تعم كل مفتر الى يوم القيامة وقد قال سفيان بن عيينة وابو قلابة وغيرهما كل صاحب بدعة او فرية ذليل واستدلوا بالآية \* وقوله سبحانه والذين عملوا السيئات الآية تضمنت وعدا بان الله سبحانه يغفر للتائبين وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب قال ابو حيان

واللام في لربهم يرهبون مقوية لوصول الفعل وهو يرهبون الى مفعوله المتقدم وقال الكوفيون زائدة وقال الاخفش لام المفعول له اي لاجل ربهم انتهى قلت قال ابن هشام في المغنى ولام التقوية هي المذبذبة لتقوية عامل ضعف اما لتاخير نحو لربهم يرهبون وان كنتم للرؤيا تعبرون او لكونه فرعا في العمل نحو مصدقا لما معهم فعال لما يريد وقد اجتمع التاخير والفرعية في وكنا لحكمهم شاهدين انتهى \* وقوله واختار موسى قومه الآية قال الفخر قال جماعة النحويين معناه واختار موسى من قومه فحذف من يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا انتهى قال (ع) معنى هذه الآية ان موسى عليه السلام اختار من قومه هذه المدة ليذهب بهم الى موضع عبادة وابتغال ودعاء فيكون منه ومنهم اعتذار الى الله سبحانه من خطيئتي اسرايل في عبادة العجل وقد تقدم في سورة البقرة قصصهم قالت فرقة من العلماء ان موسى عليه السلام لما علمه الله سبحانه بعبادة بني اسرايل العجل وبصفته قال موسى اي رب ومن اختاره قال انا قال موسى فانت يا رب اضللتهم ان هي الافتنتك تضل بها من شاء اي ان الامور بيدك تفعل ما تريد \* وقوله سبحانه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الآية اكتب معناه اثبت واقتض واكتب مستعمل في كل ما يجلد وحسنة لفظ عام في كل ما يحسن في الدنيا من عاقبة وطاعة لله سبحانه وغير ذلك وحسنة الآخرة الجنة لاحسنة دونها ولامرى وراها وهدنا بضم الهاء معناه تبنا \* وقوله سبحانه قال عذابي اصيب به من اشاء يحتمل ان يريد بالمذاب الرجفة التي نزلت بالقوم ثم اخبر سبحانه عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام قصد به الخبر عن عذابه وعن رحمته وتصريف ذلك في خليقته كما يشاء سبحانه ويندرج في عموم العذاب اصحاب الرجفة وقرأ الحسن بن ابي

الحسن وطاوس وعمرو بن فائد من اساء من الاساءة ولا تعلق فيه للمعتزلة  
واطنب القراء في التحفظ من هذه القراءة وحملهم على ذلك شحهم على  
الدين \* وقوله سبحانه ورحمتي وسعت كل شيء قال بعض العلماء هو عموم  
في الرحمة وخصوص في قوله كل شيء والمراد من قد سبق في علم الله ان  
يرحمهم وقوله سبحانه فساكتبها اي اقدرها واقضيها وقال نوف البكالي ان موسى  
عليه السلام قال يا رب جعلت وفادتي لامة محمد عليه السلام وقوله ويوتون  
الزكاة الظاهر انها الزكاة المختصة بالمال وروي عن ابن عباس ان المعنى يوتون  
الاعمال التي يزكون بها انفسهم \* وقوله سبحانه الذين يتبعون الرسول النبي  
الاممي الآية هذه الفاظ اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي  
يظهر في قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العدة لامة محمد صلى  
الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره قلت وهذه الآية الكريمة معلمة  
بشرف هذه الامة على العموم في كل من امن بالله تعالى واقر برسالة النبي  
صلى الله عليه وسلم ثم هم يتفاوتون بعد في الشرف بحسب تفاوتهم في حقيقة  
الاتباعية للنبي صلى الله عليه وسلم قال الغزالي رحمه الله في الاحياء وانما امته  
صلى الله عليه وسلم من اتبعه وما اتبعه الامن اعرض عن الدنيا واقبل على  
الآخرة فانه عليه السلام ما دعا الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الاعن  
الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة تسلك  
سبيله الذي سلكه صلى الله عليه وسلم وبقدر ما سلك سبيله فقد  
اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن  
سبيله ورغبت عن متابعتها والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم فاما من ظنى  
واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى انتهى فان اردت اتباع النبي صلى  
الله عليه وسلم على الحقيقة واقتفاء اثره فالبحث عن سيرته وخلقه في كتب

الحديث والتفسير قال ابن القطان في تصنيفه الذى صنّفه فى الآيات والمعجزات والقول الوجيز فى زهده وعبادته وتواضعه وسائر حلاله ومعاليه صلى الله عليه وسلم انه ملك من اقصى اليمن الى صحراء عمان الى اقصى الحجاز ثم توفى عليه السلام وعليه دين ودرعه مرهونة فى طعام لاهله ولم يترك دينارا ولا درهما ولا شيد قصرا ولا غرس نخلا ولا شقق نهرا وكان يأكل على الارض ويجلس على الارض ويلبس العباءة ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده وبلقى اصابعه ويرقع ثوبه ويخفف نعله ويصلح خصه ويمن لاهله ولا يأكل متكئا ويقول انا عبد ١٠ اكل كما يأكل العبد ويقتص من نفسه ولا يرى ضاحكامل ١١ فيه ولو دعي الى ذراع لاجاب ولو اهدي اليه كراع لقبل لا يأكل وحده ولا يضرب عبده ولا يمنع رفده ولا ضرب قط بيده الا فى سبيل الله وقام الله حتى ورمت قدماه ف قيل له اتفضل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وكان يسمع لجوفه ازيز كاذى الرجل من البكاء اذا قام بالليل صلى الله عليه وسلم وعلى ١٢ الله واتباعه صلاة دائمة الى يوم القيامة انتهى وقال الفخر قوله تعالى الذين يتبعون الرسول الآية قال بعضهم الاشارة بذلك الى من تقدم ذكره من بنى اسرائيل والمعنى يتبعونه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفته فى التوراة وسجدونه مكتوبا فى الانجيل وقال بعضهم بل المراد من لحق من بنى اسرائيل ايام النبي صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا تكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوا النبي الامي قال الفخر وهذا القول اقرب وقوله سجّدونه اي يجدون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمرو ان فى السورة من صفة النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي ١٣ انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت

عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا  
يخزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن اقبضه حتى اقيم به الملة  
الموجاء بان يقولوا لا اله الا الله فنقيم به قلوبا غلفا واذانا صما واعينا عميا وفى  
البخاري فيفتح به عيوننا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا ونص كعب الاحبار  
نحو هذه الالفاظ الا انه قال قلوبا غلوفاً واذانا صموماً \* وقوله سبحانه  
يامرهم بالمعروف والآية يحتمل ان يكون ابتداء كلام وصف به النبي صلى  
الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون متعلقا بيجدونه فى موضع الحال على  
تجاوز اى يجدونه فى التوراة امرأ بشرط وجوده والمعروف ما عرف بالشرع  
وكل معروف من جهة المروءة فهو معروف بالشرع فقد قال صلى الله عليه  
وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق والمنكر مقابله والطيبات عند مالك هي  
المحلات والحباث هي المحرمات وكذلك قال ابن عباس والاصر الثقلى  
وبه فسر هنا قتادة وغيره والاصر ايضا العهد وبه فسر ابن عباس وغيره  
وقد جمعت هذه الآية المعنيين فان بنى اسرايل قد كان اخذ عليهم العهد بان  
يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن  
جبير الاصر شدة العبادة وقرأ ابن عامر آصارهم بالجمع فمن وحد الاصر  
فانما هو اسم جنس عنده يراد به الجمع والاغلال التى كانت عليهم عبارة  
مستعارة ايضا لتلك الاثقال كقطع الجلد من اثر البول وان لادية ولا بد من  
قتل القاتل الى غير ذلك هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن زيد انما المراد  
هنا بالاغلال قول الله عز وجل فى اليهود غلت ايديهم فمن امن بنبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة وتغلبها ومعنى عزروه اى وقروه  
فالتعزيز والنصر مشاهدة خاصة للصحابة واتباع النور يشترك فيه معهم المومنون  
الى يوم القيامة والنور كناية عن جملة الشرع وشبه الشرع والهدى

بالنور اذ القلوب تستضيء به كما يستضيء البصر بالنور \* وقوله سبحانه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا هذا امر من الله سبحانه لنبيه باظهار الدعوة العامة وهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم من بين سائر الرسل فانه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة والى الجن وكل نبي انما بعث الى فرقة دون العموم \* وقوله سبحانه فآمنوا بالله ورسوله الآية حض على اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله الذى يؤمن بالله وكلماته اى يصدق بالله وكلماته والكلمات هنا الايات المنزلة من عند الله كالتوراة والانجيل وقوله واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته قلت فان اردت الفوز ايتها الاخ فعملك باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتعميم شريعته وتعميم جميع اسبابه قال عياض ومن اعظامه صلى الله عليه وسلم واكباره اعظام جميع اسبابه واکرام مشاهدته وامكنته ومعاهدته وما لمسه عليه السلام او عرف به حدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا \* فؤادا عرفان الرسوم ولا لبا  
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة \* لمن بان عنه ان نلم به ركبا  
وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول عليه السلام انشأ يقول

رفع الحجاب للنافلاح لناظري \* ممر تقطع دونه الاوهام  
واذا المطي بنا بلقن محمدا \* فظهورهن على الرجال حرام  
قربنا من خير من وطئ الحصى \* فلها علينا حرمة وذمام  
وحكي عن بعض المشائخ انه حج ماشيا فقل له فى ذلك فقال العبد الا بق



ياقي الى بيت مولاه راصبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على  
 قدمي قال عياض وجد ير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل \* وتردد فيها جبريل  
 وميكائيل \* وعرجت منها الملائكة والروح \* وضجت عرصاتها بالتقديس  
 والتسبيح \* واشتملت تربتها على جسد سيد البشر \* وانتشر عنها من دين  
 الله وسنة رسوله ما انتشر \* مدارس آيات \* ومساجد وصلوات \* ومشاهد  
 الفضائل والخيرات \* ومعاهد البراهين والمعجزات \* ان تعظم عرصاتها  
 وتنسم نفحاتها \* وتقبل ربوعها وجدراتها \*

يا دار خير المسلمين ومن به \* هدي الانام وخص بالآيات  
 عندى لاجلك لوعة وصاباة \* وتشوق متوقد الجمرات  
 الابيات انتهى من الشفا \* وقوله سبحانه ومن قوم موسى امة يهدون  
 اي يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف المؤمنين منهم  
 على عهد موسى وما والاى من الزمن فاخبر سبحانه انه كان فى بنى اسرائيل  
 على عتوهم وخلافهم من اهتدى واتقى وعدل ويحتمل ان يريد الجماعة التى  
 امنت ببينا محمد صلى الله عليه وسلم من بنى اسرائيل على جهة الاستجلاب  
 لايمان جميعهم وقوله اسباطا بدل من اثنتى والتميز الذى بين العدد محذوف  
 تقديره اثنتى عشرة فرقة او قطعة اسباطا \* وقوله سبحانه واوحينا الى موسى  
 اذ استسقاء قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد  
 علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام الآية انبجست بمعنى انفجرت وقد  
 تقدم الكلام على هذه المعانى فى البقرة \* وقوله سبحانه واذا قيل لهم اسكنوا  
 هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا تغفر لكم  
 خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذى قيل لهم  
 فارسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون القرية هي بيت المقدس وقيل

اريجاء وبدل معناه غير اللفظ \* وقوله سبحانه وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية قال بعض المتأولين ان اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم عصيان ولا معاندة لما امروا به فنزلت هذه الآية موجبة لهم فسؤا لهم انما هو على جهة التوبيخ والقرية هنا ايلة قاله ابن عباس وغيره وقيل مدين وحاضرة البحر اي البحر فيها حاضر ويحتمل ان يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها اي هي الحاضرة في مدن البحر ويمدون معناه يخالفون الشرع من عدا يعدو وشرعا اي مقبلة اليهم مصطفة كما تقول شرعت الرماح اذا مدت مصطفة وعبرة البخاري شرعا اي شوارع انتهى والعامل في قوله ويوم لا يستبون قوله لا تاتيهم وهو ظرف مقدم ومعنى قوله كذلك الاشارة الى امر الحوت وفتنتهم به هذا على من وقف على تاتيهم ومن وقف على كذلك فالاشارة الى كثرة الحيتان شرعا اي فما اتى منها يوم لا يستبون فهو قليل ونبلوهم اي نمتحنهم بفسقهم وعصيانهم وقد تقدم في البقرة قصصهم \* وقوله سبحانه واذا قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قال جمهور المفسرين ان بنى اسرائيل افرقت ثلاث فرق فرقة عصت وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه وان هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها قالت للناهية لم تعظون قوما يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم فقالت الناهية موعظتنا معذرة الى الله اي اقامة عذر ومعنى مهلكهم اي في الدنيا او معذبهم اي في الآخرة والضمير في قوله نسوا للمنهيين وهو ترك سمي نسيانا مبالغة وما في قوله ماذكروا به بمعنى الذى والسوء لفظ عام في جميع المعاصي الا ان الذى يختص هنا بحسب قصص الآية هو صيد الحوت والذين ظلموا هم العاصون وقوله بعذاب ببس معناه مومل موجع شديد واختلف في الفرقة التي لم تعص ولم تنه ف قيل نجت مع الناجين

وقيل هلكت مع العاصين وقوله بما كانوا يفسقون اي لاجل ذلك وعقوبة عليه  
والعتو الاستعصاء وقلة الطواعة \* وقوله سبحانه قلنا لهم كونوا يحتمل ان يكون  
قولا بلفظ من ملك اسمعهم فكان اذهب في الاغراب والهمول والاصفار ويحتمل  
ان يكون عبارة عن القدرة المكونة لهم قردة وخاسئين معناه مبعدين فخاسئين  
خبر بعد خبر فهذا اختيار ابى الفتح وضعف الصفة فروي ان الشباب منهم  
مسخوا قردة والرجال الكبار مسخوا خنازير \* وقوله سبحانه واذا تأذن ربك  
ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب معني هذا الآية واذا علم  
الله ليبعثن وتقتضى قوة الكلام ان ذلك العلم منه سبحانه مقترن بافاد وامضاء  
كما تقول في امر عزمت عليه علم الله لافعلن وقال الطبري وغيره تأذن معناه اعلم  
وقال مجاهد تأذن معناه امر وقالت فرقة معني تأذن تألى والضمير في عليهم لبني  
اسرائيل وقوله من يسومهم قال ابن عباس هي اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم  
وامته يسومون اليهود سوء العذاب قال (ع) والصحيح ان هذا حالهم في كل  
قطر ومع كل ملة ويسومهم معناه يكلفهم ويحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انه  
الجزية والاذلال وقد حتم الله عليهم هذا وحط ملكهم فليس في الارض راية  
ليهودي ثم حسن في آخر الآية التنبيه على سرعة العقاب والتخويف لجميع  
الناس ثم رجي سبحانه بقوله وانه لغفور رحيم لطفاً منه بعباده جل وعلا وقطعناهم  
في الارض معناه فرقناهم في الارض قال الطبري عن جماعة من المفسرين ليس  
في الارض بقعة الا وفيها معشر من اليهود والظاهر في المشار اليهم بهذه الآية  
انهم الذين بعد سليمان وقت زوال ملكهم والظاهر انهم قبل مدة عيسى عليه  
السلام لانهم لم يكن فيهم صالح بعد كفرهم بعيسى صلى الله عليه وسلم وبلوناهم  
معناه امتحناهم بالحسنات اي بالصحة والرخاء ونحو هذا مما هو بحسب رأي  
ابن ادم ونظره والسيئات مقابلات هذه لعلمهم يرجعون الى الطاعة \* وقوله

سبحانه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآبى خلف معناه حدث  
 خلفهم وبعدهم وخلف باسكان اللام يستعمل في الاشهر في الدم \* وقوله سبحانه  
 ياخذون عرض هذا الاذنى اشارة الى الرشى والمكاسب الخبيثة والعرض ما  
 يعرض ويعين ولا يثبت والاذنى اشارة الى عيش الدنيا وقولهم سيفر لنا ذم  
 لهم باغترارهم وقولهم سيفر لنا مع علمهم بما في كتاب الله من الوعيد  
 على المعاصى واصرارهم وانهم بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فهو لا عجرة  
 كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والعاجز من اتبع نفسه هواها وتنى على الله  
 فهو لا قطعوا بالمغفرة وهم مصرون وانما يقول سيفر لنا من اقلع وندم \*  
 وقوله سبحانه لم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب الآبى تشديد في لزوم قول  
 الحق على الله في الشرع والاحكام وقوله ودرسوا ما فيه معطوف على قوله لم  
 يوخذ لانه بمعنى المضي والتقدير اليس قد اخذ عليهم ميثاق الكتاب  
 ودرسوا ما فيه وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم في قولهم الباطل وقرأ ابو عبد  
 الرحمن السلمي وادارسوا ما فيه ثم وعظ وذكر تبارك وتعالى بقوله والدار الآخرة  
 خير للذين يتقون افلا تعقلون وقرأ ابو عمرو افلا يعقلون بالياء من اسفل \* وقوله  
 سبحانه والذين يمسون بالكتاب عطف على قوله للذين يتقون وقرأ  
 عاصم وحده في رواية ابى بكر يمسون بسكون الميم وتخفيف السين وقرأ  
 الاعمش والذين استمسكوا \* وقوله عز وجل واذا نتقنا الجبل  
 فوقهم كأنه ظلة نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا وقد تقدم قصص الآبى في البقرة  
 وقوله سبحانه واذكروا ما فيه اى تدبروه واحفظوا اوامره ونواهيه فما وفوا \*  
 وقوله سبحانه واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على  
 انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا الآبى قوله من ظهورهم قال النحاة هو  
 بدل اشتمال من قوله من بنى آدم وتواترت الاحاديث في تفسير هذه الآبى عن

النبي صلى الله عليه وسلم من طرق ان الله عز وجل استخرج من ظهر آدم عليه السلام نسمة بنه ففي بعض الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب انها الارواح جعلت لها مشالات وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اخذوا من ظهر آدم كما يؤخذ بالمشط من الراس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان واخذ عليهم العهد بانه ربهم وان لا اله غيره فاقروا بذلك والتزموه واعلمهم انه سيبعث الرسل اليهم مذكرة وداعية فشهد بعضهم على بعض وشهد الله عليهم وملائكته قال الضحاك بن مزاحم من مات صفيرا فهو على العهد الاول ومن بلغ فقد اخذه العهد الثاني يعني الذي في هذه الحياة المعقولة الآن وقوله شهدنا يحتمل ان يكون من قول بعض النسمة لبعض فلا يحسن الوقف على قوله بلى ويحتمل ان يكون قوله شهدنا من قول الملائكة فيحسن الوقف على قوله بلى قال السدي المعنى قال الله وملائكته شهدنا ورواه عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله سبحانه ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الآية المعنى ليلا تقولوا او مخافة ان تقولوا والمعنى في هذه الآية ان الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احدهما ان يقولوا كنا عن هذا غافلين والاخرى كنا تباعا لاسلافنا فكيف نهلك والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا فوقع شهادة بعضهم على بعض وشهادة الملائكة عليهم لتقطع لهم هذه الحجة \* وقوله سبحانه واتل عليهم نبا الذي اتيناها اياتنا قال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعورا وقيل بلعام بن باعر وقيل غير هذا وكان في جملة الجبارين الذين غزاهم موسى عليه السلام فلما قرب منهم موسى لجشوا الى بلعام وكان صالحا مستجاب الدعوة وقيل كان عنده علم من صحف ابراهيم

ومحوها وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم قاله ابن عباس ايضا وهذا الخلاف هو في المراد بقوله «اتيناه» اياتنا فقال له قومه ادع الله على موسى وعسكره فقال لهم وكيف ادعوا على نبي مرسل فما زالوا به حتى فتنوه فخرج حتى اشرف على جبل يرى منه عسكر موسى وكان قد قال لقومه لا افعل حتى استامر ربي ففعل فنهى عن ذلك فقال لهم قد نهيت فما زالوا به حتى قال سأستامره ثانية ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا له ان الله لم يدع نبيك الا وقد اراد ذلك فخرج فلما اشرف على العسكر جعل يدعو على موسى فتحول لسانه بالدعاء لموسى والدعاء على قومه فقالوا له ما تقول فقال اني لا املك هذا وعلم انه قد اخطأ فروي انه قد خرج لسانه على صدره فقال لقومه اني قد هلكت ولكن لم يبق لكم الا الحيلة فاخرجوا النساء الى عسكر موسى على جهة التجبر وغيره ومروهن بالامتنع امرأة من رجل فانهم اذا زنا هلكوا ففعلوا فخرج النساء فزنى بهن رجال من بني اسرائيل وجاء فنحاص بن العيزار بن هارون فانتظم برمحه امرأة ورجلا من بني اسرائيل ورفعهما على اعلى الرمح فوقع في بني اسرائيل الطاعون فمات منهم في ساعة واحدة سبعون الفا ثم ذكر المعتمر عن ابيه ان موسى عليه السلام قتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من «ايات الله» قال المهدي روي انه دعا على موسى ان لا يدخل مدينة الجبارين فاجيب ودعا عليه موسى ان ينسى اسم الله الاعظم فاجيب وفي هذه القصة روايات كثيرة تحتاج الى صحة اسناد وانسلخ عبارة عن البراءة منها والانفصال والبعد كالممنسلخ من الثياب والجلد واتبعه الشيطان اي صيره تابعا كذا قال الطبري اما لضلالة رسمها له واما لنفسه ومن الغاوين اي من الضالين ولو شئنا لرفعناه بها قال ابن عباس وجماعة معنى لرفعناه لشرفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الايات التي «اتيناه» ولكنه اخذ الى الارض اي تقاعس الى

الحضيض الاسفل الاخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك ان الارض وما ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان ومن اخلد الى الفاني فقد حرم حظ الآخرة الباقية (ث) قال المروي قوله اخلد الى الارض معناه سكن الى لذاتها واتبع هواه يقال اخلد الى كذا اي ركن اليه واطمان به انتهى قال عبد الحق الاشبيلي رحمه الله في العاقبة واعلم رحمك الله ان لسوء الحاقمة اعاذنا الله منها اسبابا ولها طرق وابواب اعظمها الاكباب على الدنيا والاعراض عن الآخرة وقد سمعت بقصة بلعام بن باعوراء وما كان اتاه الله تعالى من آياته واطلمه عليه من بيناته وما اراده من عجائب ملكوته اخلد الى الارض واتبع هواه فسلبه الله سبحانه جميع ما كان اعطاه وتركه مع من استماله واغواه انتهى \* وقوله فثله كمثل الكلب شبه به في انه كان ضالاً قبل ان يوقى الآيات ثم اوتىها فكان ايضا ضالاً لم تنفعه فهو كالكلب في انه لا يفارق الله في كل حال هذا قول الجمهور وقال السدي وغيره ان هذا الرجل عوقب في الدنيا فانه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة وذكر الطبري عن ابن عباس ان معنى ان تحمل عليه ان تطرده \* وقوله ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا اي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل ان تأتهم بالهدى والرسالة ثم جئتهم بها فبقوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب \* وقوله فاقصص القصص اي اسرد عليهم ما يعلمون انه من الغيوب التي لا يعلمها الا اهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يتفكرون في ذلك فيؤمنوا \* وقوله سبحانه من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فالولئك هم الخاسرون القول فيه ان ذلك كله من عند الله الهداية منه ونجاته واختراعه وكذلك الاضلال وفي الآية تعجب من حال المذكورين \* وقوله سبحانه ولقد ذرأنا

لجنهم كثيرا من الجن والانس هذا خبر من الله تعالى انه خلق لسكنى جهنم والاحتراق فيها كثيرا وفى ضمنه وعيد للكفار وذرا معنى خلق واوجد مع بث ونشر \* وقوله سبحانه لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولائك كالانعام بل هم اضل الاية لما كانت هذه الطائفة الكافرة المعرضة عن النظر فى آيات الله لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوه من الآيات والمواعظ استوجبوا الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون والفقه الفهم اولائك كالانعام فى ان الانعام لا تفقه الاشياء ولا تمقل المقاييس ثم حكم سبحانه عليهم بانهم اضل لان الانعام تلك هي بنيتها وخلقتها وهؤلاء معدون للفهم والنظر ثم بين سبحانه بقوله اولائك هم الغافلون الطريق الذى به صاروا اضل من الانعام وهو الغفلة والتقصير قال الفخر اما قوله تعالى اولائك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان وسائر الحيوانات متشاركة فى قوى الطبيعة الغذائية والنامية والمولدة ومتشاركة ايضا فى منافع الحواس الخمس الباطنة والظاهرة وفى احوال التخيل والتفكر والتذكر وانما حصل الامتياز بين الانسان وسائر الحيوانات فى القوة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق فلما اعرض الكفار عن احوال العقل والفكر ومعرفة الحق كانوا كالانعام بل هم اضل لان الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل وقد قال حكيم الشعراء

الروح من عند رب العرش مبدؤه \* وتربة الارض اصل الجسم والبدن  
قد الف الملك الجبار بينهما \* ليصلحا لقبول الامر والمحسن  
فالروح فى غربة والجسم فى وطن \* فلتعرفن ذمام النازح الوطن  
انتهى \* وقوله سبحانه والله الاسماء الحسنى فادعوه بها الاية السبب فى



هذه الآية على ما روي ان ابا جهل سمع بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فيذكر الله تعالى في قراءته ومرة يذكر الرحمن ولحق ذلك فقال محمد يزعم ان الاله واحد وهو انما يعبد الهة كثيرة فنزلت هذه الآية ومن اسما الله تعالى ما ورد في القرآن ومنها ما ورد في الحديث وتواتر وهذا هو الذي ينبغي ان يعتمد عليه \* وقوله سبحانه وذروا الذين يلحدون في اسمائه قال ابن زيد معناه اتركوهم فالآية على هذا منسوخة وقيل معناه الوعيد كقوله سبحانه ذرني ومن خلقت وحيدا وذرههم ياكلوا ويتمتعوا يقال الحد ولحد بمعنى جار ومال وانحرف والحد اشهر ومنه لحد القبر ومعنى الاحاد في اسماء الله عز وجل ان يسموا اللات نظير اسم الله تعالى قاله ابن عباس والعزى نظير العزيز قاله مجاهد ويسمون الله ابا ويسمون اولادهم اربابا \* وقوله سبحانه سيجزون ما كانوا يعملون وعيد محض \* وقوله سبحانه ومن خلقنا امة يهودون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الآية تتضمن الاخبار عن قوم اهل ايمان واستقامة وهداية وظاهرها يقتضي كل مومن كان من لدن ادم عليه السلام الى قيام الساعة وروي عن كثير من المفسرين انها في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وروي في ذلك حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه الآية لكم \* وقوله سبحانه والذين كذبوا بآياتنا الآية وعيد والاشارة الى الكفار وسنستدرجهم معناه سنسوقهم شيئا بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والامهال لهم حتى يفتروا ويظنوا انهم لا يثابهم عقاب وقوله من حيث لا يعلمون اي من حيث لا يعلمون انه استدراج لهم وهذه عقوبة لهم من الله سبحانه على التكذيب لما حتم عليهم بالعذاب امل لهم ليزدادوا اثما \* وقوله واملئ معناه اؤخر ملاوة من الدهر اي مدة ومئين معناه قوي \* وقوله سبحانه اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة

الآية تقرير يقارنه توبيخ للكفار والوقف على قوله او لم يتفكروا ثم ابتداء القول بنفي ما ذكره فقال ما بصاحبهم من جنة اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى او لم يتفكروا انه ما بصاحبهم من جنة ويظهر من رصف الآية انها باعثة لهم على الفكرة في امره صلى الله عليه وسلم وانه ليس به جنة كما احالهم بعد هذه الآية على النظر وقال الفخر قوله تعالى او لم يتفكروا امر بالفكر والتأمل والتدبر وفي اللفظ محذوف والتقدير او لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة والجنة حالة من الجنون كالجلسة ودخول من في قوله من جنة ينفي انواع الجنون انتهى \* وقوله سبحانه او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض الآية النظر هنا بالقلب عبرة وفكرا وملكوت بناء عظيمة ومبالغة \* وقوله وما خلق الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من الصنعة الدالة على الصانع ومن نفس الانسان وحواسه ومواضع رزقه والشيء واقع على الموجودات وان عسى عطف على قوله في ملكوت والمعنى توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر في شيء من هذا ولا في انهم قربت اجالهم فما توافقات اوان التدارك ووجب عليهم المحذور ثم وقفهم باي حديث او امر يقع ايمانهم وتصديقهم اذا لم يقع بامر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة ونحو هذا المعنى قول الشاعر \* وعن اي نفس بعد نفسي اقاتل \* والضمير في بعده يراد به القراء ان وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقصته وامره اجمع وقيل هو عائذ على الاجل اي بعد الاجل اذ لا عمل بعد الموت \* وقوله سبحانه من يضل الله فلا هادي له الآية هذا شرط وجواب مضمته اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا قد نزل بهم والظنيان الافراط في الشيء وكأنه مستعمل في غير الصلاح والعمه الخيرة \* وقوله سبحانه يسئلونك عن الساعة قال قتادة السائلون هم قريش وقال

ابن عباس هم احبار اليهود (ت) وفي السيرة لابن هشام ان السائلين من احبار اليهود حمل بن ابي قشير وسموأل بن زيد انتهى والساعة القيامة موت كل من كان حيا حينئذ وبعث الجميع وايان معناه متى وهي مبنية على الفتح قال الشاعر

اِياَن تَقْضِى حاجَتِى اِياَنُـا \* اِما تَرى لِفعلِها اِياَنُـا  
ومرساها معناه مثبتها ومنتهاها ماخوذ من ارسى يرسى فرساها رفع بالابتداء والخبر ايان وعبرة البخاري ايان مرساها متى خروجها انتهى ويحليها معناه يظهرها \* وقوله سبحانه ثقلت في السموات والارض قيل معناه ثقلت ان تعلم ويوقف على حقيقة وقتها وقال الحسن بن ابي الحسن معناه ثقلت هيئتها والفرع على اهل السموات والارض لاتاتيكم الا بقية اي فجأة \* وقوله سبحانه يسئلونك كانك حفي عنها قال ابن عباس وغيره المعنى يسئلونك كانك حفي اي متحف ومهتبل بهم وهذا ينحو الى ما قالت قريش يا محمد انا قرابتك فاخبرنا بوقت الساعة وقال ابن زيد وغيره معناه كانك حفي في المسألة عنها والاشتغال بها حتى حصلت علمها وقرأ ابن عباس فيما ذكر ابو حاتم كانك حفي بها \* وقوله سبحانه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الطبري معناه لا يعلمون ان هذا الامر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما يعلمه البشر \* وقوله سبحانه قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله الآية هذا امر بان يبالغ في الاستسلام ويتجرد من المشاركة في قدرة الله وغيبه وان يصف نفسه لهؤلاء السائلين بانه لا يملك من منافع نفسه ومضارها الا ما سنى الله وشاء ويسر وهذا الاستثناء منقطع واخبر انه لو كان يعلم الغيب لعمل بحسب ما ياتي واستعد لكل شيء استعداد من يعلم قدر ما يستعد له وهذا لفظ عام في كل شيء \* وقوله وما مسني السوء

يحتمل وجهين وبكليهما قيل احدهما ان ما معطوفة على قوله لاستكثر اي ولما مسني السوء والثاني ان يكون الكلام مقطوعا تم في قوله لاستكثر من الخير وابتداً يخبر بنفي السوء عنه وهو الجنون الذي رموه به قال مؤرج السدوني السوء الجنون بلغة هذيل (ت) واما على التاويل الاول فلا يريد بالسوء الجنون ويترجح الثاني بنحو قوله سبحانه ما بصاحكم من جنة ان هو الا نذير لكم الآية ولقوم يؤمنون يحتمل معنيين احدهما ان يريد لقوم يطلب منهم الايمان وهؤلاء الناس اجمع والثاني ان يخبر انه نذير ويتم الكلام ثم يتبدى يخبر انه بشير للمؤمنين به ففي هذا وعد لمن حصل ايمانه \* وقوله جلت عظمتة هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآية قال جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة ، ادم عليه السلام وبقوله وجعل منها زوجها حواء وقوله منها هو ما تقدم ذكره من ان ادم نام فاستخرجت قصرى اضلاعه وخلقت منها حواء \* وقوله ليسكن اليها اي ليأنس ويطمئن وكان هذا كله في الجنة ثم ابتداً بحالة اخرى وهي في الدنيا بعد هبوطهما فقال فلما تغشاها اي غشيا وهي كناية عن الجماع والحمل الخفيف هو المني الذي تحمله المرأة في رحمها \* وقوله فمرت به اي استمرت به وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ ابن مسعود فاستمرت بحملها وقرأ عبد الله ابن عمرو بن العاص فماتت به اي جاءت به وذبحت وتصرفت كما تقول مارت الريح مورا واثقلت دخلت في الثقل كما تقول اصبح وامسى والضمير في قوله دعوا على هذا التاويل عائد على ادم وحواء وروي في قصص ذلك ان الشيطان اشار على حواء ان تسي هذا المولود عبد الحارث وهو اسم ابليس وقال لها ان لم تفعل قتلته فزعموا انها اطاعاه حرصا على حياة المولود فهذا هو الشرك الذي جعل الله في التسمية فقط وقال الطبري والسدي في قوله فتعالى الله عما يشركون

كلام منفصل من خبر آدم وحواء يراد به مشركوا العرب (ت) وينزه  
 آدم وحواء عن طاعتها لابلis ولم اقف بعد على صحة ما روي في هذه  
 القصص ولو صح لوجب تاويله نعم روى الترمذي عن سمرة بن جندب عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش  
 لها ولد فقال لها سميه عبد الحارث فسمته عبد الحارث فعاش ذلك وكان ذلك  
 من وحي الشيطان وامره قال الترمذي هذا حديث حسن غريب انفرد به  
 عمر بن ابراهيم عن قتادة وعمر شيخ بصري انتهى وهذا الحديث ليس فيه  
 انها اطاعه وعلى كل حال الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتباه الله وحسن  
 التاويل ما امكن وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وترفيفه  
 وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره وفي  
 الاسراءليات التي ليس لها ثبات ولا يعول عليها من له قلب فان آدم وحواء  
 وان كانا غرهما بالله القرور فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وما كانا بعد ذلك  
 ليقبلا له نصحا ولا يسمعا له قولاً والقول الاشبه بالحق ان المراد بهذا جنس  
 الآدميين انتهى من الاحكام قال (ع) وقوله صالحا قال الحسن معناه غلاما  
 وقال ابن عباس وهو الاظهر بشرا سويا سليما وقال قوم انما الغرض من هذه  
 الآية تعديد النعمة في الازواج وفي تسهيل النسل والولادة ثم ذكر سوء  
 فعل المشركين الموجب للعقاب فقال مخاطبا لجميع الناس هو الذي خلقكم  
 من نفس واحدة وجعل منها زوجها يريد آدم وحواء اي واستمرت حالكم  
 واحدا واحدا كذلك فهذه نعمة يختص كل واحد بحجز منها ثم جاء  
 قوله فلما تمشاها الى اخر الآية وصفا لحال الناس واحدا واحدا اي هكذا  
 يفعلون فاذا اتاهم الله ولدا صالحا سليما كما ارادوه صرفوه عن الفطرة الى الشرك  
 فهذا فعل المشركين قال ابن العربي في احكامه وهذا القول هو الاشبه

بالحق واقرب للصدق وهو ظاهر الآية وعمومها الذى يشمل جميع متناولاتها  
ويسلم فيها الانبياء عن النقص الذى لا يليق بجهال البشر فكيف بساداتهم  
وانبيائهم انتهى وهو كلام حسن وبالله التوفيق وقرأ نافع وعاصم فى رواية ابى  
بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وقرأ ابن كثير وابو عمرو  
وحزة والكسائي وحفص عن عاصم شركاء على الجمع وهي بيئة على هذا  
التاويل الاخير وقلقة على قول من قال ان الآية الاولى فى ءادم وحواء وفى  
مصحف ابى بن كعب فلما ءاتاهما صالحا اشركا فيه \* وقوله اشركون ما  
لا يخلق شيئا الآية ذهب بعض من قال بالقول الاول الى ان هذه الآية فى  
ءادم وحواء على ما تقدم وفيه قلق وتعسف من التاويل فى المعنى وانما تنسق  
هذه الآيات ويروق نظمها ويتناصر معناها على التاويل الاخير فانهم قالوا ان  
الآية فى مشركى الكفار الذين يشركون الاصنام فى العبادة واياها يراد فى  
قوله ما لا يخلق وعبر عن الاصنام بهم كانها تعقل على اعتقاد الكفار فيها  
وبجسب اسمائها ويخلقون معناه ينحتون ويصنعون بعنى الاصنام ويحتمل ان  
يكون المعنى وهو لا، المشركون يخلقون اى فكان حقهم ان يعبدوا خالقهم  
لا من لا يخلق شيئا وقرأ ابو عبد الرحمن عما تشركون بالباء من فوق اشركون \*  
وقوله سبحانه وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتوهم ام انتم  
صامتون من قال ان الآيات فى ءادم عليه السلام قال هذه مخاطبة مستأنفة  
للنبي صلى الله عليه وسلم وامته فى امر الكفار المعاصرين للنبي صلى الله عليه  
وسلم ومن قال بالقول الآخر قال ان هذه مخاطبة للمومنين والكفار على قراءة  
من قرأ اشركون بالياء من تحت وللكفار فقط على قراءة من قرأ بالباء من  
فوق على جهة التوقيف اى هذا حال الاصنام معكم ان دعوتوهم لم يجيبوكم \*  
وقوله سبحانه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا

لكم ان كنتم صادقين الآية مخاطبة للكفار في تحقير شأن اصنامهم وقوله فادعوههم اي فاختبروا فان لم يستجيبوا فهم كما وصفنا \* وقوله سبحانه هم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطنون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها الآية الغرض من هذه الآية المهم حواس الحي ووصافه فاذا قالوا لا حكموا بانها جمادات من غير شك لا خير عندها قال الزهراوي المعنى انتم افضل منهم بهذه الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام ان يعجزهم بقوله قل ادعوا شركاءكم اي استنجدوهم واستنفروهم الى اضرارى ويكيدى ولا تؤخرونى المعنى فان كانوا الهة فيسيظهر فعلكم ولما احالهم على الاستنجاد بالهتهم فى ضرره واراھم ان الله سبحانه هو القادر على كل شيء لا تلك عقب ذلك بالاستناد الى الله سبحانه والتوكل عليه والاعلام بانه وليه وناصره فقال ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين \* وقوله والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصرکم ولا انفسهم ينصرون انما تكرر القول فى هذا وترددت الآيات فيه لان امر الاصنام وتعميمها كان متمكنا من نفوس العرب فى ذلك الزمان ومستوليا على عقولها فاوجب القول فى ذلك لطفاً منه سبحانه بهم \* وقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الآية قالت فرقة هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته فى امر الكفار والهائم والميم فى قوله تدعوهم للكفار ووصفهم بانهم لا يسمعون ولا يبصرون اذ لم يتحصل لهم عن النظر والاستماع فائدة قاله مجاهد والسدي وقال الطبري المراد بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابلة ولما فيها من تخيل النظر كما تقول دار فلان تنظر الى دار فلان \* وقوله سبحانه خذ العفو وامر بالعرف الآية وصية من الله سبحانه لنبيه عليه السلام تعم جميع امته واخذ بجميع مكارم الاخلاق قال الجمهور معنى خذ العفو اقبل من الناس

في اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتى عفوا دون تكلف فالعفو هنا الفضل والصفو قال مكي قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف الآية قال بعض اهل المعاني في هذه الآية بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فهذه الآية قد جمعت معان كثيرة وفوائد عظيمة وجمعت كل خلق حسن لان في اخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المائنين وفي الامر بالمعروف تقوى الله وطاعته وصلة الرحم وصون الجوارح عن المحرمات وسبي هذا ونحوه عرفا لان كل نفس تعرفه وتركن اليه وفي الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مخاطبة السفيه ومنازعة اللجوج وغير ذلك من الافعال المرضية انتهى من الهداية وقوله وامر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس مما لا ترده الشريعة ومن ذلك ان تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك الحديث فالعرف بمعنى المعروف \* وقوله عز وجل واما يترغناك من الشيطان ترغ فاستعذ بالله انه سميع عليم هذه الآية وصية من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم امته رجلا رجلا والنزغ حركة فيها فساد وقلم تستعمل الا في فعل الشيطان لان حركته مسرعة مفسدة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يشر احدكم على اخيه بالسلاح لا يترغ الشيطان في يده فالمعنى في هذه الآية فاما تلمن بك لمة من الشيطان فاستعذ بالله وعبرة البخاري يترغناك يستغفرك انتهى وترغ الشيطان عام في الغضب وتحسين المعاصي واكتساب الفوائد وغير ذلك وفي جامع الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للملك لمة وللشيطان لمة الحديث قال (ع) وعن هاتين اللمتين هي الخواطر من الخير والشر فالأخذ بالواجب يلقي لمة الملك بالامتنال والاستدامة ولمة الشيطان بالرفض والاستعاذة واستعاذ معناه طلب ان يعاذ وعاذ معناه



لاذ وانضوى واستجار قال الفخر قال ابن زيد لما نزل قوله تعالى واعرض عن  
الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والنضب فتزل قوله واما  
ينزغتك من الشيطان نزغ وقوله انه سميع عليم يدل على ان الاستعاذة لا  
تفيد الا اذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة فكأنه تعالى قال اذكر لفظ  
الاستعاذة بلسانك فاني سميع واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فاني  
عليم بما في ضميرك وفي الحقيقة القول اللساني دون المعارف العقلية عديم  
الفائدة والاثرا انتهى \* وقوله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف  
من الشيطان تذكروا الآية خرج مخرج المدح للمتقين والتقوى هاهنا  
عامة في اتقاء الشرك والمعاصي وقرأ ابن كثير وغيره طيف قال ابو علي  
الطائف كالخاطر والطيف كالخطرة وقوله تذكروا اشارة الى الاستعاذة  
المأمور بها والى ما لله عز وجل من الاوامر والنواهي في النازلة التي يقع تعرض  
الشيطان فيها وقرأ ابن الزبير من الشيطان تأملوا فاذا هم وفي مصحف ابي بن  
كعب اذا طاف من الشيطان طائف تأملوا وقوله مبصرون من البصيرة اي  
فاذا هم قد تبينوا الحق ومالوا اليه والضمير في اخوانهم عائد على الشياطين  
وفي يمدونهم عائد على الكفار وهم المراد بالاخوان هذا قول الجمهور قال  
(ع) وقرأ جميع السبعة غير نافع يمدونهم من مددت وقرأ نافع يمدونهم من  
امددت قال الجمهور هما بمعنى واحد الا ان المستعمل في المحبوب امد والمستعمل  
في المكروه مد فقراءة الجماعة جارية على المنهاج المستعمل وقراءة نافع  
هي مقيدة بقوله في النفي كما يجوز ان تقيد البشارة فتقول بشرته بشر ومد  
الشياطين للكفرة اي ومن نخا نحوهم هو بالتزيين لهم والاعواء المتتابع  
وقوله ثم لا يقصرون من اقصر والضمير عائد على الجميع اي هؤلاء لا يقصرون  
عن الاعواء وهؤلاء لا يقصرون في الطاعة للشياطين \* وقوله سبحانه واذا

لم تاتهم بشاية قالوا لولا اجتبيتها سببها فيما روي ان الوحي كان يتأخر احيانا فكان الكفار يقولون هلا اجتبيتها اي اخترتها فامرهم الله عز وجل ان يجيب بالتسليم لله وان الامر في الوحي اليه ينزله متى شاء ثم اشار بقوله هذا بصائر الى القرآن ان اي علامات هدى وانوار تستضيء القلوب به \* وقوله سبحانه واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ذكر الطبري وغيره ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بمكة يتكلمون في المكتوبة بجوانبهم فنزلت الآية امرهم بالاستماع والانصات في الصلاة واما قول من قال انها في الخطبة فضعيف لان الآية مكية والخطبة لم تكن الا بعد الهجرة والفاظ الآية على الجملة تتضمن تعظيم القرآن وتوقيره وذلك واجب في كل حالة والانصات السكوت قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه قال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وابو داود عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني لأراكم تقرءون وراء امامكم قلنا يا رسول الله إي والله فقال لا تفعلوا الا بام القرآن انه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وقد روى الناس في قراءة المأمومين خلف الامام بفاتحة الكتاب احاديث كثيرة واعظمهم في ذلك اهتبالا الدارقطني وقد جمع البخاري في ذلك جزءا وكان رايه قراءة الفاتحة خلف الامام في الصلاة الجهرية وهي احدى روايات مالك وهو اختيار الشافعي انتهى وقد تقدم اول الكتاب ما اختاره ابن العربي وقوله سبحانه واذكر ربك في نفسك الآية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعم جميع امته وهو امر من الله تعالى بذكره وتسبيحه وتقديسه والثناء عليه بحامده والجمهور على ان الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى الا بحركة اللسان ويدل على ذلك من هذه الآية

قوله ودون الجهر من القول وهذه مرتبة السر والمخافتة وقال الفخر المراد بقوله تعالى واذكر ربك في نفسك كونه عارفاً بمعاني الاذكار التي يقولها بلسانه مستحضرا لصفات الجلال والعظمة وذلك ان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة الا ترى ان الفقهاء اجمعوا على ان الرجل اذا قال بعث واشترت مع انه لا يعرف معاني هذه الالفاظ ولا يفهم منها شيئاً فانه لا ينعقد البيع والشراء فكذلك هنا قال المتكلمون وهذه الآية تدل على اثبات كلام النفس \* وقوله تعالى ولا تكن من الغافلين يدل على ان الذكر القلبي يجب ان يكون دائماً وان لا يغفل الانسان لحظة عن استحضار جلال الله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية وتحقيق القول في هذا ان بين الروح والبدن علاقة عجيبة لان كل اثر يحصل في البدن يصعد منه نتائج الى الروح الا ترى ان الانسان اذا تحيل الشيء الحامض ضرر منه واذا تحيل حالة مكروهة او غضب سخن بدنه انتهى وتضرعا معناه تذللاً وخضوعاً البخاري وخيفة اي خوفاً انتهى \* وقوله بالندو والاصال معناه دأباً وفي كل يوم وفي اطراف النهار ولا تكن من الغافلين تنبيه منه عز وجل ولما قال سبحانه ولا تكن من الغافلين جعل بعد ذلك مثالا من اجتهاد الملائكة ليعت على الجد في طاعة الله سبحانه (ت) قال صاحب الكلم الفارقة غفلة ساعة عن ربك مكدره لمرآة قلبك فكيف بغفلة جميع عمرك انتهى قال ابن عطاء الله رحمه الله لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فمسي ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله

بغز انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ولا تكن من الغافلين اي  
فيا امرت به وكلفته وهذا خطاب له عليه السلام والمراد به جميع امته  
انتهى \* وقوله الذين يريد به الملائكة \* وقوله عند انما يريد به المنزلة  
والتشريف والقرب في المكانة لا في المكان فهم بذلك عنده ثم وصف  
سبحانه حالهم من تواضعهم وادمانهم العبادة والتسبيح والسجود وفي الحديث  
اطت السماء وحق لها ان تغط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او راكع  
او ساجد وهذا موضع سجدة

قال عبد الرحمن بن محمد عفا الله عنه كل ما انتخبناه في تفسير السورة  
والحمد لله على ما به انعم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

\* بسم الله الرحمن الرحيم \*

## سورة الانفال مدنية كلها

قال مجاهد الآية واحدة وهي قوله واذ يذكرك الذين كفروا الآية  
ولا خلاف ان هذه السورة نزلت في شان بدر وامر غنائمه \* قوله عز وجل  
يسئلونك عن الانفال الآية النفل والنافلة في كلام العرب الزيادة على  
الواجب والاكثر في هذه الآية ان السؤال انما هو عن حكم الانفال  
وقالت فرقة انما سألوه الانفال نفسها محتجين بقراءة سعد بن ابى وقاص وغيره  
يسئلونك الانفال وعن ابى امامة الباهلي قال سألت عبادة بن الصامت عن

الانفال فقال فينا اهل بدر نزلت حين اختلفنا وساءت اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله صلى الله عليه وسلم وقسمه عليه السلام بين المسلمين على بواء يريد على سواء فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين قال (ع) ويحيى من مجموع الآثار المذكورة هنا ان نفوس اهل بدر تنافرت ووقع فيها ما يقع في نفوس البشر من ارادة الاثرة لاسيما من ابلى فانزل الله عز وجل الآية فرضي المسلمون وسلموا فاصلاح ذات بينهم ورد عليهم غنائهم قال بعض اهل التأويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله سبحانه لرفع الشغب ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء الآية وهذا اولى الاقوال واصحها \* وقوله سبحانه واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه شجر بينهم اختلاف ومالت النفوس الى التشاح وذات في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات وذات ذلك هو المأمور باصلاحها اي نفسه وعينه وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتاكيد حيث وقع ويصلح مع ذلك للحصر بحسب القرينة فقوله هنا انما المومنون ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط اي الكاملون قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الانصاري الساحلي المألوف في كتابه الذى افه في السلوك واعلم ان الانسان مطلوب بطهارة نفسه وتركيتها وطرق التزكية وان كثرت فطريق الذكر اسرع نفعا واقرب مراما وعليه درج اكثر مشائخ التربية ثم قال والذكر ضد النسيان والمطلوب منه عمارة الباطن بالله تعالى في كل زمان ومع كل حال لان الذكر بدل على المذكور لا محالة فذكره دبدا يوجب المحبة له والمعرفة به والذكر وان اختلفت الفاظه ومعانيه فكل معنى معانيه اختصاص

بنوع من التحلية والتخلية والتركية ثم قال والذكر على قسمين ذكر العامة وذكر الخاصة  
اما ذكر العامة وهو ذكر الاجور فهو ان يذكر العبد مولاه بما شاء من ذكره  
لا يقصد غير الاجور والثواب واما ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور وهو ان يذكر  
العبد مولاه باذكار معلومة على صفة مخصوصة لينال بذلك المعرفة بالله سبحانه  
بطهارة نفسه من كل خلق ذميم وتخليتها بكل خلق كريم انتهى ووجلت  
معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعاني فسرتها العلماء وتليت معناه سردت  
وقرئت والآيات هنا القرآن المتلو ومن كلام صاحب الكلم الفارقة ان تيقظت  
يقظة قلبية وانتبهت انتباهة حقيقية لم ترفى وقتك سعة لغير ذكر ربك  
واستشعار عظمته ومهابته والاقبال على طاعته ما في وقت العاقل فضلا في غير ما  
خلق له من عبادة خالقه والاهتمام بمصالح آخرته والاستعداد لمعاد اعراف  
العبيد بجلال مولاه اخلاهم عما سواه واكثرهم لهجا بذكره وتعظيما لامره  
واحسنهم تأملا لآثار صنفته وبدائع حكمته واشدهم شوقا الى لقائه  
ومشاهدته انتهى وزيادة الايمان على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق  
منها ان المؤمن اذا كان لم يسمع حكما من احكام الله عز وجل في القرآن فنزل  
على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه فآمن به زاد ايمانا الى سائر ما قد آمن به  
اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب فيمن بلغه ما لم يكن عنده من  
الشرع الى يوم القيامة وترتب زيادة الايمان بزيادة الدلائل ولهذا قال مالك  
الايمان يزيد ولا ينقص ويترتب بزيادة الاعمال البرة على قول من يرى ان لفظة  
الايمان واقعة على التصديق والطاعات وهؤلاء يقولون يزيد وينقص \* وقوله  
سبحانه وعلى ربهم يتوكلون عبارة جامعة لمصالح الدنيا والآخرة اذا اعتبرت  
وعمل بحسبها في ان يمثل الانسان ما امر به ويبلغ في ذلك اقصى جهده  
دون عجز وينتظر بعدما وعد به من نصر او رزق او غيره وهذه اوصاف جملة

وصف الله بها فضلاء المؤمنين: فجعلها غاية للامة يستبق اليها الافاضل ثم اتبع ذلك وعدهم ووسمهم باقامة الصلاة ومدحهم بها حضا على ذلك \* وقوله ومما رزقناهم ينفقون قال جماعة من المفسرين هي الزكاة وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلاة والافهولفظ عام في الزكاة ونوافل الخير وصلات المستحيتين ولفظ ابن عباس في هذا المعنى محتمل \* وقوله سبحانه لهم درجات ظاهره وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنة ومنازلها ودرجاتها على قدر اعمالهم ورزق كريم يريد ما كل الجنة ومشاربها وكريم صفة تقتضى رفع المذاق كقوله ثوب كريم \* وقوله سبحانه كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الآية اختلف في معنى هذه الآية فقال الفراء التقدير امض لامرك في الغنائم وان كرهوا كما اخرجك ربك قال (ع) وتحرير هذا المعنى عندي ان يقال هذه الكاف شبهت هذه القصة التي هي اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الانفال كانهم سألوا عن النفل وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الحيرة كما كرهوا في هذه القصة انبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاخرجه الله من بيته فكانت في ذلك الحيرة وعلى هذا التاويل يمكن ان يكون قوله يجادلونك كلاما مستانفا يراد به الكفار اي يجادلونك في شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق فيها كأنما يساقون الى الموت في الدعاء الى الايمان وهذا الذي ذكرت من ان يجادلونك في الكفار منصوص وقال مجاهد وغيره المعنى في الآية كما اخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت به لاما يريدونهم وقائل هذه المقالة يقول ان المجادلين هم المومنون وقائل المقالة الاولى يقول ان المجادلين هم المشركون وهذان

القولان يتم بها المعنى ويحسن رصف اللفظ وقيل غير هذا وقوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله الجمهور \* وقوله سبحانه واذا يدركم الله احدى الطائفتين انها لكم الآية فى هذه الآية قصص حسن محل استيعابه كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقيل اوحى اليه ان اباسفيان بن حرب قد اقبل من الشام بالعرى التى فيها تجارة قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج واسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم لايلوى على من تعذر ولاينظر من غاب ظهره فسار فى ثلاث مائة وثلاثة عشر اونحو ذلك من اصحابه بين مهاجري وانصاري وقد ظن الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايلقى حربا فلم يكثر استعدادهم وكان ابوسفيان فى خلال ذلك يستقصى ويحذر فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها ففعل ضمضم فخرج اهل مكة فى الف رجل اونحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم اوحى الله اليه وحيا غير متلويمده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم العير التى لاقتال معها فلما علم ابوسفيان بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه اخذ طريق الساحل وابتعد وفات ولم يبق الالتقاء اهل مكة وشار بعض الكفار على بعض بالانصراف وقالوا هذه عيرنا قد نجت فلننصرف فخرش ابو جهل ولج حتى كان امر الواقعة وقال بعض المؤمنين نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو بواد يسمى دقران وقال اشيروا على ايها الناس فقام ابوبكر فتكلم واحسن وحرص الناس على



لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فقام عمر بمثل ذلك فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فتكلم المقداد بن الاسود انكدي فقال لا نقول لك يا رسول الله كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون والله لو اردت بنا برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلامه ودعاه له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل سعد بن عباد ويمتثل هما معا فقال يا رسول الله كانك ايانا تريد معشر الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل فقال انا قد امانا بك واتبعناك وبايعناك فامض لامر الله فوالله لو خضت بنا هذا البحر لحضناه معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم امضوا على بركة الله فكانى انظر الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر (ت) وفي صحيح البخاري من حديث عائشة فى خروج ابى بكر من مكة فلقيه ابن الدغنة عند برك الغماد الحديث وليست بمدينة الحبشة من غير شك فالله اعلم ولعلمها موضعان انتهى والشوكة عبارة عن السلاح والحدة \* وقوله سبحانه ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين المعنى ويريد الله ان يظهر الاسلام ويعلى دعوة الشرع بكلماته التى سبقت فى الازل والدابر الذى يدبر القوم اى ياتى اخرهم واذا قطع فقد اتى على اخرهم بشرط ان يبدأ الاهلاك من اولهم وهى عبارة فى كل من اتى الهلاك عليه وقوله سبحانه ليحق الحق اى ليظهر الحق الذى هو دين الاسلام ويبطل الباطل اى الكفر وتستغيثون معناه تطلبون النوث وممدكم اى مكثركم ومقويكم من امددت ومردفين معناه متبعين وقرأ سائر السبعة غير نافع مردفين بكسر الدال ونافع بفتحها وروي عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التتابع يقال ردف واردف اذا اتبع وجاء بعد الشيء

ويحتمل ان يراد مردفين للمومنين ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم بعضا وانشد  
 الطبري شاهدا على ان اردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر  
 اذا الجوزاء اردفت الثريا \* ظننت بآل فاطمة الظنونا

والثريا تطلع قبل الجوزاء وروي في الصحيح الا شهران الملائكة قاتلت يوم  
 بدر واختلف في غيره قال ابن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر انه حدث  
 عن ابن عباس انه قال حدثني رجل من بني غفار قال اقلت انا وابن عم لي حتى  
 صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من  
 تكون فننتهب مع من ينتهب قال فيينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة  
 فسمعنا فيها حممة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي  
 فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت قال  
 ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن ابي بكر عن بعض بني ساعدة عن ابي  
 سعيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا قال بعد ان ذهب بصره لو كنت  
 اليوم ببدر ومعي بصرى لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة  
 لاشك ولا اتمارى انتهى من سيرة ابن هشام \* وقوله سبحانه وما جعله  
 الله الابشرى ولتطمئن به قلوبكم الضمير في جعله عائد على الوعد وهذا عندي  
 امكن الاقوال من جهة المعنى وقيل عائد على المدد والامداد وقيل عائد على  
 الارداد وقيل عائد على الالف \* وقوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز  
 حكيم توقيف على ان الامر كله لله وان تكسب المرء لا يفيى اذا لم يساعده القدر  
 وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين \*  
 وقوله سبحانه اذ يغشاكم النعاس امة منه القصد تعديد نعمه سبحانه على المومنين  
 في يوم بدر والتقدير اذكروا اذ فعلنا بكم كذا واذا فعلنا كذا والعامل في اذا اذكروا  
 وقرأ نافع يغشاكم بضم الياء وسكون الغين وقرأ حمزة وغيره يغشاكم بفتح الغين

وشد الشيز المكسورة وقرأ ابن كثير وغيره ينشاكم بفتح الياء والفاء بعد  
 الشين النعاس بالرفع ومعنى يغشاكم يغطيكم والنعاس اخف النوم وهو الذى  
 يصيب الانسان وهو واقف او ماش وينص على ذلك قصص هذه الآية انهم  
 انما كان بهم خفق بالروس وقوله امنة مصدر من امن يأمن امنا وامنة وامانا  
 والهاء فيه لتانيث المصدر كما هي في المساء والحماقة والمشقة وروي عن ابن  
 مسعود انه قال النعاس عند حضور القتال علامة امن وهو من الله وهو في  
 الصلاة من الشيطان قال (ع) وهذا انما طريقه الوحي فهو لا محالة يسنده \*  
 وقوله سبحانه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وذلك ان قوما من  
 المؤمنين لحقهم جنابات في سفرهم وعدموا الماء قريب بدر فصلوا كذلك  
 فوسوس الشيطان في نفوس بعضهم مع تخويفه لهم من كثرة العدو وقتلهم  
 وايضا فكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة من رمل دهس تسوخ فيها الارجل  
 فكانوا يتوقعون ان يسبقهم الكفار الى ماء بدر فا نزل الله تلك المطرة  
 فسالت الاودية فاغتسلوا وطهرهم الله تعالى فذهب رجز الشيطان وتدمت  
 الطريق وتلبدت تلك الرمال فسهل الله عليهم السير وامكنهم الاسراع  
 حتى سبقوا الى ماء بدر واصاب المشركين من ذلك المطر ما صعب عليهم  
 طريقهم فسر المؤمنون وتبينوا من فعل الله بهم ذلك قصد المعونة لهم فطابت  
 نفوسهم واجتمعت وتشجعت فذلك الربط على قلوبهم وتثبتت اقدامهم على  
 الرملة اللينة والضمير في به على هذا الاحتمال عائد على الماء ويحتمل عوده على  
 ربط القلوب ويكون تثبيت اقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب  
 ونزول الماء كان في الزمن قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك في الآية  
 اذ القصد فيها تعديد النعم فقط \* وقوله سبحانه فثبتوا الذين امنوا  
 ونثبتهم يكون بقتالهم ومجضورهم وبقولهم المونسة ويحتمل ان يكون

التشبيث بما يليقه الملك في القلب بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار  
 ونحواطر تشجعه قال (ع) ويقوى هذا التاويل مطابقة قوله تعالى سالتى فى  
 قلوب الذين كفروا الرعب وعلى هذا التاويل يحجى قوله سالتى فى قلوب  
 الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ويحتمل ان يكون مخاطبة للمومنين \*  
 وقوله سبحانه فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة هي على بابها واراد  
 الروس وهذا انبل الاقوال قال (ع) ويحتمل عندى ان يريد وصف البلغ  
 ضربات العنق واحكمها وهي الضربة التى تكون فوق عظم العنق دون عظم  
 الرأس فى المفصل كما وصف دريد بن الصمة فيجىء على هذا فوق الاعناق  
 متمكنا والبنان قالت فرقة هي المفاصل حيث كانت من الاعضاء وقالت فرقة  
 البنان الاصابع وهذا هو الصحيح لانه اذا قطع البنان لم يستفيع صاحبه بشيء  
 من اعضائه واستاسر وشاقوا معناه خالفوا ونابدوا وقطعوا وهو ماخوذ من  
 الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وعبر المفسرون عن قوله شاقوا اي  
 صاروا فى شق غير شقه قال (ع) وهذا وان كان معناه صحيحا فتحرير  
 الاشتقاق انما هو ما ذكرناه وقوله فان الله شديد العقاب جواب للشرط  
 تضمن وعيدا وتهديدا \* وقوله سبحانه ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار  
 اي ذلكم الضرب والقتل وما اوقع الله بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم  
 فذوقوه وكذا قرره سيبويه وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم فى موضع  
 نصب كقوله زيذا فاضربه \* وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا  
 لقيتم الذين كفروا زحفا الآية زحفا يراد به متقابلى الصفوف والاشخاص  
 اي يزحف بعضهم الى بعض واصل الزحف الاندفاع على الالية ثم سمي كل  
 ماش الى اخر فى الحرب رويدا زاحفا اذ فى مشيته من التماهل والتباطى ما  
 فى مشي الزاحف وفى هذا المعنى شواهد من كلام العرب ونهى الله سبحانه

في هذه الآية عن تولى الادبار وهذا مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي  
المومنين والفرار هنالك كبيرة موبقة بظاهر القرآن والحديث واجماع  
الاكثر من الامة \* وقوله ومن يولهم يومئذ دبره الآية قال جمهور الامة  
الاشارة بيومئذ الى يوم اللقاء الذى يتضمنه قوله اذا لقيتم وحكم الآية باق الى  
يوم القيامة بشرط الضعف الذى بينه الله سبحانه (ت) قال ابن رشد وهذا ما  
لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر الفا فان بلغ حرم الفرار وان زاد المشركون  
على الضعف للحديث لن تغلب اثنا عشر الفا من قلة فان اكثر اهل العلم  
خصصوا بهذا الحديث عموم الآية وعن ملك مثله انتهى وفهم (ع) الحديث  
على التعجب ذكره عند قوله ويوم حنين وما قاله ابن رشد هو الصواب  
والله اعلم ومتحرفا لقتال يراد به الذى يرى ان فعله ذلك انكى للعدو ونصبه  
على الحال وكذلك نصب متحيزا واما الاستثناء فهو من المولين الذين  
تضمنهم من والفئة هنا الجماعة الحاضرة للحرب هذا قول الجمهور \* وقوله  
سبحانه فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى  
هذه الالفاظ ترد على من يزعم ان افعال العباد خلق لهم ومذهب اهل السنة  
انها خلق للرب سبحانه كسب للعبد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ يومئذ  
ثلاث قبضات من حصى وتراب فرمى بها في وجوه القوم فانهمزوا عند اخر  
رمية ويروى انه قال يوم بدر شاهد الوجوه وهذه الفعلة ايضا كانت يوم  
حنين بلا خلاف وليبلي المومنين اي ليصيبهم ببلاء حسن وظاهر وصفه  
بالحسن يقتضى انه اراد الغنمة والظفر والعزة ان الله سميع لاستغاثتكم  
عليم بوجوه الحكمة في جميع افعاله لا اله الا هو \* وقوله سبحانه ذلكم  
اشارة الى ما تقدم من قتل الله لهم ورميه اياهم وموضع ذلكم من الاعراب  
رفع قال سيبويه التقدير الامر ذلكم وموهن معناه مضعف مبطل \* وقوله

سبحانه ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية قال اكثر المتأولين هذه الآية مخاطبة لكفار مكة روي ان قريشا لما عزموا على الخروج الى حمية العير تعلقوا باستار الكعبة واستفتحوا وروي ان ابا جهل قال صبيحة يوم بدر اللهم انصر احب الفتيين اليك واطهر خير الدينين عندك اللهم اقطعنا للرحم فاخذه الغداة ونحو هذا فقال الله لهم ان تطلبوا الفتح فقد جاءكم اي كما ترونه عليكم لالكم وفي هذا توبيخ لهم وان تنتهوا عن كفركم وغيكم فهو خير لكم وان تعودوا للاستفتاح نعد بمثل وقعة بدر بآي الآية بين \* وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الآية قيل انها نزلت بسبب اختلافهم في النفل ومجادلتهم في الحق وكراهيتهم خروج النبي صلى الله عليه وسلم وتولوا اصله تتولوا \* وقوله وانتم تسمعون يريد دعاءه لكم بالقرآن والمواظ \* وقوله كالذين قالوا يريد الكفار اما من قريش لقولهم سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا واما الكفار على الاطلاق \* وقوله سبحانه ان شر الدواب عند الله الصم اليكم مقصد الآية بيان ان هذه الصنيعة العاتية من الكفار هي شر الناس عند الله سبحانه وانها في احسن المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم وقوله الصم البكم عبارة عما في قلوبهم وعدم انشراح صدورهم وادراك عقولهم \* وقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم اي سماع هدى وتفهم ولو اسمهم اي ولو فهمهم لتولوا بحكم القضاء السابق فيهم ولاعرضوا عما تبين لهم من الهدى \* وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول الآية استجبوا بمعنى اجيبوا وقوله لما يحيبكم قال مجاهد والجمهور المعنى للطاعة وما يتضمنه القرآن وهذا احياء مستعار لانه من موت الكفر والجهل والطاعة تؤدي الى الحياة الدائمة في الآخرة \* وقوله سبحانه واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يحتمل

وجوها منها انه لما امرهم سبحانه بالاستجابة في الطاعة حضهم على المبادرة والاستعجال واعلمهم انه يحول بين المرء وقلبه بالموت والقبض اي فبادروا الطاعات ويلتئم مع هذا التاويل قوله وانه اليه تحشرون اي فبادروا الطاعات وتزودوها ليوم الحشر ومنها ان يقصد اعلامهم ان قدرة الله وعلمه واحاطته حائلة بين المرء وقلبه فكان هذا المعنى يحض على المراقبة والخوف لله المطلع على الضمائر حتي هذا التاويل عن قتادة ويحتمل ان يريد تخويفهم ان لم يمتثلوا الطاعات ويستجيبوا لله وللرسول ان يحل بهم ما حل بالكفار الذين ارادهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لانه حتمه عليهم بانهم لو سمعوا لم يستفموا يقتضى انه كان قد حال بينهم وبين قلوبهم ومنها ان يكون المعنى ترجية لهم بان الله يبدل الخوف الذي في قلوبهم من كثرة العدو فيجعله جراءة وقوة وبضد ذلك للكفار اي فان الله تعالى هو مقلب القلوب كما كان قسم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا قال مكي وقال الطبري هذا خبر من الله عز وجل انه املك بقلوب العباد منهم لها وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا من ايمان ولا كفر ولا يبي شيئا ولا يفهم شيئا الا باذنه ومشئته سبحانه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول في دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك انتهى من الهداية وروى مالك بن انس والنسائي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ابي بن كعب وهو في الصلاة فلم يجبه واسرع في بقية صلاته فلما فرغ جاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الم يقل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبسكم قال ابي لاجرم يا رسول الله لا تدعوني ابدا الا اجبتك الحديث بطوله واختلاف الفاظه وفي البخاري ومسلم ان ذلك وقع مع ابي سعيد بن المولى وروي انه وقع نحوه مع حذيفة بن اليمان في غزوة الخندق \* وقوله

عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة في الآية  
تاويلات اسبقها الى النفس ان الله سبحانه حذر جميع المومنين من فتنة ان  
اصابت لم تخص الظلمة فقط بل تصيب الكل من ظالم ويريء وهذا  
تاويل الزبير بن العوام والحسن البصري وكذلك تاويل ابن عباس فانه  
قال امر الله المومنين في هذه الآية ان لا يقرؤا المنكر بين اظهرهم فيعهم  
العذاب وخاصة نعم لمصدر محذوف تقديره اصابة خاصة فهي نصب على  
الحال وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره لتصين باللام على جواب  
قسم والمعنى على هذا وعيد للظلمة فقط \* وقوله سبحانه واذكروا اذ  
انتم قليل الآية هذه الآية تتضمن تعديد نعم الله على المومنين واذ ظرف  
لمعمول واذكروا تقديره واذكروا حالكم الكائنة او الثابتة اذ انتم قليل ولا  
يجوز ان تكون اذ ظرفاً للذكر وانما يعمل الذكر في اذ لو قدرناها مفعولة  
واختلف في الحال المشار اليها بهذه الآية فقالت فرقة وهي الاكثر هي  
حال المومنين بمكة في وقت بداية الاسلام والناس الذين يخاف تحطهم  
كفار مكة والمأوى المدينة والتأييد بالنصر وقعة بدر وما انجر معها في  
وقتها والطيبات الغنائم وسائر ما فتح الله عليهم به وقالت فرقة الحال  
المشار اليها هي حالهم في غزوة بدر والناس الذين يخاف تحطهم على هذا  
عسكر مكة وسائر القبائل المجاورة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان  
يتخوف من بعضهم والمأوى على هذا والتأييد بالنصر هو الامداد بالملائكة  
والتغليب على العدو والطيبات الغنيمة \* وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا  
لا تخونوا الله والرسول هذا خطاب لجميع المومنين الى يوم القيامة وهو يجمع  
انواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها والخيانة التنقص للشيء باختفاء وهي  
مستعملة في ان يفعل الإنسان خلاف ما ينبغي من حفظ امر ما مالا كان او سرا



او غير ذلك والحيانة لله عز وجل هي في تنقص او امره في سر \* وقوله وتخنونوا اماناتكم قال الطبري يحتمل ان يكون داخلا في النهي كانه قال لا تخنونا الله والرسول ولا تخنونا اماناتكم ويحتمل ان يكون المعنى لا تخنونا الله والرسول فذلك خيانة لاماناتكم \* وقوله فتنة يريد محنة واختبارا وامتحاننا ليرى كيف العمل في جميع ذلك \* وقوله وان الله عنده اجر عظيم يريد فوز الآخرة فلا تدعوا حظكم منه للحيلة على اموالكم وابنائكم فان المذخور للآخرة اعظم اجرا \* قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله الآية وعد للمؤمنين بشرط التقوى والطاعة لله سبحانه ويجعل لكم فرقانا معناه فرقنا بين حقكم وباطل من ينازعكم بالنصر والتأييد وعبر قتادة وبعض المفسرين عن الفرقان هاهنا بالنجاة وقال مجاهد والسدي معناه مخرجا ونحو هذا مما يعمه ما ذكرناه وقد يوجد للعرب استعمال الفرقان كما ذكر المفسرون وعلى ذلك شواهد منها قول الشاعر

وكيف ارجى الخلد والموت طالبي \* ومالي من كاس النية فرقان  
(ت) قال ابن رشد واحسن ما قيل في هذا المعنى قوله تعالى يجعل لكم فرقانا اي فضلا بين الحق والباطل حتى يعرفوا ذلك بقلوبهم ويهتدوا اليه انتهى من البيان \* وقوله سبحانه واذا يكر بك الذين كفروا الآية تذكير بحال مكة وضيقها مع الكفرة وجميل صنع الله تعالى في جميع ذلك والمكر المخاتلة والتدهاي تقول فلان يـمـكـر بفلان اذا كان يستدرجه وهذا المكر الذي ذكر الله تعالى في هذه الآية هو باجماع المفسرين اشارة الى اجتماع قريش في دار الندوة بمحضر ابلis في صورة شيخ نجدي على ما نص ابن اسحاق في سيره الحديث بطوله وهو الذي كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه ولا خلاف ان ذلك كان بعد موت ابي طالب ففي القصة ان ابا جهل قال الرأي ان ناخذ من

كل بطن في قريش فتي قويا جلدا فيجتمعون ثم ياخذ كل واحد منهم سيفاً ويأتون محمداً في مضجعه فيضربونه ضربة رجل واحد فلا تقدر بنوهاشم على قتال قريش بأسرها فيأخذون العقل ونستريح منه فقال النجدي صدق الفتى هذا الرأي لا رأي غيره فافترقوا على ذلك فاخبر الله تعالى بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم واذن له في الخروج الى المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من ليلته وقال ليلي بن ابي طالب التف في بردى الحضرمي واضطجع في مضجعي فانه لا يضرك شيء ففضل فجاء فتيان قريش فجعلوا يرصدون الشخص وينتظرون قيامه فيثورون به فلما قام رأوا علياً فقالوا له اين صاحبك فقال لا ادري وفي السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم في طريقه فطمس الله اعينهم عنه وجعل على رأس كل واحد منهم تراباً ومضى لوجهه فجاءهم رجل فقال ما تنتظرون قالوا محمداً قال اني رأيته الان جائياً من ناحيتكم وهو لا محالة وضع التراب على رؤوسكم فمد كل واحد يده الى رأسه فاذا عليه التراب وجاءوا الى مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوا علياً فركبوا وراءه حينئذ كل صعب وذلول وهو بالغار ومعنى ليشبتوك ليسجنوك قاله عطاء وغيره وقال ابن عباس وغيره ليوثقوك \* وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا ينسئ القراء ان قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وقولهم ان هذا الاساطير الاولين اي قصصهم المكتوبة المسطورة واساطير جمع اسطورة ويحتمل جمع اسطار وتواترت الروايات عن ابن جريج وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث وذلك انه كان كثير السفر الى فارس والحيرة فكان قد سمع من قصص الرهبان واخبار رستم واسفنديار فلما سمع القراء ان ورأى فيه اخبار الانبياء والامم قال لو شئت لقلت مثل هذا وكان النضر من مرقة قريش النائلين من النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت فيه

١٠ آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل وامكن الله منه يوم بدر وقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا بالصفراء منصرفه من بدر في موضع يقال له الاثيل وكان اسره المقداد فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه قال المقداد اسيرى يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله ما قد علمتم ثم اعاد الامر بقتله فاعاد المقداد مقاتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى اردت فضربت عنق النضر \* وقوله عز وجل واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية روي عن مجاهد وغيره ان قائل هذه المقالة هو النضر بن الحارث المذكور وفيه نزلت هذه الآية قال (ع) وترتب ان يقول النضر مقالة وينسبها القراء ان الى جميعهم لان النضر كان فيهم موسوما بالنبل والفهم مسكونا الى قوله فكان اذا قال قولا قاله منهم كثير واتبعه عليه حسب ما يفعله الناس ابدا بعلمائهم وفقهائهم (ت) وخرج البخاري بسنده عن انس بن مالك قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الى عن المسجد الحرام اه والمشار اليه بهذا هو القرآن وشرع محمد صلى الله عليه وسلم والذى حملهم على هذه المقالة هو الحسد فعميت بصائرهم عن الهدى وصمموا على ان هذا ليس بحق نعوذ بالله من جهد البلاء وسوء القضاء وحكي ابن فورك ان هذه المقالة خرجت منهم مخرج العناد وهذا بعيد في التاويل ولا يقول هذا على جهة العناد عاقل وقراءة الناس انما هي بنصب الحق على انه خبر كان ويكون هو فضلا فهو حينئذ اسم وامطر انما تستعمل غالبا في المكروه ومطر في الرحمة قاله ابو عبيدة \* وقوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية قالت فرقة نزلت هذه الآية كلها بمكة وقالت

فرقة نزلت كلها بعد وقعة بدر حكاية عما مضى وقال ابن أبيزى نزل قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بمكة اثر قولهم او ايتنا بعذاب اليم ونزل قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة في طريقه الى المدينة وقد بقي بمكة مومنون يستغفرون ونزل قوله وما لهم الا يعذبهم الله الى اخر الآيات بعد بدر عند ظهور العذاب عليهم (ت) وهذا التأويل بين وعليه اعتمد عياض في الشفا قال وفي الآية تأويل اخر ثم ذكر حديث الترمذي عن ابي موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار انتهى قال (ع) واجمع المتأولون على ان معنى قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ان الله عز وجل لم يعذب قط امة ونبيها بين اظهرها اي فما كان الله ليعذب هذه الامة وانت فيهم بل كرامتك لديه اعظم \* وقوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم الله توعدهم بعذاب الدنيا والضمير في قوله اولياءه عائد على الله سبحانه او على المسجد الحرام كل ذلك جيد وروي الاخير عن الحسن وقال الطبري عن الحسن بن ابي الحسن ان قوله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله ناسخ لقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال (ع) وفيه نظر لانه خبر لا يدخله نسخ \* وقوله سبحانه وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية المكاء الصفيق قاله ابن عباس والجمهور والتصدية عبر عنها اكثر الناس بانها التصفيق وذهب اكثر المفسرين الى ان المكاء والتصدية انما احدهما الكفار عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لتقطع عليه وعلى المومنين قراءتهم وصلاتهم وتخلط عليهم فلما نفي الله تعالى ولايتهم للبيت امكن ان يعترض منهم معترض بان يقول وكيف لانكون اولياءه ونحن نسكنه ونصلي عنده فقطع سبحانه

هذا الاعتراض بان قال وما كان صلاتهم عند البيت الا المكاء والتصدية قال (ع) والذي مربى من امر العرب في غير ما ديوان ان المكاء والتصدية كان من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به والتشريع وعلى هذا يستقيم تفييرهم وتنقصهم بان شرعهم وصلاتهم لم تكن رهبة ولا رغبة وانما كانت مكاء وتصدية من نوع اللعب ولكنهم كانوا يتزيدون فيهما وقت النبي صلى الله عليه وسلم ليشغلوه هو وامته عن القراءة والصلاة \* وقوله سبحانه فذوقوا العذاب الآية اشارة الى عذابهم ببدر بالسيف قاله الحسن وغيره فيلزم ان هذه الآية الآخرة نزلت بعد بدر ولا بد قال (ع) والاشبه ان الكل نزل بعد بدر حكاية عما مضى \* وقوله سبحانه ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية لما قتل من قتل ببدر اجتمع ابناؤهم وقراباتهم فقالوا لمن خلص ماله في العير ان محمدا قد نال منا ما ترون ولكن اعينونا بهذا المال الذي كان سبب الوقعة فلعلنا ان ننال منه نارا يريدون نفقته في غزوة احد \* وقوله سبحانه فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون الحسرة التلهف على فائت وهذا من اخبار القرآن بالغيوب قبل ان تكون فكان كما اخبر ثم اخبر سبحانه عن الكافرين وانهم يجمعون الى جهنم والحشر الجمع \* وقوله سبحانه ليميز الله الحبيث من الطيب وقرأ حمزة والكسائي ليميز الله بضم الياء وفتح الميم وشد الياء قال ابن عباس وغيره المعنى بالحبيث الكفار وبالطيب المومنون وقال ابن سلام والزجاج الحبيث ما انفقه المشركون في الصد عن سبيل الله والطيب هو ما انفقه المومنون في سبيل الله قال (ع) روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه يخرج يوم القيامة من الاموال ما كان صدقة او قربة ثم يامر بسائر ذلك فيلقى في النار وعلى التاويلين فقوله سبحانه ويجمل الحبيث بمضه على بعض فيركه جميعا

انما هي عبارة عن جمع ذلك وضه وتاليف اشتاته وتكائفه بالاجتماع ويركبه في كلام العرب يكفنه ومنه سحاب مركوم وعبارة البخاري فيركمه فيجمعه انتهى \* وقوله سبحانه ان ينتهوا يعني عن الكفر ينفروهم ما قد سلف لان الاسلام يجب ما قبله وان يعودوا يريد به الى القتال ولا يصح ان يتأول وان يعودوا الى الكفر لانهم لم ينفصلوا عنه \* وقوله فقد مضت سنة الاولين عبارة تجمع الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الامم في سالف الدهر بعذاب الله حين صد في وجه نبيه بمن هلك في يوم بدر بسيف الاسلام \* وقوله سبحانه وقتلوه حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس وابن عمر وغيرها الفتنة الشرك قال (ع) وهذا هو الظاهر ويفسر هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وقال ابن اسحاق معناها حتى لا يفتن احد عن دينه كما كانت قريش تفعل بمكة بمن اسلم \* وقوله ويكون الدين كله لله اي لا يشرك معه صنم ولاوثن ولا يبعد غيره سبحانه ثم قال تعالى فان انتهوا عن الكفر فان الله بصير بمعلم مجاز عليه عنده ثوابه وجميل المقارضة عليه \* وقوله سبحانه وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير معادل لقوله فان انتهوا المعنى وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله تعالى ينصركم عليهم وهذا وعد محض بالنصر والظفر والمولى هاهنا المولى والمعين والمولى في اللغة على معان هذا هو الذى يليق بهذا الموضع منها والمولى الذى هو السيد المقترن بالعبد يعم المؤمنين والمشركين \* وقوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان الله خمسها الآية الغنيمة في اللغة ما يناله الرجل بسعي ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الصيام في الشتاء هي الغنيمة الباردة وقوله من شيء ظاهره العموم ومعناه الخصوص فاما الناض والمتاع والاطفال والنساء وما لا يؤكل لحمه من الحيوان ويصح تملكه فالامام ياخذ

خمسه ويقسم الباقي في الجيش واما الارض فقال فيها مالك يقسمها الامام ان رأى ذلك صوابا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر اولا يقسمها بل يتركها لنواب المسلمين ان اداه اجتهاده الى ذلك كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بارض مصر وبسواد الكوفة واما الرجال ومن شارف البلوغ من الصبيان فالامام عند مالك وجمهور العلماء بخير فيهم على خمسة اوجه منها القتل وهو مستحسن في اهل الشجاعة والنكابة ومنها الفداء وهو مستحسن في ذى المنصب الذى ليس بشجاع ولا يخاف منه رأي ومكيدة لانتفاع المسلمين بالمال الذى يوحذ منه ومنها المن وهو مستحسن فيمن يرجى ان يحنو على اسرى المسلمين ونحو ذلك من القرائن ومنها الاسترقاق ومنها ضرب الجزية والترك في الذمة واما الطعام والغنم ونحوها مما يוכל فهو مباح في بلد العدو اكله وما فضل منه كان في المغنم ومحل استيعاب فروع هذا الفصل كتب الفقه \* وقوله سبحانه وما انزلنا على عبدنا اي من النصر والظهور الذى انزله الله سبحانه يوم بدر ويحتمل ان تكون الاشارة الى قرآن نزل يوم بدر اوفى قصة يوم بدر ويوم الفرقان معناه يوم الفرق بين الحق والباطل باعزاز الاسلام واذلال الشرك والجمعان يريد جمع المسلمين وجمع الكفار وهو يوم بدر ولا خلاف في ذلك \* وقوله سبحانه والله على كل شيء قدير يعضد ان قوله وما انزلنا على عبدنا يراد به النصر والظفر اي الآيات والعظام من غلبة القليل للكثير وذلك بقدرة الله عز وجل الذى هو على كل شيء قدير \* وقوله سبحانه اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم العدوة سفير الوادى وحرفه الذى يتعذر المشي فيه بمنزلة رجا البير لانها عدت ما في الوادى من ماء ونحوه ان يتجاوز الوادى اي منعت ومنه قول الشاعر

عدتني عن زيارتك العوادي \* وحالت دونها حرب زبون

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالمدوة بكسر العين وقوله الدين والقصوى انما هو بالاضافة الى المدينة وبين المدينة ووادي بدر موضع الوقعة مرحلتان والدينا من الدنو والقصوى من القصو وهو البعد والركب باجماع من المفسرين غير ابي سفيان وقوله اسفل في موضع خفض تقديره في مكان اسفل كذا قال سيبويه وكان الركب ومدير امره ابوسفيان بن حرب قد نكب عن بدر حين نذر بالنبي صلى الله عليه وسلم واخذ سيف البحر فهو اسفل بالاضافة الى اعلى الوادي \* وقوله سبحانه ولو تواعدتم لآخفتنم في الميعاد المقصد من الآية تبين نعمة الله سبحانه في شان قصة بدر وتيسيره سبحانه ما يسر من ذلك والمعنى لو تواعدتم لآخفتنم في الميعاد بسبب العوارض التي تعرض للناس الامع تيسير الله الذي تم ذلك وهذا كما تقول لصاحبك في امر سناه الله تعالى دون تب كثير لو بنينا على هذا وسعينا فيه لم يتم هكذا ولكن ليقضي الله امرًا كان مفعولا اي لينفذ ويظهر امرا قد قدره في الازل مفعولا لكم بشرط وجودكم في وقت وجودكم وهذا كله معلوم عنده عز وجل لم يتجدد له به علم وقوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال الطبري المعنى ليقتل من قتل من كفار قريش وغيرهم ببيان من الله واعذار بالرسالة ويحيى ايضا ويعيش من عاش عن بيان منه ايضا واعذار لاحجة لاحد عليه سبحانه (ت) قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب فضل العلم في قوله عز وجل ليهلك من هلك عن بينة الآية البينة ما بان به الحق انتهى وقال ابن اسحاق وغيره معنى ليهلك اي ليكفر ويحيى اي ليؤمن فالحياة والهلاك على هذا التاويل مستعارتان \* وقوله سبحانه اخذ ربكم الله في منامك قليلا الآية وتظاهرت الروايات ان هذه الآية نزلت في رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فيها عدد الكفار



قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقويت نفوسهم وحرصوا على اللقاء قاله مجاهد  
 وغيره والظاهر انه رآهم صلى الله عليه وسلم في نومه قليلا قدرهم وبأسهم  
 ويحتمل انه رآهم قليلا عددهم فكان تاويل رؤياه انهم والفشل الحور  
 عن الامر ولتنازعتم اي لتخالفتن في الامر يريد في اللقاء والحرب وسلم لفظ  
 يعم كل متخوف \* وقوله سبحانه واذ يريكموهن اذ التقيتم الآية وهذه الرؤية  
 هي في اليقظة باجماع وهي الرؤية التي كانت حين التقوا ووقعت العين على  
 العين والمعنى ان الله تعالى لما اراده من انفاذ قضائه في نصره الاسلام واظهار  
 دينه قتل كل طائفة في عيون الاخرى فوقع الخلل في التخمين والحذر الذي  
 يستعمله الناس في هذا لتجسر كل طائفة على الاخرى وتسبب اسباب الحرب  
 والامر المفعول المذكور في الآيتين هو القصة باجمعا \* وقوله والى الله ترجع  
 الامور تنبيه على ان الحول باجمعه لله وان كل امر فله واليه \* وقوله سبحانه  
 يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون  
 واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا الآية هذا امر من الله سبحانه بما فيه  
 داعية النصر وسبب العز وهي وصية منه سبحانه بحسب التقييد الذي في  
 الآية الضعف والفئة الجماعة اصلها فتوة وهي من فأوت اي جمعت ثم امر  
 سبحانه باصكثار ذكره هنالك اذ هو عصمة المستنجد ووزر المستعين قال  
 قتادة افترض الله ذكره عند اشغل ما يكون عند الضراب والسيوف قال  
 (ع) وهذا ذكر خفي لان رفع الصوت في موطن القتال ردى مكروه  
 اذا كان الفاظا فاما ان كان من الجميع عند الحملة فحسن فات في عضد العدو  
 قال قيس بن عباد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون الصوت عند  
 ثلاث عند قراءة القرءان وعند الجنابة وعند القتال وقال النبي صلى الله عليه  
 وسلم اطلبوا اجابة الدعاء عند القتال واقامة الصلاة ونزول الفيث وقال ابن

عباس يكره التلمع عند القتال قال النووي وسئل الشيخ ابو عمرو بن الصلاح عن القدر الذي يصير به المرء من الذاكرين الله كثيرا فقال اذا واظب على الاذكار الماثورة المثثة صباحا ومساء وفي الاوقات والاحوال المختلفة ليلا ونهارا وهي مينة في كتب عمل اليوم والليلة كان من الذاكرين الله كثيرا والله سبحانه اعلم انتهى من الحلية (ت) واحسن من هذا جوابه صلى الله عليه وسلم حيث قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم والترمذي وعنده قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون في ذكر الله يضع عنهم الذكر اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا قال صاحب سلاح المومن المستهترون في ذكر الله هو بفتح التاءين المثنائين يعني الذين اولعوا به يقال استهتر فلان بكذا اي اولع به والله اعلم انتهى فقد بين صلى الله عليه وسلم هنا صفة الذاكرين الله كثيرا وقد نقلنا في غير هذا المحل بيان صفة الذاكرين الله كثيرا بنحو هذا من طريق ابن المبارك واذا كان العبد مستهترا بذكر مولاه انس به واجبه واجب لقاءه فلم يبال بقاء العدو وان هي الاحدى الحسينين اما النصر وهو الاغلب لمن هذه صفته او الشهادة وذلك منه ومطلبه انتهى وتفعلون تنالون بفتحكم وتنالون اما لكم والجمهور على ان الريح هنا مستعارة قال مجاهد الريح النصر والقوة وذهب ربيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقوله سبحانه واصبروا الى اخر الآية تتميم في الوصية وعدة موضة وقوله سبحانه ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الى كفار قرش والبطر الاشرو غمط النعمة وروي ان ابا سفيان لما احرز غيره بمث الى قرش وقال ان الله قد سلم غيركم فارجموا فاتي رأي الجماعة على ذلك وخالف ابو جهل وقال والله لا نفعل حتى ناتي بدرا وكانت بدر سوقا من اسواق العرب

لها يوم موسم فننحر عليها الابل ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويهابنا الناس فهذا معنى قوله تعالى ورثاء الناس وقوله سبحانه واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس الضمير في لهم عائد على الكفار والشيطان ابليس نفسه والذي عليه الجمهور وتظاهرت به الروايات ان ابليس جاء كفار قريش ففى السير لابن هشام انه جاءهم بمكة وفى غيرها انه جاءهم وهم فى طريقهم الى بدر وقد لحقهم خوف من بنى بكر وكنانة لحروب كانت بينهم فجاءهم ابليس فى صورة سراقه بن مالك بن جعشم وهو سيد من ساداتهم فقال لهم انى جار لكم ولن تخافوا من قومى وهم لكم اعوان على مقصدكم ولن يغلبكم احد فروي انه لما التقى الجمعان كانت يده فى يد الحارث بن هشام فلما رأى الملائكة نكص فقال له الحارث اتفرياسراقه فلم يلو عليه ويروى انه قال له ما تضمنته الآية وروي ان عمير بن وهب او الحارث بن هشام قال له اين يا سراق فلم يلو مثل عدو الله فذهب ووقعب الهزيمة فتحدثوا ان سراقه فر بالناس فبلغ ذلك سراقه بن مالك فاتى مكة فقال لهم والله ما علمت بشي من امركم حتى بلغتني هزيمتكم ولا رأيتم ولا كنت معكم (ت) قال ابن اسحاق ذكرلى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقه لا يتكرونها حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان نكص عدو الله على عقبه فاوردتهم ثم اسلمهم انتهى من السيرة لابن هشام \* وقوله انى جار لكم اي انتم فى ذمتى وحماى وتراءت بفاعلت من الرؤية اي رأى هؤلاء هؤلاء \* وقوله نكص على عقبه اي رجع من حيث جاء واصل النكوص فى اللغة الرجوع القهقرى \* وقوله انى ارى ما لا ترون يريد الملائكة وهو الحبث انما شرط الاغالب لهم من الناس فلما رأى الملائكة وخرق العادة خاف وفر \* وقوله انى اخاف الله قال

الزجاج وغيره خاف مما رأى من الامر وهوله انه يومه الذى انظر اليه  
ويقوى هذا انه رأى خرق العادة ونزول الملائكة للحرب \* وقوله سبحانه  
اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية قال المفسرون ان هؤلاء  
الموصوفين بالنفاق انما هم من اهل عسكر الكفار ممن كان الاسلام داخل  
قلوبهم خرجوا مع المشركين الى بدر منهم مكروه وغير مكروه فلما اشرفوا على  
المسلمين ورأوا قتلهم ارتابوا وقالوا مشيرين الى المسلمين غر هؤلاء دينهم قال (ع)  
ولم يذكر احد ممن شهد بدرا بنفاق الا ما ظهر بعد ذلك من معتب  
ابن قشير فانه القائل يوم احد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا  
ها هنا وقد يحتمل ان يكون منافقو المدينة لما وصلهم خروج قريش فى قوة  
عظيمة قالوا هذه المقالة ثم اخبر الله سبحانه بان من توكل عليه وفوض امره  
اليه فان عزته سبحانه وحكمته كفيلة بنصره وقوله سبحانه ولو ترى اذ يتوفى  
الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم الآية هذه الآية تتضمن  
التعجب مما حل بالكفار يوم بدر قاله مجاهد وغيره وفى ذلك وعيد لمن بقي  
منهم وقوله وادبارهم قال جل المفسرين يريد استاهم ولكن الله كريم كنى وقال  
ابن عباس والحسن اراد ظهورهم وما ادير منهم وباقي الآية بين \* وقوله  
سبحانه كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم  
الله بذنوبهم الآية الدأب العادة فى كلام العرب وهو ماخوذ من دأب على  
العمل اذا لازمه \* وقوله سبحانه ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على  
قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الآية معنى هذه الآية اخبار من الله سبحانه اذا  
انعم على قوم نمة فانه باطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها وتنكيدها حتى  
يجى ذلك منهم بان يغيروا حالهم التى تراد او تحسن منهم فاذا فعلوا ذلك غير  
الله نعمته عندهم بنقمة منهم ومثال هذه نعمة الله على قريش بنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم فكفروا به فغير الله تلك النعمة بان نقلها الى غيرهم من  
 الانصار واحل بهم عقوبته \* وقوله تعالى كذاب ءال فرعون والذين من  
 قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم هذا التكرير هو لمعنى ليس  
 للاول اذ الاول دأب فى ان هلكوا لما كفروا وهذا الثانى دأب فى ان لم  
 يغير نعمتهم حتى غيروا ما بانفسهم والاشارة بقوله والذين من قبلهم الى قوم  
 شعيب وصالح وهود ونوح وغيرهم \* وقوله سبحانه ان شر الدواب عند الله  
 الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة  
 وهم لا يتقون اجمع المتأولون ان الآية نزلت فى بنى قريظة وهي بعد تعم كل من  
 اتصف بهذه الصفة الى يوم القيامة وقوله فى كل مرة يقتضى ان الغدر قد  
 تكرر منهم وحديث قريظة هو انهم عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم  
 على ان لا يجاربوه ولا يعينوا عليه عدوا من غيرهم فلما اجتمعت الاحزاب على  
 النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة غلب على ظن بنى قريظة ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 مغلوب ومستاصل وخدع حي بن اخطب النضري كعب بن اسد القرظي  
 صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم فغدروا ووالوا قريشا وامدوهم بالسلاح  
 والادراع فلما انجلت تلك الحال عن النبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى  
 بالخروج اليهم وحرهم فاستنزلوا وضربت اعناقهم بحكم سعد واستيعاب  
 قصتهم فى السير وانما اقتضيت منها ما يخص تفسير الآية \* وقوله سبحانه  
 فاما تشقظهم فى الحرب الآية معنى تشقظهم تاسرهم وتحصلهم فى ثقافتك  
 او تلقاهم بحال تقدر عليهم فيها وتغلبهم ومعنى فشرذ اي طرد وابعد وخوف  
 والشريد المبعد عن وطن ونحوه ومعنى الآية فان اسرت هؤلاء الناقضين فى  
 حربك لهم فافعل بهم من النعمة ما يكون تشريدا لمن ياتى خلفهم فى مثل  
 طريقتهن وعبرة البخاري فشرذ فرق انتهى والضمير فى لعلمهم عائد على الفرقة

المشردة وقال ابن عباس المعنى نكل بهم من خلفهم وقالت فرقة معناه سمع بهم والمعنى متقارب ومعنى خلفهم اي بعدهم ويذكرون اي يتعظون \* وقوله سبحانه واما تخافن من قوم خيانة الآية قال اكثر المفسرين ان الآية في بني قريظة والذي يظهر من الفاظ الآية ان امر بني قريظة قد انقضى عند قوله فشردهم من خلفهم ثم ابتداء تبارك وتعالى في هذه الآية بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة الى آخر الدهر وبني قريظة لم يكونوا في حد من تخاف خيانتهم وقوله فانبذ اليهم اي الق اليهم عهدهم وقوله على سواء قيل معناه حتى يكون الامر في بيانه والعلم به على سواء منك ومنهم فتكونون في استعمار الحرب سواء وذكر الفراء ان المعنى فانبذ اليهم على اعتدال وسواء من الامر اي بين لهم على قدر ما ظهر منهم لا تفرط ولا تفجأ بحرب بل افعل بهم مثل ما فعلوا بك يعني موازنة ومقايسة وقرأ نافع وغيره ولا تحسبن بالتاء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وسبقوا معناه فاتوا بانفسهم وانجوها انهم لا يعجزون اي لا يفتنون ولا يعجزون طال بهم وروي ان الآية نزلت فيمن افلت من الكفار في بدر وغيره فالمعنى لا تظنهم ناجين بل هم مدركون وقرأ حمزة وغيره ولا يحسبن بالياء من تحت وبفتح السين وقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الآية المخاطبة في هذه الآية لجميع المؤمنين وفي صحيح مسلم الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي لما كانت الخيل هي اصل الحرب واوزارها والتي عقد الخير في نواصيها خصها الله تعالى بالذكر تشريفا لها ولما كانت السهام من انجع ما يتعاطى في الحرب وانكاه في العدو واقربه تناولا للارواح خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر والتنبية عليها (ت) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعلم الرمي وتركه فليس منا او قد عصى وفي سنن ابى داود والترمذي والنسائي

عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله  
ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة انفس الجنة صانعه يحسب في صنعه الخير  
والرامي به ومنبله فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل  
شيء يلهو به الرجل باطل الارمية بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امرأته انتهى  
ورباط الخيل مصدر من ربط ولا يكثر ربطها الا وهي كثيرة ويجوز ان يكون  
مصدرا من رابط واذا ربط كل واحد من المؤمنين فرسا لاجل حاجه فقد حصل  
بينهم رباط وذلك الذي حض عليه في الآية وقد قال عليه السلام من ارتبط  
فرسا في سبيل الله فهو كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها والاحاديث في هذا المعنى  
كثيرة (ت) وقد ذكرنا بعض ما ورد في فضل الرباط في آخره ال عمران قال  
صاحب التذكرة وعن عثمان بن عفان قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول  
من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كالف ليلة صيامها وقيامها وعن ابي بن كعب  
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين  
محتسبا من غير شهر رمضان اعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط  
يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين من شهر رمضان افضل عند الله واعظم  
اجرا اراه قال من عبادة التي سنة صيامها وقيامها فان رده الله الى اهله  
سالما لم تكتب عليه سيئة الف سنة ويكتب له من الحسنات ويجرى له اجر  
الرباط الى يوم القيامة قال القرطبي في تذكرته فدل هذا الحديث على ان رباط  
يوم في رمضان يحصل له هذا الثواب الدائم وان لم يمت مرابطا خرج هذا  
الحديث والذي قبله ابن ماجه انتهى من التذكرة وترهبون معناه تحوفون  
وتفزعون والرهبة الخوف \* وقوله وءاخرين من دونهم فيه اقوال قيل هم  
المنافقون وقيل فارس وقيل غير هذا قال (ع) ويحسن ان يقدر قوله لا تعلمونهم  
بمعنى لا تعلمونهم فازعين راهبين وقال (ص) لا تعلمونهم بمعنى لا تعرفونهم

فيتعدى لو احد ومن عداه الى اثنين قدره محاربين واستبعد لعدم تقدم ذكره فهو ممنوع عند بعضهم وعزيز جدا عند بعضهم انتهى \* وقوله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها جناح الرجل الى الامر اذا مال اليه وعاد الضمير في لها مؤنثا اذ السلم بمعنى المسالمة والهدنة وذهب جماعة من المفسرين الى ان هذه الآية منسوخة والضمير في جنحوا هو للذين نبذ اليهم على سواء \* وقوله سبحانه وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله الآية الضمير في قوله وان يريدوا عائد على الكفار الذين قال فيهم وان جنحوا اي وان يريدوا ان يخدعوك بان يظهروا السلم ويبطنوا العدر والخيانة فان حسبك الله اي كافيك ومعطيك نصره وايدك معناه قواك وبالمؤمنين يريد الانصار بذلك تظاهرت اقوال المفسرين \* وقوله والف بين قلوبهم الآية اشارة الى العداوة التي كانت بين الاوس والخزرج قال (ع) ولو ذهب ذاهب الى عموم المؤمنين في المهاجرين والانصار وجعل التاليف ما كان بين جميعهم من التحاب لساغ ذلك وقال ابن مسعود نزلت هذه الآية في المتحابين في الله وقال مجاهد اذا ترائى المتحابان في الله وتصافحا تحات خطاياهما فقال له عبدة بن ابى لبابة ان هذا ليسير فقال له لا تقل ذلك فان الله تعالى يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه افقه مني قال (ع) وهذا كله تمثيل حسن بالآية لان الآية نزلت في ذلك وقد روى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن مائة لآخر فيمن لا يالف ولا يولف قال (ع) والتشابه سبب الالف فمن كان من اهل الخير الف اشباهه والفوه (ت) وفي صحيح البخاري الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف انتهى وروى مالك في الموطأ عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة اين



المتحابون لجلالى اليوم اظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وروينا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا عبد الله بن مسعود اتدرى اى عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال الولاية فى الله الحب والبغض فيه ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وعن عبد الله فى قوله تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم قال تلت فى المتحابين فى الله قال ابو عمر واما قوله اليوم اظلمهم فى ظلى فانه اراد والله اعلم فى ظل عرشه وقد يكون الظل كناية عن الرحمة كما قال ان المتقين فى ظلال وعيون يعنى بذلك ما هم فيه من الرحمة والنعيم انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال النقاش تلت هذه الآية بالبيداء فى غزوة بدر وحكي عن ابن عباس انها نزلت فى الاوس والخزرج وقيل انها نزلت حين اسلم عمر وكمل المسلمون اربعين قاله ابن عمر وانس ففى على هذا مكة وحسبك فى كلام العرب وشرعك بمعنى كافيك ويكفيك والمحسب الكافى قالت فرقة معنى الآية يكفيك الله ويكفيك من اتبعك فمن فى موضع رفع وقال الشعبي وابن زيد معنى الآية حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين فمن فى موضع نصب عطفًا على موضع الكاف لان موضعها نصب على المعنى بيكفيك التى سدت حسبك مسدها قال (ص) ورد بان الكاف ليس موضعها نصب لان اضافة حسب اليها اضافة صحيحة انتهى وقوله سبحانه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال الآية حرض المؤمنين اى حثهم وحضهم وقوله سبحانه ان يكن منكم اى اخر الآية لفظ خبر مضمنه وعد بشرط لان قوله ان يكن منكم عشرون صابرون بمنزلة ان يقال ان بصبر منكم عشرون يغلبوا وفى ضمنه الامر بالصبر قال الفخر وحسن هذا التكليف لما كان مسبوقا

بقوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فلما وعد الله المؤمنين بالكفاية والنصر كان هذا التكليف سهلا لان من تكفل الله بنصره فان اهل العالم لا يقدرّون على اذاتيه انتهى وتظاهرت الروايات عن ابن عباس وغيره من الصحابة بان ثبوت الواحد للعشرة كان فرضا على المؤمنين ثم لما شق ذلك عليهم حط الله الفرض الى ثبوت الواحد للاثنتين وهذا هو نسخ الاثقل بالاخف وقوله لا يفقهون معناه لا يفهمون مرادهم ولا مقصد قتالهم لا يريدون به الا الغلبة الدنيوية فهم يخافون الموت اذا صبر لهم ومن يقاتل ليغلب او يستشهد فيصير الى الجنة اثبت قدما لاحالة وقوله والله مع الصابرين لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بانه يغلّب وقوله سبحانه ما كان لنبي ان يكون له اسرى الآيات قال (ع) هذه آية تتضمن عندى معاقبة من الله عز وجل لاصحاب نبيه عليه السلام والمعنى ما كان ينبغي لكم ان تفعلوا هذا الفعل الذى اوجب ان يكون للنبي اسرى قبل الاثنان ولذلك استمر الخطاب لهم بتريدون والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر باستبقاء الرجال وقت الحرب ولا اراد صلى الله عليه وسلم قط عرض الدنيا وانما فعله جمهور مباشرى الحرب وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فى الآية مشيرا الى دخوله عليه السلام فى القتب حين لم يمه عن ذلك حين رآه من العريش وانكره سعد بن معاذ ولكنه صلى الله عليه وسلم شغله بفت الامر وظهور النصر عن النهي ومر كثير من المفسرين على ان هذا التوبيخ انما كان بسبب اشارة من اشار على النبي صلى الله عليه وسلم باخذ الفدية حين استشارهم فى شان الاسرى والتاويل الاول احسن والاثنان هو المبالغة فى القتل والجراحة ثم امر مخاطبة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال تريدون عرض الدنيا ي ما لها الذى يمز ويعرض والمراد ما اخذ من الاسرى من الاموال والله يريد

الآخرة اي عمل الآخرة وذكر الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس ان شئتم اخذتم فداء الاسرى ويقتل منكم في الحرب سبعون على عددهم وان شئتم قتلوا وسلمتم فقالوا نأخذ المال ويستشهد منا وذكر عبد ابن حميد بسنده ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بتخيير الناس هكذا وعلى هذا فالامر في هذا التخيير من عند الله فانه اعلام بغيث واذا خيروا رضي الله عنهم فكيف يقع التوبيخ بعد بقوله تعالى لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فهذا يدل على صحة ما قدمناه ان العتب لهم انما هو على استبقاء الرجال وقت الهزيمة رغبة في اخذ المال وهو الذي اقول به وذكر المفسرون ايضا في هذه الآيات تحليل المغنم ولا اقول ذلك لان تحليل المغنم قد تقدم قبل بدر في السرية التي قتل فيها ابن الحضرمي وانما المبتدع في بدر استبقاء الرجال لاجل المال والذي من الله به فيها الحاق فدية الكافر بالمغنم التي تقدم تحليلها وقوله سبحانه لولا كتاب من الله سبق الآية قال ابن عباس وابو هريرة والحسن وغيرهم الكتاب هو ما كان الله قضاء في الازل من احلال الغنائم والفداء لهذه الامة وقال مجاهد وغيره الكتاب السابق مغفرة الله لاهل بدر وقيل الكتاب السابق هو ان لا يعذب الله احدا بذنب الا بعد النهي عنه حكاه الطبري قال ابن العربي في احكام القراء ان وهذه الاقوال كلها صحيحة ممكنة لكن اقواها ما سبق من احلال الغنيمة وقد كانوا غنموا اول غنيمة في الاسلام حين ارسل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش انتهى وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو نزل في هذا الامر عذاب لنجا منه عمر بن الخطاب وفي حديث اخر وسعد بن معاذ وذلك ان رايهما كان ان تقتل الاسرى وقوله سبحانه فكلوا مما غنمتم الآية نص على اباحة المال الذي اخذ من الاسرى والحاق له بالغنيمة التي كان تقدم

تحليلها وقوله سبحانه يا ايها النبي . قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم روي ان الاسرى يبدر اعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم ميلا الى الاسلام وانهم ان رجعوا الى قومهم سمعوا في جلبهم الى الاسلام قال ابن عباس الاسرى في هذه الآية عباس واصحابه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم . امنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله ولننصحن لك على قومنا فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام ان كان هذا عن جد منكم وعلم الله من انفسكم الخير والاسلام فانه سيجبر عليكم افضل مما اعطيتم فدية ويغفر لكم جميع ما اجترتموه وروي ان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال في وفي اصحابي نزلت هذه الآية وقال حين اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من مال البحرين ما قدر ان يقول هذا خيرا مما اخذ مني وانا بعد ارجو ان يغفر الله لي وروي عنه انه قال ما اود ان هذه الآية لم تنزل ولي الدنيا باجمعها وذلك ان الله تعالى قد اتاني خيرا مما اخذ مني وانا ارجو ان يغفر لي وقوله فقد خانوا الله من قبل اي بالكفر فامكن منهم اي بان جعلهم اسرى والله عليم بما يبطونه حكيم فيما يجازيهم به \* وقوله سبحانه ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولائك بعضهم اولياء بعض مقصد هذه الآية وما بعدها تبين منازل المهاجرين والانصار والمومنين الذين لم يهاجروا وذكر المهاجرين بعد الحديبية فقدم اولاد ذكر المهاجرين وهم اصل الاسلام وتأمل تقديم عمر لهم في الاستشارة وهاجر معناه هجر اهله وقرابته وهجروه والذين اووا ونصروا هم الانصار فكم سبحانه على هاتين الطائفتين بان بعضهم اولياء بعض فقال كثير من المفسرين هذه الموالاة هي الموازنة والمعاونة واتصال الايدي وعليه فسر الطبري الآية وهذا الذي قالوه لازم

من دلالة لفظ الآية وقال ابن عباس وغيره هذه الموالاة هي في الموارث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اخى بين المهاجرين والانصار فكان المهاجري اذا مات ولم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ورثه اخوه الانصاري وكان المسلم الذي لم يهاجر لا ولاية بينه وبين قريبه المهاجري ولا يرثه ثم نسخ ذلك بقوله سبحانه واولوا الارحام الآية وعلى التاويلين ففي الآية حض على الهجرة قال ابو عبيدة الولاية بالكسر من وليت الامر اليه فهي في السلطان وبالفتح هي من المولى يقال مولى بين الولاية بفتح الواو \* وقوله سبحانه وان استنصروكم يعني ان استدعى هؤلاء المومنون الذين لم يهاجروا نصركم فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم لان ذلك غدر ونقض للميثاق \* وقوله سبحانه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وذلك يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة وهذه العبارة تحريض واقامة لنفوس المومنين كما تقول لمن تريد تحريضه عدوك مجتهد اي فاجتهد انت وحكي الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة انه قال ابى الله ان يقبل ايمان من امن ولم يهاجر وذلك في صدر الاسلام وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا بريء من مسلم اقام بين المشركين لا تترأى نارهما الحديث على اختلاف الفاظه وقول قتادة انما هو فيمن كان يقيم متربصا يقول من غلب كنت معه وكذلك ذكر في كتاب الطبري وغيره والضمير في قوله الاتفعلوه قيل هو عائد على الموازنة والمعاونة ويحتمل على الميثاق المذكور ويحتمل على النصر للمسلمين المستنصرين ويحتمل على الموارثة والتزامها ويجوز ان يعمود مجملا على جميع ما ذكر والفتنة المحنة بالحرب وما انجر معها من الفارات والجللاء والاسر والفساد الكبير ظهور الشرك \* وقوله سبحانه والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والسذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا

تضمنت الآية تخصيص المهاجرين والانصار وتشريفهم بهذا الوصف العظيم (ت) وهي مع ذلك عند التأمل يلوح منها تاويل قتادة المتقدم فتأمله والرزق الكريم هو طعام الجنة كذا ذكر الطبري وغيره قال ابن العربي في احكامه واذا كان الايمان في القلب حقا ظهر ذلك في استقامة الاعمال بامثال الامر واجتناب المنهي عنه واذا كان مجازا قصرت الجوارح في الاعمال اذ لم تبلغ قوته اليها انتهى والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم قوله من بعد يريد به من بعد الحديبية وذلك ان الهجرة من بعد ذلك كانت اقل رتبة من الهجرة قبل ذلك وكان يقال لها الهجرة الثانية وجاهدوا معكم لفظ يقتضى انهم تبع لاصدر \* وقوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله قال من تقدم ذكره هذه في الموارث وهي ناسخة للحكم المتقدم ذكره وقالت فرقة منها مالك ان الآية ليست في الموارث وهذا فرار من توريث الخال والعمة ونحو ذلك وقالت فرقة هي في الموارث الا انها نسخت بآية الموارث المبينة وقوله في كتاب الله معناه القرءان اي ذلك مثبت في كتاب الله وقيل في اللوح المحفوظ ككل تفسير السورة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

## تفسير سورة براءة

وهي مدنية الايتين قوله سبحانه لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخرها وتسمى سورة التوبة قاله حذيفة وغيره وتسمى الفاضحة قاله ابن عباس وقال مازال ينزل ومنهم ومنهم حتى ظن انه لا يبقى احد وهي من اخر ما انزل على

النبي صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه لابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم امان وبشارة وبراءة نزلت بالسيف ونبذ اليهود فلذلك لم تبدأ بالامان \* قوله عز وجل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين التقدير هذه الآيات براءة ويصح ان يرتفع براءة بالابتداء والخبر في قوله الى الذين وبراءة معناه تخلص وتبر من اليهود التي بينكم وبين الكفار البادين بالنقض قال ابن العربي في احكامه تقول برأت من الشيء ابرأ براءة فانا منه بريء اذا اثرلته عن نفسك وقطعت سبب ما بينك وبينه انتهى ومعنى السياحة في الارض الذهاب فيها مسرحين امنين كالسيح من الماء وهو الجاري المنبسط قال الضحاك وغيره من العلماء كان من العرب من لا عهد بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم جملة وكان منهم من بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقض وكان منهم من بينه وبينهم عهد ولم ينقضوا فقولوه فسيحوا في الارض اربعة اشهر هو اجل ضربه الله لمن كان بينه وبينهم عهد وتحسس منهم نقضه واول هذا الاجل يوم الاذان وءآخره انقضاء العشر الاول من ربيع الآخر وقوله سبحانه فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حكم مبين للاول حكم به في المشركين الذين لا عهد لهم البتة فجاء اجل تأمينهم خمسين يوما اولها يوم الاذان وءآخرها انقضاء المحرم \* وقوله الا الذين عاهدتم يريد به الذين لهم عهد ولم ينقضوا ولا تحسس منهم نقض وهم فيما روي بنو ضمرة من كنانة كان بقي من عهدهم يوم الاذان تسعة اشهر \* وقوله عز وجل واعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفلتون الله ولا تعجزونه هربا \* وقوله واذان من الله ورسوله الآية اي اعلام ويوم الحج الاكبر قال عمر وغيره هو يوم عرفة وقال ابو هريرة وجماعة هو يوم النحر وتظاهرت الروايات ان عليا اذن بهذه الآيات يوم عرفة اثر خطبة ابي بكر ثم رأى انه لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها

يوم النحر وفي ذلك اليوم يموت ابوبكر من يمينه في الاذان بها كابي  
هريرة وغيره وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذى المجاز وغيره وهذا  
هو سبب الخلاف فقالت طائفة يوم الحج الاكبر عرفة حيث وقع  
اول الاذان وقالت اخرى هو يوم النحر حيث وقع اكمال الاذان وقال سفيان  
ابن عيينة المراد باليوم ايام الحج كلها كما تقول يوم صفين ويوم الجمل  
ويتجه ان يوصف بالاكبر على جهة المدح لا بالاضافة الى اصغر معين بل  
بكون المعنى الاكبر من سائر الايام فتأمله واختصار ما تحتاج اليه هذه  
الآية على ما ذكر مجاهد وغيره من صورة تلك الحال ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم افتتح مكة سنة ثمان فاستعمل عليها عتاب بن اسيد  
وقضى امر حنين والطائف وانصرف الى المدينة فاقام بها حتى خرج الى تبوك  
ثم انصرف من تبوك في رمضان سنة تسع فاراد الحج ثم نظر في ان المشركين  
يحبون في تلك السنة ويطوفون بعبادة فقال لا اريد ان ارى ذلك فأمر  
ابا بكر على الحج بالناس وانفضه ثم اتبعه على بن ابي طالب رضي الله عنه  
على ناقته المضياء وامره ان يؤذن في الناس باربعين آية صدر سورة براءة  
وقبل ثلاثين وقيل عشرين وفي بعض الروايات عشرة آيات وفي بعضها تسع  
آيات وامره ان يؤذن الناس باربعة اشياء وهي ان لا يحج بعد العام مشرك  
ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة وفي بعض الروايات ولا يدخل الجنة كافر  
ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو الى مدته  
وفي بعض الروايات ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله اربعة اشهر  
يسيح فيها فاذا انقضت فان الله بريء من المشركين ورسوله قال (ع) واقول  
انهم كانوا ينادون بهذا كله فاربعة اشهر للذين لهم عهد وتحس منهم  
نقضه والابقاء الى المدة لمن لم يخبر منه نقض وذكر الطبري ان العرب قالت



يومئذ نحن نبرأ من عهدك ثم لام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد اسلمت  
 قریش فاسلموا كلهم ولم يسح احد قال (ع) وحینئذ دخل الناس فی دین  
 الله افواجا \* وقوله سبحانه ان الله بریء من المشركين ورسوله اي ورسوله  
 بريء منهم \* وقوله فان تبتم اي عن الكفر \* وقوله سبحانه الا الذين  
 عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا  
 اليهم عهدهم الى مدتهم هذا هو الاستثناء الذي تقدم ذكره وقرأ عكرمة  
 وغيره ينقصوكم بالضاد المعجمة ويظاهروا معناه يباؤنوا والظهير المعين \* وقوله  
 ان الله يحب المتقين تنبيه على ان الوفاء بالعهد من التقوى \* وقوله سبحانه  
 فاذا انسلك الاشهر الحرم الانسلاخ خروج الشيء عن الشيء المتلبس به كانسلاخ  
 الشاة عن الجلد فشبه انصرام الاشهر بذلك \* وقوله سبحانه فاقتلوا المشركين  
 حيث وجدتموهم الآية قال ابن زيد هذه الآية وقوله سبحانه فاما منا بعد  
 واما فداءهما محكمتان اي ليست احداهما بناسخة للآخرى قال (ع) هذا هو  
 الصواب \* وقوله وخذوهم معناه الاسر \* وقوله كل مرصد معناه مواضع  
 الغرة حيث يرصدون ونصب كل على الظرف او باسقاط الخافض التقدير في  
 كل مرصد \* وقوله فان تابوا اي عن الكفر \* وقوله سبحانه وان احد  
 من المشركين استجارك اي جلب منك عهدا وجوارا يامن به حتى يسمع  
 كلام الله يعني القرءان والمعنى يفهم احكامه قال الحسن وهذه اية محكمة وذلك  
 سنة الى يوم القيامة \* وقوله سبحانه الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام  
 الآية قال ابن اسحاق هي قبائل بني بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في  
 العهد فامر المسلمون باتمام العهد لمن لم يكن نقض منهم \* وقوله سبحانه  
 كيف وان يظاهروا عليكم الآية في الكلام حذف تقديره كيف يكون  
 لهم عهد ونحوه وفي كيف هنا تأكيد للاستبعاد الذي في الاولى ولا يرقبوا

معناه لا يراعوا ولا يحفظوا وقرأ الجمهور الا وهو الله عز وجل قاله مجاهد وابو مجلز وهو اسمه بالسريانية وعرب ويجوز ان يراد به المهد والعرب تقول للمهد والحلف والجوار ونحو هذه المعاني الا والذمة ايضا بمعنى الحلف والجوار ونحوه \* وقوله سبحانه وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الآية ويليق هنا ذكر شي من حكم طعن الذمي في الدين والمشهور من مذهب مالك انه اذا فعل شيئاً من ذلك مثل تكذيب الشريعة وسب النبي صلى الله عليه وسلم قتل \* وقوله سبحانه فقاتلوا ائمة الكفر اي رءوسهم واعيانهم الذين يقودون الناس اليه واصوب ما يقال في هذه الآية انه لا يعني بها معين وانما وقع الامر بقتال ائمة الناكثين لليهود من الكفرة الى يوم القيامة واقتضت حال كفار العرب ومحاربي النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون الاشارة اليهم اولاً ثم كل من دفع في صدر الشريعة الى يوم القيامة فهو بمنزلة من قرأ الجمهور لا ايمان لهم جمع يمين اي لا ايمان لهم يوفى بها وتبر وهذا المعنى يشبه الآية وقرأ ابن عامر وحده من السبعة لا ايمان لهم وهذا يحتمل وجهين احدهما لا تصديق لهم قال ابو علي وهذا غير قوي لانه تكرير وذلك انه وصف ائمة الكفر بانهم لا ايمان لهم والوجه في كسر الالف انه مصدر من امنته ايماناً ومنه قوله تعالى وامنهم من خوف فالمعنى انهم لا يؤمنون كما يؤمن اهل الذمة الكتابيون اذ المشركون ليس لهم الا الاسلام او السيف قال ابو حاتم فسر الحسن قراءته لا اسلام لهم قال (ع) والتكرير الذي فر ابو علي منه متجه لانه بيان المهم الذي يوجب قتلهم \* وقوله عز وجل الاتقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الآية الا عرض وتحضيض قال الحسن والمراد باخراج الرسول اخراجه من المدينة وهذا مستقيم كغزوة احد والاحزاب وقال السدي

المراد من مكة \* وقوله سبحانه وهم بدءوكم اول مرة قيل يراد افعالهم بمكة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمومنين وقال مجاهد يراد به ما بدأت به قريش من معونة بني بكر حلفائهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا بدأ النقض وقال الطبري يعني فعلهم يوم بدر قال الفخر قال ابن اسحاق والسدي والكلبي نزلت هذه الآية في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة انتهى \* وقوله سبحانه اتخشونهم استفهام على معنى التقرير والتوبيخ فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اي كاملي الايمان \* وقوله سبحانه قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم قررت الآيات قبلها افعال الكفرة ثم حض على القتال مقتربا بذنوبهم لتنبعث الحمية مع ذلك ثم جزم الامر بقتالهم في هذه الآية مقتربا بوعده وكيد يتضمن النصر عليهم والظفر بهم \* وقوله سبحانه يعذبهم الله بأيديكم معناه بالقتل والاسر ويخزهم معناه يذلهم على ذنوبهم يقال خزي الرجل يخزي خزيا اذا ذل من حيث وقع في عار واخزاه غيره وخزي يخزي خزاية اذا استحي واما قوله تعالى ويشف صدور قوم مومنين فيحتمل ان يريد جماعة المومنين لان كل ما يهد من الكفر هو شفاء من هم صدور المومنين ويحتمل ان يريد تخصيص قوم من المومنين وروي انهم خزاعة قاله مجاهد والسدي ووجه تخصيصهم انهم الذين نقض فيهم العهد ونالتهم الحرب وكان يومئذ في خزاعة مومنين كثير ويقتضي ذلك قول الخزاعي المستنصر بالنبي صلى الله عليه وسلم \* ثم اسلمنا فلم نزع يدا \* وفي اخر الرجز \* وقتلونا ركعا وسجدا \* وقراء جمهور الناس ويتوب بالرفع على القطع مما قبله والمعنى ان الآية استأنفت الخبر بانه قد يتوب على بعض هؤلاء الكفرة الذين امر بقتالهم وعبارة (ص) ويتوب الجمهور بالرفع على الاستيناف وليس بداخل في جواب الامر لان توبته سبحانه على

من يشاء ليست جزءا على قتال الكفار انتهى \* وقوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية خطاب للمؤمنين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الآية ومعنى الآية اظننتم ان تتركوا دون اختبار وامتحان والمراد بقوله ولما يعلم الله اي لما يعلم الله ذلك موجودا كما علمه اذلا بشرط الوجود وليس يحدث له علم تبارك وتعالى عن ذلك ووليجة معناه بطانة ودخيلة وهو ماخوذ من الولوج فالمعنى امرا باطنا مما ينكر وفي الآية طمن على المتنافقين الذين اتخذوا الولائج قال الفخر قال ابو عبيدة كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة واصله من الولوج قال الواحدي يقال هو وليجة للواحد والجمع انتهى \* وقوله سبحانه ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الى قوله انما يعمر مساجد الله من امن بالله الآية لفظ هذه الآية الخبر وفي ضمنها امر المؤمنين بعمارة المساجد وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان (ت) زاد ابن الخطيب في روايته فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر انتهى من ترجمة محمد بن عبد الله وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ضمن لمن كانت المساجد بيته الامن والامان والجواز على الصراط يوم القيامة خرجه علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب له وروى البغوي ايضا في هذا المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اوطن الرجل المساجد بالصلاة والذكر تبشش الله له كما يتبشش اهل الغائب لغائبهم اذا قدم عليهم انتهى من الكوكب الدرري قيل ومعنى يتبشش اي يفرح به \* وقوله سبحانه ولم يخش الا الله يريد خشية التعظيم والعبادة وهذه مرتبة العدل من الناس ولا محالة ان الانسان يخشى غيره ويخشى المحاذير الدنيوية وينبغي ان يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه \* وقوله

سبحانه اجعلتم سقاية الحاج الآية سقاية الحاج كانت في بني هاشم وكان العباس يتولاها قال الحسن ولما نزلت هذه الآية قال العباس ما ارانى الا ترك السقاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا عليها فهي خير لكم وعمارة المسجد الحرام قيل هي حفظه ممن يظلم فيه او يقول هجرا وكان ذلك الى العباس وقيل هي السدانة او خدمة البيت خاصة وكان ذلك في بني عبد الدار وكان يتولاها عثمان بن طلحة وابن عمه شيبه وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم لهما ثاني يوم الفتح وقال خذاها خالدة تالدة لا ينازعكموها الا ظالم واختلف الناس في سبب نزول هذه الآية فقال مجاهد امروا بالهجرة فقال العباس انا اسقى الحاج وقال عثمان بن طلحة انا حاجب الكعبة وقال محمد بن كعب ان العباس وعليها عثمان بن طلحة تفاخروا فنزلت الآية وقيل غير هذا \* وقوله سبحانه الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله الآية لما حكم سبحانه في الآية المتقدمة بان الصنفين لا يستوون بين ذلك في هذه الآية الاخيرة ووضحه فعدد الايمان والهجرة والجهاد بالمال والنفس وحكم على ان اهل هذه الحصال اعظم درجة عند الله من جميع الخلق ثم حكم لهم بالفوز برحمته ورضوانه والفوز بلوغ البقية اما في نيل رغبة او نجاة من هلكة وينظر الى معنى هذه الآية الحديث دعوا الى اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصفه ولان اصحاب هذه الحصال على سيوفهم انبى الاسلام وتمهد الشرع \* وقوله سبحانه يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان هذا وعد كريم من رب رحيم وفي الحديث الصحيح اذا استقر اهل الجنة في الجنة يقول الله عز وجل لهم هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول انى ساعطيكم افضل من ذلك رضوانى ارضى عليكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث \*

وقوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لاتخذوا بآءكم واخوانكم اولياء ان استجبوا الكفر على الايمان ظاهر هذه المخاطبة انها لجميع المؤمنين كافة وهي باقية الحكم الى يوم القيامة وروت فرقة انها نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفر \* وقوله سبحانه قل ان كان آباءكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم الآية هذه الآية تقوى مذهب من رأى ان هذه الآية والتي قبلها انما مقصودها الحض على الهجرة وفي ضمن قوله فتربصوا وعيد بين \* وقوله بآمره قال الحسن الاشارة الى عذاب او عقوبة من الله تعالى وقال مجاهد الاشارة الى فتح مكة وذكر الابناء في هذه الآية دون التي قبلها لما جلبت ذكرهم المحبة والابناء صدر في المحبة وليسوا كذلك في ان تتبع آراءهم كما في الآية المتقدمة واقترفتوها معناه اكتسبتموها ومساكن جمع مسكن بفتح الكاف مفعل من السكنى وما كان من هذا معتل الفاء فانما يأتى على مفعل بكسر العين كموعد وموطن \* وقوله سبحانه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حين هذه مخاطبة لجميع المؤمنين يمدد الله تعالى نعمه عليهم والمواطن المشار اليها بدر والخندق والنضير وقرينة وخيبر وغيرها وحين واد بين مكة والطائف \* وقوله اذا عجبتمكم كثرتكم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين رأى جملة اثني عشر الفا لن تغلب اليوم من قلة وروي ان رجلا من اصحابه قالها فاراد الله تعالى اظهار العجز فظهر حين فر الناس (ت) العجب جأز في حق غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه صلى الله عليه وسلم والصواب في فهم الحديث انه خرج مخرج الاخبار لا على وجه العجب وعلى هذا فهمه ابن رشد وغيره وانه اذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر الفا حرم الفرار وان زاد عدد المشركين على الضعف وعليه عول في الفتوى وقوله تعالى وضائق عليكم الارض بما رحبت معناه

برحبها كانه قال على ما هي عليه في نفسها رجة واسعة لشدة الحال وصعوبتها  
 فما مصدرية \* وقوله سبحانه ثم ولتيم مدبرين اي فرارا عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم واختصار هذه القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح  
 مكة وكان في عشرة الاف من اصحابه وانضاف اليهم الفان من الطلقاء  
 فصار في اثني عشر الفا سمع بذلك كفار العرب فشق عليهم فجمعت له  
 هوازن والفاها وعليهم ملك بن عوف النصري وثقيف وعليهم عبد ياليل بن  
 عمرو وانضاف اليهم اخلاط من الناس حتى كانوا ثلاثين الفا فخرج اليهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا بجنين فلما تصاف الناس حمل  
 المشركون من محاني الوادي وانهزم المسلمون قال قتادة وكان يقال ان  
 الطلقاء من اهل مكة فروا وقصدوا القاء الهزيمة في المسلمين وكان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء قد اكتنفه العباس عمه وابن عمه  
 ابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وبين يديه ايمن بن ام ايمن وثم قتل رحمه  
 الله والنبي صلى الله عليه وسلم يقول

انا النبي لا كـذب \* انا ابن عبد المطلب

فلما رأى نبي الله صلى الله عليه وسلم شدة الحال نزل عن بغلته الى الارض قاله  
 البراء بن عازب واستنصر الله عز وجل فاخذ قبضة من تراب وحصى فرمى  
 بها في وجوه الكفار وقال شأهت الوجوه ونادى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بالانصار وامر العباس ان ينادي اين اصحاب الشجرة اين اصحاب سورة  
 البقرة فرجع الناس عنقا واحدا للحرب وتصافحوا بالسيوف والطعن والضرب  
 وهناك قال عليه السلام الآن حي الوطيس وهزم الله المشركين واعلى كلمة  
 الاسلام الى يوم الدين قال يعلى بن عطاء فخذني ابناء المنهزمين عن ابائهم قالوا  
 لم يبق منا احد الا دخل عينيه من ذلك التراب واستيعاب هذه القصة في

كتب السير ومديرين نصب على الحال الموكدة كقوله وهو الحق مصداقا  
 والموكدة هي التي يدل ما قبلها عليها كدلالة التولى على الادبار \* وقوله  
 سبحانه ثم انزل الله سكينته الآية السكينة النصر الذي سكنت اليه  
 ومعه النفوس والجنود الملائكة والرعب قال ابو حازم يزيد بن عامر كان في  
 اجوافنا مثل ضربة الحجر في الطست من الرعب وعذب الذين كفروا اي  
 بالقتل والاسر وروى ابو داود عن سهل بن الخنظلية انهم ساروا مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كان عشية فحضرت الصلاة  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فارس فقال يا رسول الله اني  
 انطلقت بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا انا بهوازن على  
 بكرة ابهم بظنهم ونعمهم وشياهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله الحديث انتهى  
 فكانوا كذلك غنيمة بحمد الله كما اخبر صلى الله عليه وسلم \* وقوله عز  
 وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال ابن عباس وغيره معنى  
 الشرك هو الذي نجسهم كنجاسة الخمر ونص الله سبحانه في هذه الآية  
 على المشركين وعلى المسجد الحرام فقام مالك رحمه الله وغيره جميع الكفار  
 من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام  
 ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد وقوة قوله سبحانه فلا يقربوا يقتضى  
 امر المسلمين بمنهم \* وقوله بعد عامهم هذا يريد بعد عام تسع من الهجرة  
 وهو عام حجة ابي بكر بالناس \* وقوله سبحانه وان خفتم عيلة اي فقرا  
 فسوف يغنيكم الله من فضله وكان المسلمون لما منع المشركون من الموسم وهم  
 كانوا يجلبون الاطعمة والتجارات قذف الشيطان في نفوسهم الخوف من الفقر  
 وقالوا من اين نميش فوعدهم الله سبحانه بان يغنيهم من فضله فكان الامر كما



وعد الله سبحانه فاسلمت العرب فتمادى حجبهم وتجرحهم واغنى الله من فضله  
بالجهاد والظهور على الامم \* وقوله سبحانه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله  
ولا باليوم الآخر الآية هذه الآية تضمنت قتال اهل الكتاب قال مجاهد  
وعند نزول هذه الآية اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو الروم  
ومشى نحو تبوك ونفى سبحانه عن اهل الكتاب الايمان بالله واليوم الآخر  
حيث تركوا شرع الاسلام وايضا فكانت اعتقاداتهم غير مستقيمة لانهم  
تشعبوا وقالوا عزيز بن الله والله ثالث ثلاثة وغير ذلك ولهم ايضا في البعث  
اراء فاسدة كشراء منازل الجنة من الرهبان الى غير ذلك من الهذيان ولا  
يدنبون دين الحق اي لا يطيعون ولا يمتثلون ومنه قول عائشة ما عقلت ابوي  
الا وهما يدينان الدين والدين هنا الشريعة قال ابن القاسم واشهب وسخنون  
وتؤخذ الجزية من مجوس العرب والامم كلها واما عبدة الاوثان والنيران وغير  
ذلك فجمهور العلماء على قبول الجزية منهم وهو قول مالك في المدونة وقال  
الشافعي وابو ثور لا تؤخذ الجزية الا من اليهود والنصارى والمجوس فقط  
واما قدرها في مذهب مالك وغيره فاربعة دنانير على اهل الذهب واربعون  
درهما على اهل الفضة وهذا في العنوة واما الصلح فهو ما صالحوا عليه قليل او  
كثير \* وقوله عن يد يحتمل وجوها منها ان يريد عن قوة منكم عليهم  
وقهر واليد في كلام العرب القوة ومنها ان يريد سوق الذمي لها بيده لان  
يبيعنها مع رسول ليكون في ذلك اذلال لهم ومنها ان يريد نقدها ناجزا  
تقول بعت يدا بيد اي لا يوخروا بها ومنها ان يريد عن استسلام يقال القى فلان  
بيده اذا عجز واستسلم \* وقوله سبحانه وقالت اليهود عزيز بن الله الذي  
كثر في كتب اهل العلم ان فرقة من اليهود قالت هذه المقالة وروي  
انه قالها نفر يسير منهم فنحاص وغيره قال النقاش ولم يبق الا يهودي

يقولها بل انقروضوا قال (ع) فاذا قالها ولو واحد من رؤسائهم توجهت شحنة المقالة على جماعتهم وحكي الطبري وغيره ان بني اسرائيل اصابهم فتن وجلاء وقيل مرض واذهب الله عنهم التوراة في ذلك ونسوها وكان علماءهم قد دفنوها اول ما احسوا بذلك البلاء فلما طالت المدة فقدت التوراة جملة فحفظها الله عزيراً كرامة منه له فقال لبني اسرائيل ان الله قد حفظني التوراة فجعلوا يدرسونها من عنده ثم ان التوراة المدفونة وجدت فاذا هي مساوية لما كان عزير يدرس فضلوا عند ذلك وقالوا ان هذا لم يتيسر لعزير الا وهو ابن الله نعوذ بالله من الضلال \* وقوله بافواهم اي بمجرد الدعوى من غير حجة ولا برهان ويضاهون قراءة الجماعة ومعناه يحاكون ويمثلون والاشارة بقوله الذين كفروا من قبل اما لمشركي العرب اذ قالوا الملائكة بنات الله قاله الضحاك واما لامم سالفه قبلها واما للصدر الاول من كفره اليهود والنصارى ويكون يضاهون لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الضمير في يضاهون للنصارى فقط كانت الاشارة بالذين كفروا من قبل الى اليهود وعلى هذا فسر الطبري وحكاه غيره عن قتادة \* وقوله قاتلهم الله دعاء عليهم عام لانواع الشروع عن ابن عباس ان المعنى لعنهم الله قال الداودي وعن ابن عباس قاتلهم الله لعنهم الله وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن انتهى واني يوفكون اي يرفضون عن الخير \* وقوله سبحانه اتخذوا اجارهم ورهبانهم الآية هذه الآية يفسرها ما حكاه الطبري ان عدي بن حاتم قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك فسمعته يقرأ اتخذوا اجارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله فقلت يا رسول الله وكيف ذلك ونحن لم نعبدهم فقال اليس تستحلون ما احلوا وتحرمون ما حرموا قلت نعم قال فذلك ومعنى سبحانه تنزيهاً له

ونور الله في هذه الآية هداة الصادر عن القرآن والشرع \* وقوله بأفواههم عبارة عن قلة حيلتهم وضعفها \* وقوله بالهدى يعم القرآن وجميع الشرع \* وقوله ليظهره على الدين كله وقد فعل ذلك سبحانه فالضمير في ليظهره عائد على الدين وقيل على الرسول وهذا وان كان صحيحا فالتأويل الاول ابرع منه واليق بنظام الآية \* وقوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل المراد بهذه الآية بيان نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن تلك النقائص مترتب ضمن ذلك واللام في لياكلون لام التوكيد وصورة هذا الاكل هي بانهم ياخذون من اموال اتباعهم ضرائب وفروضا باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم ان النفقة فيه من الشرع والتقرب الى الله وهم خلال ذلك يحتجون تلك الاموال كالذى ذكره سلمان في كتاب السير عن الراهب الذى استخرج كنزه \* وقوله سبحانه ويصدون عن سبيل الله اي عن شريعة الاسلام والايمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم \* وقوله سبحانه والذين ابتداء وخبره فبشرهم والذى يظهر من الفاظ الآية انه لما ذكر نقص الاحبار والرهبان الآكلين للمال بالباطل ذكر بعد ذلك بقول عام نقص الكاذبين المانعين حق المال وقرأ طلحة بن مصرف الذين يكتزون بغير واو وعلى هذه القراءة يجرى قول معاوية ان الآية في اهل الكتاب وخالفه ابو ذر فقال بل هي فينا ويكتزون معناه يجمعون ويحفظون في الاوعية وليس من شرط الكنز الدفن والتوعد في الكنز انما وقع على منع الحقوق منه وعلى هذا كثير من العلماء وقال علي رضي الله عنه اربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما زاد عليها فهو كنز وان اديت زكاته وقال ابو ذر وجماعة معه ما فضل من مال الرجل على حاجة نفسه فهو كنز وهذان القولان يقتضيان ان الذم في حبس المال لا في منع

زكاته فقط (ت) وحدث ابو بكر بن الخطيب بسنده عن علي بن ابي طالب وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله فرض للفقراء في اموال الاغنياء قدر ما يسمعهم فان منعوهم حتى يجوعوا ويعرؤا ويجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا انتهى \* وقوله سبحانه فتكوى بها جباههم الآية قال ابن مسعود والله لا يمس دينار دينار بل يد الجلد حتى يكوى بكل دينار وبكل درهم قال الفخر قال ابو بكر الوراق وخصت هذه المواضع بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا جلس الى جنبه تباعد عنه وولاه ظهره انتهى \* وقوله سبحانه ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله هذه الآية والتي بعدها تتضمن ما كانت العرب عليه في جاهليتها من تحريم شهور الحل وتحليل شهور الحرمه واذا نص ما كانت العرب تفعله تبين معنى الآيات فالذى تظاهرت به الروايات ويتخلص من مجموع ما ذكره الناس ان العرب كانت لا عيش لاكثرها الا من الغارات واعمال سلاحها فكانوا اذا توالى عليهم حرمة الاشهر الحرم صعب عليهم واملقوا وكان بنو فقيم من كنانة اهل دين في العرب وتمسك بشرع ابراهيم عليه السلام فانتدب منهم القلمس وهو حذيفة بن عبد فقيم فنسى الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك بنوه وذكر الطبري وغيره ان الامر كان في عدوان قبل بني مالك بن كنانة وكانت صورة فعلهم ان العرب كانت اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا انسانا شهرا اي اخر عنا حرمة الحرم فاجعلها في صفر فيحل لهم المحرم فيغيرون فيه ثم يلتزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الاشهر الحرم الاربعة قال مجاهد ويسمون ذلك الصفر المحرم ثم يسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا في سائر الشهور وتجيئ السنة من ثلاثة عشر شهرا

اولها المحرم المحلل ثم المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر وفى هذا قال الله عز وجل  
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اى ليست ثلاثة عشر ثم كانت حجة  
ابى بكر فى ذى القعدة حقيقة وهم يسمونه ذا الحجة ثم حج رسول الله  
صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى ذى الحجة حقيقة فذلك قوله عليه السلام  
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا  
عشر شهرا منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى  
بين جمادى وشعبان \* وقوله فى كتاب الله اى فيما كتبه واثبت فى اللوح  
المحفوظ او غيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليست بمعنى قضائه وتقديره  
لان تلك هي قبل خلق السموات والارض \* وقوله سبحانه منها اربعة  
حرم نص على تفضيل هذه الاربعة وتشريفها قال قتادة اصطفى الله من الملائكة  
والبشر رسلا ومن الشهور المحرم ورمضان ومن البقع المساجد ومن الايام الجمعة  
ومن الليالى ليلة القدر ومن الكلام ذكره فينبغى ان يعظم ما عظم الله \*  
وقوله سبحانه ذلك الدين القيم قالت فرقة معناه الحساب المستقيم وقال ابن  
عباس فيما حكى المهدوي معناه القضاء المستقيم قال (ع) والاصوب عندي ان  
يكون الدين هاهنا على اشهر وجوهه اى ذلك الشرع والطاعة \* وقوله فلا  
تظلموا فيهن اى فى الاثني عشر شهرا اى لا تظلموا انفسكم بالمعاصي فى  
الزمان كله وقال قتادة المراد الاربعة الاشهر وخصصت تشريفا لها قال سعيد بن  
المسيب كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرم القتال فى الاشهر الحرم بما انزل الله  
فى ذلك حتى نزلت براءة \* وقوله تعالى وقاتلوا المشركين معناه فيهن فاحرى  
فى غيرهن وقوله كافة معناه جميعا \* وقوله سبحانه انما النسيى يعنى فعل  
العرب فى تاخيرهم الحرمة زيادة فى الكفر اى جار مع كفرهم بالله وخلافهم  
لاحق فالكفر متكرر بهذا الفعل الذى هو باطل فى نفسه ومما وجد فى

## اشعارهم قول جذل الطعان

وقد علمت معد ان قـومى \* كرام الناس ان لهم كراما  
 السنا الناسين على معد \* شهو الحال نجعلها حراما  
 وقوله سبحانه يحلونه عاما ويحرمونه عاما معناه عاما من الاعوام وليس يريد  
 ان تلك كانت مداولة \* وقوله سبحانه لواطنوا عدة ما حرم الله معناه  
 ليوافقوا والمواطأة الموافقة \* وقوله سبحانه يا ايها الذين ءامنوا ما لكم اذا قيل  
 لكم انفروا فى سبيل الله انا قلتم الى الارض هذه الآية بلا خلاف انها نزلت  
 عتابا على تخلف من تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وكانت سنة  
 تسع من الهجرة بعد الفتح بمقام غزا فيها الروم فى عشرين الفا بين راكب وراجل  
 وانفروا هو التنقل بسرعة من مكان الى مكان وقوله انا قلتم اصله تشاقلتم وكذلك  
 قرأ الاعمش وهو نحو قوله اخلد الى الارض \* وقوله ارضيتم تقرير والمعنى ارضيتم  
 نزر الدنيا على خطير الآخرة وحظها الاسعد قال ابن هشام فمن من قوله من  
 الآخرة للبدل انتهى ثم اخبر سبحانه ان الدنيا بالاضافة الى الآخرة قليل نزر  
 فتعطى قوة الكلام التعجب من ضلال من يرضى النزر الفانى بدل الكثير الباقي  
 (ت) وفى صحيح مسلم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا  
 فى الآخرة الامثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بما ذا ترجع قال ابو  
 عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى \* وقوله سبحانه الاتنفروا يعذبكم  
 شرط وجواب ولفظ العذاب عام يدخل تحته انواع عذاب الدنيا والآخرة \*  
 وقوله ويستبدل قوما غيركم توعده بان يبدل لرسوله عليه السلام قوما لا يقعدون  
 عند استنفاره اياهم والضمير فى قوله ولا تضروه شيأ عائدا على الله عز وجل  
 ويحتمل ان يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليتى \* وقوله سبحانه  
 الاتنصروه فقد نصره الله هذا ايضا شرط وجواب ومعنى الآية انكم

ان تركتم نصره فالله متكفل به اذ قد نصره في موضع القلة والانفراد  
وكثرة العدو ولن يترك نصره الآن \* وقوله اذ اخرجهم الذين كفروا اسند  
الاخراج اليهم تذييلا لهم ولما كان مقصد ابي سفيان بن الحارث الفخري قوله  
من طردت كل مطرد لم يقره النبي صلى الله عليه وسلم على ما علم في كتب  
السيرة والاشارة الى خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة  
وفي صحبته ابو بكر واختصار القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان  
يستظر اذن الله سبحانه في الهجرة من مكة وكان ابو بكر حين ترك ذمة ابن  
الدغنة قد اراد الخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر لعل الله ان  
يسهل الصعبة فلما اذن الله لنبيه في الخروج تجهز من دار ابي بكر وخرجا  
فبيا في الغار الذي في جبل ثور في غربي مكة ثلاث ليال وخرج المشركون  
في اثرهم حتى انتهوا الى الغار فطمس الله عليهم الاثر وقال ابو بكر للنبي  
صلى الله عليه وسلم لو نظر احدكم الى قدمه لراء انا فقال له النبي صلى الله عليه  
وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما هكذا في الحديث الصحيح ويروى ان  
العنكبوت نسجت على باب الغار ويروى ان الحمامة عشت عند باب الغار  
وكان يروح عليها بالبن عامر بن فهيرة \* وقوله ثاني اثنين معناه احد اثنين \*  
وقوله ان الله معنا يريد بالنصر والنجاة واللاطف \* وقوله سبحانه وكلمة الله  
هي العليا قيل يريد لا اله الا الله وقيل الشرع باسره \* وقوله سبحانه انفروا  
خفافا وثقالا معنى الخفة والشغل هاهنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن  
يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالعبي ونحوهم فخارج عن هذا وقال ابو  
طلحة ما اسمع الله عذر احدا وخرج الى الشام لجاهد حتى مات وقال ابو ايوب  
ما اجدني ابدا الا خفيفا او ثقيلا \* وقوله سبحانه ذلكم خير لكم ان كنتم  
تعلمون تنبيه وهز للنفوس \* وقوله سبحانه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا

لا تبعوك هذه الآية في المنافقين المتخلفين في غزوة تبوك وكشف ضمايرهم واما  
الآيات التي قبلها فعامّة فيهم وفي غيرهم والمعنى لو كان هذا الغزو لعرّض اي  
لمال وغنيمة تنال قريبا بسفر قاصد يسير لبأدروا لا لوجه الله ولكن بعدت عليهم  
الشقة وهي المسافة الطويلة \* وقوله وسيخلفون بالله يريد المنافقين وهذا اخبار  
بغيب \* وقوله عز وجل عفا الله عنك لم اذن لهم هذه الآية هي في  
صنف مبالغ في النفاق استاذنوا دون اعتذار منهم الجحد بن قيس ورفاعة بن  
التابوت ومن اتبعهم قال مجاهد وذلك ان بعضهم قال نستأذنه فان اذن في القعود  
قعدنا والا قعدنا وقدم له العنوق قبل العتاب اكراما له صلى الله عليه وسلم  
وقالت فرقة بل قوله سبحانه عفا الله عنك استفتاح كلام كما تقول اصلحك  
الله واعزك الله ولم يكن منه عليه السلام ذنب يعنى عنه لان صورة  
الاستنفار وقبول الاعتذار مصروفة الى اجتهاده \* وقوله حتى يتبين لك  
الذين صدقوا يريد في استيذانك وانك لو لم تاذن لهم خرجوا معك \* وقوله  
وتعلم الكاذبين اي بخالفتك لو لم تاذن لانهم عزموا على العصيان اذنت  
لهم او لم تاذن وقال الطبري معناه حتى تعلم الصادقين في ان لهم عذرا  
والكاذبين في ان لا عذر لهم والاول اصبوب والله اعلم واما قوله سبحانه  
في سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شأنهم الآية في غزوة الخندق نزلت  
وارتابت قلوبهم اي شككت ويترددون اي يحيرون اذ كانوا تخطر لهم صحة  
امر النبي صلى الله عليه وسلم احيانا وانه غير صحيح احيانا فهم مذبذبون \*  
وقوله سبحانه ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة اي لو ارادوا الخروج بنياتهم  
لنظروا في ذلك واستعدوا له \* وقوله ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم قال (ص)  
ولكن اصلها ان تقع بين نقيضين او ضدين او خلافتين على خلاف فيه  
انتهى وانبعاثهم نفوذهم لهذه الغزوة والتشبيط التكسيل وكسرا لعزم \*



وقوله سبحانه وقيل اقمدا ويحتمل ان يكون حكاية عن الله اي قال الله في سابق قضائه اقمدا مع القاعدين ويحتمل ان يكون حكاية عنهم اي كانت هذه مقالة بعضهم لبعض ويحتمل ان يكون عبارة عن اذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم في القعود اي لما كره الله خروجهم يسرا ان قلت لهم اقمدا مع القاعدين والقعود هنا عبارة عن التخلف وكرهية الله انبعاثهم رفقا بالمؤمنين \* وقوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الجبال الفساد في الاشياء المتولفة كالمودات وبعض الاجرام ولا اوضعوا معناه لاسرعوا السير وخلالكم معناه فيما بينكم قال (ص) خلالكم جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين وانتصب على الظرف بلا اوضعوا ويبغونكم حال اي باغين انتهى والايضاع سرعة السير ووقعت لا اوضعوا بألف بعد لا في المصحف وكذلك وقعت في قوله اولاذبحنه يبغونكم الفتنة اي يطلبون لكم الفتنة وفيكم ساعون لهم قال مجاهد وغيره معناه جواسيس يسمعون الاخبار وينقلونها اليهم وقال الجمهور معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم \* وقوله سبحانه لقد ابتغوا الفتنة من قبل في هذه الآية تحقير لشأنهم ومعنى قوله من قبل ما كان من حالهم في أحد وغيرها ومعنى قوله وقلوبوا لك الامور ديروها ظهرا لبطن وسعوا بكل حيلة ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس واسند الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا ثبات الاصفر فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء وقال ابن عباس ان الجد قال ولكني اعينك بمالي \* وقوله سبحانه الا في الفتنة سقطوا اي في الذي اظهروا الفرار منه \* وقوله سبحانه ان تصبك حسنة الآية الحسنة هنا بحسب الفوزة هي الغنيمة والظفر والمصيبة الهزيمة والحيلة واللفظ عام بعد ذلك في كل محبوب ومكره ومعنى قوله قد اخذنا امرنا من قبل اي قد اخذنا بالحزم في تخلفنا ونظرنا

لا نفسنا ثم امر تعالى نبيه فقال قل لهم يا محمد لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وهو اما ظفرا وسرورا عاجلا واما ان نستشهد فندخل الجنة وباقى الآية بين \* وقوله سبحانه قل هل تربصون بنا الا احدى الحسينين اى قل للمنافقين والحسينين الظفر والشهادة \* وقوله او بايدنا يريد القتل \* وقوله سبحانه قل انفقوا طوعا او كرها الآية سبها ان الجد بن قيس حين قال ائذن لى ولا تقتنى قال انى اعينك بما لى فنزلت هذه الآية فيه وهى عامة بعده \* وقوله عز وجل وما منهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله وفى صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان ثواب الكافر على افعاله البرة هو فى الطعمة يطعمها ونحو ذلك وهذا مقنع لا يحتاج معه الى نظر واما ان ينتفع بها فى الآخرة فلا وكسالى جمع كسلان \* وقوله سبحانه فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا الآية حقر فى الآية شأن المنافقين وعلل اعطاء الله لهم الاموال والاولاد بارادته تعذيبهم بها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال ابن زيد وغيره تعذبهم بها فى الدنيا هو بمصائبها ورزاياها هي لهم عذاب اذ لا يوجرون عليها ومن ذلك قهر الشرع لهم على اداء الزكاة والحقوق الواجبات قال الفخر اما كون كثرة الاموال والاولاد سببا للمذاب فى الدنيا فاصل من وجوه منها ان كلما كان حب الانسان للشيء اشد واقوى كان حزنه وتألم قلبه على فراقه اعظم واصعب ثم عند الموت يعظم حزنه وتشتد حسرته لمفارقتة المحبوب فالمشغوف بحب المال والولد لا يزال فى تعب فيحتاج فى اكتساب الاموال وتحصيلها الى تعب شديد ومشقة عظيمة ثم عند حصولها يحتاج الى متاعب اشد واصعب فى حفظها وصونها لان حفظ المال بعد حصوله اصعب من اكتسابه ثم انه لا ينتفع الابا لقليل من تلك الاموال فالتعب كثير والنفع قليل

ثم قال واعلم ان الدنيا حلوة خضرة والحواس الخمس مائلة اليها فاذا كثرت وتوالت استغرقت فيها وانصرف الانسان بكليته اليها فيصير ذلك سببا لحرمانه من ذكر الله ثم انه يحصل في قلبه نوع قسوة وقوة وقهر وكلما كان المال والجاه اكثر كانت تلك القسوة اقوى والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فظهر ان كثرة الاموال والاولاد سبب قوي في زوال حب الله تعالى وحب الآخرة من القلب وفي حصول الدنيا وشهواتها في القلب وعند الموت كان الانسان يتنقل من البستان الى السجن ومن مجالسة الاقرباء والاحبة الى موضع العربة والكربة فيعظم تألمه ويقوى حزنه ثم عند الحشر حلالها حساب وحرامها عقاب فثبت ان كثرة الاموال والاولاد سبب لحصول العذاب في الدنيا والآخرة انتهى ثم اخبر سبحانه انهم ليسوا من المؤمنين وانما هم يفرعون منهم والفرق الخوف \* وقوله سبحانه لو يجدون ملجأ للملجأ من لجأ يلجأ اذا اوى واعتصم وقرأ الجمهور او مفارقات بفتح الميم وهي الغيران في اعراض الجبال او مدخلا معناه السرب والنفق في الارض وهو تفسير ابن عباس في هذه الالفاظ وقرأ جمهور الناس يمححون ومعناه يسرعون قال الفخر قوله وهم يمححون اي يسرعون اسرعا لا يرد وجوهم شيء ومن هذا يقال جمع الفرس وفرس جموح وهو الذى اذا حمل لم يرده الاجسام انتهى \* وقوله عز وجل ومنهم من يلزمك الآية اي ومن المنافقين من يلزمك اي ييبك وياخذ منك في الغيبة ومنه قول الشاعر

اذا لقيتك تبدى لي مكاشرة \* وان اغيب فانت الهامز اللمزه  
ومنه قوله سبحانه ويل لكل همزة لمزة \* وقوله سبحانه ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله الآية المعنى لو ان هؤلاء المنافقين رضوا قسمة الله الرزق

لهم وما اعطاهم على يد رسوله واقرؤا بالرغبة الى الله لكان خيرا لهم وحذف الجواب لدلالة ظاهر الكلام عليه وذلك من فصيح الكلام واجازه وقوله سبحانه انما الصدقات للفقراء الآية انما في هذه الآية حاصرة تقتضي وقوف الصدقات على الثمانية الاصناف وانما اختلف في صورة القسمة ومذهب مالك وغيره ان ذلك على قدر الاجتهاد وبحسب الحاجة واما الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وابن زيد وغيرهم المساكين الذين يسمعون ويسألون والفقراء الذين يتصاؤون وهذا القول احسن ما قيل في هذا وتحريه ان الفقير هو الذي لا مال له الا انه لم يذل نفسه ولا يذل وجهه وذلك اما لتعفف مفرط واما لبلغة تكون له كالحلوبة وما اشبهها والمسكين هو الذي يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال فهذه هي المسكنة ويقوى هذا ان الله سبحانه قد وصف بني اسرائيل بالمسكنة وقرنها بالذلة مع غناهم واذا تأملت ما قلناه بان انهما صنفان موجودان في المسلمين (ت) وقد اكثر الناس في الفرق بين الفقير والمسكين واولى ما يعول عليه ما ثبت في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده القمعة واللقمات والتمر والتمران انما المسكين الذي ليس له غنى يغنيه ولا يفظن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس انتهى واول ابو عمر في التمهيد هذا الحديث فقال كانه اراد والله اعلم ليس المسكين على تمام المسكنة وعلى الحقيقة الا الذي لا يسأل الناس انتهى واما العاملون فهم جباة يستنيبهم الامام في السعي على الناس وجمع صدقاتهم قال الجمهور لهم قدر تعبهم ومثونتهم واما المؤلفه قلوبهم فكانوا مسلمين وكافرين مستترين مظهرين للاسلام حتى وثقه الاستيلاف في اكثرهم واستيلافهم انما

كان لتجلب الى الاسلام منفعة او تدفع عنه مضرة والصحيح بقاء حكمهم ان احتيج اليهم واما الرقاب فمذهب مالك وغيره هو ابتداء عتق مومن واما الغارم فهو الرجل يركبه دين في غير معصية ولا سفه كذا قال العلماء واما في سبيل الله فهو الغازي وان كان مليا ببلده واما ابن السبيل فهو المسافر وان كان غنيا ببلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته السبيل ومن ادعى الفقر صدق الاربعة فيكلف حينئذ البينة واما ان ادعى انه غارم او ابن السبيل او غاز ونحو ذلك مما لا يعلم الامنه فلا يعطى الابينة واهل بلد الصدقة احق بها الا ان تفضل فضلة فتنقل الى غيرهم قال ابن حبيب وينبغي للامام ان يامر السعاة بتفريقها في المواضع التي جيت فيها ولا يحمل منها شيء الى الامام وفي الحديث توخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم \* وقوله سبحانه فريضة من الله اي موجهة محدودة \* وقوله سبحانه ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي ومن المنافقين ويوذون لفظ يعم انواع اذائهم له صلى الله عليه وسلم وخص بعد ذلك من قولهم هو اذن وروي ان قائل هذه المقالة نبتل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وفيه قال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث وكان ثائر الرأس منتفش الشعر احمر العينين اسفع الحدين مشوها قال الحسن البصري ومجاهد قولهم هو اذن اي يسمع معاذيرنا ويقبلها اي فنحن لانبالي من الوقوع فيه وهذا تنقص بقلة الحزم وقال ابن عباس وغيره انهم ارادوا بقولهم هو اذن اي يسمع كل ما ينقل اليه عنا ويصني اليه ويقبله فهذا تشك منه عليه السلام ومعنى اذن سماع وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء اذا كان منه بسبب كما يقال للرؤية عين وكما يقال للمسنة من الابل التي قد بزل نابها ناب وقيل معنى الكلام ذو اذن اي

ذو سماع وقيل انه مشتق من قولهم اذن الى شيء اذا استمع ومنه قول الشاعر  
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به \* وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا  
وقرأ نافع اذن بسكون الذال فيها وقرأ الباقون بضمها فيها وكلهم قرأ  
بالاضافة الى خير الا ما روي عن عاصم وقرأ الحسن وغيره قل اذن خير بتنوين  
اذن ورفع خير وهذا جار على تاويله المتقدم والمعنى من يقبل معاذيركم خير لكم  
ورويت هذه القراءة عن عاصم ومعنى اذن خير على الاضافة اي سماع خير  
وحق ويومن بالله معناه يصدق بالله ويومن للمومنين قيل معناه ويصدق المومنين  
واللام زائدة وقيل يقال امنت لك بمعنى صدقتك ومنه وما انت بمومن لنا  
قال (ع) وعندى ان هذه التي معها اللام في ضمها باء فالمعنى ويصدق  
للمومنين بما يخبرونه به وكذلك قوله وما انت بمومن لنا بما نقوله (ت) ولما  
كانت اخبار المنافقين تصل الى النبي صلى الله عليه وسلم تارة باخبار الله له وتارة  
باخبار المومنين وهم عدول ناسب اتصال قوله سبحانه يومن بالله ويومن  
للمومنين بما قبله ويكون التصديق هنا خاصا بهذه القضية وان كان ظاهر  
اللفظ عاما اذ من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم لم يزل مصدقا بالله وقرأ جميع  
السبعة الاحزمة ورحمة بالرفع عطفا على اذن وقرأ حمزة وحده ورحمة بالخفض  
عطفا على خير وخصص الرحمة للذين امنوا اذ هم الذين فازوا ونجوا بالرسول  
عليه السلام \* يحلفون بالله لكم يعني المنافقين \* وقوله والله ورسوله  
احق ان يرضوه التقدير عند سيئويه والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان  
يرضوه فحذف الخبر من الجملة الاولى لدلالة الثانية عليه وقيل الضمير في يرضوه  
عائد على المذكور كما قال رؤبة

فيها خطوط من سواد وبلق \* كانه في الجلد توليع البهق  
اي كان المذكور \* وقوله لم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله الآية يحادد

معناه يخالف ويشاق \* وقوله سبحانه يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحذر خبر عن حال قلوبهم وقال الزجاج وغيره معنى يحذر الامر وان كان لفظه لفظ الخبر كانه قال ليحذر \* وقوله سبحانه قل استهزؤا لفظه لفظ الامر ومعناه التهديد ثم اخبر سبحانه انه مخرج لهم ما يحذرونه الى حين الوجود وقد فعل ذلك تبارك وتعالى في سورة براءة فهي تسمى الفاضحة لانها فضحت المنافقين \* وقوله سبحانه ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلب الآية نزلت على ما ذكر جماعة من المفسرين في ودیعة بن ثابت وذلك انه مع قوم من المنافقين كانوا يسرون في غزوة تبوك فقال بعضهم هذا يريد ان يفتح قصور الشام وياخذ حصون بني الاصره هيات هيات فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم قلت كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلب وذكر الطبري عن عبد الله بن عمر انه قال رأيت قائل هذه المقالة ودیعة متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يماشيا والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله وایاته ورسوله كنتم تستهزون ثم حكم سبحانه عليهم بالكفر فقال لهم لا تعتذروا قد كفرتم الآية \* وقوله سبحانه ان يعف عن طائفة منكم يريد فيما ذكره المفسرون رجلا واحدا قيل اسمه مخشى بن حمير قاله ابن اسحاق وذكر جميعهم انه استشهد باليامة وقد كان تاب وتسمى عبد الرحمن فدعا الله ان يستشهد ويجهل امره فكان كذلك ولم يوجد جسده وكان مخشى مع المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلب فقليل كان منافقا ثم تاب توبة صحيحة وقيل كان مسلما مخلصا الا انه سمع المنافقين فضحك لهم ولم ينكر عليهم فعفا الله عنه في كلا الوجهين ثم اوجب العذاب لباقي المنافقين الذين قالوا ما تقدم \* وقوله سبحانه

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يريد في الحكم والمنزلة في الكفر ولما تقدم قبل وما هم منكم حسن هذا الاخبار ويقبضون ايديهم اي عن الصدقة وفعل الخير نسوا الله اي تركوه حين تركوا اتباع نبيه وشرعه فنسيهم اي فتركهم حين لم يهدهم والكفار في الآية المعلنون \* وقوله هي حسبهم اي كافيتهم \* وقوله تعالى كالذين من قبلكم اي انتم ايها المنافقون كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة فقصوا فاهلكوا فانتم اولى بالاهلاك لمصيتكم وضعفكم والخلق الحظ من القدر والدين وجميع حال المرء فخلق المرء الشيء الذي هو به خليق والمعنى عجلوا عظمهم في دنياهم وتركوا الآخرة فالتفتوهم انتم \* اولائك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة المعنى وانتم ايضا كذلك ويحتمل ان يريد باولئك المنافقين \* وقوله سبحانه الم يأتهم نبا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الآية المعنى الم يات هؤلاء المنافقين خبر الامم السالفة التي عصت الله بتكذيب رسله فاهلكها \* وقوم ابراهيم ثمود واصحابه واتباع دولته \* واصحاب مدين قوم شيب \* والموتفكات اهل القرى الاربعة او السبعة التي بعث اليهم لوط عليه السلام ومعنى الموتفكات المنصرفات والمنقلبات افكت فائفكت لانها جعل عاليها سافلها ولفظ البخاري الموتفكات اثفكت انقلبت بهم الارض انتهى والضمير في اتتهم رسلهم عائد على هذه الامم المذكورة ثم عقب سبحانه بذكر المومنين وما من به عليهم من حسن الاعمال ترغيبا وتشديدا لمبادرة ما به امر لطفًا منه بعباده سبحانه لا رب غيره ولا خير الاخيره \* وقوله سبحانه ويقيمون الصلوة قال ابن عباس هي الصلوات الخمس قال (ع) وبحسب هذا تكون الزكاة هي المفروضة والمدح عندى بالنوافل البالغ اذ من يقيم النوافل اخرى باقامة الفرض والسين في قوله سيرهم مدخلة في الوعد



مهلة لتكون النفوس تنعم برجائه سبحانه وفضله سبحانه زعيم بالانجاز وذكر الطبري في قوله تعالى ومساكن طيبة عن الحسن انه سأل عنها عمران ابن حصين وابا هريرة فقالا على الخير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون دارا من يقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا ونحو هذا مما يشبه هذه الالفاظ ويقرب منها فاختصرتها طلب الانجاز (ت) وتمام الحديث من الاحياء وكتاب الاجري المعروف بكتاب النصيحة عن الحسن عن عمران ابن حصين وابي هريرة قال على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع واما قوله سبحانه ورضوان من الله اكبر ففي الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول لعباده اذا استقروا في الجنة هل رضيتم فيقولون وكيف لا نرضى يا ربنا فيقول اني ساعطيكم افضل من هذا كله رضواني ارضى عنكم فلا اسخط عليكم ابدا الحديث وقوله اكبر يريد اكبر من جميع ما تقدم ومعنى الآية والحديث متفق وقال الحسن بن ابى الحسن وصل الى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو الذ عندهم وافر لا عينهم من كل شيء اصابوه من لذة الجنة قال الامام الفخر وانما كان الرضوان اكبر لانه عند العارفين نعيم روحاني وهو اشرف من النعيم الجسماني انتهى انظره في اوائل ال عمران قال (ع) ويظهر ان يكون قوله تعالى ورضوان من الله اكبر اشارة الى منازل المقربين الشاربين من تسنيم والذين يرون كما يرى النجم الغابر في الافق وجميع من في الجنة راض والمنازل مختلفة وفضل الله متسع والفوز النجاة والخلاص ومن ادخل الجنة فقد فاز والمقربون هم

في الفوز العظيم والعبارة عندى بسرور وكمال اجود من العبارة عنها بلذة  
 واللذة ايضا مستعملة في هذا \* وقوله سبحانه يا ايها النبي، جاهد الكفار  
 اي بالسيف والمنافقين اي باللسان والتعنيف والاكفهرار في الوجه وباقامة  
 الحدود عليهم قال الحسن واكثر ما كانت الحدود يومئذ تصيب المنافقين ومذهب  
 الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرفهم ويسترهم واما قوله واغلظ  
 عليهم فلفضلة عامة في الافعال والاقوال ومعنى الغلظ خشن الجانب فهو ضد  
 قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقوله عز وجل يحلفون  
 بالله ما قالوا الاية تزل في الجلاس بن سويد وقوله لئن كان ما يقول محمد  
 حقا لنحن شر من الحر فسمعها منه ربيبه او رجلا اخر فاخبر النبي صلى الله  
 عليه وسلم فجاء الجلاس خلف بالله ما قال هذه الكلمة فنزلت الاية فكلمة  
 الكفر هي مقالته هذه لان مضمونها قوي في التكذيب قال مجاهد وقوله وهو  
 بما لم ينالوا يعني ان الجلاس قد كان هم بقتل صاحبه الذي اخبر النبي  
 صلى الله عليه وسلم وقال قتادة تزل في عبد الله بن ابي ابن سلول وقوله في  
 غزوة المريسيع ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلك يا كلك ولئن  
 رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم  
 فوقفه خلف انه لم يقل ذلك فنزلت الاية مكذبة له (ت) وزاد  
 ابن العربي في احكامه قولنا ثالثا ان الاية تزل في جماعة المنافقين قاله  
 الحسن وهو الصحيح لمعوم القول ووجود المعنى فيه وفيهم انتهى وحدث  
 ابو بكر بن الخطيب بسنده قال سئل سفيان بن عيينة عن ابي واخذ به  
 صاحبه قال نعم اذا كان عزمنا لم نسمع الى قوله تعالى وهو ما لم ينالوا الاية  
 الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فجعل عليهم فيه التوبة قال سفيان ايههم يسود  
 القلب انتهى قال (ع) وعلى تاويل قتادة فالاشارة بكلمة الكفر الى تمثيل

ابن ابي سمن كلبك يا كلك قال قتادة والاشارة بهموا الى قوله لئن رجعنا الى المدينة وقال الحسن هم المنافقون من اظهر الشرك ومكابرة النبي صلى الله عليه وسلم بما لم ينالوا وقال تعالى بعد اسلامهم ولم يقل بعد ايمانهم لان ذلك لم يتجاوز السنتم \* وقوله سبحانه وما نقوموا الا ان اغناهم الله الآية كان الكلام وما نقوموا الا ما حقه ان يشكر وذكر رسول الله في اغنائهم من حيث كثرت اموالهم من الغنائم ورسول الله صلى الله عليه وسلم سبب في ذلك وعلى هذا الحد قال عليه السلام للانصار في غزوة خيبر كنتم عالة فاعناكم الله قال العراقي نقوموا اي انكروا وقال (ص) الا ان اغناهم الله ان وصلتها مفعول نقوموا اي ما كرهوا الا اغناء الله اياهم وقيل هو مفعول من اجله والمفعول به محذوف اي ما كرهوا الايمان الا للاغناء انتهى ثم فتح لهم سبحانه باب التوبة رفقا بهم ولطفافروي ان الجلاس تاب من النفاق وقال ان الله قد ترك لي باب التوبة فاعترف واخلص وحسنت توبته \* وقوله سبحانه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب الانصاري قال الحسن وفي معتب بن قشير معه واختصار ما ذكره الطبري وغيره من امره انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعل لي مالا فاني لو كنت ذا مال لقضيت حقوقه وفعلت فيه الخير فراده النبي صلى الله عليه وسلم وقال قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه فعاود فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الاتريد ان تكون مثل رسول الله ولو دعوت الله ان يسير الجبال معي ذهباً لسارت فاعاد عليه حتى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فالتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت به المدينة فتحنى عنها وكثرت غنمه حتى كان لا يصلي الا الجمعة ثم كثرت حتى تنحى بعيداً فترك الصلاة ونجم

نفاقه ونزل خلال ذلك فرض الزكاة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم مصدقين بكتابه في اخذ زكاة الغنم فلما بلغوا ثعلبة وقرأ الكتاب قال هذه اخت الجزية ثم قال لهم دعوني حتى ارى رأيي فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه قال ويح ثعلبة ثلاثا ونزلت الآية فيه فحضر القصة قريب لثعلبة فخرج اليه فقال ادرك امرك فقد نزل فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغب ان يؤدي زكاته فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله امرني ان لا اخذ زكاتك فبقي كذلك حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ورد ثعلبة على ابي بكر ثم على عمر ثم على عثمان يرغب الى كل واحد منهم ان ياخذ منه الزكاة فكلهم رد ذلك وابهوا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثعلبة كذلك حتى هلك في مدة عثمان \* وفي قوله تعالى فاعقبهم نص في العقوبة على الذنب بما هو اشد منه \* وقوله الى يوم يلقونه يقتضى موافاتهم على النفاق قال ابن العربي في ضمير يلقونه قولان احدهما انه عائد على الله تعالى والثاني انه عائد على النفاق مجازا على تقدير الجزاء كانه قال فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقون جزاءه انتهى من الاحكام ويلمزون معناه ينالون بالسنتهم واكثر الروايات في سبب نزول الآية ان عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة الاف وامسك مثلها وقيل هو عمر بن الخطاب تصدق بنصف ماله وقيل عاصم بن عدي تصدق بمائة وسق فقال المنافقون ما هذا الاريا فنزلت الآية في هذا كله واما المتصدق بقليل فهو ابو عقيل تصدق بصاع من تمر فقال بعضهم ان الله غني عن صاع ابي عقيل وخرجه البخاري وقيل ان الذي لمز في القليل هو ابو خيشمة قاله كعب بن مالك \* فيسخرن منهم معناه يستهزئون ويستخفون وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة محتاجى النمار متقلدى السيوف عامتهم  
 من مضر بل كلهم من مضر فتمعروجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى  
 بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فامر بلا لافاذن واقام فصلى ثم خطب فقال  
 يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الى اخر الآية  
 ان الله كان عليكم رقيباً والآية التى فى سورة الحشر واتقوا الله ولتنظر  
 نفس ما قدمت لعد تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع  
 بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة قال فجاء رجل من الانصار بصرة  
 كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين  
 من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتהלل كأنه  
 مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة حسنة  
 فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن  
 سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير  
 ان ينقص من اوزارهم شيء انتهى \* وقوله سبحانه استغفر لهم او لا تستغفر لهم  
 المعنى ان الله خير نبيه فى هذا فكانه قال له ان شئت فاستغفر لهم وان شئت  
 لا تستغفر ثم اعلمه انه لا يغفر لهم وان استغفر سبعين مرة وهذا هو  
 الصحيح فى تاويل الآية لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر ان الله قد  
 خيرنى فاخترت ولو علمت انى اذا زدت على السبعين يغفر لهم زدت الحديث  
 وظاهر لفظ الحديث رفض الزام دليل الخطاب وظاهر صلاته صلى الله عليه وسلم  
 على ابن ابي ان كفره لم يكن يقينا عنده ومحال ان يصلى على كافر ولكنه راعى ظواهره  
 من الاقرار ووكل سريره الى الله عز وجل وعلى هذا كان ستر المنافقين واذا  
 ترتب كما قلنا التخيير فى هذه الآية صح ان ذلك التخيير هو الذى نسخ  
 بقوله تعالى فى سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم (ت)

والظاهر ان الآيتين بمعنى فلا نسخ فتأمله ولولا الاطالة لا وضحت ذلك قال (ع) واما تمثيله بالسبعين دون غيرها من الاعداد فلانه عدد كثيرا ما يحكى غاية ومقنما في الكثرة \* وقوله ذلك اشارة الى امتناع الفبران \* وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية هذه اية تتضمن وصف حالهم على جهة التوبيخ وفي ضمنها وعيد وقوله المخلفون لفظ يقتضى تحقيرهم وانهم الذين ابعدهم الله من رضاه ومقعد بمعنى القعود وخلاف معناه بعد ومنه قول الشاعر

فقل للذي يبغى خلاف الذى مضى \* تأهب لآخرى مثلها فكأن قد  
يريد بعد الذى مضى وقال الطبري هو مصدر خالف يخالف وقولهم لا تنفروا  
في الحركان هذا القول منهم لان غزوة تبوك كانت في شدة الحر وطيب الثمار \*  
وقوله سبحانه فليضحكوا قليلا اشارة الى مدة العمر في الدنيا \* وقوله  
وليبكوا كثيرا اشارة الى تابيد الخلود في النار فجاء بلفظ الامر ومعناه الخبر  
عن حالهم وتقدير الكلام ليبكوا كثيرا اذهم معذبون جزاء بما كانوا يكسبون  
وخرج ابن ماجه بسنده عن يزيد الرقاشي عن انس قال قال النبي صلى الله  
عليه وسلم يرسل البكاء على اهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم  
يبكون الدم حتى تصير في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن  
لجرت وخرجه ابن المبارك ايضا عن انس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم  
يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان اهل النار تسيل دموعهم  
في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون  
فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت انتهى من التذكرة وقوله سبحانه فان  
رجعك الله الى طائفة منهم الآية يشبه ان تكون هذه الطائفة قد حتم عليها  
بالموافاة على النفاق وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله وماتوا وهم

فاسقون نص في موافاتهم على ذلك ومما يؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عنهم لحذيفة بن اليان وكان الصحابة اذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة تأخروا هم عنها وروي عن حذيفة انه قال يوما بقي من المنافقين كذا وكذا \* وقوله اول هو بالاضافة الى وقت الاستيذان والخالفون جمع من تخلف من نساء وصبيان واهل عذر وتظاهرت الروايات انه صلى الله عليه وسلم صلى على عبد الله بن ابي ابن سلول وان قوله ولا تصل على احد منهم نزلت بعد ذلك وقد خرج ذلك البخاري من رواية عمر بن الخطاب انتهى \* وقوله سبحانه ولا تعجبك اموالهم واولادهم تقدم تفسير مثل هذه الآية والطول في هذه الآية المال قاله ابن عباس وغيره والاشارة بهذه الآية الى الجد بن قيس ونظرائه والقاعدون الزمنى واهل العذر في الجملة والحوالف النساء جمع خالفة هذا قول جمهور المفسرين وقال ابو جعفر النحاس يقال للرجل الذي لا خير فيه خالفة فهذا جمعه بحسب اللفظ والمراد اخسة الناس واخلافهم ونحوه عن النضر بن شميل وقالت فرقة الحوالف جمع خالف كفارس وفوارس \* وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون اي لا يفهمون والحيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء \* وقوله سبحانه اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم اعد معناه يسر وهيا وباقى الآية بين \* وقوله سبحانه وجاء المذرون من الاعراب الآية قال ابن عباس وغيره هؤلاء كانوا مومنين وكانت اعذارهم صادقة واصل اللفظة المعتذرون فقلبت التاء ذالا وادغمت وقال قتادة وفرقة معه بل الذين جاءوا كفرة وقولهم وعذرهم كذب قال (ص) والمعنى تكلفوا العذر ولا عذرهم وكذبوا الله ورسوله اي في ايمانهم انتهى \* وقوله سيصيب الذين كفروا منهم الآية قوله منهم يؤيد ان المذرين كانوا مومنين فتأمله قال ابن اسحاق

المذرون نفر من بني غفار وهذا يقتضي انهم مومنون \* وقوله جلت عظمته ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية يقول ليس على اهل الاعذار من ضعف بدن او مرض او عدم نفقة اثم والخرج الاثم \* وقوله اذا نصحوا يريد بنياتهم واقوالهم سرا وجهرا ما على المحسنين من سبيل اي من لائمة تناط بهم ثم اكسد الرجاء بقوله سبحانه والله غفور رحيم وقرأ ابن عباس والله لاهل الاساءة غفور رحيم وهذا على جهة التفسير اشبه منه على جهة التلاوة لخلافه المصحف واختلف فيمن المراد بقوله الذين لا يجدون ما يشفقون فقالت فرقة نزلت في بني مُقَرِّن ستة اخوة وليس في الصحابة ستة اخوة غيرهم وقيل كانوا سبعة وقيل نزلت في عائذ بن عمرو المزني قاله قتادة وقيل في عبد الله بن معقل المزني قاله ابن عباس \* وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم هذه الآية نزلت في البكائين واختلف في تعيينهم ف قيل في ابي موسى الاشعري ورهطه وقيل في بني مقرن وعلى هذا جمهور المفسرين وقيل نزلت في سبعة نفر من بطون شتى فهم البكاءون وقال مجاهد البكاءون هم بنو مقرن من مزينة ومعنى قوله لتحملهم اي على ظهر يركب ويحمل عليه الاثاث (ت) وقصة ابي موسى الاشعري ورهطه مذكورة في الصحيح قال ابن العربي في احكامه القول بان الآية نزلت في ابي موسى واصحابه هو الصحيح انتهى \* وقوله سبحانه انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء الآية هذه الآية نزلت في المتنافقين المتقدم ذكرهم عبد الله بن ابي والجد بن قيس ومعتب وغيرهم \* وقوله اذا رجعتم يريد من غزوة تبوك ومعنى لن نومن لكم لن نصدقكم والاشارة بقوله قد نبأنا الله من اخباركم الى قوله ما زادوكم الا خبالا ولا او ضعوكم خلالكم ونحوه من الايات \* وقوله سبحانه وسيرى الله عملكم توعده والمعنى فيقع الجزاء عليه قال الاستاذ ابو بكر الطرطوشي اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها واعمل للآخرة



بقدر بقائك فيها واستحي من الله تعالى بقدر قربك منك واطمه بقدر حاجتك اليه وخفه بقدر قدرته عليك واعصه بقدر صبرك على النار انتهى من سراج الملوك \* وقوله ثم تردون يريد البعث من القبور \* وقوله عز وجل سيحفظون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم الآية قيل ان هذه الآية من اول ما نزل في شان المنافقين في غزوة تبوك \* وقوله انهم رجس اي نتن وقدر وناهيك بهذا الوصف محطه دنياوية ثم عطف بمحطة الآخرة فقال ومأواهم جهنم اي مسكنهم \* وقوله فان رضوا الى اخر الآية شرط يتضمن النهي عن الرضى عنهم وحكم هذه الآية يستمر في كل ممنوع عليه ببذعة ونحوها \* وقوله سبحانه الاعراب اشد كفرا ونفاقا هذه الآية نزلت في منافقين كانوا في البوادي والاحمال ان خوفهم هناك كان اقل من خوف منافقي المدينة فالسنتهم لذلك مطلقة ونفاقهم انهم واجدر معناه اخرى وقال (ص) معناه احق والحدود هنا السنن والاحكام \* وقوله سبحانه ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما الآية نص في المنافقين منهم والدوائر المصائب ويحتمل ان تشق من دوران الزمان والمعنى ينتظركم ما تاتي به الايام وتدور به ثم قال على جهة الدعاء عليهم دائرة السوء وكل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عز وجل فانما هو بمعنى ايجاب الشيء لان الله لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته ومن هذا ويل لكل همزة لمزة ويل للمطففين فهي كلها احكام تامة تضمنها خبره تعالى (ت) وهذه قاعدة جيدة وما وقع له رحمه الله مما ظاهره مخالف لهذه القاعدة وجب تاويله بما ذكره هنا وقد وقع له ذلك بعد هذا في قوله صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون قال يحتمل ان يكون دعاء عليهم ويحتمل ان يكون خبرا اي استوجبوا ذلك وقد اوضح ذلك عند قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود فانظره هناك \* وقوله سبحانه ومن

الاعراب من يؤمن بالله قال قتادة هذه ثنية الله تعالى من الاعراب وروي ان هذه الآية نزلت في بنى مقرن وقاله مجاهد ويتخذ في الآيتين بمعنى يحمله قصده والمعنى ينوى بنفسته ما ذكره الله عنهم وصلوات الرسول دعاؤه في دعائه خير الدنيا والآخرة والضمير في قوله انها يحتمل عوده على النفقة ويحتمل عوده على الصلوات وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الآية قال ابو موسى الاشعري وغيره السابقون الاولون من صلى القبلتين وقال عطاء هم من شهد بدرا وقال الشعبي من ادرك بيعة الرضوان والذين اتبعوهم باحسان يريد سائر الصحابة ويدخل في هذا اللفظ التابعون وسائر الامة لكن بشريطة الاحسان وقرأ عمر بن الخطاب وجماعة والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار وقرأ الباقر تحتها باسقاط من وقوله سبحانه وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق الاشارة بمن حولكم الى جبهة ومزينة وأسلم وغفار وعصية ولحيان وغيرهم من القبائل المجاورة للمدينة فاخبر الله سبحانه عن منافقيهم وتقدير الآية ومن اهل المدينة قوم او منافقون هذا احسن ما حمل اللفظ ومردوا قال ابو عبيدة معناه مردوا عليه ولجوا فيه وقيل غير هذا مما هو قريب منه وقال ابن زيد قاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون والظاهر من اللفظة ان التمرد في الشيء او المروء عليه انما هو اللجاج والاشتجار به والتعوى الزاجر وركوب الراس في ذلك وهو مستعمل في الشر لا في الخير ومنه شيطان مريد ومارد وقال ابن العربي في احكامه مردوا على النفاق اي استمروا عليه وتحققوا به انتهى ذكره بعد قوله تعالى الذين اتحدوا مسجدا ضارا ثم نفي عز وجل علم نبيه بهم على التعيين \* وقوله سبحانه سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم لفظ الآية يقتضى ثلاث مواطن من العذاب ولا خلاف بين

المتأولين ان العذاب العظيم الذى يردون اليه هو عذاب الآخرة واكثر  
 الناس ان العذاب المتوسط هو عذاب القبر واختلف فى عذاب المرة الاولى  
 فقال ابن عباس عذابهم باقامة حدود الشرع عليهم مع كراهيتهم فيه وقال  
 ابن اسحاق عذابهم هو همهم بظهور الاسلام وعلو كلمته وقال ابن عباس ايضا  
 وهو الاشهر عنه عذابهم هو فضيحتهم ووصمهم بالنفاق وقيل غير هذا وقوله  
 عز وجل وءاخرن اعترفوا بذنوبهم الآية قال ابن عباس وابو عثمان هذه الآية  
 فى الاعراب وهي عامة فى الامة الى يوم القيامة قال ابو عثمان ما فى القرآن آية  
 ارجى عندى لهذه الامة منها وقال مجاهد بل نزلت هذه الآية فى ابى لبابة  
 الانصاري خاصة فى شأنه مع بنى قريظة لما اشار لهم الى حلقة ثم ندم وربط  
 نفسه فى سارية من سواري المسجد وقالت فرقة عظيمة بل نزلت هذه  
 الآية فى شان المخلفين عن غزوة تبوك (ت) وخرج البخاري بسنده عن  
 سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانى الليلة اتيان  
 فابتعثانى فانتھينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقتنا رجال شطرنج  
 خلقهم كاحسن ما انت راءى وشطرنج كقبح ما انت راءى قالوا لهم اذهبوا فقموا  
 فى ذلك النهر فوقموا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى  
 احسن صورة قالوا الى هذه جنة عدن وهذا منزل قالوا اما القوم الذين كانوا  
 شطرنجهم حسن وشطرنجهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا ف تجاوز  
 الله عنهم انتهى وقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة الآية روى ان الجماعة  
 الثابتة لما تيب عليها قالوا يا رسول الله انا نريد ان نتصدق باموالنا زيادة فى  
 توبتنا فقال لهم صلى الله عليه وسلم انى لا اعرض لاموالكم الا بامر من الله  
 فتركهم حتى نزلت هذه الآية فهم المراد بها فروي انه صلى الله عليه وسلم  
 اخذ ثلث اموالهم مراعاة لقوله تعالى من اموالهم فهذا هو الذى تظاهرت

به اقوال المتأولين وقالت جماعة من الفقهاء المراد بهذه الآية الزكاة المفروضة وقوله تعالى تطهرهم وتركيهم بها احسن ما يحتمل ان تكون هذه الافعال مسندة الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله سبحانه وصل عليهم معناه ادع لهم فان في دعائك لهم سكونا لانفسهم وطمانينة ووقارا فهي عبارة عن صلاح المعتقد والضمير في قوله الم يعلموا قال ابن زيد يراد به الذين لم يتوبوا من المخلفين ويحتمل ان يراد به الذين تابوا وقوله وياخذ الصدقات قال الزجاج معناه ويقبل الصدقات وقد جاءت احاديث صحاح في معنى الآية منها حديث ابى هريرة ان الصدقة قد تكون قدر اللقمة ياخذها الله بيمينه فيريها لاحدكم كما يري احدم فلو او فضيله حتى تكون مثل الجبل ونحو هذا من الاحاديث التي هي عبارة عن القبول والتحنى بصدقة العبد \* وقوله عن عبادته هي بمعنى من \* وقوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة الآية هذه الآية صيغتها صيغة امر مضمئها الوعيد وقال الطبري المراد بها الذين اعتذروا من المخلفين وتابوا قال (ع) والظاهر ان المراد بها الذين اعتذروا ولم يتوبوا وهم المتوعدون وهم الذين في ضمير الم يعلموا ومعنى فسيرى الله عملكم اي موجودا معرضا للجزاء عليه بخير او بشر وقال ابن العربي في احكامه قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله هذه الآية نزلت بعد ذكر المؤمنين ومعناها الامر اي اعملوا بما يرضى الله سبحانه واما الآية المتقدمة وهي قوله تعالى قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله فانها نزلت بعد ذكر المنافقين ومعناها التهديد وذلك لان النفاق موضع ترهيب والايمان موضع ترغيب فقبل اهل كل محل من الخطاب بما يليق بهم انتهى \* وقوله سبحانه و- اخرون مرجون لامر الله عطف على قوله اولاً

وآخرون اعترفوا ومعنى الارجاء التأخير والمراد بهذه الآية فيما قال ابن عباس وجماعة الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك وصاحبه على ما سياتى ان شاء الله وقيل انما نزلت في غيرهم من المنافقين الذين كانوا معرضين للتوبة مع بنائهم مسجد الضرار وعلى هذا يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلا من آخرون او خبر مبتدا تقديره هم الذين وقرأ عاصم وعوام القراء والناس في كل قطر الا بالمدينة والذين اتخذوا وقرأ اهل المدينة نافع وغيره الذين اتخذوا باسقاط الواو على انه مبتدا والخبر لا يزال بنيانهم واما الجماعة المرادة بالذين اتخذوا مسجدا فهم منافقوا بنى غنم بن عوف وبنى سالم بن عوف واسند الطبري عن ابن اسحاق عن الزهري وغيره انه قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى نزل بذي اوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان اصحاب مسجد الضرار قد اتوه صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة واليلة المطيرة وانا نحب ان تأتينا فتصلي لنا فيه فقال انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل ونزل بذي اوان نزل عليه القراء ان في شان مسجد الضرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدي او اخاه عاصم بن عدي فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فانطلقا مسرعين ففعلوا وحرقاه وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم بمث لهدمه وتحريقه عمار بن ياسر ووحشيا مولى المطعم بن عدي وكان بانوه اثني عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبئل بن الحارث وغيرهم وروي انه لما بنى صلى الله عليه وسلم مسجدا في بنى عمرو ابن عوف وقت الهجرة وهو مسجد قباء وتشرف القوم بذلك حسدهم حينئذ

رجال من تبي عنهم من بني غنم بن عوف وبني سالم بن عوف وكان فيهم نفاق وكان موضع مسجد قباء مربوطا لحمار امرأة من الانصار اسمها لية فكان المنافقون يقولون والله لا نصبر على الصلاة في مربوط حمارية ونحو هذا من الاقوال وكان ابو عامر المعروف بالراهب منهم وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا من نظراء عبد الله بن ابي ابن سلول فلما جاء الله بالاسلام نافق ولم يزل مجاهرا بذلك فساءه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق ثم خرج في جماعة من المنافقين فحزب على النبي صلى الله عليه وسلم الاحزاب فلما ردهم الله بفيظهم اقام ابو عامر بمكة مظهرا لعداوته فلما فتح الله مكة هرب الى الطائف فلما اسلم اهل الطائف خرج هاربا الى الشام يريد قيصر مستنصرا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب الى المنافقين من قومه ان ابنوا مسجدا مقاومة لمسجد قباء وتحقيرا له فاني سأتى بجيش من الروم اخرج به محمدا واصحابه من المدينة فبنوه وقالوا سيأتي ابو عامر ويصلي فيه فذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر وقولهم سيأتي ابو عامر وقوله ضرارا اي داعية للتضارر من جماعتين \* وقوله وتفرقا بين المؤمنين يريد تفرقا بين الجماعة التي كانت تصلي في مسجد قباء فان من جاور مسجدهم كانوا يصرفونه اليه وذلك داعية الى صرفه عن الايمان وقيل اراد بقوله بين المؤمنين جماعة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مسجد الضرار لما هدم واحرق اتخذ مزبلة ترمى فيه الاقذار والقمامات وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت لا تقم فيه ابدا كان لا يمر بالطريق التي هو فيها \* وقوله لمسجد قيل ان اللام لام قسم وقيل هي لام ابتداء كما تقول لزيد احسن الناس فعلا وهي مقتضية تاكيذا وذهب ابن عباس وفرقة من الصحابة والتابعين الى ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد قباء وروي عن ابن عمر

وابى سعيد وزيد بن ثابت انه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليق القول الاول بالقصة الا ان القول الثانى مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نظر مع الحديث قال ابن العربي فى احكامه وقد روى ابن وهب واشهب عن مالك ان المراد بمسجد اسس على التقوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تبارك وتعالى وتركوك قائما وكذلك روى عنه ابن القاسم وقد روى الترمذى عن ابى سعيد الحدري قال تمارى رجلان فى المسجد الذى اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وخرجه مسلم انتهى ومعنى ان تقوم فيه اى بصلاتك وعبادتك \* وقوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا اختلف فى الضمير ايضا هل يعود على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم او على مسجد قباء روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الانصار انى رايت الله اثنى عليكم بالطهور فماذا تفعلون قالوا يا رسول الله انا راينا جيراننا من اليهود يتطهرون بالماء يريدون الاستنجاء ففعلنا نحن ذلك فلما جاء الاسلام لم ندعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تدعوه اذن والبيان الذى اسس على شفا جرف هو مسجد الضرار باجماع والشفا الحاشية والشفير وهار معناه متهدم بال وهو من هار يهور البخاري هار هائر تهورت البير اذا تهدمت وانهارت مثله انتهى وتأسيس البناء على تقوى انما هو بحسن النية فيه وقصد وجه الله تعالى واظهار شرعه كما صنع فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفى مسجد قباء والتأسيس على شفا جرف هار انما هو بفساد النية وقصد الرياء والتفريق بين المؤمنين فهذه تشبيهات صحيحة بارعة \* وقوله سبحانه فانهار به فى نار جهنم الظاهر منه انه خارج عن المثل وقيل بل ذلك حقيقة

وإن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وروي عن جابر بن عبد الله وغيره انه قال رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى في بعض الكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انهار بلغ الارض السابعة ففزع لذلك صلى الله عليه وسلم وروي انهم لم يصلوا فيه اكثر من ثلاثة ايام وهذا كله باسناد لين والله اعلم واسند الطبري عن خلف بن ياسين انه قال رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن فرأيت فيه مكانا يخرج منه الدخان وذلك في زمن ابي جعفر المنصور وروي شبيه بهذا او نحوه عن ابن جريج اسنده الطبري قال ابن العربي في احكامه وفي قوله تعالى فانهار به في نار جهنم مع قوله فامه هاوية اشارة الى ان النار تحت كما ان الجنة فوق انتهى والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد ومعنى الريبة في هذه الآية امر يعم الغيظ والحق ويمع اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يودى كله الى الارتباب في الاسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البيان الذي هدم لهم بقي في قلوبهم حزاة واثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وبالجمله ان الريبة هنا تعم معان كثيرة ياخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق \* وقوله الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء يعني بالموت قاله ابن عباس وغيره وفي مصحف ابي حتى البمات وفيه حتى تقطع \* وقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي اتاف فيها رجال الانصار على السبعين وذلك انهم اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط نبي الله حمايته مما يحمون منه انفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الاحمر والاسود في الدفع



عن الحوزة فقالوا مالنا على ذلك يا نبي الله فقال الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا تقبل ولا تقال وفي بعض الروايات ولا نستقبل فنزلت الآية في ذلك وهكذا نقله ابن العربي في احكامه عن عبد الله بن رواحة ثم ذكر من طريق الشعبي عن ابي امامة اسعد بن زرارة نحو كلام ابن رواحة قال ابن العربي وهذا وان كان سنده مقطوعا فان معناه ثابت من طرق انتهى ثم الآية بعد ذلك عامة في كل من جاهد في سبيل الله من امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة قال بعض العلماء مامن مسلم الا والله في عنقه هذه البيعة وفي بها اولم بف وفي الحديث ان فوق كل بر برا حتى يبذل العبد دمه فاذا فعل فلا يرفق ذلك واسند الطبري عن كثير من اهل العلم انهم قالوا ثامن الله تعالى في هذه الآية عباده فاغلى لهم وقاله ابن عباس وغيره وهذا تاويل الجمهور وقال ابن عينة معنى الآية اشترى منهم انفسهم الا يعملوها الا في طاعته واموالهم الا ينفقوها الا في سبيله فالآية على هذا اعم من القتل في سبيل الله \* وقوله يقاتلون في سبيل الله على تاويل ابن عينة مقطوع ومستأنف واما على تاويل الجمهور من ان الشراء والبيع انما هو مع المجاهدين فهو في موضع الحال \* وقوله سبحانه وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن قال المفسرون يظهر من قوله في التوراة والانجيل والقرآن ان كل امة امرت بالجهاد ووعدت عليه قال (ع) ويحتمل ان ميعاد امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تقدم ذكره في هذه الكتب والله اعلم قال (ص) وقوله فاستبشروا ليس للطلب بل بمعنى ابشروا كاستوقد قال ابو عمر بن عبد البر في كتابه المسمى بيهجة المجالس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ما وعده ومن اوعده على عمل عقابا فان شاء عذبه وان شاء غفر له وعن ابن عباس مثله انتهى وباقي الآية بين قال الفخر واعلم ان

هذه الآية مشتملة على انواع من التاكيدات فاولها قوله سبحانه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم فكون المشتري هو الله المقدس عن الكذب والحيلة من ادل الدلائل على تأكيد هذا العهد والثاني انه عبر عن ايصال هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق موكد وثالثها قوله وعدا ووعد الله حق ورابعها قوله عليه وكلمة على للوجوب وخامسها قوله حقا وهو تأكيد للتحقيق وسادسها قوله في التوراة والانجيل والقرآن وذلك يجرى مجرى اشهاد جميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والمرسلين على هذه المبايعة وسابعها قوله ومن اوفى بعهده من الله وهو غاية التاكيد وثامنها قوله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وهو ايضا مبالغه فى التاكيد وتاسعها قوله وذلك هو الفوز وعاشرها قوله العظيم فثبت اشتمال هذه الآية على هذه الوجوه العشرة فى التاكيد والتقرير والتحقيق انتهى وقوله عز وجل التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين هذه الاوصاف هي من صفات المؤمنين الذين ذكر الله انه اشترى منهم انفسهم واموالهم ومعنى الآية على ما تقتضيه اقوال العلماء والشرع انها اوصاف الكلمة من المؤمنين ذكرها سبحانه ليستبق اليها اهل التوحيد حتى يكونوا فى اعلى رتبة والاية الاولى مستقلة بنفسها يقع تحت تلك المبايعة كل موحد قاتل فى سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وان لم يتصف بهذه الصفات التى فى هذه الآية الثانية او بآكثرها وقالت فرقة بل هذه الصفات جاءت على جهة الشرط والآيتان مرتبطتان فلا يدخل فى المبايعة الا المؤمنون الذين هم على هذه الاوصاف وهذا تحريج وتضييق والاول اوصوب والله اعلم والشهادة ماحية لكل ذنب الالمظالم العباد وقد روي ان الله عز وجل يحمل على الشهيد مظالم العباد ويجازيهم عنه ختم الله لنا بالحسنى والسائحون

معناه الصائون وروي عن عائشة انها قالت سياحة هذه الامة الصيام اسنده الطبري وروي انه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال الفخر ولما كان اصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الارض سبي الصائم سائحا لاستمراره على فعل الطاعة وترك المنهي عنه من المفطرات قال الفخر وعندي فيه وجه آخر وهو ان الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب والوقاع وسد على نفسه باب الشهوات انفتحت له ابواب الحكمة وتجلت له انوار عالم الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فيصير من السائحين في عالم جلال الله المنتقلين من مقام الى مقام ومن درجة الى درجة انتهى قال (ع) وقال بعض الناس وهو في كتاب النقاش السائحون هم الجائلون بأفكارهم في قدرة الله وملكوته وهذا قول حسن وهو من افضل العبادات والراكون الساجدون هم المصلون الصلوات كذا قال اهل العلم ولكن لا يختلف في ان من يكثر النوافل هو ادخل في الاسم واعرق في الاتصاف \* وقوله والحافظون لحدود الله لفظ عام تحته التزام الشريعة (ت) قال البخاري قال ابن عباس الحدود الطاعة قال ابن العربي في احكامه وقوله والحافظون لحدود الله خاتمة البيان وعموم الاشتمال لكل امر ونهي انتهى \* وقوله سبحانه وبشر المؤمنين قيل هو لفظ عام امر صلى الله عليه وسلم ان يشراهم جميعا بالخير من الله وقيل بل هذه الالفاظ خاصة لمن لم يفرأ لما تقدم في الآية وعده المجاهدين وفضلهم امر صلى الله عليه وسلم ان يبشر سائر المؤمنين ممن لم يفرأ بان الايمان مخلص من النار والحمد لله رب العالمين \* وقوله سبحانه ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية جمهور المفسرين ان هذه الآية نزلت في شأن ابي طالب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه حين احتضر فوعظه وقال اي عم قل لا اله الا الله

الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة ابو جهل وعبد الله بن ابي  
امية فقال له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فقال ابو طالب يا محمد  
والله لولا اني اخاف ان يعير بها ولدى من بعدى لا قررت بها عينك ثم قال هو  
على ملة عبد المطلب ومات على ذلك اذ لم يسمع منه صلى الله عليه وسلم ما  
قال العباس فنزلت انك لا تهدي من احببت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
والله لا استغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية  
فترك نبي الله الاستغفار لابي طالب وروي ان المؤمنين لما رأوا نبي الله يستغفر  
لابي طالب جعلوا يستغفرون لموتاهم فلذلك دخلوا في النهي والآية على هذا  
نسخة لفعله صلى الله عليه وسلم اذ فعله في حكم الشرع المستقر وقال ابن  
عباس وقتادة وغيرهما انما نزلت الآية بسبب جماعة من المؤمنين قالوا  
نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم عليه السلام فنزلت الآية في ذلك وقوله سبحانه  
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الآية المعنى لاحجة ايها المؤمنون في  
استغفار ابراهيم عليه السلام فان ذلك لم يكن الا عن موعدة واختلف  
في ذلك ف قيل عن موعدة من ابراهيم وذلك قوله ساستغفر لك ربي انه  
كان بي حفيًا وقيل عن موعدة من ابيه له في انه سيؤمن فقوي طمعه  
فجعله ذلك على الاستغفار له حتى نهى عنه وموعدة من الوعد واما تبينه  
انه عدو لله قيل ذلك بموت ازر على الكفر وقيل ذلك بانه نهى عنه وهو  
حي وقوله سبحانه ان ابراهيم لاواه حلیم ثناء من الله تعالى على ابراهيم والاواه  
معناه الخائف الذي يكثر التأوه من خوف الله عز وجل والتأوه التوجع  
الذي يكثر حتى ينطق الانسان معه باوه ومن هذا المعنى قول المُشَبِّ  
العبيدي

اذا ما قت ارحلها بليلى \* تأوه أهة الرجل الحزين

ويروى ، اهة وروي ان ابراهيم عليه السلام كان يسمع وجيب قلبه من الحشية كما تسمع اجنحة النور والمفسرين في الاواه عبارات كلها ترجع الى ما ذكرته (ت) روى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا عبد الحميد بن بهرام قال حدثنا شهر بن حوشب قال حدثني عبد الله بن شداد قال قال رجل يا رسول الله ما الاواه قال الاواه الخاشع الدعاء المتضرع قال الله سبحانه ان ابراهيم لاواه حلیم انتهى وحليم معناه صابر محتمل عظيم العقل والحلم العقل \* وقوله سبحانه وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم الآية معناه التائس للمومنين وقيل ان بعضهم خاف على نفسه من الاستغفار للمشرکين فنزلت الآية مونسه اي ما كان الله بعد ان هدى الى الاسلام وانقذ من النار ليحبط ذلك ويضل اهله لمواقعتهم ذنبا لم يتقدم من الله عنه نهي فاما اذا بين لهم ما يتقون من الامور ويتجنبون من الاشياء فيستثذ من واقع شياً من ذلك بعد النهي استوجب العقوبة وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية التوبة من الله تعالى هو رجوعه بعبده من حالة الى ارفع منها فقد تكون في الاكثر رجوعاً من حالة طاعة الى اكمل منها وهذه توبته سبحانه في هذه الآية على نبيه عليه السلام واما توبته على المهاجرين والانصار فمعرضة لان تكون من تقصير الى طاعة وجد في الغزو ونصرة الدين واما توبته على الفريق الذي كاد يزيغ فرجوع من حالة مخطوطة الى حال غفران ورضى وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله في هذه الآية ذكر الله سبحانه توبة من لم يذنب ليلا يستوحش من اذنب لانه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ولم يذنبوا ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا فذكر من لم يذنب ليونس من قد اذنب انتهى من لطائف المنن وساعة العسرة يريد وقت العسرة والعسرة الشدة

وضيق الحال والمدم وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان بن عفان رضي الله عنه بالف رجل والاف دينار وجاء ايضا رجل من الانصار بسبعماية وسق من تمر وهذه غزوة تبوك (ت) وعن ابن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن شان ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فتركنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فاظلت ثم سكبت فماتوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت المسكر رواه الحاكم في مستدركه على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين يعنى مسلما والبخاري انتهى من السلاح ووصل النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك الى اوائل بلد العدو فصالحه اهل اذرح وائلة وغيرها على الجزية ونحوها وانصرف والزيغ المذكور هو ما همت به طائفة من الانصار لما لقوا من المشقة والعسرة قاله الحسن وقيل زينها انما كان يظنون لها ساءت في معنى عزم النبي صلى الله عليه وسلم على تلك الغزوة لما رآته من شدة الحال وقوة العدو المقصود ثم اخبر عز وجل انه تاب ايضا على هذا الفريق وراجع به وانس باعلامه للامة بانه رءوف رحيم والثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك وهلال بن امية الواقفي ومرة بن الربيع العامري وقد خرج حديثهم بكامله البخاري ومسلم وهو في السير فلذلك اختصرنا سوقه وهم الذين تقدم فيهم وءآخرون مرجون لامر الله ومعنى خلفوا آخروا وترك النظر في امرهم قال كعب وليس بتخلفنا عن الغزو وهو بين من لفظ الآية \* وقوله وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ظنوا هنا بمعنى

ايقنوا قال الشيخ بن ابي جمرة رحمه الله قال بعض اهل التوفيق اذا نزلت  
 بي نازلة ما من اي نوع كانت فالهمت فيها اللجأ فلا ابالي بها واللجأ على  
 وجوه منها الاشتغال بالذكر والتعبد وتقويض الامر له عز وجل لقوله تعالى على  
 لسان نبيه من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ومنها  
 الصدقة ومنها الدعاء فكيف بالمجموع انتهى \* وقوله سبحانه ثم تاب عليهم  
 ليتوبوا لما كان هذا القول فى تعديد النعم بدأ فى ترتيبه بالجهة التى هي عن الله عز  
 وجل ليكون ذلك منها على تلقى النعمة من عنده لارب غيره ولو كان هذا القول  
 فى تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التى هي على المذنب كما قال عز وجل فلما زاغوا  
 ازاغ الله قلوبهم ليكون ذلك اشد تقريرا للذنب عليهم وهذا من فصاحة القرآن  
 وبديع نظمه ومعجز اتساقه وبيان هذه الآية ومواقع الفاظها انما يكمل مع  
 مطالعة حديث الثلاثة الذين خلفوا فى الكتب المذكورة فانظره وانما عظم ذنبهم  
 واستحقوا عليه ذلك لان الشرع يطلبهم من الجد فيه بحسب منازلهم منه وتقدمهم  
 فيه اذ هم اسوة وحجة للمنافقين والطاعين اذ كان كعب من اهل العقبة  
 وصاحبه من اهل بدر وفى هذا ما يقتضى ان الرجل العالم والمقتدى به اقل  
 عذرا فى السقوط من سواه وكتب الازاعي رحمه الله الى ابي جعفر المنصور  
 فى ١٠ اخر رسالة واعلم ان قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تريد  
 حق الله عليك الاعظما ولا طاعته الاوجوبا ولا الناس فيما خالف ذلك منك  
 الا انكارا والسلام \* وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اتقوا وكونوا مع  
 الصادقين هذا الامر بالكون مع الصادقين حسن بعد قصة الثلاثة حين  
 نفهم الصدق وذهب بهم عن منازل المنافقين وكان ابن مسعود يتأول الآية  
 فى صدق الحديث واليه نحأ كعب بن مالك \* وقوله سبحانه ما كان  
 لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الآية

هذه الآية معاتبه للمومنين من اهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة وقوة الكلام تعطى الامر بصحبته اين ما توجه غازيا وبذل النفوس دونه والمخمصة مفعلة من خموص البطن وهو ضموره واستعير ذلك لحالة الجوع اذ الخموص ملازم له ومن ذلك قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم \* وجاراتكم غرثي يبتن خمائصا  
وقوله ولا ينالون من عدو نيلا لفظ عام لقليل ما يصنعه المومنون بالكفرة من اخذ مال او ايراد هوان وكثيره ونيلا مصدر نال ينال وفي الحديث ما ازداد قوم من اهلهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا (ت) وروى ابو داود في سننه عن ابي مالك الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من فصل في سبيل الله فمات او قتل فهو شهيد او وقصه فرسه او بعيره او لدغته هامة او مات على فراشه باي حثف شاء الله فانه شهيد وان له الجنة انتهى قال ابن العربي في احكامه قوله عز وجل ولا يقطعون واديا الا كتب لهم يعني الا كتب لهم ثوابه وكذلك قال في المجاهد ان ارواث دوابه وابوالها حسنات له وكذلك اعطى سبحانه لاهل العذر من الاجر ما اعطى للقوي العامل بفضله ففي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الغزوة بعينها ان بالمدينة قوما ما سلكتم واديا ولا قطعتم شبا الا وهم معكم حسبهم العذر انتهى \* وقوله سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة الآية قالت فرقة ان المومنين الذين كانوا بالبادية سكانا ومبعوثين لتعليم الشرع لما سمعوا قول الله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الآية اهمهم ذلك فنفروا الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان يكونوا عصاة في التخلف عن الغزو فنزلت هذه الآية في نفرهم ذلك وقالت فرقة سبب هذه الآية ان



المنافقين لما نزلت الآيات في المتخلفين قالوا هلك اهل البوادي فنزلت هذه الآية مقيمة لعذر اهل البوادي قال (ع) فيجبي قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب عموم في اللفظ والمراد به في المعنى الجمهور والاكثر وتجيء هذه الآية مبينة لذلك وقالت فرقة هذه الآية ناسخة لكل ما ورد من الزام الكافة النفي والقتال وقال ابن عباس ما معناه ان هذه الآية مختصة بالبعوث والسرايا والآية المتقدمة ثابتة الحكم مع خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو وقالت فرقة يشبه ان يكون التفقه في الغزو وفي السرايا لما يرون من نصرة الله لدينه واظهاره العدد القليل من المؤمنين على الكثير من الكافرين وعلمهم بذلك صحة دين الاسلام ومكانته قال (ع) والجمهور على ان التفقه انما هو بمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وقيل غير هذا (ت) وصرح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتهم فانفروا وقد استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في غزوة تبوك واعلن بها حسب ما هو مصرح به في حديث كعب ابن مالك في الصحاح فكان الغب متوجها على من تأخر عنه بعد العلم فيظهر والله اعلم ان الآية الاولى باق حكمها كما قال ابن عباس وتكون الثانية ليست في معنى الغزو بل في شان التفقه في الدين على الاطلاق وهذا هو الذي يفهم من استدلالهم بالآية على فضل العلم وقد قالت فرقة ان هذه الآية ليست في معنى الغزو وانما سببها قبائل من العرب اصابتهم مجاعة فنفروا الى المدينة لمعنى المعاش فكادوا يفسدون بها وكان اكثرهم غير صحيح الايمان وانما اضرعه الجوع فنزلت الآية في ذلك والانذار في الآية عام للكفر والمعاصي والحذر منها ايضا كذلك قال ابن المبارك في رقائقه اخبرنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال اذا اراد الله تبارك وتعالى

بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خصال فقها في الدين وزهادة في الدنيا وبصّره  
بميوبه انتهى \* وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من  
الكفار قيل ان هذه الآية نزلت قبل الامر بقتال الكفار كافة فهي من  
التدريج الذي كان في اول الاسلام قال (ع) وهذا ضعيف فان هذه السورة  
من اخر ما نزل وقالت فرقة معنى الآية ان الله تبارك وتعالى امر فيها  
المومنين ان يقاتل كل فريق منهم الجنس الذي يليه من الكفرة \* وقوله  
سبحانه وليجدوا فيكم غلظة اي خشونة وبأسا ثم وعد سبحانه في  
اخر الآية وحض على التقوى التي هي ملاك الدين والدنيا وبها يلقي العدو  
وقد قال بعض الصحابة انما تقاتلون الناس باعمالكم ووعد سبحانه انه مع  
المتقين ومن كان الله معه فلن يلب \* وقوله تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم  
من يقول ايكم زادته هذه ايمانا الآية هذه الآية نزلت في شان المنافقين  
وقولهم ايكم زادته هذه ايمانا يحتمل ان يكون لمنافقين مثلهم او لقوم من قراياتهم  
على جهة الاستخفاف والتحقير لشان السورة ثم ابتداء عز وجل الرد عليهم بقوله  
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وذلك انه اذا نزلت سورة حدث للمومنين بها  
تصديق خاص لم يكن قبل فتصديقهم بما تضمنته السورة من اخبار وامر  
ونهي امر زائد على الذي كان عندهم قبل وهذا وجه من زيادة الايمان ووجه  
اخر ان السورة ربما تضمنت دليلا او تنبيها على دليل فيكون المومن قد  
عرف الله بعبدة ادلة فاذا نزلت السورة زادت في ادلته ووجه اخر من وجوه  
الزيادة ان الانسان ربما عرضه شك يسير او لاحت له شبهة مشعبة فاذا نزلت  
السورة ارتفعت تلك الشبهة وقوي ايمانه وارتقى اعتقاده عن معارضة  
الشبهات والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والرّجس في اللغة يخي

بمعنى القدر ويجي بمعنى العذاب وحال هؤلاء المنافقين هي قدر وهي عذاب عاجل ككفيل بأجل واذا تجدد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك زيادة رجس الى رجسهم \* وقوله سبحانه اولايرون يعنى المنافقين وقرأ حمزة اولاترون بالتاء من فوق على معنى اولاترون ايها المومنون انهم يفتنون اي يختبرون وقرأ مجاهد مرضة او مرضتين والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها ان الفتنة والاختبار انما هي بكشف الله اسرارهم وافشائه عقائدهم اذ يعلمون ان ذلك من عند الله وبهذا تقوم الحجة عليهم واما الاختبار بالمرض فهو فى المومنين \* وقوله سبحانه واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم المعنى واذا ما انزلت سورة فيها فضيحة اسرار المنافقين نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد اي هل معكم من يتقل عنكم هل يراكم من احد حين تدبرون امورك ثم انصرفوا عن طريق الاهتداء وذلك انهم وقت كشف اسرارهم والاعلام بمغيبات امورهم يقع لهم لاحالة تعجب وتوقف ونظر فلو اريد بهم خير لكان ذلك الوقت مظنة الاهتداء وقد تقدم بيان قوله صرف الله قلوبهم \* وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية مخاطبة للعرب فى قول الجمهور وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم اذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمونه من الاغراض والفصاحة وشرفوا به غابر الدهر وقوله من انفسكم يقتضى مدحا لنسبه صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب وشرفها وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من انفسكم بفتح الفاء من النفاسة ورويت عن النبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله ما عنتم معناه عنتم فما مصدرية والعت المشقة وهي هنا لفظة عامة اي عزيز عليه ما شق عليكم من قتل واسار وامتحان بحسب الحق واعتقادكم ايضا معه حريص عليكم اي على ايمانكم وهذاكم \* وقوله بالمومنين روف اي مبالغ فى الشفقة عليهم قال ابو عبيدة الرافة ارق الرحمة ثم خاطب سبحانه نبيه

بقوله فان تولوا اي اعرضوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب  
العرش العظيم هذه الآية من اخر ما نزل وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد  
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ تفسير سورة يونس عليه السلام ﴾

بعضها نزل بمكة وبعضها بالمدينة قوله عز وجل الرتلک ایات الکتاب  
الحکیم المراد بالکتاب القرآن والحکیم بمعنى محکم ويمكن ان يكون حکیم  
بمعنى ذی حکمة فهو على النسب \* وقوله عز وجل اکان للناس عجا الایة  
قال ابن عباس وغيره سبب هذه الایة استبعاد قريش ان يبعث الله بشرا رسولا  
والقدم هنا ما قدم واختلف فى المراد بها هاهنا فقال ابن عباس ومجاهد  
والضحاک وغيرهم هي الاعمال الصالحات من العبادات وقال الحسن بن ابى  
الحسن وقتادة هي شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ايضا وغيره  
هي السعادة السابقة لهم فى اللوح المحفوظ وهذا الیق الاقوال بالایة ومن  
هذه اللفظة قول حسان رضى الله عنه

لنا القدم العليا اليك وخلفنا \* لاولنا فى طاعة الله تابيع

ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه وسلم حتى يضع الجبار فيها قدمه اي ما  
قدم لها هذا على ان الجبار اسم الله تعالى والصدق هنا بمعنى الصلاح وقال البخاري  
قال زيد بن اسلم قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وقولهم ان هذا

لسحر مبين انما هو بسبب انه فرق بذلك كلمتهم وحال بين القريب وقريبه فاشبه ذلك ما يفعله الساحر في ظنهم القاصر فسموه سحرا \* وقوله سبحانه ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام الآية هذا ابتداء دعاء الى عبادة الله عز وجل وتوحيده وذكر بعض الناس ان الحكمة في خلق الله تعالى هذه الاشياء في مدة محدودة ممتدة وفي القدرة ان يقول لها كن فتكون انما هي ليعلم عباده التوادة والتماهل في الامور قال (ع) وهذا مما لا يوصل الى تعليله وعلى هذا هي الاجنة في البطون وخلق الثمار وغير ذلك والله عز وجل قد جعل لكل شيء قدرا وهو اعلم بوجه الحكمة في ذلك \* وقوله سبحانه يدبر الامر يصح ان يريد بالامر اسم الجنس من الامور ويصح ان يريد الامر الذى هو مصدر امر يامر وتدبيره لا اله الا هو انما هو الانفاذ لانه قد احاط بكل شيء علما قال مجاهد يدبر الامر معناه يقضيه وحده \* وقوله سبحانه ما من شفيع الا من بعد اذنه رد على العرب في اعتقادها ان الاصنام تشفع لها عند الله \* ذلكم الله اي الذى هذه صفاته فاعبدوه ثم قررهم على هذه الايات والمبر فقال افلاتنكرون \* وقوله اليه مرجعكم جميعا الآية انباء بالبعث \* وقوله يبدؤا الخلق يريد النشأة الاولى والاعادة هي البعث من القبور \* ليجزى هي لام كي والمعنى ان الاعادة انما هي ليقع الجزاء على الاعمال \* وقوله بالقسط اي بالعدل \* وقوله الذين كفروا ابتداء والحميم الحار المسخن وحميم النار فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ادناه الكافر من فيه تساقطت فروة رأسه وهو كما وصفه سبحانه يشوى الوجوه \* وقوله سبحانه هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الآية هذا استمرار على وصف آياته سبحانه والتنبيه على صنعته الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته \* وقوله وقدره منازل يحتمل ان يعود الضمير

على القمر وحده لانه المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب عند العرب  
ويحتمل ان يريد الشمس والقمر معا لكنه اجتزا بذكر احدهما كما قال  
والله ورسوله احق ان يرضوه \* وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اي  
وفقا بكم ورفضا للالتباس فى معاشكم وغير ذلك مما يضطر فيه الى معرفة  
التواريخ \* وقوله لقوم يعلمون انما خصهم لان نفع هذا فيهم ظهر \* وقوله  
سبحانه ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض  
الآية اية اعتبار وتنبيه والآيات العلامات وخصص القوم المتقين  
تشريفا لهم اذ الاعتبار فيهم يقع ونسبتهم الى هذه الاشياء المنظور فيها افضل  
من نسبة من لم يعتد ولا اتقى \* وقوله سبحانه ان الذين لا يرجون لقاءنا  
الآية قال ابو عبيدة وغيره يرجون فى هذه الآية بمعنى يخافون واحتجوا  
ببيت ابى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسمها \* وحالفها فى بيت نوب عوامل  
وقال ابن سيده والفراء لفظه الرجاء اذا جاءت منفية فانها تكون بمعنى  
الخوف فعلى هذا التاويل معنى الآية ان الذين لا يخافون لقاءنا وقال بعض  
اهل العلم الرجاء فى هذه الآية على بابه وذلك ان الكافر المكذب بالبعث  
لا يحسن ظنا بانه يلقى الله ولا له فى الآخرة امل اذ لو كان له فيها امل لقارنه  
لإحالة خوف وهذه الحال من الخوف المقارن هي القائدة الى النجاة  
قال (ع) والذي اقول به ان الرجاء فى كل موضع هو على بابه وان بيت  
الهذلي معناه لم يرج فقد لسمها قال ابن زيد هذه الآية فى الكفار \*  
وقوله سبحانه ورضوا بالحياة الدنيا يريد كانت منتهى غرضهم وقال قتادة  
فى تفسير هذه الآية اذا شئت رأيت هذا الموصوف صاحب دنيا لها  
ينضب ولها يرضى ولها يفرح ولها يهتم ويحزن فكان قتادة صورها فى العصاة

ولا يترتب ذلك الامع تأول الرجاء على بابه لان المومن العاصي مستوحش من آخرته فاما على التاويل الاول فن لا يخاف الله فهو كافر \* وقوله واطمانوا بها تكميل في معنى القناعة بها والرفض لغيرها \* وقوله والذين هم عن آياتنا غافلون يحتمل ان يكون ابتداء اشارة الى فرقة اخرى ثم عقب سبحانه بذكر الفرقة الناجية فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم الآية الهداية في هذه الآية تحتمل وجهين احدهما ان يريد انه يهديهم ويشبهم الثاني ان يريد انه يرشدهم الى طريق الجنان في الآخرة \* وقوله بايمانهم يحتمل ان يريد بسبب ايمانهم ويحتمل ان يكون الايمان هو نفس الهدى اي يهديهم الى طريق الجنة بنور ايمانهم قال مجاهد يكون لهم ايمانهم نورا يمشون به ويتركب هذا التاويل على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا قام من قبره للحشر تمثل له رجل جميل الوجه طيب الرائحة فيقول من انت فيقول انا عمك الصالح فيقوده الى الجنة وبمعكس هذا في الكافر ونحو هذا مما اسنده الطبري وغيره \* وقوله سبحانه دعواهم اي دعاؤهم فيها وسبحانك اللهم تقديس وتسبيح وتنزيه لجلاله سبحانه عن كل ما لا يليق به وقال علي بن ابي طالب في ذلك هي كلمات رضيها الله تعالى لنفسه وقال طلحة بن عبيد الله قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله فقال معناها تنزيها لله من السوء وحكي عن بعض المفسرين انهم رووا ان هذه الكلمة انما يقولها المومن عند ما يشتهي الطعام فانه اذا رأى طائرا او غير ذلك قال سبحانك اللهم فنزلت تلك الارادة بين يديه فوق ما اشتهى رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة وعبارة الداودي عن ابن جريج دعواهم فيها قال اذا مربهم الطائر يشتهونه كان دعواهم به سبحانك اللهم فياكلون منه ما يشتهون ثم يطير واذا جاءتهم

الملائكة بما يشتهون سلموا عليهم فذلك قوله وتحييتهم فيها سلام واذا اكلموا حاجتهم قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك قوله وَاخِرُ دَعْوَاهُمْ اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* وقوله سبحانه وتحييتهم فيها سلام يريد تسليم بعضهم على بعض والتحية مأخوذة من تمنى الحياة للانسان والدعاء بها يقال حياه ويحييه ومنه قول زهير بن جناب

من كل ما نال الفتى \* قد نلتها الا التحية

يريد دعاء الناس للملك بالحياة وقال بعض العلماء وتحييتهم يريد تسليم الله تعالى عليهم والسلام مأخوذ من السلامة وَاخِرُ دَعْوَاهُمْ اِي خَاتَمَةُ دَعَائِهِمْ وَكَلَامِهِمْ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ حَمْدُ اللَّهِ وَشُكْرُهُ عَلَى مَا اسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي احْكَامِهِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ الْاَوَّلُ اِنَّ الْمَلِكَ يَأْتِيهِمْ بِمَا يَشْتَهُونَ فَيَقُولُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اِي سَلَمْتُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ فَاِذَا اَكْلَمُوا قَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الثَّانِي اَنْ مَعْنَى تَحِيَّتِهِمْ اِي تَحِيَّةٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ اَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ اَدَمَ ثُمَّ قَالَ لَهُ اذْهَبْ اِلَى اَوْلَآئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ فَجَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا لَهُ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ اِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَيْنَ فِي الْقُرْآنِ هَاهُنَا اِنَّهَا تَحِيَّتُهُمْ فِي الْجَنَّةِ فَهِيَ تَحِيَّةٌ مَوْضُوعَةٌ مِنْ اَوَّلِ الْخَلْقَةِ اِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَتَحِيَّتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ اِي هَذَا السَّلَامُ الَّذِي بَيْنَ اِظْهَرَكُمْ وَهَذَا اِظْهَرَ الْاِقْوَالِ وَاللَّهُ اعْلَمُ اَنْتَهَى وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ وَهِيَ عِنْدَ سِبْوِيهِ اَنْ الْخَفِيفَةَ مِنَ الثَّقِيلَةِ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الْاَعَشَى

فِي فِتْيَةِ كَسِيفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا \* اِنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْنِي وَيَنْتَعِلُ

وقوله سبحانه ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم



الآية هذه الآية نزلت في دعاء الرجل على نفسه او ولده او ماله فاخبر سبحانه انه لو فعل مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريد فعله معهم في اجابته الى الخير لاهلكهم وحذف بعد ذلك جملة يتضمنها الظاهر تقديرها فلا يفعل ذلك ولكن يذر الذين لا يرجون لقاءنا الآية وقيل ان هذه الآية نزلت في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت في قولهم ايتنا بما تعدنا وما جرى مجراه والعمه الجبط في ضلال \* وقوله سبحانه واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الآية هذه الآية ايضا عتاب على سوء الخلق من بعض الناس ومضمنه النهي عن مثل هذا والامر بالتسليم الى الله والضراعة اليه في كل حال والعلم بان الخير والشر منه لا رب غيره وقوله لجنبه في موضع الحال كانه قال مضطجعا والضر عام لجميع الامراض والرزايا \* وقوله مريقتضى ان نزولها في الكفار ثم هي بعد تتناول كل من دخل تحت معناها من كافر وعاص \* وقوله سبحانه ولقد اهلكنا القرون من قبلكم الآية آية وعيد للكفار وضرب امثال لهم وخلافت جمع خليفة \* وقوله لننظر معناه لنبين في الوجود ما علمناه ازلا لكن جرى القول على طريق الایجاز والفصاحة والمجاز وقال عمر رضي الله عنه ان الله تعالى انما جعلنا خلفاء لينظر كيف عملنا فاروا الله حسن اعمالكم في السر والعلانية \* وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني بعض كفار قريش ايت بقرءان غير هذا او بدله ثم امر سبحانه نبيه ان يرد عليهم بالحق الواضح فقال قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا اعلمكم به وادريكم بمعنى اعلمكم تقول دريت بالامر وادريت به غيري ثم قال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني الاربعين سنة قبل بعثته عليه السلام اي فلم تجربوني في كذب ولا تكلمت في شيء من هذا افلا تعلقون ان

من كان على هذه الصفة لا يصح منه كذب بعد ان ولى عمره وتقاصر امله واشتدت حنكته وخوفه لربه \* وقوله فن اظلم استفهام وتقرير اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا او ممن كذب بآياته بعد بيانها والضمير في يمدون لكفار قريش وقولهم هو لا شفاعونا عند الله هذا قول النبلاء منهم ثم امر سبحانه نبيه ان يقررهم ويونجهم بقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض وذكر السموات لان من العرب من يمد الملائكة والشعري وبحسب هذا حسن ان يقول هو لا شفاعونا وقيل ذلك على تجوز في الاصنام التي لا تمقل \* وقوله سبحانه وما كان الناس الا امة واحدة فاختلوا قالت فرقة المراد ادم كان امة وحده ثم اختلف الناس بعده وقالت فرقة المراد ادم وبنوه من لدن نزوله الى قتل احد ابنه الآخر ويحتمل ان يريد كان الناس صنفا واحدا بالفطرة معدا للاهتداء وقد تقدم الكلام على هذا في قوله سبحانه كان الناس امة واحدة \* وقوله سبحانه ولولا كلمة سبقت من ربك يريد قضاءه وتقديره لبني ادم بالآجال الموقته ويحتمل ان يريد الكلمة في امر القيامة وان العقاب والثواب انما يكون حينئذ \* وقوله فقل انما النيب لله اي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل \* وقوله فانتظروا وعيد \* وقوله سبحانه واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الآية هذه الآية في الكفار وهي بعد تناول من العصاة من لا يودى شكر الله عند زوال المكروه عنه ولا يرتدع بذلك عن معاصيه وذلك في الناس كثير والرحمة هنا بعد الضراء كالطر بعد القحط والامن بعد الخوف ونحو هذا مما لا ينحصر والمكر الاستهزاء والظمن عليها من الكفار واطراح الشكر والخوف من العصاة وقال ابو علي اسرع من سرع لا من اسرع يسرع اذ لو كان من اسرع لكان شاذا قال (ع) وفي

الحديث في نار جهنم لحي اسود من القار وما حفظ للنبي صلى الله عليه وسلم فليس بشاذ (ص) ورد بان اسود من فعل لا من افعل تقول سود فهو اسود وانما امتنع من سود ونحوه عند البصريين لانه لون انتهى \* وقوله سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر الآية تعديد نعم منه سبحانه على عباده \* وقوله سبحانه دعوا الله مخلصين له الدين اى نسوا الاصنام والشركاء وافردوا الدعاء لله سبحانه وذكر الطبري في ذلك عن بعض العلماء حكاية قول المعجم هيا شرا هيا ومعناه يا حي يا قيوم ويبغون معناه يفسدون \* وقوله متاع الحياة الدنيا متاع خبر مبتدا محذوف تقديره هو متاع او ذلك متاع ومعنى الآية انما بغيركم وافسادكم مضر لكم وهو في حالة الدنيا ثم تلقون عقابه في الآخرة قال سفيان بن عيينة انما بغيركم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اى تعجل لكم عقوبته وعلى هذا قالوا النبي يصرع اهله قال (ع) وقالوا الباغي مصروع قال تعالى ثم بني عليه لينصرنه الله وقال النبي عليه السلام ما ذنب اسرع عقوبة من بني \* وقوله سبحانه انما مثل الحيوة الدنيا اى تفاخر الحياة الدنيا وزينتها بالمال والبنين اذ مصير ذلك الى الفناء كقطر نزل من السماء فاختلط به نبات الارض اى اختلط النبات بمضه بعض بسبب الماء ولفظ البخاري قال ابن عباس فاختلط به نبات الارض فنبت بالماء من كل لون انتهى واخذت الارض لفظة كثرت في مثل هذا كقوله خذوا زينتكم والزخرف التزيين بالالوان وقرأ ابن مسعود وغيره وترنت وهذه اصل قراءة الجمهور \* وقوله وظن اهله على بابها وهذا الكلام فيه تشبيه جملة امر الحياة الدنيا بهذه الجملة الموصوفة احوالها وحتى غاية وهي حرف ابتداء لدخولها على اذا ومعناها متصل الى قوله قادرون عليها ومن بعد ذلك بدأ الجواب والامر الآتى واحد الامور كالريح والصر والسموم ونحو ذلك وتقسيمه

ليلا او نهارا تنبيه على الخوف وارتفاع الامن في كل وقت وحصيда بمعنى  
محصول اي تالفا مستهلكا كأن لم تنغن اي كان لم تنضر ولم تنعم ولم تعمربفضارتها  
ومعنى الآية التحذير من الاغترار بالدنيا اذ هي معرضة للتلف كنبات هذه الارض  
وخص المتفكرين بالذكر تشريفا للمنزلة وليقع التسابق الى هذه الرتبة \* والله  
يدعو الى دار السلام الآية نص ان الدعاء الى الشرع عام في كل بشر  
والهداية التي هي الارشاد مختصة بمن قدر ايمانه والسلام هنا قليل هو اسم  
من اسماء الله تعالى والمعنى يدعو الى داره التي هي الجنة وقيل السلام بمعنى  
السلامة \* وقوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الجمهور الحسنى الجنة  
والزيادة النظر الى وجه الله عز وجل وفي صحيح مسلم من حديث صهيب فيكشف  
الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل وفي رواية ثم  
تلا هذه الآية للذين احسنوا الحسنى وزيادة واخرج هذه الزيادة النسائي عن  
صهيب واخرجها عن صهيب ايضا ابو داود الطيالسي انتهى من التذكرة \*  
وقوله سبحانه ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة الآية ويرهق معناه ينفى مع  
غلبة وتضييق والقتر الغبار المسود \* وقوله سبحانه والذين كسبوا  
السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت فرقة التقدير لهم جزاء سيئة بمثلها وقالت  
فرقة التقدير جزاء سيئة مثلها والباء زائدة وتعم السيئات هاهنا الكفر  
والمعاصي والعاصم المنجى والمجير واغشيت كسيت والقطع جمع قطعة وقرأ  
ابن كثير والكسائي قطما من الليل بسكون الطاء وهو الجزء من الليل  
والمراد الجزء من سواده وباقي الآية بين ومكانكم اسم فعل الامر ومعناه  
قفوا واسكنوا (ت) قال (ص) وقدر باثبتوا واما من قدره بالزموا مكانكم  
فمردود لان الزموا متعد ومكانكم لا يتعدى فلا يقدر به والا لكان متعديا  
واسم الفعل على حسب الفعل ان متعديا فتعد وان لازما فلازم ثم اعتذر بانه

يمكن ان يكون تقديره بالزمو تقدير معنى لا تقدير اعراب فلا اعتراض انتهى  
قال (ع) فاخبر سبحانه عن حالة تكون لعبدة الاوثان يوم القيامة يومرون  
بالاقامة في موقف الحزي مع اصنامهم ثم ينطق الله شركاءهم بالتبري منهم \*  
وقوله فزيلنا بينهم معناه فرقنا في الحجّة والمذهب روي عن النبي صلى الله عليه  
وسلم ان الكفار اذا رأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب قيل لهم اتبعوا ما  
كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد هؤلاء فتقول الاصنام والله ما كنا نسمع  
ولا نعقل وما كنتم ايانا تعبدون فيقولون والله لا ياكم كنا نعبد فتقول الالهة  
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم الآية وظاهر الآية ان محاورتهم انما هي  
مع الاصنام دون الملائكة وعيسى بدليل القول لهم مكانكم انتم وشركاؤكم  
ودون فرعون ومن عبد من الجن بدليل قولهم ان كنا عن عبادتكم لغافلين  
وان هذه عند سيبويه المخفضة من الشقيلة موجبة ولزمتها اللام فرقا بينها  
وبين ان النافية وعند الفراء ان نافية بمعنى ما واللام بمعنى الا وقرأ نافع وغيره  
تبلوا بالباء الموحدة بمعنى تختبر وقرأ حمزة والكسائي تتلوا بباءين بمعنى تتبع  
وتطاب ما اسفلت من اعمالها (ت) قال (ص) كقوله

ان المريب يتبع المريباً \* كما رأيت الذيب يتلو الذيبا  
اي يتبعه انتهى ويصح ان يكون بمعنى تقرأ كتبها التي تدفع اليها \* وقوله  
ومن يدبر الامر الآية تدبير الامر عام في جميع الاشياء وذلك استقامة  
الامور كلها على ارادته عز وجل وليس تدبيره سبحانه بفكر وروية  
وتغييرات تعالى عن ذلك بل علمه سبحانه محيط كامل دائم \* فيقولون الله اي  
لامندوحة لهم عن ذلك ولا تمكّنهم المباهة بسواه فاذا اقرؤا بذلك  
فقل افلا تتقون في افترائكم وجعلكم الاصنام الهة \* وقوله فذلكم  
الله ربكم الآية يقول فهذا الذي هذه صفاته ربكم الحق اي المستوجب للعبادة

والالوهية واذا كان كذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق قال (ع)  
وعبارة القراءان في سوق هذه المعاني تفوت كل تفسير براعة وإيجازا ووضوحا  
وحكمت هذه الآية بانه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه  
المسئلة التي هي توحيد الله تعالى وكذلك هو الامر في نظائرها من مسائل  
الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام فيها انما في تقرير وجود  
ذات كيف هي وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها لكل  
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا \* وقوله فاني تصرفون تقرير كما قال فاني  
تذهبون ثم قال كذلك حقت اي كما كانت صفات الله كما وصف وعبادته  
واجبة كما تقرر وانصراف هؤلاء كما قدر عليهم كذلك حقت كلمات ربك  
الآية وقرأ ابو عمرو وغيره كلمة على الافراد الذي يراد به الجمع كما يقال  
للقصيدة كلمة فغير عن وعيد الله تعالى بكلمة \* وقوله سبحانه قل هل من  
شركائكم من يبدؤا الخلق ثم بيده الآية توقيف على قصور الاصنام وعجزها  
وتنبه على قدرة الله عز وجل وتوفكون معناه تصرفون وتحرمون وارض ما فوكة  
اذالم يصبها مطرفهي بمعنى الحيسة \* وقوله تعالى قل هل من شركائكم من  
يهدى الى الحق اي يبين طرق الصواب ثم وصف الاصنام بانها لا تهدي الا  
ان تهدي \* وقوله الا ان يهدى فيه تجوز لانا نجدها لا تهدي وان هديت  
وقال بعضم هي عبارة عن انها لا تنتقل الا ان تنتقل ويحتمل ان يكون  
ما ذكر الله من تسبيح الجادات هو اهتداؤها وقرأ نافع وابو عمرو يهدى  
بسكون الهاء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابن عامر يهدى بفتح الياء  
والهاء وتشديد الدال وهذه رواية ورش عن نافع وقرأ حمزة والكسائي يهدى  
بفتح الياء وسكون الهاء ومعنى هذه القراءة امن لا يهدى احدا الا ان  
يهدى ذلك الاحد ووقف القراء فاما لكم ثم يبدأ كيف تحكمون \*

وقوله سبحانه وما يتبع اكثرهم الاظنا الآية اخبر الله سبحانه عن فساد طريقتهم وضعف نظرهم وانه ظن ثم بين منزلة الظن من المعارف وبعده عن الحق \* وقوله سبحانه وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه هذا رد لقول من يقول ان محمدا يفترى القرآن والذي بين يديه التوراة والانجيل وهم يقطعون انه لم يطالع تلك الكتب ولا هي في بلده ولا في قومه وتفصيل الكتاب هو تبينه \* وقوله ام يقولون افترأ الآية ام هذه ليست بالمعادلة لهزمة الاستفهام في قوله ازيد قام ام عمرو ومذهب سيبوية انها بمنزلة بل ثم عجزهم سبحانه بقوله قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم الآية والتحدى في هذه الآية عند الجمهور وقع يجهتي الاعجاز اللتين في القرآن احدهما النظم والرصف والابحار والجزالة كل ذلك في التعريف والاخرى المعاني من الغيب لما مضى ولما يستقبل وحين تحداهم بمشرمقريات انما تحداهم بالنظم وحده ثم قال (ع) هذا قول جماعة المتكلمين ثم اختار ان الاعجاز في الايتين انما وقع في النظم لا في الاخبار بالغيوب (ت) والصواب ما تقدم للجمهور واليه رجع في سورة هود واوجه اعجاز القرآن اكثر من هذا وانظر الشفا وقوله من استطعتم احالة على شركائهم \* وقوله سبحانه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية المعنى ليس الامر كما قالوا من انه مفترى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله اي تفسيره وبيانه ويحتمل ان يريد بما لم ياتهم تاويله اي ما يشول اليه امره كما هو في قوله هل ينظرون الا تاويله وعلى هذا فالآية تتضمن وعيدا والذين من قبلهم من سلف من امم الانبياء \* وقوله سبحانه ومنهم من يؤمن به الآية اي ومن قريش من يؤمن بهذا الرسول ولهذا الكلام معنيان قالت فرقة معناه من هؤلاء القوم من سيؤمن في المستقبل ومنهم من

حتم الله عليه انه لا يؤمن به ابدا وقالت فرقة معناه ومنهم من يؤمن بهذا الرسول الا انه يكتُم ايمانه حفظا لرياسته او خوفا من قومه كالفِتنَةِ الذين قتلوا مع الكفار ببدر قال (ع) وفائدة الآية على هذا التأويل التفريق لكلمة الكفار واضعاف نفوسهم وفي قوله وربك اعلم بالمفسدين تهديد ووعد \* وقوله سبحانه وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم الآية فيها منابذة ومتاركة قال كثير من المفسرين منهم ابن زيد هذه الآية منسوخة بالقتال وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه ويوم نحشرهم الآية وعيد بالحشر وخزيهم فيه وتعارفهم على جهة التلاوم والخزي من بعضهم لبعض حيث لا ينفع ذلك \* وقوله سبحانه قد خسر الذين كذبوا بقاء الله الى اخرها حكم من الله عز وجل على المكذبين بالحشران وفي اللفظ اغلاظ وقيل ان هذا الكلام من كلام المحشورين على جهة التوبيخ لانفسهم (ت) والاول ابين \* وقوله واما نرينك الآية اما شرط وجوابه فالينا والرؤية في نرينك بصرية ومعنى هذه الآية الوعد بالرجوع الى الله تعالى اي ان اريناك عقوبتهم او لم نركها فهم على كل حال راجعون الينا الى الحساب والعذاب ثم مع ذلك فانه شهيد من اول تكليفهم على جميع اعمالهم فثم لترتيب الاخبار لالترتيب القصص في انفسها واما هي ان زيدت عليها ما ولاجلها جاز دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يحز (ص) واعترض بان مذهب سيبويه جواز دخولها وان لم تكن ما انتهى \* وقوله سبحانه ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط قال مجاهد وغيره المعنى فاذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم صير قوم للجنة وقوم للنار فذلك القضاء بينهم بالقسط \* وقوله سبحانه ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون الآية الضمير



في يقولون لكفار قريش وسؤالهم عن الوعد تحرير منهم بزعمهم للحجة اي  
 هذا العذاب الذى توعدا به حدد لنا وقته لنعلم الصدق فى ذلك من الكذب  
 ثم امر الله تعالى نبيه ان يقول على جهة الرد عليهم قل لا املك لنفسى  
 ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولكن اكل امة اجل انفرد الله بعلم حده ووقه  
 وباقى الآية بين \* وقوله ما ذا يستعجل منه المجرمون اي فما تستعجلون  
 منه وانتم لا قبل لكم به والضمير فى منه يحتمل ان يعود على الله عز وجل  
 ويحتمل ان يعود على العذاب \* وقوله اثم اذا ما وقع امنتكم به المعنى اذا وقع  
 العذاب وعائنتموه امنتكم حينئذ وذلك غير نافعكم بل جوابكم الآن وقد  
 كنتم تستعجلونه مكذبين به ويستنبئونك معناه يستخبرونك وهي على هذا  
 تتمدى الى مفعولين احدهما الكاف والآخر الجملة وقيل هي بمعنى يستعملونك  
 فعلى هذا تحتاج الى ثلاثة مفاعيل (ص) ورد بان الاستنباء لا يحفظ تعديه  
 الى ثلاثة ولا استعمل الذى هو بمعناه انتهى واحق هو قيل الاشارة الى الشرع  
 والقرآن وقيل الى الوعيد وهو اظهر \* وقوله اي وربى اي بمعنى نعم وهي  
 لفظة تتقدم القسم ويحى بعدها حرف القسم وقد لا يحى تقول اي وربى  
 واي ربى ومعجزين معناه مفلتين \* وقوله سبحانه ولو ان لكل نفس ظلمت ما  
 فى الارض لافتدت به واسروا الندامة الآية واسروا لفظة تجيى بمعنى اخفوا  
 وهي حينئذ من السروتجيى بمعنى اظهروا وهي حينئذ من اسارير الوجه (ص)  
 قال ابو البقاء وهو مستأنف وهو حكاية ما يكون فى الآخرة \* وقوله  
 تعالى الا ان الله ما فى السموات والارض الآية الاستفتاح وتنبيه وباقى  
 الآية بين \* وقوله سبحانه يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم  
 الآية هذه اية خوطب بها جميع العالم والموعظة القرآنية لان الوعظ انما هو  
 بقول يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويرقق القلوب ويعد ويوعده وهذه صفة الكتاب

العزیز وقوله من ربكم يريد لم يخلقها محمد ولا غيره وما في الصدور يريد به الجهل ونحوه وجعله موعظة بحسب الناس اجمع وجعله هدى ورحمة بحسب المومنين فقط وهذا تفسير صحيح المعنى اذا تأمل بان وجهه \* وقوله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال ابن عباس وغيره الفضل الاسلام والرحمة القرآن وقال ابو سعيد الخدري الفضل القرآن والرحمة ان جعلهم من اهله وقال زيد بن اسلم والضحاك الفضل القرآن والرحمة الاسلام قال (ع) ولا وجه عندى لشيء من هذا التخصيص الا ان يستند شيء منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما الذى يقتضيه اللفظ ويلزم منه ان الفضل هو هداية الله تعالى الى دينه والتوفيق الى اتباع شرعه والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التى جعلها جزاء على التشريع بالاسلام والايمان به ومعنى الآية قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله ورحمته فليقع الفرح منكم لا بامور الدنيا وما يجمع من حطامها فان قيل كيف امر الله بالفرح فى هذه الآية وقد ورد ذمه فى قوله فرح فخور وفى قوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين قيل ان الفرح اذا ورد مقيدا فى خير فليس بمذموم وكذلك هو فى هذه الآية واذا ورد مقيدا فى شر او مطلقا لحقه ذم اذ ليس من افعال الآخرة بل ينبغى ان يغلب على الانسان حزنه على دينه وخوفه لربه \* وقوله مما يجمعون يريد مال الدنيا وحطامها الفانى المردى فى الآخرة \* وقوله سبحانه قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية قال (ص) ارايتم مضمن معنى اخبروني وما موصولة قال (ع) هذه المخاطبة لكفار العرب الذين جعلوا الجاهل والسواى وغير ذلك \* وقوله انزل لفظه فيها تجوز \* وقوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة اية وعيد لما تحقق عليهم بتقسيم الآية التى قبلها انهم مفترون على

الله عظم في هذه الآية جرم الافتراء اي ظنهم في غاية الرداءة بحسب سوء  
افعالهم ثم ثنى بذكر الفضل على الناس في الامهال لهم مع الافتراء والعصيان  
اذ الامهال لهم داعية الى التوبة والانابة ثم الآية تعم جميع فضل الله  
سبحانه وجميع تقصير الخلق \* وقوله سبحانه وما تكون في شأن الآية  
مقصد هذه الآية وصف احاطة الله عز وجل بكل شيء لا رب غيره ومعنى  
اللفظ وما تكون يا محمد والمراد هو وغيره في شأن من جميع الشئون  
وما تتلوا منه الضمير عائد على شأن اي فيه وبسببه من قرآن ويحتمل ان يعود  
الضمير على جميع القرآن وقال (ص) ضمير منه عائد على شأن ومن قرآن  
تفسير للضمير انتهى وهو حسن ثم عم سبحانه بقوله ولا تعملون من عمل  
وفي قوله سبحانه الا كنا عليكم شهودا تحذير وتنبيه (ت) وهذه الآية  
عظيمة الموقع لاهل المراقبة تثير من قلوبهم اسراراً ويفتخرون من بحر فيضها انواراً  
وتفيضون معناه تآخذون وتنهضون يجد وما يعزب معناه وما يغيب عن ربك  
من مثقال ذرة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ ويحتمل ما كتبه الحفظة \*  
وقوله سبحانه الا ان اولياء الله الآية الاستفتاح وتنبيه واولياء الله هم  
المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطى ظاهرها ان من آمن  
واتقى الله فهو داخل في اولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي  
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اولياء الله فقال الذين اذا  
رايتهم ذكرت الله قال (ع) وهذا وصف لازم للمتقين لانهم يخشعون  
ويخشعون وروي عنه صلى الله عليه وسلم ايضا انه قال اولياء الله قوم تحابوا في  
الله واجتمعوا في ذاته لم تجمعهم قرابة ولا مال يتعاطونه وروى الدارقطني  
في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيار عباد الله الذين اذا رءوا  
ذكر الله وشرعوا الله المشاءون بالنسيئة المرفقون بين الالفة الباغون

للبراء العيب انتهى من الكوكب الدري \* وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون  
 يعني في الآخرة ويحتمل في الدنيا لا يخافون احدا من اهل الدنيا ولا من  
 اعراضها ولا يحزنون على ما فاتهم منها والاول اظهر والعموم في ذلك صحيح  
 لا يخافون في الآخرة جملة ولا في الدنيا الخوف الدنياوي وذكر الطبري  
 عن جماعة من العلماء مثل ما في الحديث في الاولياء انهم هم الذين اذا رآهم احد  
 ذكر الله وروي فيهم حديث ان اولياء الله هم قوم يتحابون في الله ويحمل  
 لهم يوم القيامة منابر من نور وتنير وجوههم فهم في عرصات القيامة لا يخافون  
 ولا يحزنون وروي عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان  
 من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمكانتهم  
 من الله قالوا ومن هم يا رسول الله قال قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام  
 ولا اموال الحديث ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (ت)  
 وقد خرج هذا الحديث ابوداود والنسائي قال ابوداود في هذا الحديث  
 فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ذكره باسناد اخر انتهى ورواه  
 ايضا ابن المبارك في رقايقه بسنده عن ابي مالك الاشعري ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا ان لله عبادا  
 ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقرىهم من  
 الله عز وجل فقال اعرابي انتم لنا يا نبي الله فقال هم ناس من ابناء الناس  
 لم تصل بينهم ارحام متقاربة تحابوا في الله وتضافوا فيه يضع الله لهم يوم  
 القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا فينزع  
 الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم  
 يحزنون انتهى \* وقوله تعالى لهم البشرى الآية اما بشرى الآخرة فهي  
 بالجنة بلا خلاف قولوا واحدا وذلك هو الفضل الكبير واما بشرى الدنيا

فتظاهرت الاحاديث من طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وقال قتادة والضحاك البشـرى في الدنيا هي ما يبشر به المؤمن عند موته وهو حي عند المعينة ويصح ان تكون بشـرى الدنيا ما في القرآن من الآيات المبشرات ويقوى ذلك بقوله لا تبديل لكلمات الله ويؤول قوله صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا انه اعطى مثالا يعم جميع الناس \* وقوله سبحانه لا تبديل لكلمات الله يريد لا خلف لمواعيده ولا رد في امره وقد اخذ ذلك ابن عمر على نحو غير هذا وجعل التبديل المنفي في الالفاظ وذلك انه روي ان الحجاج خطب فقال الا ان عبد الله بن الزبير قد بدل كتاب الله فقال له عبد الله بن عمر انك لا تطيق ذلك انت ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله وقد روي هذا النظر عن ابن عباس في غير مقابلة الحجاج ذكره البخاري \* وقوله تعالى ولا يحزنك قولهم اي قول قرش فهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظة القول تعم حدودهم واستهزاءهم وخداعهم وغير ذلك ثم ابتداء تعالى فقال ان العزة لله جميعا اي لا يقدرون لك على شيء ولا يؤذونك الا بما شاء الله ففي الآية وعيد لهم ثم استفتح بقوله الا ان الله من في السموات ومن الارض اي بالملك والاحاطة \* وقوله تعالى وما يتبع بصح ان تكون ما استفهاما ويصح ان تكون نافية (ت) ورجح هذا الثاني \* وقوله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان نافية ويخرصون معناه يحدسون ويخمنون \* وقوله عز وجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الآية في هذه الالفاظ ايجاز واحالة على ذهن السامع لان العبرة في ان الليل مظلم يسكن فيه والنهار مبصر يتصرف فيه فذكر طرفا من هذا وطرفا من الجهة الثانية ودل المذكوران على المتروكين \* وقوله يسمعون يريد يوعون والضمير في قالوا لكفار العرب ثم الآية بعد تعم كل من قال نحو هذا القول كالنصارى

وسبحانه معناه تنزيها له وبراءة من ذلك فسر بهذا النبي صلى الله عليه وسلم \*  
 وقوله ان عندكم من سلطان بهذا ان نافية والسلطان الحجة وكذلك معناه  
 حيث تكرر في القرآن ثم ونجهم تعالى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون \*  
 وقوله سبحانه ان الذين يضتروا الآية توعد لهم بانهم لا يظفرون ببغية ولا  
 يبقون في نعمة اذ هذه حال من يصير الى العذاب وان نعم في دنياه يسيرا \*  
 وقوله تعالى متاع مرفوع على خبر ابتداء اي ذلك متاع قال (ص) متاع جواب  
 سؤال مقدركانه قيل كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون باتواع  
 التلذذات فقيل ذلك متاع فهو خبر مبتدا محذوف انتهى وهذا الذي قدره  
 (ص) يفهم من كلام (ع) وقول نوح عليه السلام يا قوم ان كان كبر عليكم  
 مقامى الآية المقام وقوف الرجل لكلام او خطبة او نحوه والمقام بضم الميم  
 اقامته ساكنا في موضع او بلد ولم يقرأ هنا بضم الميم فيما علمت وتذكيره  
 وعظه وزجره \* وقوله فاجمعوا من اجمع الرجل على الشيء اذا عزم عليه ومنه  
 الحديث ما لم يجمع مكثا وامركم يريد به قدرتكم وحيلكم ونصب الشركاء  
 بفعل مضمر كانه قال وادعوا شركاءكم فهو من باب

علفتها تبنا وما باردا \* حتى شتت هالة عيناها

وفي مصحف ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم قال الفارسي وقد ينتصب  
 الشركاء بواو مع كما قالوا جاء البرد والطيا لسة \* وقوله ثم لا يكن امركم  
 عليكم غمة اي ملتبسا مشكلا ومنه قوله عليه السلام في الهلال فان غم عليكم \*  
 وقوله ثم اقضوا الي ولا تنظروا اي انفذوا قضاءكم نحوى ولا تؤخروني والنظرة  
 التأخير \* وقوله سبحانه فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف  
 مضى شرح هذه المعاني \* وقوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة المنذرين  
 مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم يشاركه في معناها جميع الخلق \* وقوله

سبحانه ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم الضمير في من بعده عائد على نوح عليه السلام \* وقوله تعالى فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين معنى هذه الآية ضرب المثل لحاضري نبينا محمد عليه السلام ليعتبروا بمن سلف والبيانات المعجزات والضمائر في ما كانوا ليؤمنوا وفي كذبوا تعود الثلاثة على قوم الرسل وقيل الضمير في كذبوا يعود على قوم نوح وقد تقدم تفسير نظيرها في الاعراف \* وقوله سبحانه فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين الآية يريد بالحق ايتي العصا واليد \* وقوله اسحر هذا قالت فرقة هو حكاية عن موسى عنهم ثم اخبرهم موسى عن الله ان الساحرين لا يفلحون ثم اختلفوا في معنى قول قوم فرعون فقال بعضهم قالها منهم كل مستفهم جاهل بالامر فهو يسئل عنه وهذا ضعيف وقال بعضهم بل قالوا ذلك على معنى التعظيم للسحر الذي راوه وقالت فرقة ليس ذلك حكاية عن موسى عنهم وانما هو من كلام موسى وتقدير الكلام اتقولون للحق لما جاءكم سحر ثم ابتداء يوقفهم بقوله اسحر هذا على جهة التوبيخ وقولهم لتلفتنا اي لتصرفنا وتلوينا وتردنا عن ديننا ابائنا يقال لفت الرجل عنق الآخر اذا الواه ومنه قولهم التفت فانه افتعل من لفت عنقه اذا الواه والكبرياء مصدر من الكبر والمراد به في هذا الموضع الملك قاله اكثر المتأولين لانه اعظم تكبر الدنيا وقرأ ابو عمرو وحده به السحر بهمة استفهام ممدودة وفي قراءة ابي ما اتيتم به سحر والتعريف هنا في السحر ارتب لانه تقدم منكرا في قولهم ان هذا لسحر فجاء هنا بلام المهد قال (ص) قال الفراء انما قال السحر بال لان التكرة اذا اعيدت اعيدت بال وتبعه ابن عطية ورد بان شرط ما ذكره اتحاد

مدلول النكرة المعادة كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فقص فرعون الرسول وهنا السحر المنكر هو ما اتى به موسى والمعروف ما اتوا به هم فاختلف مدلولهما والاستفهام هنا على سبيل التحقير انتهى وهو حسن \* وقوله ان الله سيبطله ايجاب عن عدة من الله تعالى \* وقوله ان الله لا يصلح عمل المفسدين يحتمل ان يكون ابتداء خبر من الله عز وجل ويحتمل ان يكون من كلام موسى عليه السلام وكذلك قوله وينق الله الحق الآية محتمل للوجهين وكون ذلك كله من كلام موسى اقرب وهو الذى ذكر الطبري واما قوله بكلماته فمعناه بكلماته السابقة الازلية فى الوعد بذلك \* وقوله عز وجل فاما امن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم اختلف التأولون فى عود الضمير الذى فى قومه فقالت فرقة هو عائذ على موسى وذلك فى اول مبشه وملالذرية هم اشراف بنى اسرائيل قال (ص) وهذا هو الظاهر وقالت فرقة الضمير فى قومه عائذ على فرعون وضمير ملائهم عائذ على الذرية قال (ع) ومما يضعف عود الضمير على موسى ان المعروف من اخبار بنى اسرائيل انهم كانوا قوما تقدمت فيهم النبوءات ولم يحفظ قط ان طائفة من بنى اسرائيل كفرت به فدل على ان الذرية من قوم فرعون \* وقوله سبحانه وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا الآية هذا ابتداء حكاية قول موسى لجماعة بنى اسرائيل مونسا لهم ونادبا الى التوكل على الله عز وجل الذى بيده النصر قال المحاسبى قلت لابي جعفر محمد بن موسى ان الله عز وجل يقول وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين فما السبيل الى هذا التوكل الذى ندب الله اليه وكيف دخول الناس فيه قال ان الناس متفاوتون فى التوكل وتوكلهم على قدر ايمانهم وقوة علومهم قلت فما معنى ايمانهم



قال تصديقهم بمواعيد الله عز وجل وثقتهم بضمان الله تبارك وتعالى قلت من اين فضلت الخاصة منهم على العامة والتوكل في عقد الايمان مع كل من آمن بالله عز وجل قال ان الذى فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدو عن الحركة فعندها يافتى استراحوا من عذاب الحرص وفكوا من اسر الطمع واعتقوا من عبودية الدنيا وابنائها وحظوا بالروح فى الدارين جميعا فطوبى لهم وحسن مناب قلت فما الذى يولد هذا قال حالتان دوام لزوم المعرفة والاعتماد على الله عز وجل وترك الحيل والثانية الممارسة حتى يألفها الفا ويختارها اختيارا فيصير التوكل والهدو والسكون والرضى والصبر له شعارا ودثارا انتهى من كتاب القصد الى الله سبحانه \* وقولهم ربنا لا تجمعنا فتنه للقوم الظالمين المعنى لا تنزل بنا بلاء بايديهم او بغير ذلك مدة محاربتنا لهم فيفتنون لذلك ويعتقدون صلاح دينهم وفساد ديننا قاله مجاهد وغيره فهذا الدعاء على هذا التأويل يتضمن دفع فضلين احدهما القتل والبلاء الذى توقعه المومنون والاخر ظهور الشرك باعتقاد اهله انهم اهل الحق ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم بيس الميث ابو امامة ليهود والمشركين يقولون لو كان نبيا لم يمت صاحبه ورجح (ع) فى سورة المتحنة قول ابن عباس ان معنى لا تجمعنا فتنه للذين كفروا لا تسلطهم علينا فيفتنونا انظره هناك \* وقوله سبحانه واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا روي ان فرعون اخاف بني اسرائيل وهدم لهم مواضع كانوا اتخذوها للصلاة ونحو هذا فاوحى الله الى موسى وهارون ان تبوءا اى اتخذوا وتخيرا لبني اسرائيل بمصر بيوتا قال مجاهد مصر فى هذه الآية الاسكندرية ومصر ما بين اسوان والاسكندرية \* وقوله سبحانه واجعلوا بيوتكم قبلة قيل معناه مساجد قاله ابن عباس وجماعة قالوا خافوا فامروا بالصلاة فى بيوتهم وقيل معناه مواجهة

الى القبلة قاله ابن عباس ومن هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
خير بيوتكم ما استقبل به القبلة \* وقوله واقموا الصلوة خطاب لبني اسرائيل  
وهذا قبل نزول التوراة لانها لم تنزل الا بعد اجازة البحر \* وقوله وبشر المؤمنين  
امر لموسى عليه السلام وقال الطبري ومكي هو امر لنبينا محمد عليه السلام  
وهذا غير متمكن \* وقوله سبحانه وقال موسى ربنا انك آتيت  
فرعون وملائه زينة الآية هذا غضب من موسى على القبط ودعاء عليهم لما  
عتوا وعاندوا وقدم للدعاء تقرير نعم الله عليهم وكفرهم بها وآتيت معناه  
اعطيت واللام في ليزلوا لام كي ويحتمل ان تكون لام الصيرورة والعاقبة  
المعنى آتيتهم ذلك فصار امرهم الى كذا وقرأ حمزة وغيره ليزلوا بضم الياء  
على معنى ليزلوا غيرهم \* وقوله ربنا اطمس على اموالهم هومن طموس الاثر  
والعين وطمس الوجوه منه وتكرير قوله ربنا استغاثه كما يقول الداعي يا الله  
يا الله روي انهم حين دعا موسى بهذه الدعوة رجع سكرهم حجارة ودرامهم  
ودنانيرهم وحبوب اطمستهم رجعت حجارة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره  
معناه اهلكها ودمرها \* وقوله واشدد على قلوبهم بمعنى اطبع واختم عليهم  
بالكفر قاله مجاهد والضحاك \* وقوله فلا يؤمنوا مذهب الاخفش وغيره ان  
الفعل منصوب عطفًا على قوله ليزلوا وقيل منصوب في جواب الامر وقال الفراء  
والكسائي هو مجزوم على الدعاء وجعل رؤية العذاب نهاية وغاية وذلك  
لعلمه من الله ان المؤمن عند رؤية العذاب لا ينفعه ايمانه في ذلك الوقت ولا  
ينخرجه من كفره ثم اجاب الله دعوتها قال ابن عباس العذاب هنا الفرق  
وروي ان هارون كان يؤمن على دعاء موسى فلذلك نسب الدعوة اليهما قاله محمد  
ابن كعب القرظي قال البخاري وعدوا من العدوان انتهى وقول فرعون  
امننت انه لا اله الا الذي امننت به بنو اسرائيل الآية روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام قال ما ابغضت احدا قط بغضى  
 لفرعون ولقد سمعته يقول ءامنت الآية فاخذت من حال البحر فسلات فيه  
 مخافة ان تلحقه رحمة الله وفي بعض الطرق مخافة ان يقول لا اله الا الله  
 فتلحقه الرحمة قال (ع) فانظر الى كلام فرعون ففيه مجهلة وتلعثم ولا عذر لاحد  
 في جهل هذا وانما المذرفيما لاسبيل الى علمه كقول علي رضي الله عنه  
 اهملت باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم والحال الطين والآثار بهذا  
 كثيرة مختلفة الالفاظ والمعنى واحد وقوله سبحانه ءالآن وقد عصيت قبل  
 وهذا على جهة التوبيخ له والاعلان بالنقمة منه وهذا الكلام يحتمل ان  
 يكون من ملك موصل عن الله او كيف شاء الله ويحتمل ان يكون هذا  
 الكلام معنى حاله وصورة خزيه وهذه الآية نص في رد توبة المعاصين \*  
 وقوله سبحانه فالיום ننجيك بيدنك الآية يقوى انه صورة حاله لان  
 هذه الالفاظ انما يظهر انها قيلت بعد غرقه وسبب هذه المقالة على ما روي  
 ان بني اسرائيل بعد عندهم غرق فرعون وهلاكه لعظمه في نفوسهم وكذب  
 بعضهم ان يكون فرعون يموت فنجي على نجوة من الارض حتى راه جميعهم  
 ميتا كانه ثور احمر وتحققوا غرقه والجمهور على تشديد ننجيك فقالت فرقة  
 معناه من النجاة اي من غمرات البحر والماء وقال جماعة معناه نلقيك على نجوة  
 من الارض وهي ما ارتفع منها وقرأ يعقوب بسكون النون وتخفيف الجيم  
 وقوله بيدنك قالت فرقة معناه بشخصك وقالت فرقة معناه بدرعك وقرأ  
 الجمهور خلفك اي من اتي بعدك وقرئ شاذا لمن خلفك بفتح اللام المعنى ليجمأك  
 الله ءاية له في عباده وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه ولقد بوأنا بني  
 اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم  
 المعنى ولقد اخترنا لبني اسرائيل احسن اختيار واحللناهم من الاماكن احسن

محل ومبوء صدق اي يصدق فيه ظن قاصده وساكنه ويعنى بهذه الآية احلالهم بلاد الشام وبيت المقدس قاله قتادة وابن زيد وقيل بلاد الشام ومصر والاول اصح وقوله سبحانه فما اختلفوا اي في نبوة نبينا محمد عليه السلام وهذا التخصيص هو الذى وقع في كتب التأولين كلهم وهو تاويل يحتاج الى سند والتاويل الثانى الذى يحتمله اللفظ ان بنى اسرائيل لم يكن لهم اختلاف على موسى فى اول حاله فلما جاءهم العلم والاوامر وغرق فرعون اختلفوا فالآية دامة لهم (ت) فرحمه الله من التخصيص فوقع فيه فلو علم اختلافهم على انبيائهم موسى وغيره وعلى نبينا لكان احسن وما ذهب اليه التأولون من التخصيص احسن لقريئة قوله فان كنت فى شك فالربط بين الآيتين واضح والله اعلم \* وقوله عز وجل فان كنت فى شك الآية الصواب فى معنى الآية انها مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها سواه من كل من يمكن ان يشك او يعارض (ت) وروينا عن ابى داود سليمان بن الاشعث قال حدثنا احمد بن حنبل قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء فى القرآن كفر قال عياض فى الشفا تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدال انتهى والذين يقرءون الكتاب من قبلك من اسلم من اهل الكتاب كابن سلام وغيره وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما تلت هذه الآية انا لا اشك ولا اسأل ثم جزم سبحانه الخبر بقوله لقد جاءك الحق من ربك واللام فى لقد لام قسم \* وقوله مما ازلنا اليك يريد به من ان بنى اسرائيل لم يختلفوا فى امره الا من بعد مجيئه عليه السلام هذا قول اهل التأويل قاطبة قال (ع) وهذا هو الذى يشبه ان ترجى ازالة الشك فيه من قبل اهل الكتاب ويحتمل اللفظ ان يريد بما ازلنا جميع

الشرع (ت) وهذا التاويل عندى ابين اذا لخص وان كان قد استبعده  
 (ع) ويكون المراد بما ازلنا ما ذكره سبحانه من قصصهم وذكر صفته  
 عليه السلام وذكر انبيائهم وصفتهم وسيرهم وسائر اخبارهم الموافقة لما فى  
 كتبهم المنزلة على انبيائهم كالتوراة والانجيل والزبور والصحف وتكون  
 هذه الآية تنظر الى قوله سبحانه ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق  
 الذى بين يديه فتأملله والله اعلم واما قوله هذا قول اهل التاويل قاطبة  
 فليس كذلك وقد تكلم صاحب الشفا على الآية فاحسن ولفظه واختلف  
 فى معنى الآية فقل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الآية  
 قالوا وفى السورة نفسها ما دل على هذا التاويل وهو قوله تعالى قل يا ايها  
 الناس ان كنتم فى شك من ديني الآية ثم قال عياض وقيل ان هذا  
 الشك الذى امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب  
 عنه انما هو فى ما قصه الله تعالى من اخبار الامم لافيا دعا اليه من التوحيد  
 والشرعة انتهى \* وقوله سبحانه فلا تكونن من المترين ولا تكونن  
 من الذين كذبوا بآيات الله الآية مما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم  
 والمراد سواه قال (ع) ولهذا فائدة ليست فى مخاطبة الناس به وذلك شدة  
 التخويف لانه اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من مثل هذا  
 فقيره من الناس اولى ان يحذر ويتقى على نفسه \* وقوله سبحانه ان الذين  
 حقت عليهم كلمات ربك اي حق عليهم فى الازل وخلقهم لعذابه لا يؤمنون  
 ولوجاءتهم كل آية الا فى الوقت الذى لا ينفعهم فيه الايمان كما صنع فرعون  
 واشباهه وذلك وقت المعاناة \* وقوله سبحانه فلولا كانت قرية امت الآية  
 وفى مصحف ابي وابن مسعود فهلا والمعنى فيهما واحد واصل لولا التحضيض  
 او الدلالة على منع امر لوجود غيره ومعنى الآية فهلا امن اهل قرية وهم

على مهل لم يتلبس العذاب بهم فيكون الايمان نافعا لهم في هذا الحال ثم استثنى قوم يونس فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع وهو بحسب المعنى متصل لان تقديره ما آمن اهل قرية الا قوم يونس وروي في قصة قوم يونس ان القوم لما كفروا اي تمادوا على كفرهم اوحى الله تعالى اليه ان انذرهم بالعذاب لثلاثة ففعل فقالوا هو رجل لا يكذب فارقبوه فان اقام بين اظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فهو زول العذاب لاشك فيه فلما كان الليل تروى يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله وامنوا ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد من الناس والبهائم وكان العذاب فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل منهم وروي على ميل وقال ابن جبير غشيهم العذاب كما ينشئ الثوب القبر فرفع الله عنهم العذاب فلما مضت الثالثة وعلم يونس ان العذاب لم ينزل بهم قال كيف انصرف وقد وجدوني في كذب فذهب مغاضبا كما ذكر الله سبحانه في غير هذه الآية وذهب الطبري الى ان قوم يونس خصوا من بين الامم بان تيب عليهم من بعد معاناة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين وليس كذلك والمعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي تلبس العذاب او الموت بشخص الانسان كقصة فرعون واما قوم يونس فلم يصلوا هذا الحد (ت) وما قاله الطبري عندى ابين ومتعناهم الى حين يريد الى اءاجلهم المقدرة في الازل وروي ان قوم يونس كانوا يبنون من ارض الموصل \* وقوله سبحانه افانت تكفره الناس حتى يكونوا مومنين المعنى افانت تكفره الناس بادخال الايمان في قلوبهم والله عز وجل قد شاء غير ذلك والرجس هنا بمعنى العذاب \* وقوله سبحانه قل انظروا ما ذا في السموات والارض الاية هذه الاية امر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع من ايات السموات واغلاصها وكواكبها وسحابها ونحو ذلك والارض ونباتها ومعادنها

وغير ذلك المعنى انظروا في ذلك بالواجب فهو ينهيكم الى المعرفة بالله وبوحدانيته ثم اخبر سبحانه ان الآيات والنذر وهم الانبياء لا تغنى الا بمشيئته فما على هذا نافية ويجوز ان تكون استفهاما في ضمنه نفى وقوع النفي وفي الآية على هذا توبيخ لحاضري النبي صلى الله عليه وسلم قال (ص) والنذر جمع نذير اما مصدر بمعنى الانذارات واما بمعنى منذر انتهى \* وقوله سبحانه فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الآية وعيد اذا لجوا في الكفر حل بهم العذاب \* وقوله سبحانه ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا اي عادة الله سلفت بالانجاء رسله ومتبعيه عند نزول العذاب بالكفرة كذلك حقا علينا ننج المومنين قال (ص) اي مثل ذلك الانجاء الذي نجي الرسل ومومنيهم ننجي من آمن بك انتهى وخط المصحف في هذه اللفظة ننج يحيم مطلقة دون ياء وكلهم قرأ ننجي مشددة الجيم الا الكسائي وحفصا عن عاصم فانهما قرأوا بسكون النون وتخفيف الجيم \* وقوله سبحانه قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني الآية مخاطبة عامة للناس اجمعين الى يوم القيامة \* وقوله وان اقم وجهك للدين الآية الوجه في هذه الآية بمعنى المنحى والمقصد اي اجعل طريقك واعمالك للدين والشرع \* وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية قد تقدم ان ما كان من هذا النوع فالخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره \* وقوله سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الآية مقصود هذه الآية ان الحول والقوة لله والضر لفظ جامع لكل ما يكرهه الانسان \* وقوله وان يردك بخير لفظ تام العموم \* وقوله سبحانه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه هذه مخاطبة لجميع الكفار ومستمرة مدى الدهر والحق هو القرآن والشرع الذي جاء به النبي صلى الله

عليه وسلم \* وقوله وما انا عليكم بوكل منسوخة بالقتال \* وقوله سبحانه  
واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قوله حتى يحكم  
الله وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بان يغلبهم كما وقع وهذا الصبر منسوخ ايضا  
بالقتال وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## تفسير سورة هود عليه السلام مكيتة

### الانحو ثلاث ايات

قال الداودي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قلت يا رسول الله لقد  
اسرع اليك الشيب قال شيبني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا  
الشمس كورت دفي رواية عن ابن عباس هود واخواتها انتهى \* قوله عز  
وجل الر كتاب احكمت آياته اي اتقنت واجيدت وبهذه الصفة كان  
القرآن في الازل ثم فصل بتقطيعه وتبيين احكامه واوامره على محمد نبيه عليه  
السلام في ازمة مختلفة فثم على بابها فلاحكام صفة ذاتية والتفصيل انما  
هو بحسب من يفصل له والكتاب باجمعه محكم ومفصل والاحكام الذي هو  
ضد النسخ والتفصيل الذي هو خلاف الاجمال انما يقالان مع ما ذكرناه  
باشتراك قال (ص) ثم فصلت ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان ولدن  
بمعنى عند انتهى قال الداودي وعن الحسن احكمت آياته قال احكمت بالامر  
والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وعنه فصلت بالثواب والعقاب انتهى وقدم



النذير لان التحذير من النار هو الاهم وان استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته وذلك بطلب دخولكم في الاسلام ثم توبوا من الكفر يتمتعكم متاعا حسنا ووصف المتاع بالحسن لطيب عيش المومن برجائه في ثواب ربه وفرحه بالتقرب اليه باداء مفترضاته والسرور بمواعيده سبحانه والكافر ليس في شيء من هذا ويوت كل ذي فضل اي كل ذي احسان فضله فيحتمل ان يعود الضمير من فضله على ذي فضل اي ثواب فضله ويحتمل ان يعود على الله عز وجل اي يوتي الله فضله كل ذي فضل وعمل صالح من المومنين ونحو هذا المعنى ما وعد به سبحانه من تضعيف الحسنات وان تولوا فاني اخاف عليكم اي فقل اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامة \* وقوله سبحانه الا انهم يشنون صدورهم الآية قيل ان هذه الآية نزلت في الكفار الذين كانوا اذا لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا صدورهم كالتستر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم بثيابهم تباعدا منهم وكراهية للقاءه وهم يظنون ان ذلك يخفى عليه او عن الله عز وجل وقيل هي استعارة للغل والحقد الذي كانوا ينطوون عليه فمعنى الآية الا انهم يسرون العداوة ويتكتمون بها لتخفى في ظنهم عن الله وهو سبحانه حين تعشيهم بثيابهم وابلاغهم في التستر يعلم ما يسرون ويستغشون معناه يجعلونها اغشية واغطية قال (ص) قرأ الجمهور يشنون بفتح الياء مضارع ثنى الشيء ثنيا طواه انتهى وقرأ ابن عباس وجماعة تثنون صدورهم بالرفع على وزن تفعول وهي تحتمل المعنيين المتقدمين وحكى الطبري عن ابن عباس على هذه القراءة ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا لا ياتون النساء والحديث الا ويستغشون ثيابهم كراهية ان يفضوا بفروجهم الى السماء \* وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الآية المراد جميع الحيوان المحتاج الى رزق والمستقر صلب الاب والمستودع بطن الام وقيل غير

هذا وقد تقدم \* وقوله في كتاب اشارة الى اللوح المحفوظ قال (ص) ليلوكم اللام متعلقة بخلق وقيل بفعل محذوف اي اعلم بذلك ليلوكم انتهى ولئن قلت اللام في لئن موزنة بان اللام في ليقولن لام قسم لاجواب شرط وقولهم ان هذا الاسحر مبين تناقض منهم لانهم مقررون بان الله خلق السموات والارض وهم مع ذلك ينكرون ما هو ايسر من ذلك وهو البعث من القبور واذ خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس \* ولئن اخربنا عنهم العذاب اي التواعد به الى امة معدودة اي مدة معدودة ليقولن ما يحبسهم اي ما هذا الحابس لهذا العذاب على جهة التكذيب وحاق معناه حل واحاط البخاري حاق نزل \* ولئن اذقنا الانسان منا رحمة الآية الرحمة هنا تم جميع ما ينتفع به من مطعم وملبوس وجاه وغير ذلك والانسان هنا اسم جنس والمعنى ان هذا الخلق في سجية الانسان ثم استثنى منهم الذين ردتهم الشرائع والايمان الى الصبر والعمل الصالح وكفور هنا من كفر النعمة والنعماء تشمل الصحة والمال والضرء من الضر وهو ايضا شامل لفظة ذهاب السيئات غنى يقتضى بطرا وجهلا ان ذلك بانعام من الله تعالى والسيئات هنا كل ما يسوء في الدنيا والفرح هنا مطلق فلذلك ذم اذ الفرح انهمال النفس ولا ياتي الفرح في القرآن ممدوحا الا اذا قيد بانه في خير \* وقوله الا الذين صبروا استثناء متصل على ما قدمنا من ان الانسان عام يراد به الجنس وهو الصواب ومن قال انه مخصوص بالكافر قال هاهنا الاستثناء منقطع وهو قول ضعيف من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان صفة الكفر لا تطلق على جميع الناس كما تقتضى لفظة الانسان واستثنى الله تعالى من الماشين على سجية الانسان هؤلاء الذين حملتهم الاديان على الصبر على المكاره والمثابرة على عبادة الله وليس شيء من ذلك في سجية البشر وانما حمل على ذلك خوف الله

وحب الدار الآخرة والصبر على العمل الصالح لا ينفع الا مع هداية وايمان ثم وعد تعالى اهل هذه الصفة بالمغفرة للذنوب والتفضل بالاجر والنعيم \* وقوله سبحانه فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز سبب هذه الآية ان كفار قريش قالوا يا محمد لو تركت سبب المهتنا وتسفيه ابائنا لجالسناك واتبعناك وقالوا له ايت بقرءان غير هذا او بدله ونحو هذا من الاقوال فخطب الله تعالى نبيه عليه السلام على هذه الصورة من المخاطبة ووقفه بها توقيفا رادا على اقوالهم ومبطلا لها وليس المعنى انه عليه السلام هم بشيء من ذلك فزجر عنه فانه لم يرد قط ترك شيء مما اوحى اليه ولا ضاق صدره به وانما كان يضيق صدره باقوالهم وافعالهم وبعدهم عن الايمان قال (ص وع) وعبر بضائق وان كان اقل استمالة من ضيق لمناسبة تارك ولان ضائق وصف عارض بخلاف ضيق فانه يدل على الثبوت والصالح هنا الاول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم والضيق في به عائد على البعض ويحتمل ان يعود على ما وان يقولوا اي كراهة ان يقولوا او لئلا يقولوا ثم انسه تعالى بقوله انما انت نذير اي هذا القدر هو الذى فوض اليك والله تعالى بعد ذلك هو الوكيل المضى لايمان من شاء وكفر من شاء ام يقولون افتراه ام بمعنى بل والافتراء اخص من الكذب ولا يستعمل الا فيما بهت به المرء وكابر \* وقوله سبحانه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين تقدم تفسير نظيرها وقال بعض الناس هذه الآية متقدمة على التى فى يونس اذ لا يصح ان يعجزوا فى واحدة ثم يكلفوا عشرةا قال (ع) وقائل هذا القول لم يلحظ ما ذكرناه من الفرق بين التكليفين فى كمال المماثلة مرة كما هو فى سورة يونس ووقوفها على النظم مرة كما هو هنا وقوله ان

كنتم صادقين يريد في ان القرآن ان مفترى \* وقوله سبحانه فالم يستجيبوا  
لکم لهذه الآية تاويلان احدهما ان تكون المخاطبة من النبي صلى  
الله عليه وسلم للكفار اي ويكون ضمير يستجيبوا على هذا التاويل عائدا  
على معبوداتهم والثاني ان تكون المخاطبة من الله تعالى للمومنين ويكون  
قوله على هذا فاعلموا بمعنى دوموا على علمكم قال مجاهد قوله تعالى فهل انتم  
مسلمون هو لاصحاب محمد عليه السلام \* وقوله سبحانه من كان يريد  
الحياة الدنيا وزينتها الآية قال قتادة وغيره هي في الكفرة وقال مجاهد  
هي في الكفرة واهل الرياء من المومنين واليه ذهب معاوية والتاويل  
الاول ارجح بحسب تقدم ذكر الكفار وقال ابن العربي في احكامه بل الآية  
عامة في كل من ينوى غير الله بعمله كان معه ايمان او لم يكن وفي هذه  
الآية بيان لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ  
ما نوى وذلك ان العبد لا يعطى الا على وجه قصده وبحكم ما ينعقد في ضميره  
وهذا امر متفق عليه \* وقوله نوف اليهم اعمالهم فيها قيل ذلك في  
صحة ابدانهم وادرار ارزاقهم وقيل ان هذه الآية مطلقة وكذلك التي  
في حم غسق من كان يريد حرث الآخرة نذله في حرثه الآية الى اخرها  
قيدتهما وفسرتهما الآية التي في سورة سبجان وهي قوله تعالى من كان يريد  
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الآية فاخبر سبحانه ان العبد  
ينوى ويريد والله يحكم ما يريد ثم ذكر ابن العربي الحديث الصحيح في النفر  
الثلاثة الذين كانت اعمالهم رياء وهم رجل جمع القرءان ورجل قتل في سبيل  
الله ورجل كثير المال وقول الله لكل واحد منهم ماذا عملت ثم قال في اخر  
الحديث ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة  
اولائك الثلاثة اول خلق الله تسع بهم النار ثم قرأ قوله تعالى اولائك

الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وجبط ما صنعوا فيها اي في الدنيا وهذا نص في مراد الآية والله اعلم انتهى وجبط معناه بطل وسقط وهي مستعملة في فساد الاعمال قال (ص) قوله ما صنعوا ما بمعنى الذى او مصدرية وفيها متعلق بجنبط والضمير في فيها عائد على الآخرة اي ظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة او متعلق بصنعوا فيكون عائدا على الدنيا انتهى والباطل كل ما تقتضى ذاته ان لا تنال به غاية في ثواب ونحوه وقوله سبحانه افمن كان على بينة من ربه في الآية تاويلات قال (ع) والراجع عندي من الاقوال في هذه الآية ان يكون افمن للمومنين اولهم وللنبي صلى الله عليه وسلم معهم والبينة القراءان وما تضمن والشاهد الانجيل يريد او اعجاز القراءان في قول والضمير في تلوه للبينة وفي منه للرب والضمير في قبله للبينة ايضا وغير هذا مما ذكر محتمل فان قيل اذا كان الضمير في قبله عائدا على القراءان فلم لم يذكر الانجيل وهو قبله وبينه وبين كتاب موسى فالجواب انه خص التوراة بالذكر لانه مجمع عليه والانجيل ليس كذلك لان اليهود تحالف فيه فكان الاستشهاد بما تقوم به الحجة على الجميع اولى وهذا يجرى مع قول الجن انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى والاحزاب هاهنا يراد بهم جميع الامم وروى سعيد بن جبير عن ابى موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يسمع بي من هذه الامة ولا من اليهود والنصارى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار قال سعيد فقلت اين مصداق هذا في كتاب الله حتى وجدته في هذه الآية وكنت اذا سمعت حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم طلبت مصداقه في كتاب الله عز وجل وقرأ الجمهور في مريّة بكسر الميم وهو الشك والضمير في منه عائد على كون الكفرة موعدهم النار وسائر الآية بين \* وقوله تعالى ويقول الاشهاد قالت

فرقة يريد الشهداء من الانبياء والملائكة وقالت فرقه الاشهاد بمعنى المشاهدين ويريد جميع الخلائق وفي ذلك اشادة بهم وتشهير لحزبهم وروي في نحو هذا حديث انه لا يخزى احد يوم القيامة الا ويعلم ذلك جميع من شهد المحشر وباقي الآية بين مما تقدم في غيرها قال (ص) \* وقوله الالعة الله على الظالمين يحتمل ان يكون داخلا في مفعول القول واليه نحنا بعضهم انتهى \*

وقوله سبحانه ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون يحتمل رجوها احدها انه وصف سبحانه هؤلاء الكفار بهذه الصفة في الدنيا على معنى انهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به ولا يبصرون كذلك والثاني ان يكون وصفهم بذلك من اجل بغضتهم في النبي صلى الله عليه وسلم فهم لا يستطيعون ان يحملوا نفوسهم على السمع منه والنظر اليه وما في هذين الوجهين نافية الثالث ان يكون التقدير يضاعف لهم العذاب بما كانوا اي بسبب ما كانوا فما مصدرية وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم الآية لاجرم تقدم بيانها واخبتوا قال قتادة معناه خشموا وقيل معناه انابوا قاله ابن عباس وقيل اطمأنوا قاله مجاهد وقيل خافوا قاله ابن عباس ايضا وهذه اقوال بعضها قريب من بعض \* وقوله سبحانه مثل الفريقين الآية الفريقان الكافرون والمؤمنون شبه الكافر بالاعمى والاصم وشبه المؤمن بالبصير والسميع فهو تمثيل بمثاليين \* وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين الاتعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا الآية فيها تمثيل لقريش وكفار العرب واعلام بان محمدا عليه السلام ليس ببديع من الرسل والاراذل جمع الجمع فقييل جمع ارذل وقيل جمع ارذال وهم سفلة الناس ومن لا خلاق له

ولا يبالى ما يقول ولا ما يقال له وقرأ الجمهور بادي الرأي بياء دون همز من بدا يبدو فيحتمل ان يتعلق بادي الرأي بذاك اي وما نراك باول نظر واقل فكرة وذلك هو بادي الرأي الا ومتبعوك اراذلنا ويحتمل ان يتعلق بقوله اتبعك اي وما نراك اتبعك بادي الرأي الا الاراذل ثم يحتمل على هذا قوله بادي الرأي معنيين احدهما ان يريدوا اتبعك في ظاهر امرهم وعسى ان بواطنهم ليست معك والثاني ان يريدوا اتبعوك باول نظر وبالرأي البادي دون تثبت ويحتمل ان يكون قولهم بادي الرأي وصفا منهم لنوح اي تدعى عظيما وانت مكشوف الرأي لاحصافه لك ونصبه على الحال او على الصفة لبشر \* وقوله سبحانه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده الآية كانه قال ارايتم ان هداني الله واضلکم الجبرکم على الهدى وانتم له كارهون وعبارة نوح عليه السلام كانت بلغته دالة على المعنى القائم بنفسه وهو هذا المفهوم من هذه العبارة العربية فبهذا استقام ان يقال قال كذا وكذا اذ القول ما افاد المعنى القائم في النفس وقوله على بينة اي على امر بين جلي وقرأ الجمهور فعميت ولذلك وجهان من المعنى احدهما خفيت والثاني ان يكون المعنى فعميتم انتم عنها \* وقوله انلزمكموها يريد الزام جبر كالقتال ونحوه واما الزام الانحجاب فهو حاصل \* وقوله وما انا بطارد الذين امنوا يقتضى ان قومه طلبوا طرد الضعفاء الذين بادروا الى الايمان به نظير ما اقترحت قریش وتردى اصله ترى تفتعل من زرى يزرى ومعنى تردى تحتقر والخير هنا يظهر فيه انه خير الآخرة الاله الا ان يكون ازدراؤهم من جهة الفقر فيكون الخير المال وقد قال بعض المفسرين حيث ما ذكر الله الخير في القرءان فهو المال قال (ع) وفي هذا الكلام تحامل والذي يشبه ان يقال انه حيث ما ذكر الخير فان المال يدخل فيه (ت) وهذا ايضا غير ملخص

والصواب ان الخير اعم من ذلك كله وانظر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فانه يشمل المال وغيره ونحوه وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وانظر قوله عليه السلام اللهم لا خير الاخير الاخرة وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا فهاهنا لا مدخل للمال الاعلى تجوز وقد يكون الخير المراد به المال فقط وذلك بحسب القرائن كقوله تعالى ان ترك خيرا الآية \* وقوله الله اعلم بما في انفسهم تسليم لله تعالى وقال بعض المتأولين هي رد على قولهم اتبعك اراذلنا في ظاهر امرهم حسب ما تقدم في بعض التاويلات ثم قال اني اذا لو فعلت ذلك لمن الظالمين وقولهم قد جادلنا معناه قد طال منك هذا الجدل والمراد بقولهم بما تعدنا العذاب والهلاك وما انتم بمعجزين اي بمفوتين \* وقوله سبحانه ام يقولون افتراه الآية قال الطبري وغيره هذه الآية اعترضت في قصة نوح وهي في شان النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش قال (ع) ولو صح هذا بسند لوجب الوقوف عنده والا فهو يحتمل ان يكون في شان نوح عليه السلام وتتسق الآية ويكون الضمير في افتراه عائدا على ما توعدهم به او على جميع ما اخبرهم به وام بمعنى بل \* وقوله سبحانه واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن الآية قيل لنوح هذا بعد ان طال عليه كفر القرن بعد القرن به وكان ياتيه الرجل بانه فيقول يا بني لا تصدق هذا الشيخ فهكذا عهده ابي وجدي كذابا مجنوننا رواه عبيد بن عمير وغيره فروي انه لما اوحى اليه ذلك دعا فقال رب لا تذرع على الارض من الكافرين ديارا وتبتش من البؤس ومعناه لا تحزن \* وقوله باعيننا يمكن ان يريد برأى منا فيكون عبارة عن الادراك والرعاية والحفظ ويكون جمع الاعين للعظمة لا للتكثير كما قال عز من قائل فنعم القادرون والعقيدة انه تعالى منزه عن الحواس والتشبيه والتكيف لارب غيره ويحتمل قوله باعيننا اي بملائكتنا



الذين جعلناهم عيوناً على مواضع حفظك ومعونتك فيكون الجمع على هذا التاويل للتكثير \* وقوله ووحينا معناه وتعليمنا له صورة العمل بالوحي وروي في ذلك ان نوحاً عليه السلام لما جهل كيفية صنع السفينة اوحى الله اليه ان اصنعها على مثال جَوْجُيُوطِ الطائر الى غير ذلك مما علمه نوح من عملها \* وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية قال ابن جريج في هذه الآية تقدم الله الى نوح ان لا يشفع فيهم \* وقوله ويصنع الفلك التقدير فشرع يصنع فحكيت حال الاستقبال والملائها الجماعة \* وقوله سخرها منه الآية السخر الاستجبال مع استهزاء وانما سخرها منه في ان صنعها في بركة \* وقوله فانا نسخر منكم قال الطبري يريد في الآخرة قال (ع) ويحتمل الكلام وهو الارجح ان يريد انا نسخر منكم الآن والعذاب المخزي هو العرق والمقيم هو عذاب الآخرة والامر واحد الامور ويحتمل ان يكون مصدر امر فمعناه امرنا للهاء بالفوران وفار معناه انبعث بقوة واختلف الناس في التنور والذي عليه الاكثر منهم ابن عباس وغيره انه هو تنور الحبز الذي يوقد فيه وقالوا كانت هذه امارة جعلها الله لنوح اي اذا فار التنور فارك في السفينة \* وقوله سبحانه قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن الآية الزوج يقال في مشهور كلام العرب للواحد مماله ازدواج فيقال هذا زوج هذا وهما زوجان والزوج ايضا في كلام العرب النوع وقوله واهلك عطف على ما عمل فيه احمل والاهل هنا القرابة وبشرط من آمن منهم خصصوا تشریفاً ثم ذكر من آمن وليس من الاهل واختلف في الذي سبق عليه القول بالعذاب فقليل ابنه يام او كنعان وقيل امرأته والممة بالعين المهملة وقيل هو عموم فيمن لم يؤمن من اهل نوح ثم قال سبحانه اخبارا عن حالهم وما آمن معه الا قليل \* وقوله تعالى وقال اركبوا فيها اي وقال نوح لمن

معه اركبوا فيها وقوله بسم الله يصح ان يكون في موضع الحال من ضمير اركبوا اي اركبوا متبركين بسم الله او قائلين بسم الله ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة ثانية من مبتدا وخبر لا تعلق لها بالاولى كانهم امرهم اولاً بالركوب ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله قال الضحاك كان نوح اذا اراد جري السفينة جرت واذا اراد وقوفها قال بسم الله فتقف وقرأ الجمهور بضم الميم من مجراها ومرساها على معنى اجرائها وارسائها وقرأ الاخوان حمزة والكسائي وحفص بفتح ميم مجريها وكسر الراء وكلهم ضم الميم في مرساها (ت) قوله وكسر الراء يريد امالتها وفي كلامه تسامح ولفظ البخاري مجراها مسيرها ومرساها موقوفها وهو مصدر اجريت وارسيت انتهى قال النووي وروينا في كتاب ابن السني بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امان لامتي من الفرق اذا ركبوا ان يقولوا بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الآية هكذا هو في النسخ اذا ركبوا ولم يقل في السفينة انتهى \* وقوله وكان في معزل اي في ناحية اي في بعد عن السفينة او عن الدين واللفظ يعمها \* وقوله ولا تكن مع الكافرين يحتمل ان يكون نهياً محضاً مع علمه بانه كافر ويحتمل ان يكون خفي عليه كفره والاول ابين \* وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الامن رحم الظاهر ان لا عاصم اسم فاعل على بابه وقوله الامن رحم يريد الا الله الراحم فمن كناية عن الله المعنى لا عاصم اليوم الا الذي رحمنا \* وقوله سبحانه وقيل يا ارض ابلى ماءك الآية البلع تجرع الشيء وازدراده والاقلاع عن الشيء تركه وغيض معناه نقص واكثر ما يجي فيما هو بمعنى الجفوف وقوله وقضي الامر اشارة الى جميع القصة بمث الماء واهلاك الامم وانجاء اهل السفينة قال (ع) وتظاهرت الروايات وكتب التفسير بان الفرق نال جميع اهل الارض وعم الماء جميعها قاله ابن عباس وغيره وذلك بين من

امر نوح بحمل الازواج من كل الحيوان ولولا خوف فنائها من جميع الارض ما كان ذلك وروي ان نوحا عليه السلام ركب في السفينة من عين الورد بالشام اول يوم من رجب واستوت على الجودي في ذى الحجة واقامت عليه شهرا وقيل له اهبط في يوم عاشوراء فصامه هو ومن معه وروي ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتناولت كلها وبقي الجودي وهو جبل بالموصل في ناحية الجزيرة لم يتناول تواضعا لله فاستوت السفينة بامر الله عليه وقال الزجاج الجودي هو بناحية امد وقال قوم هو عند باقردي واكثر الناس في قصص هذه الآية والله اعلم بما صح من ذلك \* وقوله وقيل بعدا يحتمل ان يكون من قول الله عز وجل عطفنا على قوله وقيل الاول ويحتمل ان يكون من قول نوح والمومنين والاول اظهر \* وقوله ان ابني من اهلي الآية احتجاج من نوح عليه السلام ان الله امره بحمل اهله وابنه من اهله فينبغي ان يحمل فاطر الله له ان المراد من آمن من الاهل وهذه الآية تقتضي ان نوحا عليه السلام ظن ان ابنه مومن \* وقوله انه ليس من اهلك اي الذين عمهم الوعد لانه ليس على دينك وان كان ابنك بالولادة \* وقوله عمل غير صالح جعله وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة في وصفه بذلك كما قالت الخساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها

ترتع ما رتمت حتى اذا اذكرت \* فانما هي اقبال وادبار اي ذات اقبال وادبار ويبين هذا قراءة الكسائي انه عمل غير صالح فعلا ماضيا ونصب غير على المفعول لعمل وقول من قال ان الولد كان لنية خطأ محض وهذا قول ابن عباس والجمهور قالوا واما قوله تعالى فخانساها فان الواحدة كانت تقول للناس هو مجنون والاخرى كانت تنبه على الاضياف واما خيانة غير هذا فلا ويعضده المعنى لشرف النبوة وجوز المهدوي ان يعود

الضمير في انه على السؤال اي ان سؤالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح  
قاله النخعي وغيره انتهى والاول ابين وعليه الجمهور وبه صدر المهدوي ومعنى  
قوله فلا تسألني ما ليس لك به علم اي اذا وعدتك فاعلم يقينا انه لاخلف في الوعد  
فاذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك ان تقف وتعلم ان ذلك بمحق  
واجب عند الله قال (ع) ولكن نوحا عليه السلام حملته شفقة الابوة وسجية  
البشر على التعرض لنفحات الرحمة وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء  
بتلطف وترفع في قوله سبحانه اني اعظك ان تكون من الجاهلين ويحتمل قوله  
فلا تسألني ما ليس لك به علم اي لا تطلب مني امرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين  
ونحنا الى هذا ابو علي الفارسي وهذا والاول في المعنى واحد \* وقوله رب  
اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم انا بة منه عليه السلام وتسليم لامر ربه  
والسؤال الذي وقع النهي عنه انما هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطلبة ملحة  
فما قد حجب وجه الحكمة فيه واما السؤال على جهة الاسترشاد والتعلم  
فغير داخل في هذا ثم قيل له اهبط بسلام وذلك عند نزوله من السفينة  
والسلام هنا السلامة والامن والبركات الخير والنمو في كل الجهات وهذه  
العدة تعم جميع المومنين الى يوم القيامة قاله محمد بن كعب القرظي ثم قطع  
قوله وامم على وجه الابتداء وهؤلاء هم الكفار الى يوم القيامة \* وقوله سبحانه  
تلك اشارة الى القصة وباقي الآية بين \* وقوله عز وجل والى عاد اخاهم  
هوذا الآية عطف على قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه \* وقوله ويا قوم استغفروا  
ربكم الآية الاستغفار طلب المغفرة فقد يكون ذلك باللسان وقد  
يكون بانابة القلب وطلب الاسترشاد \* وقوله ثم توبوا اليه اي بالايان من  
كفركم والتوبة عقد في ترك متوب منه يتقدمها علم بفساد المتوب  
منه وصلاح ما يرجع اليه ويقترن بها ندم على فارط المتوب منه

لا ينفك منه وهو من شروطها ومدارها بناءً تكثير وهو من دريدر  
وقد تقدمت قصة عاد \* وقوله سبحانه ويزدكم قوة الى قوتكم ظاهره العموم  
في جميع ما يحسن الله تعالى فيه الى العباد ويحتمل ان خص القوة بالذكر  
اذ كانوا اقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه ثم نهاهم عن التولى  
عن الحق وقولهم عن قولك اي لا يكون قولك سبب تركنا وقال (ص)  
عن قولك حال من الضمير في تاركى اي صادرين عن قولك وقيل عن  
للتعليل كقوله الا عن موعدة وقولهم ان نقول الآية معناه ما نقول الا  
ان بعض الهتنا التي ضللت عبادتها اصابك بجنون يقال عريير واعتري  
يعتري اذا الم بالشيء \* وقوله فكيدوني جميعا اي انتم واصنامكم ويذكر  
ان هذه كانت له عليه السلام معجزة وذلك انه حرض جماعتهم عليه مع  
انفراده وقوتهم وكفرهم فلم يقدروا على نيله بسوء وتنظرون معناه تؤخروني  
اي عاجلوني بما قدرتم عليه \* وقوله ان ربي على صراط مستقيم يريد ان  
افعال الله عز وجل في غاية الاحكام وقوله الصدق ووعدته الحق وعنيده من عند اذا  
عنا \* وقوله سبحانه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة الآية حكم عليهم سبحانه بهذا  
لموافاتهم على الكفر ولا يلعن معين حي لا من كافر ولا من فاسق ولا من  
بهيمة كل ذلك مكروه بالاحاديث (ت) وتعبيره بالكراهة لعله يريد التحريم  
ويوم ظرف ومعناه ان اللعنة عليهم في الدنيا وفي يوم القيامة ثم ذكر العلة  
الموجبة لذلك وهي كفرهم بريهم وباقي الآية بين \* وقوله عز وجل  
والى ثمود اخاهم صالحا الآية التقدير وارسلنا الى ثمود وانشأكم من الارض  
اي اخترعكم واوجدكم وذلك باختراع ادم عليه السلام وقال (ص) من  
الارض لا ابتداء الغاية باعتبار الاصل المتولد منه النبات المتولد منه الغذاء  
المتولد منه المني ودم الطمث المتولد عنه الانسان انتهى وقد نقل (ع) في

غير هذا الموضع نحو هذا ثم اشار الى مرجوحته وانه داع الى القول بالتولد قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى واستعمركم فيها اي خلقكم لعمارتها ولا يصح ان يقال هو طلب من الله لعمارتها كما زعم بعض الشافعية (ت) والمفهوم من الآية انها سيقت مساق الامتنان عليهم انتهى وقولهم يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا قال جمهور المفسرين معناه مسودا نؤمل فيك ان تكون سيدا سادا مسدا الاكابر وقولهم واننا لنرى شك مما تدعونا اليه مريب معنى مريب ملبس متهم وقوله ارايتم اي اتدبرتم فالروية قلبية واثاني منه رحمة يريد النبوة وما انضاف اليها وقال (ص) قد تقرر في ارايتم انها بمعنى اخبروني انتهى والتخسير هو من الخسارة وليس التخسير في هذه الآية الا لهم وفي حيزهم وهذا كما تقول لمن توصيه انا اريد بك خيرا وانت تريد بي شرا وقال (ص) غير تخسير من خسر وهو هنا للنسبة كفسقته وفجرفته اذا نسبته اليها (ت) ونقل الثعلبي عن الحسين بن الفضل قال لم يكن صالح في خسارة حين قال فما تريدونني غير تخسير وانما المعنى ما تريدونني بما تقولون الانسبى اياكم للخسارة وهو من قول العرب فسقته وفجرفته اذا نسبته الى الفسوق والفجور انتهى وهو حسن وباقي الآية بين قد تقدم الكلام في قصصها \* واخذ الذين ظلموا الصيحة قال ابو البقاء في حذف التاء من اخذ ثلاثة اوجه احدها انه فصل بين الفعل والفاعل والثاني ان التانيث غير حقيقي والثالث ان الصيحة بمعنى الصياح فحمل على المعنى انتهى وقد اشار (ع) الى الثلاثة واختار الاخير \* وقوله سبحانه ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الرسل الملائكة قال المهدوي بالبشرى يعني بالولد وقيل البشرى يهلك قوم لوط انتهى قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما وقرأ حمزة والكسائي قالوا سلاما قال سلم فيحتمل ان يريد بالسلم السلام

ويحتمل ان يريد بالسلم ضد الحرب وخذ بمعنى محنوذ ومعناه بمجل مشوي  
نضج يقطر ماؤه وهذا القطر يفصل الخيذ من جملة المشويات وهيئة المحنوذ  
في اللغة الذي يغطي بججارة او رمل محمي او حائل بينه وبين النار يغطي  
به والمعرض من الشواء الذي يصف على الجمر والمضرب الشواء الذي بينه  
وبين النار حائل ويكون الشواء عليه لامدفونا به والتحنيذ في تضيير  
الخيل هو ان يغطي الفرس يجل على جل ليتصب عرقه ونكرهم على ما  
ذكر كثير من الناس معناه انكرهم واوجس منهم خيفة من اجل امتناعهم  
من الاكل اذ عرف من جاء بشر الاياكل طعام المنزل به قال ابن العربي في  
احكامه ذهب الليث بن سعد الى ان الضيافة واجبة لقوله صلى الله عليه وسلم  
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جازته يوم ليلة وما وراء  
ذلك صدقة وفي رواية ثلاثة ايام ولا يجل له ان يشوى عنده حتى يرجه  
وهذا حديث صحيح خرجه الايمة واللفظ للترمذي وذهب علماء الفقه الى  
ان الضيافة لا تجب وحملوا الحديث على النذب قال ابن العربي والذي اقول به  
ان الضيافة فرض على الكفاية ومن الناس من قال انها واجبة في القرى  
حيث لا مأوى ولا طعام بخلاف الحواضر لتيسر ذلك فيها قال ابن العربي ولا  
شك ان الضيف كريم والضيافة كرامة فان كان عديما فهي فريضة  
انتهى واوجس معناه احس والوجيس ما يعتري النفس عند الحذر واوائل  
الفرع \* وقوله سبحانه فضحكت قال الجمهور هو الضحك المعروف وذكر  
الطبري ان ابراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا له انا لاناكل طعاما الاثمن  
فقال لهم ثمنه ان تذكروا الله تعالى عليه في اوله وتحمده في آخره فقال  
جبريل لاصحابه بحق اتخذ الله هذا خيلا ثم بشر الملائكة سارة باسحاق  
وبان اسحاق سيلد يعقوب ويسمى ولد الولد وراء وهو قريب من معنى

وراء في الغارف اذ هو ما يكون خلف الشيء . وبعده وقال (ص) وراء هنا استعمل غير ظرف لدخول من عليه اي ومن بعد اسحاق انتهى وقولها ياويلتي الالف بدل من ياء الاضافة اصلها ياويلتي ومعنى ياويلتي في هذا الموضع العبارة عمادهم النفس من العجب في ولادة عجوز ومن امر الله واحد الامور \* وقوله سبحانه رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت يحتمل ان يكون دعاء وان يكون خبرا (ص) ونصب اهل البيت على النداء او على الاختصاص او على المدح انتهى وهذه الآية تعطى ان زوجة الرجل من اهل بيته (ت) وهي هنا من اهل البيت على كل حال لانها من قرابته وابنة عمه والبيت في هذه الآية وفي سورة الاحزاب بيت السكنى \* وقوله فلما ذهب عن ابراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا اي اخذ يجادلنا في قوم لوط \* وقوله تعالى ان ابراهيم لحليم اواه منيب وصف عليه السلام بالحلم لانه لم يغضب قط لنفسه الا ان بغضب الله وامره بالاعراض عن المجادلة يقتضى انها انما كانت في الكفرة حرصا على اسلامهم وامر ربك واحد الامور اي نفذ فيهم قضاؤه سبحانه وهذه الآية مقتضية ان الدعاء انما هو ان يوفق الله الداعي الى طلب المقدور فاما الدعاء في طلب غير المقدور فغير مجد ولا نافع (ت) والكلام في هذه المسئلة متسع رحب ومن احسن ما قيل فيها قول الغزالي في الاحياء فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا يرد فالجواب ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات انتهى وقد اطل في المسئلة ولولا الاطالة لاتي ببذ ثلج لها الصدر وخرج الترمذي في جامعه عن ابي خزيمة واسمه رفاعه عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارأيت رقي نسترقها ودواء نتداوى به وتقاة



نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفي بعض نسخه حسن صحيح انتهى فليس وراء هذا الكلام من السيد المعصوم مرعى لاحد وتأمل جواب الفاروق لابى عبيدة حين هم بالرجوع من اجل الدخول على ارض بها الطاعون وهي الشام \* وقوله سبحانه ولما جاءت رسلنا لوطا الرسل هنا الملائكة اضياف ابراهيم قال المهدوي والرسل هنا جبريل وميكائيل واسرافيل ذكره جماعة من المفسرين انتهى والله اعلم بتعيينهم فان صح في ذلك حديث صير اليه والا فالواجب الوقف وسيء بهم اي اصابه سوء والذرع مصدر مأخوذ من الذراع ولما كان الذراع موضع قوة الانسان قيل في الامر الذى لا طاقة له به ضاق بهذا الامر ذراع فلان وذرع فلان اي حيلته بذراعه وتوسعوا في هذا حتى قلبوه فقالوا فلان رحب الذراع اذا صفوه باتساع القدرة وعصيب بناء اسم فاعل معناه يعصب الناس بالشرف هو من العصابة ثم كثر وصفهم لليوم بعصيب ومنه \* وقد سلكوك في يوم عيب \* وبالجملة فعصيب في موضع شديد وصعب الوطأة ويهرعون معناه يسرعون ومن قبل كانوا يعملون السيئات اي كانت عاداتهم اتيان الفاحشة في الرجال \* وقوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم يعنى بالتزويج وقولهم وانك لتعلم ما نريد اشارة الى الاضياف فلما رأى لوط استمرارهم في غيهم قال على جهة التفعيل والاستكانة لو ان لي بكم قوة قال (ع) لو ان جوابها محذوف اي لغفلت كذا وكذا ويروى ان الملائكة وجدت عليه حين قال هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد فالعجب منه لما استكان قال (ع) وانما خشي لوط عليه السلام ان يهمل الله اولائك العصابة حتى يعصوه في الاضياف كما امهلم فيما قبل ذلك ثم ان جبريل عليه السلام ضرب القوم

يُجَنِّحُهُ فُطُسَ اَعْيَنَهُمْ ثُمَّ امَرُوا لُوطًا بِالسُّرْيِ وَاَعْلَمُوهُ بِاَنَّ الْمَذَابَ نَازِلٌ بِالْقَوْمِ  
فَقَالَ لَهُمْ لُوطُ فَعَذَّبُوهُمْ السَّاعَةَ فَقَالُوا لَهُ اِنْ مَوْعِدُهُمُ الصَّبِيحُ اَيْ بِهَذَا امْرُ  
اللَّهِ ثُمَّ اَنْسَوهُ فِي قَلْقَلِهِ بِقَوْلِهِمْ اَلَيْسَ الصَّبِيحُ بَقَرِيبٍ وَالْقَطْعُ الْقَطْعَةُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ  
(ص) الْاَمْرَاتُكَ ابْنُ كَثِيرٍ وَاَبُو عَمْرٍو بِالرَّفْعِ وَالْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ فَقِيلَ كَلَاهُمَا  
اِسْتِثْنَاءٌ مِنْ اَحَدٍ وَقِيلَ النَّصْبُ عَلَى الْاِسْتِثْنَاءِ مِنْ اَهْلِكَ اَنْتَهَى \* وَقَوْلُهُ  
سَبْحَانَهُ وَاَمَطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ ذَهَبَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ اِلَى  
اَنَّ الْحِجَابَةَ الَّتِي رَمَوْا بِهَا كَانَتْ كَالْآجْرِ الْمَطْبُوخِ كَانَتْ مِنْ طِينٍ قَدْ تَحْجَرُ وَاِنْ  
سَجِيلًا مَعْنَاهَا مَاءٌ وَطِينٌ وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ وَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنْ  
سَجِيلٍ مَعْنَاهُ مِنْ جَهَنَّمَ لِأَنَّهُ يُقَالُ سَجِيلٌ وَسَجِينٌ حَفْظٌ فِيهَا بَدَلُ النَّوْنِ لِأَمَّا  
وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا وَمَنْضُودٌ مَعْنَاهُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ مُتَتَابِعٌ وَمَسُومَةٌ اَيْ مَعْلَمَةٌ  
بِعِلَامَةٍ \* وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَمَا هِيَ اِشَارَةٌ اِلَى الْحِجَابَةِ وَالظَّالِمُونَ قِيلَ يَعْنِي قَرِيشًا  
وَقِيلَ يَرِيدُ عَمُومَ كُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِالظُّلْمِ وَهَذَا هُوَ الْاِصْحَحُ وَقِيلَ يَعْنِي بِهَذَا  
الْاِعْلَامُ بِأَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَكَّةَ وَمَا تَقْدِمُ ابْنُ \* وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ  
وَالِى مَدْيَنَ اِخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلَهِ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا  
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ اِنِّى اَرَاكُمْ بَخِيلٌ اِلَآيَةَ قَوْلِهِ يُخَيِّرُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ فِي رَخْصٍ  
مِنَ الْاَسْمَارِ وَقِيلَ قَوْلُهُ يُخَيِّرُ عَامٌ فِي جَمِيعٍ نَعَمْ اللَّهُ تَعَالَى وَتَعَمَّوْا مَعْنَاهُ تَسْعَوْنَ فِي  
فُسَادٍ يُقَالُ غَنَّا يَشُو وَعَثِي يَعْثِي اِذَا اَفْسَدَ \* وَقَوْلُهُ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ  
مَعْنَاهُ الَّذِي يَبْقَى اللَّهُ لَكُمْ مِنْ اَمْوَالِكُمْ بَعْدَ تَوْفِيتِكُمُ الْكَيْلَ وَالْوِزْنَ خَيْرٌ لَكُمْ  
مِمَّا تَسْتَكْثِرُونَ بِهِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ وَهَذَا تَفْسِيرٌ يَلِيقُ بِلَفْظِ الْاِيَةِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ  
مَعْنَاهُ طَاعَةُ اللَّهِ وَهَذَا لَا يَمِطُّهُ لَفْظُ الْاِيَةِ قَالَ (ص) وَقَرَأَ الْحَسَنُ تَقِيَّةَ اللَّهِ  
اَيْ تَقَوَّاهُ قَالَ (ع) وَانَّمَا الْمَعْنَى عِنْدِي اِبْقَاءُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِنْ اطَعْتُمْ وَقَوْلُهُمْ اَصْلَوَاتُكَ  
تَأْمُرُكَ اِنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ اَبَاؤُنَا قَالَتْ فِرْقَةٌ اَرَادُوا الصَّلَوَاتِ الْمَعْرُوفَةَ وَرَوَى

ان شعيبا عليه السلام كان اكثر الانبياء صلاة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة وقيل ارادوا ادعواتك وذلك ان من حصل في رتبة من خير او شرف في الاكثر تدعوه رتبته الى التزيد من ذلك النوع فعني هذا لما كنت مصليا تجاوزت الى ذم شرعنا وحالنا فكأن حاله من الصلاة جسسته على ذلك فقل امرته كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال (ص و ع) او ان نفعل معطوف على ما يعبد واو للتويع انتهى وظاهر حالهم الذي اشاروا اليه هو نجس الكيل والوزن الذي تقدم ذكره وروي ان الاشارة الى قرضهم الدينار والدرهم واجراء ذلك مع الصحيح على جهة التدليس قاله محمد بن كعب القرظي وتوول ايضا بمعنى تبديل السكك التي يقصد بها اكل اموال الناس قال ابن العربي قال ابن المسيب قطع الدنانير والدراهم من الفساد في الارض وكذلك قال زيد بن اسلم في هذه الآية وفسرها به ومثله عن يحيى بن سعيد من رواية مالك قال ابن العربي واذا كان قطع الدنانير والدراهم وقرضها من الفساد عوقب من فعل ذلك وقرض الدراهم غير كسرها فان الكسر فساد الوصف والقرض تنقيص للقدر وهو اشد من كسرها فهو كالسرقة انتهى من الاحكام مختصرا وبعضه بالمعنى وقولهم انك لانت الحلیم الرشید قيل انهم قالوه على جهة الحقيقة اي انت حلیم رشید فلا ينبغي لك ان تنهانا عن هذه الاحوال وقيل انما قالوا هذا على جهة الاستهزاء \* وقوله ورزقني منه رزقا حسنا اي سالما من الفساد الذي ادخلتم في اموالكم وجواب الشرط الذي في قوله ان كنت على بينة من ربي محذوف تقديره اضل كما ضللتكم او اترك تبليغ رسالة ربي ونحو هذا \* وقوله لا يجرمكم معناه لا يكسبكم وشقاي معناه مشاقتي وعداوتي وان مفعولة بيجرمكم قال (ص و ع) وما

قوم لوط منكم ببعيد اي بزمان بعيد او بمكان قال (ص) ودود بناء مبالغة من ود الشيء اذا احبه واثره (ع) ومعناه ان افعاله سبحانه ولطفه بعباده لما كانت في غاية الاحسان اليهم كانت كفعل من يتودد ويود المصنوع له وقولهم ما نفقه كقول قریش قلوبنا في اكنة والظاهر من قولهم انا لنراك فينا ضعيفا انهم ارادوا ضعف الانتصار والقدرة وان رهطه الكفرة يراعون فيه والرهط جماعة الرجل وقولهم لرجنك اي بالحجارة قاله ابن زيد وقيل بالسب باللسان وقولهم بعزى اي بذى منعة وعزة ومنزلة والظهري الشيء الذى يكون وراء الظهر وذلك يكون فى الكلام على وجهين اما بمعنى الاطراح كما تقول جعلت كلامى وراء ظهرك ودير اذنك وعلى هذا المعنى حمل الجمهور الآية اي اتخذتم امر الله وشرعه وراء ظهوركم اي غير مراعى واما بان يستند اليه ويلجأ كما قال عليه السلام والجات ظهري اليك وعلى هذا المعنى حمل الآية قوم اي وانتم تتخذون الله سند ظهوركم وعماد آمالكم \* وقوله اعملوا على مكانتكم معناه على حالاتكم وفيه تهديد \* وقوله سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والصحيح ان الوقف فى قوله انى عامل \* وقوله سبحانه واخذت الذين ظلموا الصيحة الآية الصيحة هي صيحة جبريل عليه السلام \* وقوله سبحانه كان لم يفتنوا فيها الآية يفتنوا معناه يقيمون بنعمة وخفض عيش ومنه المغانى وهي المنازل المعمورة بالاهل وضمير فيها عائذ على الديار \* وقوله بعدا مصدر دعا به كقولك سحقا للكافرين وفارقت هذه قولهم سلام عليكم لان بعدا اخبار عن شيء قد وجب وتحصل وتلك انما هي دعا مرتجى ومعنى البعد فى قراءة بعدت بكسر العين الهلاك وهي قراءة الجمهور ومنه قول خرنق بنت هفان لا يبعدن قومي الذين هم \* سم العداة وءافة الجزر

ومنه قول مالك بن الربيع

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني \* واين مكان البعد الامكانيا  
واما من قرأ بعدت وهو السلمي وابو حيوه فهو من البعد الذي هو ضد القرب  
ولا يدعى به الا على مبغوض قال (ص) وقال ابن الانباري من العرب من يسوى  
بين الهلاك والبعد الذى هو ضد القرب فيقولون فيها بعد يبعد وبعد يبعد  
انتهى \* وقوله سبحانه فاتبعوا امر فرعون اى وخالفوا امر موسى وما امر  
فرعون برشيد اى بمشرد الى خير وقال (ع) برشيد اى بمصيب فى مذهبه يقدم  
قومه اى يقدمهم الى النار والورد فى هذه الآية هو ورود دخول قال (ص)  
والورد فاعل بيس والمورود المخصوص بالذم وفى الاول حذف اى مكان  
الورد لطابق المخصوص بالذم وجوز (ع) وابو البقاء ان يكون المورد  
صفة لمكان الورد والمخصوص محذوف اى بيس مكان الورد المورد  
النار والورد يجوز ان يكون مصدرا بمعنى الورد او بمعنى الواردة من الابل  
وقيل الورد بمعنى الجمع للوارد والمورود صفة لهم والمخصوص بالذم ضمير  
محذوف اى بيس القوم المورد بهم هم انتهى واتبعوا فى هذه لعنة يريد دار  
الدنيا \* وقوله بيس الرشد المرفود اى بيس العطاء المعطى لهم وهو العذاب  
والرشد فى كلام العرب العطية \* وقوله سبحانه ذلك من انباء القرى  
الآية ذلك اشارة الى ما تقدم من ذكر العقوبات النازلة بالامم  
المذكورة منها قائم وحصيد اى منها قائم الجدرات ومتهدم دائر والآية  
يحملها متضمنة التخويف وضرب المثل للحاضرين من اهل مكة وغيرهم  
والتبويب الحشران ومنه ثبت يدا ابي لهب \* وقوله وكذلك الاشارة  
الى ما ذكر من الاخذات فى الامم وهذه آية وعيد يعم قرى المؤمنين  
والكافرين فان ظالمة اعم من كافرة وقد يهمل الله تعالى بعض الكفرة واما

الظلمة فمعالجون في الغالب وقد يملى لبعضهم وفي الحديث من رواية ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الآية وهذه قراءة الجماعة وهي تعطى بقاء الوعيد واستمراره في الزمان ان في ذلك لآية اي لبرة وعلامة اهتداء لمن خاف عذاب الآخرة ثم عظم الله امر الآخرة فقال ذلك يوم مجموع له الناس وهو يوم الحشر وذلك يوم مشهود بشهده الاولون والآخرين من الملائكة والانس والجن والحيوان في قول الجمهور وما نؤخره الا لاجل معدود لا يتقدم عنه ولا يتأخر قال (ص) والظاهر ان ضمير فاعل ياتي يعود على ما عاد عليه ضمير نؤخره والناصب ليوم لا تكلم والمعنى لا تكلم نفس يوم ياتي ذلك اليوم الا باذنه سبحانه انتهى \* وقوله تعالى فمنهم عائد على الجمع الذي يتضمنه قوله نفس اذ هو اسم جنس يراد به الجمع فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق وهي اصوات المكروبين والمحزونين والمعذبين ونحو ذلك قال قتادة الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره فصياح اهل النار كذلك وقال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من الحلق والظاهر ما قال ابو العالية \* وقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض يروى عن ابن عباس ان الله خلق السموات والارض من نور العرش ثم يردهما الى هنالك في الآخرة فلهما ثم بقاء دائم وقيل معنى ما دامت السموات والارض العبارة عن التابيد بما تعده العرب وذلك ان من فصيح كلامها اذا ارادت ان تخبر عن تأبيد شيء ان تقول لا افعل كذا وكذا امد الدهر وما نأح الحام وما دامت السموات والارض وقيل غير هذا قال (ص) وقيل المراد سموات الآخرة وارضها يدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتهى واما قوله الا ماشاء ربك في الاستثناء ثلاثة

اقوال احدها انه متصل اي الاما شاء ربك من اخراج الموحدين وعلى هذا يكون قوله فاما الذين شقوا عام في الكفرة والعصاة ويكون الاستثناء من خالدين وهذا قول قتادة وجماعة الثاني ان هذا الاستثناء ليس بمتصل ولا منقطع وانما هو على طريق الاستثناء الذي ندب اليه الشرع في كل كلام فهو على نحو قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله الثالث ان الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء منقطع وهذا قول الفراء فانه يقدر الاستثناء المنقطع بسوى وسيبويه يقدره بلكن اي سوى ما شاء الله زائدا على ذلك ويؤيد هذا التاويل قوله بعد عطاء غير مجذوذ وقيل سوى ما اعد الله لهم من انواع العذاب واشد من ذلك كله سخطه سبحانه عليهم وقيل الاستثناء في الآيتين من الكون في النار والجنة وهو زمان الموقف وقيل الاستثناء في الآية الاولى من طول المدة وذلك على ما روي ان جهنم تخرب ويعدم اهلها وتحقق ابوابها فهم على هذا يخلدون حتى يصير امرهم الى هذا قال (ع) وهذا قول محتمل والذي روي ونقل عن ابن مسعود وغيره ان ما يخلى من النار انما هو الدرك الاعلى المختص بعصاة المؤمنين وهذا الذي يسمى جهنم وسمي الكل به تجوزا (ت) وهذا هو الصواب ان شاء الله وهو تاويل صاحب العاقبة ان الذي يخرب ما يخص عصاة المؤمنين وتقدم الكلام على نظير هذه الآية وهو قوله في الانعام خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم قال (ع) والاقوال المترتبة في الاستثناء الاول مرتبة في الاستثناء الثاني في الذين سعدوا الاتاويل من قال هو استثناء المدة التي تخرب فيها جهنم فانه لا يترتب هنا والمجذوذ المقطوع والاشارة بقوله مما يعبد هؤلاء الى كفار العرب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص معناه من العقوبة وقال الداودي عن ابن عباس وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص

قال ما قدر لهم من خير وشر انتهى \* وقوله ولقد آتينا موسى الكتاب  
فاختلف فيه اي اختلف الناس عليه فلا يعظم عليك يا محمد امر من كذبك  
وقال (ص) فيه الظاهر عوده على الكتاب ويجوز ان يعود على موسى وقيل  
في بمعنى على اي عليه انتهى والكلمة هنا عبارة عن الحكم والقضاء \*  
لقضي بينهم اي لفصل بين المومن والكافر بنعيم هذا وعذاب هذا ووصف  
الشك بالريب تقوية لمعنى الشك فهذه الآية يحتمل ان يكون المراد بها  
امة موسى ويحتمل ان يراد بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم وان يعممهم  
اللفظ احسن ويؤيده قوله وان كلا وقرأ نافع وابن كثير وان كلا لما وقرأ ابو  
عمرو والكسائي بتشديد ان وقرأ حمزة وحفص بتشديد ان وتشديد لما  
فالقراءتان المتقدمتان بمعنى فان فيهما على بابها وكلا اسمها وعرفها ان تدخل على  
خبرها لام وفي الكلام قسم تدخل لامة ايضا على خبر ان فلما اجتمع لاما فلما  
بينها بما هذا قول ابي علي والخبر في قوله ليوفينهم وهذه الآية وعيد ومعنى الآية  
ان كل الخلق موافق عمله \* وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك امر  
النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وهو عليها انما هو امر بالدوام والثبوت وهو  
امر لسائر الامة وروي ان بعض العلماء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال  
يا رسول الله بلغنا عنك انك قلت شيبتنى هود واخواتها فما الذى شيبك من  
هود فقال له قوله عز وجل فاستقم كما امرت قال (ع) والتاويل المشهور في  
قوله عليه السلام شيبتنى هود واخواتها انه اشارة الى ما فيها مما حل بالامم  
السالفة فكان حذره على هذه مثل ذلك شيبه عليه السلام \* وقوله تعالى  
ولا تركنوا الى الذين ظلموا الآية الركون السكون الى الشيء والرضى به  
قال ابو العالية الركون الرضى قال ابن زيد الركون الادهان قال (ع) فالركون  
يقع على قليل هذا المعنى وكثيره والنهي هنا يترتب من معنى الركون على



الميل اليهم بالشرك معهم الى اقل الرتب من ترك التغير عليهم مع القدرة والذين ظلموا هنا هم الكفرة ويدخل بالمعنى اهل المعاصي \* وقوله سبحانه واقم الصلوة طرفي النهار الآية لا خلاف ان الصلاة في هذه الآية يراد بها الصلوات المفروضة واختلف في طرفي النهار وزلف الليل ف قيل الطرف الاول الصبح والثاني الظهر والمصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد وغيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في المغرب والعشاء هما زلفتا الليل وقيل الطرف الاول الصبح والثاني العصر قاله الحسن وقتادة والزلف المغرب والعشاء وليست الظهر في هذه الآية على هذا القول بل هي في غيرها قال (ع) والاول احسن الاقوال عندي ورجح الطبري القول بان الطرفين الصبح والمغرب وهو قول ابن عباس وغيره وانه لظاهر الا ان عموم الصلوات الخمس بالآية اولى والزلف الساعات القريب بعضها من بعض \* وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ذهب جمهور المتأولين من صحابة وتابعين الى ان الحسنات يراد بها الصلوات الخمس والى هذه الآية ذهب عثمان رضي الله عنه في وضوئه على المقاعد وهو تاويل مالك وقال مجاهد الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال (ع) وهذا كله انما هو على جهة المثال في الحسنات ومن اجل ان الصلوات الخمس هي معظم الاعمال والذي يظهر ان لفظ الآية عام في الحسنات خاص في السيئات بقوله عليه السلام ما اجتنبت الكبائر وروي ان هذه الآية نزلت في رجل من الانصار وهو ابو اليسر بن عمرو وقيل اسمه عباد خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الجماع ثم جاء الى عمر فشكا اليه فقال له قد ستر الله عليك فاستر على نفسك فقلق الرجل فجاء ابا بكر فشكا اليه فقال له مثل مقالة عمر فقلق الرجل فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فصلى معه ثم اخبره وقال اقض

في ما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلها زوجة غاز في سبيل الله قال نعم فوبخه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما ادرى فنزلت هذه الآية فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فتلاها عليه فقال معاذ بن جبل يا رسول الله اهذا له خاصة فقال بل للناس عامة قال ابن العربي في احكامه وهذا الحديث صحيح رواه الائمة كلهم انتهى قال (ع) وروي ان الآية قد كانت نزلت قبل ذلك واستعملها النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل وروي ان عمر قال ما حي عن معاذ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمس ورمضان الى رمضان كفارة لما بينها ان اجتنبت الكبائر \* وقوله ذلك ذكرى اشارة الى الصلوات اي هي سبب الذكرى وهي العظة ويحتمل ان تكون اشارة الى الاخبار بان الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل ان تكون اشارة الى جميع ما تقدم من الاوامر والنواهي والقصص في هذه السورة وهو تفسير الطبري \* فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية الآية لولا هي التي للتخصيص لكن يقترب بها هنا معنى التفجع والتأسف الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه الامم التي لم تهتد وهذا نحو قوله سبحانه يا حسرة على العباد والقرون من قبلنا قوم نوح وعاد وثمود ومن تقدم ذكره \* وقوله اولوا بقية اي اولوا بقية من عقل وتميز ودين \* ينهون عن الفساد وانما قيل بقية لان الشرائع والدول ونحوها قوتها في اولها ثم لا تزال تضعف فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الاول \* والفساد في الارض هو الكفر وما اقترن به من المعاصي وهذه الآية فيها تنبيه لهذه الامة وحض على تمييز المنكر ثم استثنى الله عز وجل القوم الذين نجاهم مع انبيائهم وهم قليل بالاضافة الى جماعاتهم وقليل استثناء منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم نوا عن الفساد والمترف المنعم الذي شغلته زفتته عن الحق حتى

هناك \* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه سبحانه وتعالى عن ذلك \* ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي مومنة لا يقع منهم كفر قاله قتادة ولكنه عز وجل لم يشأ ذلك فهم لا يزالون مختلفين في الاديان والآراء والمثل هذا تاويل الجمهور \* الامن رحم ربك اي بان هداه الى الايمان \* وقوله تعالى ولذلك خلقهم قال الحسن اي وللاختلاف خلقهم قال (ع) وذلك ان الله تعالى خلق خلقا للسعادة وخلقاً للشقاوة ثم يسر كلا لما خلق له وهذا نص في الحديث الصحيح وجعل بعد ذلك الاختلاف في الدين على الحق هو امارة الشقاوة وبه علق العقاب فيصح ان يحمل قول الحسن هنا وللاختلاف خلقهم اي لثمرة الاختلاف وما يكون عنه من شقاوة او سعادة وقال اشهب سألته مالكا عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل غير هذا \* وقوله تعالى وتمت كلمة ربك اي نفذ قضاؤه وحق امره واللام في لآملان لام قسم \* وقوله سبحانه وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وكلا مفعول مقدم بنقص وما بدل من قوله وكلا ونثبت به فؤادك اي نؤنسك فيما تلقاه ونجعل لك الاسوة \* وجاءك في هذه الحق قال الحسن هذه اشارة الى دار الدنيا وقال ابن عباس هذه اشارة الى السورة وهو قول الجمهور قال (ع) ووجه تخصيص هذه السورة بوصفها بحق والقرآن كله حق ان ذلك يتضمن معنى الوعيد للكفرة والتنبية للناظر اي جاءك في هذه السورة الحق الذي اصاب الامم الماضية وهذا كما يقال عند الشدائد جاء الحق وان كان الحق ياتي في غير الشدائد ثم وصف سبحانه ان ما تضمنته السورة هو موعظة وذكرى للمومنين \* وقوله سبحانه وقل للذين لا يؤمنون الآية ١٠ اية وعيد \* وقوله تعالى والله غيب السموات والارض الآية ١٠ اية تعظيم وانفراد بما لاحظ لمخلوق فيه ثم امر سبحانه

العبد بعبادته والتوكل عليه وفيها زوال همه وصلاحه ووصوله الى رضوان الله تعالى فقال فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اللهم اجعلنا ممن توكل عليك ووفقته لعبادتك كما ترضى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على جزيل ما به انعم

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ تفسير سورة يوسف عليه السلام ﴾

هذه السورة مكية والسبب في نزولها ان اليهود امروا كفار مكة ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي احل بني اسرائيل بمصر فنزلت السورة وقيل سبب نزولها تسليية النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله به قومه بما فعل اخوة يوسف بيوسف وسورة يوسف لم يتكرر من معانيها في القرآن شيء كما تكررت قصص الانبياء ففيها حجة على من اعترض بان الفصاحة تمكنت بترداد القول وفي تلك القصص حجة على من قال في هذه لو كررت لفترت فصاحتها \* وقوله عز وجل الرتللك آيات الكتاب المبين الكتاب هنا القرآن ووصفه بالمبين من جهة بيان احكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهداه ونوره ومن جهة بيان اللسان العربي وجودته والضمير في انزلناه للكتاب وقرآنا حال وعربيا صفة له وقيل قرآنا توطئة للحال وعربيا حال \* وقوله سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص الآية روى ابن مسعود ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا لو قصصت علينا

يارسول الله فنزلت هذه الآية ثم ملوا ملة اخرى فقالوا لو حدثتنا يا رسول  
 الله فنزلت الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها الآية والقصص الاخبار  
 بما جرى من الامور \* وقوله بما اوحينا اليك اي بوحينا اليك هذا والقرءان  
 نعمت لهذا ويجوز فيه البدل والضمير في قبله للقصص العام لما في جميع  
 القرءان منه ومن الغافلين اي عن معرفة هذا القصص وعبرة المهدوي قال  
 قتادة اي نحن نقص عليك من الكتب الماضية واخبار الامم السالفة  
 احسن القصص بوحينا اليك هذا القرءان وان كنت من قبله لمن الغافلين  
 عن اخبار الامم انتهى \* وقوله سبحانه اذ قال يوسف لابي له يا ابت اني  
 رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قيل انه رأى  
 كواكب حقيقة والشمس والقمر فتأولها يعقوب اخوته وابويه وهذا  
 هو قول الجمهور وقيل الاخوة والاب والحالة لان امه كانت ميتة وروي ان  
 رؤيا يوسف خرجت بعد اربعين سنة وقيل بعد ثمانين سنة \* وقوله قال يا بني  
 لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا من هنا ومن فعل اخوة  
 يوسف بيوسف يظهر انهم لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وما وقع في  
 كتاب الطبري لابن زيد انهم كانوا انبياء يردده القطع بعصمة الانبياء عن الحسد  
 الدنياوي وعن عقوب الآباء وتعريض مومن للهلاك والتوأم في قتله \* وكذلك  
 يجتنبك ربك اي يختارك ويصطفيك \* ويعلمك من تاويل الاحاديث قال  
 مجاهد وغيره هي عبارة الرؤيا وقال الحسن هي عواقب الامور وقيل هي عامة  
 لذلك وغيره من الغيبات \* ويتم نعمته عليك الآية يريد بالنبوة وما انضاف  
 اليها من سائر النعم ويروى ان يعقوب علم هذا من دعوة اسحاق له حين تشبه  
 بعيسو وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه لقد كان في يوسف واخوته آيات  
 للسائلين اذ كل احد ينبغي ان يسأل عن مثل هذا القصص اذ هي مقر العبر

والا تماظ وقولهم واخوه يريدون به يامين وهو اصغر من يوسف ويقال له بنيامين  
 قيل وهو شقيقه \* احب الى ابينا منا اي لصغرهما وموت امهما وهذا من حب  
 الصغير هي فطرة البشر وقولهم ونحن عصبة اي جماعة تضر وتنفع وتحمي وتحذل  
 اي لنا كانت تنبغي المحبة والمراعاة والمصبة في اللغة الجماعة وقولهم لني ضلال  
 مبين اي لني انتلاف وخطا في محبة يوسف واخيه وهذا هو معنى الضلال وانما  
 يصغر قدره ويعظم بحسب الشيء الذي فيه يقع الانتلاف ومبين معناه ظاهر  
 للتأمل وقولهم او اطرحوه ارضا اي بارض بعيدة فارضا مفعول ثان باسقاط حرف  
 الجر والضمير في بعده عائد على يوسف او قتله او طرحه وصالحين قال مقاتل  
 وغيره انهم ارادوا صلاح الحال عند ابيهم والقائل منهم لا تقتلوه هو روبيل  
 اسنهم قاله قتادة وابن اسحاق وقيل هو شمعون قاله مجاهد وهذا عطف منه  
 على اخيه لاحتالة لما اراد الله من انفاذ قضائه والغيابة ما غاب عنك  
 والجب البير التي لم تطولانها جبت من الارض فقط قال المهدوي والجب  
 في اللغة البير المقطوعة التي لم تطوانتهى والسيارة جمع سيار وروي ان  
 جماعة من الاعراب التقطت يوسف عليه السلام \* وقوله سبحانه قالوا  
 يا ابانا مالك لا تأمننا على يوسف وانا له لناصحون الآية المتقدمة تقتضى  
 ان اباهم قد كان علم منهم ارادتهم السوء في جهة يوسف وهذه الآية تقتضى  
 انهم علموا هم منه بعلمه ذلك وقرأ ابو عامر وابن عمرو وزرع ونلب بالنون  
 فيهما واسكان المين والباء وزرع على هذا من الرتوع وهي الاقامة في  
 الحصب والمرعى في اكل وشرب وقرأ ابن كثير زرع ونلب بالنون فيهما  
 وكسر المين واسكان الباء وقد روي عنه ويلب بالياء وزرع على هذا من  
 رعاية الابل وقال مجاهد من المراعاة اي يرعى بعضنا بعضا ويجرسه وقرأ عاصم  
 وحمة والكسائي يرتع ويلب باسناد ذلك كله الى يوسف وقرأ نافع يرتع

ويلعب فيرتع على هذا من رعاية الابل قال ابو علي وقراءة ابن كثير ترتع بالنون ويلعب يالياً منزعا حسن لاسناد النظر في المال والرعاية اليهم واللعب الى يوسف لصباه ولعبهم هذا داخل في اللعب المباح والمندوب كاللعب بالخليل والرمي وعللوا طلبه والخروج به بما يمكن ان يستهوي يوسف لصباه من الرتوع واللعب والنشاط وانما خاف يعقوب عليه السلام الذيب دون سواء وخصصه لانه كان الحيوان العادي المنبث في القطر ولصغر يوسف واجمعوا معناه عزموا \* وقوله سبحانه واوحينا اليه يحتمل ان يكون الوحي الى يوسف حينئذ برسول ويحتمل ان يكون بالهام او بنوم وكل ذلك قد قيل وقرأ الجمهور لتنبئهم بالتاء من فوق \* وقوله وهم لا يشعرون قال ابن جريج معناه لا يشعرون وقت التنبئة انك يوسف وقال قتادة لا يشعرون بوحي اليك \* وقوله وجاءوا باهم عشاء يبكون اي وقت العشاء وقرأ الحسن عشي على مثال دجى جمع عاش ومعنى ذلك اصابهم عشي من البكاء او شبه العشي اذ كذلك هي عين الباكي لانه يتعاشى ومثل شريح امرأة بكت وهي مبطة ببكاء هوئلا وقرأ الآية ونستبق معناه على الاقدام وقيل بالرمي اي ننتضل وهو نوع من المسابقة قاله الزجاج وقولهم وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا ولو كنا صادقين اي ولو كنا موصوفين بالصدق ويحتمل ان يكون قولهم ولو كنا صادقين بمعنى وان كنا صادقين في معتقدنا \* وقوله سبحانه وجاءوا على قيصه بدم كذب روي انهم اخذوا سخلة او جديا فذبحوه ولطخوا به قيص يوسف وقالوا ليعقوب هذا قيصه فاخذه وبكى ثم تأمله فلم ير خرقا ولا اثر ناب فاستدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان الذيب حليما يا كل يوسف ولا يخرق قيصه قص هذا القصص ابن عباس وغيره واجمعوا على انه استدل على كذبهم بصحة القميص واستند الفقهاء الى هذا في اعمال الامارات في مسائل كالقسامة بها في قول مالك الى

غير ذلك قال الشعبي كان في القميص ثلاث آيات دلالاته على كذبهم وشهادته في قده ورد بصريعوب به ووصف الدم بالكذب الذي هو مصدر على جهة المبالغة ثم قال لهم يعقوب بل سولت لكم اي رضيت وجعلت سولا ومرادا امرا اي صنعا قبيحا بيوسف \* وقوله فصبر جميل اما على حذف المبتدا اي فشأنى صبر جميل واما على حذف الخبر تقديره فصبر جميل امثل وجميل الصبر ان لا تقع شكوى الى البشر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بث لم يصبر صبرا جميلا \* وقوله والله المستعان على ما تصفون تسليم لامر الله تعالى وتوكل عليه \* وقوله سبحانه وجاءت سيارة فارسلوا واردهم قيل ان السيارة جاءت في اليوم الثاني من طرحه والسيارة بناء مبالغة للذين يرددون السير في الطرق قال (ص) والسيارة جمع سيار وهو الكثير السير في الارض انتهى والوارد هو الذي ياتي الماء يستقي منه لجماعته وهو يقع على الواحد وعلى الجماعة وروي ان مدلي الدلو كان يسمى مالك بن دعو وروي ان هذا الجب كان بالاردن على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ويقال ادلى دلوه اذا القاه ليستقي الماء وفي الكلام حذف تقديره فتعلق يوسف بالجبل فلما بصربه المدلى قال يا بشراي وروي ان يوسف كان يومئذ ابن سبع سنين ويرجح هذا لفظة غلام فانها لما بين الحولين الى البلوغ فان قلت فيما فوق ذلك فعل استصحب حال وتجاوز وقرأ نافع وغيره يا بشراي باضافة البشرى الى التكلم وفتح الياء على ندائها كانه يقول احضري فهذا وقتك وقرأ حمزة والكسائي يا بشرى ويميلان ولا يضيفان وقرأ عاصم كذلك الا انه يفتح الراء ولا يميل واختلف في تاويل هذه القراءة فقال السدي كان في اصحاب هذا الوارد رجل اسمه بشرى فناده واعلمه بالغلام وقيل هو على نداء البشرى كما قدمنا \* وقوله سبحانه واسروه بضاعة قال مجاهد وذلك ان الوارد خشوا



من تجار الرفقة ان قالوا وجدناه ان يشاركوهم في الغلام الموجود يعني او يمنعهم من تملكه ان كانوا اخيارا فاسروا بينهم ان يقولوا ابضعه معنا بعض اهل المصر وبضاعة حال والبضاعة القطعة من المال يتجر فيها بغير نصيب من الربح ماخوذة من قولهم بضعة اي قطعة وقيل الضمير في اسروه يعود على اخوة يوسف \* وقوله سبحانه وشروه بثمن بخس شروه هنا بمعنى باعوه قال الداودي وعن ابي عبيدة وشروه اي باعوه فاذا ابتعت انت قلت اشتريت انتهى وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى وشروه بثمن بخس يقال اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت لغة انتهى وعلى هذا فلا مانع من حمل اللفظ على ظاهره ويكون شروه بمعنى اشتروه قال (ع) روي ان اخوة يوسف لما علموا ان الورد قد اخذوه جاءهم فقالوا هذا عبد قد ابق منا ونحن نبيعه منكم فقارهم يوسف على هذه المقالة خوفا منهم ولينفذ الله امره والبخس مصدر وصف به الثمن وهو بمعنى النقص \* وقوله دراهم معدودة عبارة عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ ان توزن لثقلها وذلك انهم كانوا لا يزنون ما كان دون الاوقية وهي اربعون درهما \* وقوله سبحانه وكانوا فيه من الزاهدين وصف يترتب في اخوة يوسف وفي الورد ولكنه في اخوة يوسف ارتب اذ حقيقة الزهد في الشيء اخراج حبه من القلب ورفضه من اليد وهذه كانت حال اخوة يوسف في يوسف واما الورد فان تمسكهم به وتجرحهم يمانع زهدهم الا على تجوز قال ابن العربي في احكامه وكانوا فيه من الزاهدين اي اخوته والواردة اما اخوته فلان مقصودهم زوال عينه واما الواردة فلانهم خافوا اشتراك اصحابهم معهم انتهى \* وقوله سبحانه وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا روي ان مبتاع يوسف ورد به مصر البلد المعروف ولذلك لا ينصرف فعرضه في السوق وكان اجل الناس فوقمت

فيه مزايدة حتى بلغ ثمنا عظيما فقليل وزنه من ذهب ومن فضة ومن حرير فاشتراه العزيز وهو كان حاجب الملك وخازنه واسم الملك الريان بن الوليد وقيل مصعب بن الريان وهو احد الفراعنة واسم العزيز المذكور قطيفين قاله ابن عباس وقيل اظفير وقيل قنطور واسم امرأته راعيل قائه ابن اسحاق وقيل زليخا قال البخاري ومثواه مقامه \* وقوله او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان فيما يقال لاولد له ثم قال تعالى وكذلك اي وكما وصفنا مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه فعائنا ذلك والاحاديث الرؤيا في النوم قاله مجاهد وقيل احاديث الانبياء والامم والضمير في امره يحتمل ان يعود على يوسف قاله الطبري ويحتمل ان يعود على الله عز وجل قاله ابن جبير فيكون اخبارا منبها على قدرة الله عز وجل ليس في شان يوسف خاصة بل عاما في كل امر والاشد استكمال القوة وتناهي بنية الانسان وهما اشدان اولهما البلوغ والثاني السدى يستعمله العرب \* وقوله سبجانه اتيناه حكما وعلمنا يحتمل ان يريد بالحكم الحكمة والنسبة وهذا على الاشد الاعلى ويحتمل ان يريد بالحكم السلطان في الدنيا وحكما بين الناس وتدخل النبوة وتاويل الاحاديث وغير ذلك في قوله وعلمنا وقال ابن العربي اتيناه حكما وعلمنا الحكم هو العمل بالعلم انتهى \* وقوله سبجانه وكذلك نجزي المحسنين عبارة فيها وعد للنبي صلى الله عليه وسلم اي فلا يهولنك فعل الكفرة وعتوهم عليك فالله تعالى يصنع للمحسنين اجمل صنع \* وقوله سبجانه وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة الملائقة في السوق الى غرض والتي هو في بيتها هي زليخا امرأة العزيز وقوله عن نفسه كناية عن غرض الواقعة وظاهر هذه النازلة انها كانت قبل ان ينسأ عليه السلام وقولها هيت لك معناه الدعاء اي تعال واقبل على هذا الامر قال الحسن معناها هلم قال البخاري قال عكرمة هيت لك بالخورانية هلم وقال

ابن جبير تماله انتهى وقرأ هشام عن ابن عامر هتت لك بكسر الهاء والهمز وضم التاء ورويت عن ابى عمرو وهذا يحتمل ان يكون من هاء الرجل يهيء اذا حسن هيئته ويحتمل ان يكون بمعنى تهيأت ومعاذ نصب على المصدر ومعنى الكلام اعوذ بالله ثم قال انه ربي احسن مثواي فيحتمل ان يعود الضمير في انه على الله عز وجل ويحتمل ان يريد العزيز سيده اي فلا يصلح لى ان اخونه وقد اكرم مثواي واثنىنى قال مجاهد وغيره ربي معناه سيدى واذا حفظ الادمي لاحسانه فهو عمل ذاك واخرى ان يحفظ ربه والضمير في قوله انه لا يفلح مراد به الامر والشان فقط وحكى بعض المفسرين ان يوسف عليه السلام لما قال معاذ الله ثم دافع الامر باحتجاج وملاينة امتحنه الله تعالى بالهم بما هم به ولو قال لاحول ولا قوة الا بالله ودافع بنف وتغيير لم يهيم بشيء من المكروه \* وقوله سبحانه وهم بها يختلف في هم يوسف قال (ع) والذي اقول به في هذه الآية ان كون يوسف عليه السلام نبيا في وقت هذه النازلة لم يصح ولا تظاهرت به رواية فاذا كان ذلك فهو مومن قد اوتي حكما وعلما ويجوز عليه المم الذى هو ارادة الشيء دون موافقته وان يستصحب الخاطر الردي على ما في ذلك من الخطيئة وان فرضناه نبيا في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندى الا المم الذى هو الخاطر ولا يصح عندى شيء مما ذكر من حل تكة ونحو ذلك لان العصمة مع النبوة والهم بالشيء مرتبان فالخاطر المجرد دون استصحاب يجوز عليه ومع استصحاب لا يجوز عليه اذ الاجماع منعقد ان المم بالمعصية واستصحاب التلذذ بها غير جائز ولا داخل في التجاوز (ت) قال عياض والصحيح ان شاء الله تنزيههم ايضا قبل النبوة من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ثم قال عياض بعد هذا واما قول الله سبحانه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى

برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليس بسيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدى بسيئة فلم يعلمها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذن واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما مالم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفوعه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئى نفسى الآية اى من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع انتهى واختلف فى البرهان الذى رواه يوسف ف قيل ناداه جبريل يا يوسف تكون فى ديوان الانبياء وتفعل فعل السفهاء وقيل رأى يعقوب عاضا على ايهامه وقيل غير هذا وقيل بل كان البرهان فكرته فى عذاب الله ووعيدة على المعصية والبرهان فى كلام العرب الشيء الذى يعطى القطع واليقين كان مما يعلم ضرورة او نجبر قطعي او بقياس نظري وان فى قوله لولا ان رأى فى موضع رفع تقديره لولا رؤيته برهان ربه لفعل وذهب قوم الى ان الكلام تم فى قوله ولقد همت به وان جواب لولا فى قوله وهم بها وان المعنى لولا ان رأى البرهان لهم اى فلم يهم عليه السلام وهذا قول يردده لسان العرب واقوال السلف (ت) وقد ساق عياض هذا القول مساق الاحتجاج به متصلا بما نقلناه عنه انفا ولفظه فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به ولولا ان رأى برهان به لهم بها وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال معاذ الله الآية انتهى وكذا نقله الداودي ولفظه وقد قال سعيد بن الحداد فى الكلام تقديم وتأخير ومعناه انه لولا ان رأى برهان ربه لهم بها فلما رأى البرهان لم يهم انتهى

قال ابن العربي في احكامه وقد اخبر الله سبحانه عن حال يوسف من حين بلوغه بانه اتاه حكما وعلما والحكم هو العمل بالعلم وكلام الله صادق وخبره صحيح ووصفه حق فقد عمل يوسف بما علمه الله من تحريم الزنا وتحريم خيانة السيد في اهله فما تعرض لامرأة العزيز ولا اناب الى المراودة بل ادير عنها وفرمها حكمة خص بها وعمل بما علمه الله تعالى وهذا يطمس وجوه الجهالة من الناس والغفلة من العلماء في نسبتهم الى الصديق ما لا يليق واقل ما اقتحموا من ذلك هتك السراويل والهلم بالفتك فيما راوه من تاويل وحاشاه من ذلك فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فعل فعل والله تعالى انما قال هم بها قال علماء الصوفية ان فائدة قوله تعالى وما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما ان الله عز وجل اعطاه العلم والحكمة بان غلب الشهوة ليكون ذلك سببا للعصمة انتهى والكاف من قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء متعلقة بمضمر تقديره جرت افعالنا واقدارنا كذلك لنصرف ويصح ان تكون الكاف في موضع رفع بتقدير عصمتنا له كذلك وقرأ ابن كثير وغيره المخلصين بكسر اللام في سائر القرآن ونافع وغيره بفتحها \* وقوله تعالى واستبقا الباب الآية معناه سابق كل واحد منهما صاحبه الى الباب هي لترده الى نفسها وهو ليهرب عنها فقبضت في اعلى قيضه فتخرق القميص عند طوقه ونزل التخریق الى اسفل القميص قال البخاري والفاء اي وجدا الفواء اباؤهم وجدوهم انتهى والتقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طولاً والقط يستعمل فيما كان عرضاً والفاء وجدا والسيد الزوج قاله زيد ابن ثابت ومجاهد \* وقوله سبحانه قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الآية قال نوف الشامي كان يوسف عليه السلام لم يبين على كشف القصة فلما بنت عليه غضب فقال الحق فاخبر انها هي راودته عن نفسه فروي ان الشاهد كان ابن

عنها قال انظروا الى القميص وقال ابن عباس كان رجلا من خاصة الملك وقاله مجاهد وغيره والضمير في رأى هو للعزير وهو القاتل انه من كيد كنه قاله الطبري وقيل بل الشاهد قال ذلك وثرع بهذه الآية من يرى الحكم بالامارة من العلماء فانها معتمدتهم ويوسف في قوله يوسف اعرض عن هذا منادى قال ابن عباس ناداه الشاهد وهو الرجل الذي كان مع العزيز واعرض عن هذا معناه عن الكلام به اي اكتمه ولا تتحدث به ثم رجع اليها فقال واستغفرى لذنبك اي استغفرى زوجك وسيدك وقال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لان الخاطئين اعم \* وقوله سبجانه وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه نسوة جمع قلة وجمع التكثير نساء ويروى ان هؤلاء النسوة كن اربعا امرأة خبازة وامرأة ساقية وامرأة بوابة وامرأة سجانة والعزير الملك والفتى الغلام وعرفه في المملوك ولكنه قد قيل في غير المملوك ومنه اذ قال موسى لقتاه واصل الفتى في اللغة الشاب ولكن لما كان جل الخدمة شبابا استعير لهم اسم الفتى وشغفها معناه بلغ حتى صار من قلبها موضع الشغاف وهو على اكثر القول غلاف من اغشية القلب وقيل الشغاف سويداء القلب وقيل الشغاف داء يصل الى القلب \* فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن ليحضرن \* واعدت لهن متكأ اي اعدت ويسرت ما يتكأ عليه من فرش ووسائد وغير ذلك وقرأ ابن عباس وغيره متكأ بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف واختلف في معناها فقليل هو الاترنج وقيل هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين وقولها اخرج عليهن امر ليوسف واطاعها بحسب الملك \* وقوله اكبرنه معناه اعظمه واستهولن جماله هذا قول الجمهور \* وقطعن ايديهن اي كثرن الحز فيها بالسكاكين وقرأ ابو عمرو وحده حاشى لله وقرأ سائر السبعة حاش لله فعنى حاش لله اي حاشى يوسف لطاعته لله او

مكانه من الله ان يرمى بما رميته به او يدعى الى مثله لان تلك افعال البشر وهو ليس منهم انما هو ملك هكذا رتب بعضهم معنى هذا الكلام على القراءتين وقرأ الحسن وغيره ما هذا بشرا ان هذا الاملك كريم بكسر اللام من ملك وعلى هذه القراءة فالكلام فصيح لما استعظمنا حسن صورته قلن ما هذا مما يصلح ان يكون عبدا بشرا ان هذا الامما يصلح ان يكون ملكا كريما (ت) وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء ثم عرج بنا الى السماء الثالثة ففتح لنا فاذا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير انتهى وقولها فذلكم الذى لمتنى فيه المعنى فهذا الذى لمتنى فيه وقطعتن ايديكن بسببه هو الذى جعلنى ضالة فى هواه ثم اقرت امرأة العزيز للنسوة بالمرادة واستأمنت اليهن فى ذلك اذ علمت انهن قد عذرنها \* واستعصم معناه طلب العصمة وتمسك بها وعصاني ثم جعلت تتوعده وهو يسمع بقولها \* ولئن لم يفعل ما امره الى آخر الآية (ت) واعترض (ص) بان تفسير استعصم باعتصم اولى من جعله للطلب اذ لا يلزم من طلب الشيء حصوله انتهى واللام فى ليسجنن لام قسم واللام الاولى هي المؤذنة بالمجيء بالقسم والصاغرون الاذلاء وقول يوسف عليه السلام رب السجن احب الي الى قوله من الجاهلين كلام يتضمن التشكى الى الله تعالى من حاله معهن واصب ماخوذ من الصبوة وهي افعال الصبا ومن ذلك قول دريد ابن الصمة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه \* فلما علاه قال للبائل ابعده  
قال (ص) اصب معناه امل وهو جواب الشرط والصبابة افراط الشوق انتهى \* فاستجاب له ربه اي اجابه الى ارادته وصرف عنه كيدهن فى ان حال بينه وبين المعصية \* وقوله سبحانه ثم بدا لهم من بعد ما رأوا

الآيات ليسجنه حتى حين بدا معناه ظهر ولما ابى يوسف عليه السلام من المعصية ويئست منه امرأة العزيز طالبت به بان قالت لزوجها ان هذا الغلام العبراني قد فضحنى فى الناس وهو يعتذر اليهم ويصف الامر بحسب اختياره وانا محبوسة محبوبة فاما اذنت لى فخرجت الى الناس فاعتذرت وكذبت واما حبسته كما انا محبوسة فحينئذ بداهم سجنه (ع) وليسجنه جملة دخلت عليها لام قسم والآيات ذكر فيها اهل التفسير انها قد القيص وخمش الوجه وحز النساء ايديهن وكلام الصبي على ما روي قال (ع) ومقصد الكلام انما هو انهم رأوا سجنه بعد ظهور الآيات المبرئة له من التهمة فهكذا يبين ظلمهم له والحين فى كلام العرب وفى هذه الآية الوقت من الزمان غير محدود يقع للقليل والكثير وذلك بين من موارد فى القران \* وقوله سبحانه ودخل معه السجن فتيان الآية المعنى فسجنوه فدخل معه السجن غلامان سجننا ايضا وروي انهما كانا للملك الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه واسمه مجلى والاخر ساقيه واسمه نبو وروي ان الملك اتهمهما بان الحجاز منهما اراد سمه ووافقه على ذلك الساقى فسجنهما قاله السدي فلما دخل يوسف السجن استمال الناس فيه بحسن حديثه وفضله ونبله وكان يسلى حزينهم ويعود مريضهم ويسأل لفقرهم ويندبهم الى الخير فاحبه الفتان ولزماء واجبه صاحب السجن والقيم عليه وكان يوسف عليه السلام قد قال لاهل السجن انى اعبر الرؤيا واجيد فروي عن ابن مسعود ان الفتيين استعملا هاتين المتامتين ليحرباه وروي عن مجاهد انهما رأيا ذلك حقيقة فقال احدهما انى ارانى اعصر خرا قيل فيه انه سى العنب خرا بالمثل وقيل هي لغة ارد عمان يسمون العنب خرا وفى قراءة ابى وابن مسعود اعصر عنباً \* وقوله انا نراك من المحسنين قال الجمهور يريدان فى العلم وقال الضحاك وقتادة المعنى من



المحسنين في جريه مع اهل السجن واجماله معهم \* وقوله عز وجل قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما روي عن السدي وابن اسحاق ان يوسف عليه السلام لما علم شدة تعب منامه الراى الخبز وانها تؤذن بقتله ذهب الى غير ذلك من الحديث عسى ان لا يطالباه بالتعبير فقال لهما معلما بعظيم علمه للتعبير انه لا يجيئكما طعام في نومكما تريان انكما رزقتما الا اعلمتكما بتاويل ذلك الطعام اي بما يثول اليه امره في اليقظة قبل ان يظهر ذلك التاويل الذى اعلمتكما به فروي انهما قالوا ومن اين لك ما تدعيه من العلم وانت لست بكاهن ولا منجم فقال لهما ذلك مما علمنى ربى ثم نهض ينحى لهما على الكفر ويقبحه ويحسن الايمان بالله فروي انه قصد بذلك وجهين احدهما تنسيتهما امر تعب ما سألانه اذ في ذلك النذارة بقتل احدهما والاخر الطمعية في ايمانها لياخذ المقتول بحظه من الايمان وتسلم له اخرته وقال ابن جريج اراد يوسف عليه السلام لا ياتيكما طعام في اليقظة قال (ع) فلى هذا انما اعلهم بانه يعلم مغيبات لا تعلق لها برويا وقصد بذلك احد الوجهين المتقدمين وهذا على ما روي انه نبئ في السجن فاخبره كاخبار عيسى عليه السلام \* وقوله تركت مع انه لم يتشبث بها جائز صحيح وذلك انه اخبر عن تجنبه من اول بالترك وساق لفظ الترك استجلابا لهما عسى ان يتركا الترك الحقيقى الذى هو بعد الاخذ في الشئ والقوم المتروك ملتزم الملك واتباعه \* وقوله واتبت الآية تماد من يوسف عليه السلام في دعائهما الى الملة الخفيفة \* وقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ من هي الزائدة الموكدة التى تكون مع الجحود \* وقوله لا يشكرون يريد الشكر التام الذى فيه الايمان بالله عز وجل \* وقوله يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وصفه لهما بصاحبي السجن

من حيث سكناه كما قال اصحاب الجنة واصحاب النار ونحو ذلك ويحتمل ان يريد صحبتهما له في السجن كانه قال يا صاحباي في السجن وعرضه عليهما بطلان امر الاوثان بان وصفها بالتفرق ووصف الله تعالى بالوحدة والقهر تلتطف حسن واخذ بيسير الحجة قبل كثيرها الذي ربما نفرت منه طباع الجاهل وعاندته وهكذا الوجه في محاجة الجاهل ان يوخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج قبلها فاذا قبلها لزمته عنها درجة اخرى فوقها ثم كذلك ابدًا حتى يصل الى الحق وان اخذ الجاهل بجميع المذهب الذي يساق اليه دفعة اياه للحين وعانده ولقد ابتلي بارباب متفرقين من يخدم ابناء الدنيا ويؤملهم \* وقوله ما تعبدون من دونه الا اسماء اي مسميات ويحتمل وهو الراجح المختار ان يريد ما تعبدون من دونه الوهية ولاكم تعلق باله الا بحسب ان سميت اصنامكم الهة فليست عبادتكم لاله الا بالاسم فقط لا بالحقيقة واما الحقيقة فهي وسائر الحجارة والخشب سواء وانما تعلق عبادتكم بحسب الاسم الذي وضعتم فذلك هو مبعودكم ومفعول سميت الثاني محذوف تقديره الهة هذا على ان الاسماء يراد بها ذوات الاصنام واما على المعنى المختار من ان عبادتهم انما هي لمعان تعطيه الاسماء وليست موجودة في الاصنام فقوله سميتوها بمنزلة وضعتموها ان الحكم الله اي ليس لاصنامكم والقيم معناه المستقيم واكثر الناس لا يعلمون لجهالتهم وكفرهم ثم نادى يا صاحبي السجن ثانية لتجتمع انفسهما لسماع الجواب فروي انه قال لنبو اما انت فتعود الى مرتبتك وسقاية ربك وقال لمجلت اما انت فتصلب وذلك كله بعد ثلاث فروي انهما قالالا ما رأينا شيئاً وانما تحلمنا لنجربك وروي انه لم يقل ذلك الا الذي حدثه بالصلب وقيل كانا رأيا ثم انكرا ثم اخبرهما يوسف عن غيب علمه من الله تعالى ان الامر قد قضي ووافق القدر \* وقوله وقال للذي ظن انه

ناج منهما الآية الظن هنا بمعنى اليقين لان ما تقدم من قوله قضي  
 الامر يلزم ذلك وقال قتادة الظن هنا على بابه لان عبارة الرؤيا ظن قال (ع)  
 وقول يوسف عليه السلام قضي الامر دال على وحي ولا يترتب قول قتادة  
 الابان يكون معنى قوله قضي الامر اي قضي كلامي وقلت ما عندي  
 وتم والله اعلم بما يكون بعد وفي الآية تاويل اخر وهو ان يكون ظن  
 مسندا الى الذي قيل له انه سقى ربه خمر لانه داخله السرور بما بشر  
 به وغلب على ظنه ومعتقده انه ناج \* وقوله اذكرني عند ربك  
 يحتمل ان يريد ان يذكره بعلمه ومكانته ويحتمل ان يذكره بمظلمته وما  
 امتحن به بغير حق او يذكره بحملة ذلك والضمير في انساه قيل هو  
 عائد على يوسف اي نسي في ذلك الوقت ان يشتكي الى الله فروي ان جبريل  
 جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك قيل اوحى اليه يا يوسف اتخذت  
 من دوني وكيلًا لاطلين سجنك والله اعلم بصحته وقيل الضمير في  
 انساه عائد على الساقى قاله ابن اسحاق اي نسي ذكر يوسف عند  
 ربه وهو الملك والبضع اختلف فيه والاكثر انه من الثلاثة الى العشرة  
 قاله ابن عباس وعلى هذا فقه مذهب مالك في الدعاوى والايمان وقال قتادة  
 البضع من الثلاثة الى التسعة ويقوى هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يكر  
 الصديق في قصة خطره مع قريش في غلبة الروم لفارس اما علمت ان البضع  
 من الثلاث الى التسع \* وقوله سبحانه وقال الملك اني ارى سبع بقرات  
 سمان ياكلهن سبع عجاف روي انه قال رأيتها خارجة من نهر وخرجت  
 وراءها سبع عجاف فاكلت تلك السمان وحصلت في بطونها ورأى السنابل  
 ايضا كما ذكر والعجاف التي بلغت غاية الهزال ثم قال لحاضريه يا ايها الملا  
 افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون وعبارة الرؤيا مأخوذة من عبر

النهر وهو تجاوزه من شط الى شط فكان عابر الرؤيا ينتهى الى آخر تاويلها قال (ص) وانما لم يصف سبع الى عجاف لان اسم العدد لا يضاف الى الصفة الا في الشعر انتهى \* وقوله سبحانه قالوا اضغاث احلام الآية الضم في كلام العرب اقل من الحزمة واكثر من القبضة من النبات والعشب ونحوه وربما كان ذلك من جنس واحد وربما كان من اخلاط النبات والمعنى ان هذا الذى رأيت ايها الملك اختلاط من الاحلام بسبب النوم ولسنا من اهل العلم بما هو مختلط وردي، والاحلام جمع حلم وهو ما يخيل الى الانسان في منامه والاحلام والرؤيا مما اثبتته الشريعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله وهي من المبشرة والحلم المحزن من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يكره فليتفل عن يساره ثلاث مرات وليقل اعوذ بالله من شر ما رأيت فانها لا تضره وما كان عن حديث النفس في اليقظة فانه لا يلتفت اليه ولما سمع الساقى الذى نجا هذه المقالة من الملك ومراجعة اصحابه تذكر يوسف وعلمه بالتاويل فقال مقالته في هذه الآية وادكر اصله اذ تذكر من الذكر فقلبت التاء دالا وادغم الاول في الثانى وقرأ جمهور الناس بعد امة وهي المدة من الدهر وقرأ ابن عباس وجماعة بعد أمه وهو النسيان وقرأ مجاهد وشبل بعد امه بسكون الميم وهو مصدر من امه اذا نسي وبقوله اذكر يقوى قول من قال ان الضمير في انشاء عائذ على الساقى والامر محتمل وقرأ الجمهور انا انبئكم وقرأ الحسن بن ابى الحسن انا اتيكم وكذلك في مصحف ابى \* وقوله فارسلون استيذان في المضي \* وقوله يوسف ايها الصديق افتنا المعنى فجاء الرسول وهو الساقى الى يوسف فقال له يوسف ايها الصديق وسماه صديقا من حيث كان جرب صدقه في غير ماشي، وهو بناء مبالغة من الصديق ثم قال له افتنا في سبع بقرات اي فيمن رأى في المنام سبع

بقرات \* وقوله لعلمهم يعلمون اي تاويل هذه الرؤيا فيزول هم الملك لذلك وهم الناس وقيل لعلمهم يعلمون مكائنتك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سببا لتخلصك ودأبا معناه ملازمة لعادتك في الزراعة \* وقوله فما حصدم فذروه في سنبله اشارة برأبي نافع بحسب طعام مصر وخطتها التي لا تبقى عامين بوجه الانجيلة ابقائها في السنبل والمعنى اتركوا الزرع في السنبل الا ما لاغنى عنه للاكل فيجتمع الطعام هكذا ويترك ويوكل الاقدم فالأقدم وروي ان يوسف عليه السلام لما خرج ووصف هذا الترتيب للملك واعجبه امره قال له الملك قد اسندت اليك تولى هذا الامر في الاطعمة هذه السنين المقبلة فكان هذا اول ما ولي يوسف وتحصنون معناه تحرزون وتحزنون قاله ابن عباس وهو ماخوذ من الحصن وهو الحرز والملجأ ومنه تحصن النساء لانه بمعنى التحرز \* وقوله يفاث الناس جائز ان يكون من الفيث وهو قول ابن عباس وجمهور المفسرين اي يمحطون وجائز ان يكون من اغاثهم الله اذا فرج عنهم ومنه الغوث وهو الفرج وفيه يعصرون قال جمهور المفسرين هي من عصر النباتات كالزيتون والعنب والقصب والسمسمة والفجل ومصر بلد عصر الاشياء كثيرة \* وقوله سبحانه وقال الملك ايتوني به فلما جاءه الرسول الآية لما رأى الملك وحاضروه نُبل التعبير وحسن الرأي وتضمن الغيب في امر العام الثامن مع ما وصف به من الصدق عظم يوسف في نفس الملك وقال ايتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك يعنى الملك فسأله ما بال النسوة التي قطعن ايدهن وقصده عليه السلام بيان براوته وتحقيق منزلته من العفة والخير فرسم القصة بطرف منها اذا وقع النظر عليه بان الامر كله ونكب عن ذكر امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام ملك العزيز له وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالِك عن النبي صلى الله

عليه وسلم ولو لبثت في السجن لبث يوسف لاجبت الداعي المعنى لو كنت انا  
لبادرت بالخروج ثم حاولت بيان عذرى بعد ذلك وذلك ان هذه القصص  
والتوازل انما هي معرضة ليقندي الناس بها الى يوم القيامة فاراد صلى الله عليه  
وسلم حمل الناس على الاحزم من الامور وذلك ان التارك لمثل هذه الفرصة  
ربما نتج له بسبب التأخير خلاف مقصوده وان كان يوسف قد امن ذلك بعلمه  
من الله فغيره من الناس لا يامن ذلك فالحالة التي ذهب النبي صلى الله عليه  
وسلم بنفسه اليها حالة حزم ومدح ليقندي به وما فعله يوسف عليه السلام  
حالة صبر وتجلد قال ابن العربي في احكامه وانظر الى عظيم حلم يوسف عليه  
السلام ووفور ادبه كيف قال ما بال النسوة اللتي قطعن ايديهن فذكر  
النساء جملة لتدخل فيهن امرأة العزيز مدخل العموم بالتلويح دون التصريح  
انتهى وهذه كانت اخلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يقابل احدا بمكروه  
وانما يقول ما بال اقوام يضلون كذا من غير تعيين وبالجملة فكل خصلة  
حميدة مذكورة في القرآن اتصف بها الانبياء والاصفياء فقد اتصف  
بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان خلقه القرآن كما روته عائشة في الصحيح  
وكما ذكر الله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده انتهى \* وقوله  
ان ربي بكيدهن عليم فيه وعيد وقوله قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف  
عن نفسه المعنى فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن وقال لهن ما خطبكن  
الآية اي اي شي . كانت قصتكن فجواب النساء بجواب جيد تظهر منه  
براءة انفسهن واعطين يوسف بعض براءة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء  
فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن وحيدتهن حضرتها نية وتحقيق فقالت الان  
ححص الحق اي تبين الحق بعد خفائه قاله الخليل وغيره قال البخاري  
حاش وحاشي تنزيه واستثناء وححص وضع انتهى ثم اقرت على نفسها

بالمرادة والتزمت الذنب وابتأت يوسف البراءة التامة \* وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي غفور رحيم اختلف فيه اهل التأويل هل هو من قول يوسف او من قول امرأة العزيز \* وقوله سبحانه وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسى المعنى ان الملك لما تبين له براءة يوسف وتحقق في القصة امانته وفهم ايضا صبره وعلو همته عظمت عنده منزلته وتيقن حسن خلاله فقال ايتوني به استخلصه لنفسى فلما جاءه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال ابن العربي في احكامه قوله انك اليوم لدينا مكين امين اي متمكن مما اردت امين على ما ائتمنت عليه من شيء اما امانته فظهور براءته واما مكانته فثبتت عفوه وتراحمته انتهى ولما فهم يوسف عليه السلام من الملك انه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره قال اجعلنى على خزان الارض لما فى ذلك من مصالح العباد قال (ع) وطلبة يوسف للعمل انما هي حبة منه عليه السلام فى رغبته فى ان يقع العدل وجاز ايضا للمرء ان يثني على نفسه بالحق اذا جهل امره والخزان لفظ عام لجميع ما تحتزنه المملكة من طعام ومال وغيره \* وقوله سبحانه وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الاشارة بذلك الى جميع ما تقدم من جميل صنع الله به فروي ان العزيز مات فى تلك الليالى وقال ابن اسحاق بل عزله الملك ثم مات اظفير فولاه الملك مكانه وزوجه زوجته فلما دخلت عليه عروسا قال لها اليس هذا خيرا مما كنت اردت فدخل يوسف بها فوجدها بكرا وولدت له ولدين وروي ايضا ان الملك عزل العزيز وولى يوسف موضعه ثم عظم ملك يوسف وتغلب على حال الملك اجمع قال مجاهد واسلم المالك آخر امره ودرس امر العزيز وذهبت ديناه ومات واقتقرت زوجته وشاخت فلما كان فى بعض الايام لقيت يوسف فى طريق والجنود حوله ووراءه وعلى رأسه بنود عليها مكتوب هذه سبيلي

ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين فصاحت به وقالت سبحان الله من اعز العبيد بالطاعة واذل الارباب بالمعصية فعرفها وقالت له تعطف علي وارزقني شيأ فدعا لها وكلمها واشفق لحالها ودعا الله تعالى فرد عليها جمالها وتزوجها وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه وباقي الآية بين واضح للمستبصرين ونور وشفاء لقلوب العارفين \* وقوله ليوسف ابو البقاء اللام زائدة اي مكنا يوسف ويجوز الاتكون زائدة فالمفعول محذوف اي مكنا ليوسف الامور انتهى \* وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال السدي وغيره سبب محيئهم ان المجاعة اقصت ببلادهم وكان الناس يمتارون من عند يوسف وهو في رتبة العزيز المتقدم وكان لا يعطى الوارد اكثر من حمل بعير يسوى بين الناس فلما ورد اخوته عرفهم ولم يعرفوه بعد العهد وتغير سنه ولم يقع لهم بسبب ملكه ولسانه القبطي ظن عليه وروي في بعض القصص انه لما عرفهم اراد ان يخبروه بجميع امرهم فباحثهم بان قال لهم بترجمان اظنكم جواسيس فاحتاجوا حينئذ الى التعريف بانفسهم فقالوا نحن ابناء رجل صديق وكنا اثني عشر ذهب منا واحد في البرية وبقي اصغرنا عند ابينا وجئنا نحن للميرة وسقنا بعير الباقي منا وكنا عشرة ولهم احد عشر بعيرا فقال لهم يوسف ولم تخلف احدكم قالوا المحبة ابينا فيه قال فاتوا بهذا الاخ حتى اعلم حقيقة قولكم وأرى لم احبه ابوك اكثر منكم ان كنتم صادقين وروي في القصص انهم وردوا مصر واستاذنوا على العزيز وانتسبوا في الاستيذان فعرفهم وامر باثرلهم وادخلهم في ثاني يوم على هيئة عظيمة للملكه وروي انه كان مثلما ابدأ ستر الجماله وانه كان ياخذ الصواع فينقره ويهضم من طينيه صدق الحديث من كذبه فسئلوا عن



اخبارهم فكلما صدقوا قال لهم يوسف صدقتم فلما قالوا وكان لنا اخ اكله  
 الذيب اطن يوسف الصواع وقال كذبتهم ثم تغير لهم وقال اراكم جواسيس  
 وكلفهم سوق الاخ الباقي ليظهر صدقهم في ذلك في قصص طويل جاءت  
 الاشارة اليه في القرءان والجهاز ما يحتاج اليه المسافر من زاد ومتاع \* وقوله  
 باخ لكم (ص) نكره ليريههم انه لا يعرفه وفرق بين غلام لك وبين غلامك  
 ففي الاول انت جاهل به وفي الثاني انت عالم لان التعريف به يفيد نوع عهد في  
 الغلام بينك وبين المخاطب انتهى وقول يوسف الاترون اني اوفى الكيل الآية  
 يرغبههم في نفسه ، اخرها ويؤنسهم ويستميلهم والمنزلين يعني المضيفين ثم توعدهم  
 بقوله فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي في المستأنف وروي  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان يوسف يلقي حصاة في اناء فضة  
 مخصوص بالذهب فيظن فيقول لهم ان هذا الاناء يخبرني ان لكم ابا شيخا وروي  
 ان ذلك الاناء به كان يكيل الطعام اظهارا لعزته بحسب غلائه وروي  
 ان يوسف استوفى في تلك السنين اموال الناس ثم املاكهم وظاهر كل ما فعله  
 يوسف معهم انه بوجي وامر والا فكان بريع يقوب يقتضي ان يبادر اليه  
 ويستدعيه لكن الله تعالى اعلمه بما يصنع ليكمل اجر يعقوب ومحنته وتفسر  
 الرؤيا الاولى \* وقوله لعلمهم يعرفونها يريد لعلمهم يعرفون لها يدا وتكرمة يرون حقها  
 فيرجعون في الرجوع اليها واما ميز البضاعة فلا يقال فيه لعل وقيل قصد يوسف  
 برد البضاعة ان تخرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فيرجعوا لدفع الثمن وهذا  
 ضعيف من وجوه وسرورهم بالبضاعة وقولهم هذه بضاعتنا ردت اليها يكشف  
 ان يوسف لم يقصد هذا وانما قصد ان يستميلهم ويصلهم ويظهر ان ما فعله يوسف  
 من صلتهم وجبرهم في تلك الشدة كان واجبا عليه وقيل علم عدم البضاعة  
 والدرهم عند ابيه فرد البضاعة اليهم لئلا يمنهم العدم من الرجوع اليه وقيل

جعلها توطئة لجمل السقاية في رحل اخيه بعد ذلك ليبين انه لم يسرق لمن يتأمل  
القصة والظاهر من القصة انه انما اراد الاستيلاف وصلة الرحم واصل نكتل  
نكتل وقولهم منع منا اليكل ظاهره انهم اشاروا الى قوله فلا كيل لكم عندى  
فهو خوف فى المستأنف وقيل اشاروا الى بعير يامين والاول ارجح ثم تضمنوا له  
حفظه وحيطته وقول يعقوب عليه السلام هل آمنكم عليه الآية هل توقيف  
وتقرير ولم يصرح بمنهم من حملة لما رأى فى ذلك من المصلحة لكنه اعلمهم  
بقلة طمانينته اليهم وليكن ظاهر امرهم انهم قد انابوا الى الله سبحانه  
وانتقلت حالهم فلم يخف على يامين كخوفه على يوسف وقرأ نافع وغيره  
خير حفظا وقرأ حمزة وغيره خيرا حافظا ونصب ذلك فى القراءتين على التمييز  
والمعنى ان حفظ الله خير من حفظكم فاستسلم يعقوب عليه السلام لله وتوكل  
عليه وقولهم ما نبغى يحتمل ان تكون ما استفهاما قاله قتادة ونبغى من  
البغية اي ماذا نطلب بعد هذه التكرمة هذا ما لنا رد الينا مع ميرتنا قال  
الزجاج ويحتمل ان تكون ما نافية اي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل ان تكون  
ايضا نافية ونبغى من البغى اي ما تعدينا فكذبنا على هذا الملك ولا فى  
وصف اجماله واكرامه هذه البضاعة ردت الينا وقرأ ابو حيوة ما نبغى على  
مخاطبة يعقوب وهي بمعنى ما تريد وما تطلب وقولهم وزداد كيل بعير يريدون  
بعير اخيهم اذ كان يوسف انما حمل لهم عشرة ابرة ولم يحمل الحادي عشر لغيب  
صاحبه وقولهم ذلك كيل يسير قيل معناه يسير على يوسف ان يعطيه وقال  
السدي يسير اي سريع لانحبس فيه ولا نمطل \* وقوله تعالى فلما اتوه موثقهم  
فالاية اي لما عاهدوه اشهد الله بينه وبينهم بقوله الله على ما نقول وكيل  
والوكيل القيم الحافظ الضامن \* وقوله الا ان يحاط بكم لفظ عام لجميع  
وجوه الغلبة وانظر ان يعقوب عليه السلام قد توثق فى هذه القصة واشهد

الله تعالى ووصى بنيه واخبر بعد ذلك بتوكله فهذا توكل مع سبب وهو توكل جميع المؤمنين الا من شذ في رفض السعي بالكلية وقنع بالماء وبقل البرية فتلك غاية التوكل وعليها بمض الانبياء عليهم السلام والشارعون منهم مشبتون سنن التسبب الجائر قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جرة رضي الله عنه وقد اشتمل القرءان على احكام عديدة فمنها التعلق بالله تعالى وترك الاسباب ومنها عمل الاسباب في الظاهر وخلق الباطن من التعلق بها وهو اجلها وازكاها لان ذلك جمع بين الحكمة وحقيقة التوحيد وذلك لا يكون الا للافذاذ الذين من الله عليهم بالتوفيق ولذلك مدح الله تعالى يعقوب عليه الصلاة والسلام في كتابه فقال وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانه عمل الاسباب واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثم رد الامر كله لله تعالى واستسلم اليه وهو حقيقة التوحيد فقال وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا الله الآية فاثني الله تعالى عليه من اجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين \* وقوله لا تدخلوا من باب واحد قيل خشى عليهم العين لكونهم احد عشر لرجل واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس وغيره \* وقوله سبحانه ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم روي انه لما ودعوا اباهم قال لهم بلغوا ملك مصر سلامي وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعوك ويشكر صنيعك معنا وفي كتاب ابي منصور المهراني انه خاطبه بكتاب قرئ على يوسف فبكي \* وقوله سبحانه ما كان يغني عنهم من الله من شيء الحاجة في نفس يعقوب قضاها بمثابة قولهم لم يكن في ذلك دفع قدر الله بل كان اربا ليعقوب قضاءه فالاستثناء ليس من الاول والحاجة هي ان يكون طيب النفس بدخولهم من ابواب متفرقة خوف العين ونظير هذا الفعل ان النبي صلى الله عليه وسلم سد كوة

في قبر بحجر وقال ان هذا لا يعني شيئاً ولكنه تطيب لنفس الحي ثم  
اثني الله عز وجل على يعقوب بانه لقن ما علمه الله من هذا المعنى وان  
اكثر الناس ليس كذلك وقال قتادة معناه لعامل بما علمناه وقال سفيان  
من لا يعمل لا يكون عالماً قال (ع) وهذا لا يعطيه اللفظ اما انه صحيح  
في نفسه يرجحه المعنى وما تقتضيه منزلة يعقوب عليه السلام \* وقوله اني  
الا اخوك قال ابن اسحاق وغيره اخبره بانه اخوه حقيقة واستكتمه وقال له لا  
تبال بكل ما تراه من المكروه في تحيل في اخذك منهم وكان يامين شقيق  
يوسف \* وقوله فلا تبتئس بما كانوا يعملون يحتمل ان يشير الى ما عمله  
الاخوة ويحتمل الاشارة الى ما يعمله فتيان يوسف من امر السقاية ونحو  
ذلك وتبتئس من البؤس اي لا تحزن ولا تهتم وهكذا عبر المفسرون \*  
وقوله سبحانه فلما جهزهم بيحازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايها  
الغير انكم لسارقون هذا من الكيد الذي يسره الله ليوسف عليه السلام وذلك  
انه كان في دين يعقوب ان يستعبد السارق وكان في دين مصر ان يضرب ويضعف  
عليه الغرم فلم يعلم يوسف ان اخوته لثقتهم ببراءة ساحتهم سيدعون في السرقة  
الى حكمهم فتحيل لذلك واستسهل الامر على ما فيه من رمي ابرياء  
وادخالهم على يعقوب وعليهم لما علم في ذلك من الصلاح في الاجل  
وبوحي لا محالة وارادة من الله محنتهم بذلك والسقاية الاناء الذي به يشرب  
الملك وبه كان يكيل الطعام للناس هكذا نص جمهور المفسرين ابن عباس  
 وغيره وروي انه كان من فضة وهذا قول الجمهور وكان هذا العمل بغير  
علم من يامين قاله السدي وهو الظاهر فلما فصلت العير باوقارها وخرجت من  
مصر فيما روي امر بهم فحبسوا واذن مؤذن ايها الغير انكم لسارقون ومخاطبة  
الغير مجاز والمراد اربابها (ت) قال الهروي قوله تعالى ايها العير العير الابل

والحمير التي يحمل عليها الاحمال واراد اصحاب العير وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي اراد يا اصحاب خيل الله اركبي وانث ايا لانه للعير وهي جماعة انتهى فلما سمع اخوة يوسف هذه المقالة اقبلوا عليهم وساء لهم ان يرموا بهذه المثلية وقالوا ماذا تفقدون ليقع التفتيش فتظهر براءتهم ولم يلودوا بالانكار من اول بل سألوا اكمل الدعوى عسى ان يكون فيها ما تبطل به فلا يحتاج الى خصام قالوا نفقد صواع الملك وهو المكيال وهو السقاية قال ابو عبيدة يؤث الصواع من حيث سمي سقاية ويذكر من حيث هو صاع (ت) ولفظ ابى عبيدة الهروي قال الاخفش الصاع يذكر ويؤث قال الله تعالى ثم استخرجها من وعاء اخيه فاث وقال لمن جاء به حمل بعير فذكر لانه عنى به الصواع انتهى \* وقوله ولمن جاء به حمل بعير اي لمن دل على سارقه وجبر الصواع وهذا جعل \* وقوله وانا به زعيم حمالة قال مجاهد الزعيم هو المؤذن الذي قال ايها العير والزعيم الضامن في كلام العرب \* وقوله تعالى قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض روي ان اخوة يوسف كانوا ردوا البضاعة الموجودة في الرحال وتخرجوا من اخذ الطعام بلا ثمن فلذلك قالوا لقد علمتم اي لقد علمتم منا التحري وروي انهم كانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وتعفف وكانوا يجملون الاكمة في افواه ابلهم لئلا تنال زروع الناس فلذلك قالوا لقد علمتم والتاء في تالله بدل من الواو ولا تدخل التاء في القسم الا في هذا الاسم قال ابن العربي في احكامه قال الطبري قوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد في رحله على حذف مضاف تقديره جزاؤه استعباد او استرقاق من وجد في رحله انتهى وقولهم كذلك نجزي الظالمين اي هذه سنتنا وديننا في اهل السرقة ان يملك السارق كما تملك هو الشيء السروق \* وقوله سبحانه فبدأ باوعيتهم الآية بدؤه ايضا

من اوعيتهم تمكين للحيلة وابعاد لظهور انها حيلة واضاف الله سبحانه الكيد الى ضميره لما خرج القدر الذي اباح به ليوسف اخذ اخيه مخرج ما هو في اعتقاد الناس كيد وقال السدي والضحاك كدنا معناه صنعنا ودين الملك فسرہ ابن عباس بسلطانه وفسره قتادة بالقضاء والحكم وهذا متقارب قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك اذ كان الملك لا يرى استرقاق السارق وانما كان دينه ان يأخذ المجنى عليه من السارق مثلي السرقة \* الا ان يشاء الله التزام الاخوة لدين يعقوب بالاسترقاق فقضى عليهم به انتهى قال (ع) والاستثناء في هذه الآية حكاية حال التقدير الا ان يشاء الله ما وقع من هذه الحيلة وروى ابو عمر بن عبد البر بسنده عن مالك عن زيد بن اسلم انه قال في قوله عز وجل نرفع درجات من نشاء قال بالعلم انتهى من كتاب العلم \* وقوله سبحانه وفوق كل ذي علم عليم المعنى ان البشر في العلم درجات فكل عالم فلا بد من اعلم منه فاما من البشر واما الله عز وجل فهذا تاويل الحسن وقاتدة وابن عباس وروي ايضا عن ابن عباس انما العليم الله وهو فوق كل ذي علم قال ابن عطاء الله في التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة فانما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الحشية وتكتفه المخافة انتهى قال الشيخ العارف ابو القاسم عبد الرحمن ابن يوسف اللجائي رحمه الله اذا كملت للبعد ثلاث خصال وصدق فيها تفجر العلم من قلبه على لسانه وهي الزهد والاخلاص والتقوى قال ولا مطمع في هذا العلم المذكور الا بعد معالجة القلب من علله التي تشينه كالكبر والحسد والفضب والرياء والسمعة والمحمدة والجاه والشرف وعلو المنزلة والطمع والحرص والقسوة والمداهنة والحقد والعداوة وكل ما عددناه من العلل وما

لم نعهده راجع الى اصل واحد وهو حب الدنيا لان حبها عنه يتفرع كل شر وعنه  
يتشعب كل قبيح فاذا زالت هذه العل ظهر الصدق والاخلاص والتواضع  
والحلم والورع والقناعة والزهد والصبر والرضى والانس والمحبة والشوق  
والتوكل والخشية والحزن وقصر الامل ومزاج النية بالعمل فينبع العلم ويتقى  
الجهل ويضئ القلب بنور الاهي ويتلأأ الايمان وتوضح المعرفة ويتسع  
اليقين ويتقوى الالهام وتبدو الفراسات ويصفى السر وتتجلى الاسرار وتوجد  
الفوائد قال رحمه الله وليس بين العبد والترقى من سفل الى علو الاحب الدنيا  
فان الترقى يتعذر من اجل حبها لانها جاذبة الى العالم الظلماني وطباع النفوس  
لذلك مائلة فان اردت ان تقتنى اثر الذاهبين الى الله تعالى فاستخف بدنياك  
وانظرها بعين الزوال واتزل نفسك عند اخذ القوت منها منزلة المضطر  
الى الميتة والسلام انتهى وروي ان المفتش كان اذا فرغ من رحل رجل فلم يجد  
فيه شيئاً استغفر الله عز وجل من فعله ذلك وظاهر كلام قتادة وغيره ان  
المستغفر هو يوسف حتى انتهى الى رحل بنيامين فقال ما اظن هذا الفتى رضي  
بهذا ولا اخذ شيئاً فقال له اخوته والله لا تبرح حتى تقتشه فهو اطيب لنفسك  
ونفوسنا ففتش حينئذ فاخرج السقاية وروي ان اخوة يوسف لما رأوا ذلك  
عنفوا بنيامين وقالوا له كيف سرقت هذه السقاية فقال لهم والله ما  
فعلت فقالوا له فمن وضعها في رحلك قال الذي وضع البضاعة في رحالك  
والضمير في قوله استخرجها عائد على السقاية ويحتمل على السرقة \* وقوله  
سبحانه قالوا ان يسرق اي قالوا اخوة يوسف ان كان هذا قد سرق فغير بدع  
من ابني راحيل لان اخاه يوسف قد كان سرق فهذا من الاخوة النجاء على ابني  
راحيل يوسف وبنيامين وهذه الاقوال منهم عليهم السلام انما كانت بحسب  
الظاهر وموجب الحكم في النازلتين فلم يعنوا في غيبة ليوسف وانما قصدوا

الآخبار بأمر جرى ليزول بعض المرة عنهم ويختص بها هذان الشقيقان وأما ما روي في سرقة يوسف فالجمهور على أن عمته كانت ربه فلما شب أراد يعقوب أخذه منها فولمت به واشفقت من فراقه فأخذت منطقة اسحاق وكانت متوارثة عندهم فنطقته بها من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت اني قد فقدت المنطقة ويوسف قد خرج بها ففتشت فوجدت عنده فاسترقته حسب ما كان في شرعهم وبقي عندها حتى ماتت فصار عند أبيه \* وقوله فاسرها يوسف يعني أسر الحرة التي حدثت في نفسه من قول الأخوة \* وقوله انتم شر مكانا الآية الظاهر منه انه قالها افصاحا كانه أسر لهم كراهية مقاتلتهم ثم نجّهم بقوله انتم شر مكانا اي لسوء افعالكم والله اعلم ان كان ما وصفتموه حقا وفي اللفظ اشارة الى تكذيبهم ومما يقوى هذا عندي انهم تركوا الشفاعة بانفسهم وعدلوا الى الشفاعة بابيهم عليه السلام وقالت فرقة لم يقل هذا الكلام الا في نفسه وانه تفسير للذي أسر في نفسه فكأن المراد قال في نفسه انتم شر مكانا وذكر الطبري هنا قصصا اختصاره انه لما استخرجت السقاية من رحل يامين قال اخوته يا بني راحيل لا يزال البلاء ينالنا من جهنم فقال يامين بل بنو راحيل ينالهم البلاء منكم ذهبتم باخي فاهكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم فقالوا لا تذكر الدراهم ليلا نؤخذ بها ثم دخلوا على يوسف فاخذ الصواع فنقره فطن فقال انه يخبر انكم ذهبتم باخ لكم فبعتموه فسجد يامين وقال ايها العزيز سل صواعك هذا ينجرك بالحق في قصص يطول اثرنا اختصاره وروي ان روبيل غضب وقف شعره حتى خرج من ثيابه فامر يوسف بنيا له نفسه فسكن غضبه فقال روبيل لقد مسني احد من ولد يعقوب ثم انهم تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا اهل قوة لا يدانون في ذلك فلما احس يوسف بذلك قام الى روبيل فلبسه وصرعه فأروا من قوته ما استعظموه وقالوا يا ايها العزيز



الآية وخطبوه باسم العزيز اذ كان في تلك الخطوة بزل الاول او موته على ما روي في ذلك وقولهم فخذ احدا مكانه يحتمل ان يكون ذلك منهم مجازا ويحتمل ان يكون حقيقة على طريق الحماله حتى يصل يامين الى ابيه ويعرف يعقوب جلية الامر ففزع يوسف من ذلك وقال معاذ الله الآيه \* وقوله سبحانه فلما استأسوا منه الآيه يقال يس واستياس بمعنى واحد قال البخاري خلصوا نجيا اعتزلوا والجمع انجية وللاثنين والجمع نجى وانجية انتهى وقال الهروي خلصوا نجيا اي تميزوا عن الناس متناجين انتهى وكبيرهم قال مجاهد هو شمعون كان كبيرهم رأيا وعلماء وان كان روبيل اسنهم وقال قتادة هو روبيل لانه اسنهم وهذا اظهر ورجحه الطبري وذكرهم اخوهم ميثاق ابيهم لثانتي به الا ان يحاط بكم \* وقوله فلن ابرح الارض قال (ص) برح التامة بمعنى ذهب وظهر ومنه برح الحفاء اي ظهر والمتوجه هنا معنى ذهب لكنه لا ينصب الظرف المكاني المختص الا بواسطة فاحتيج الى تضمينه معنى فارق والارض مفعول به ولا يجوز ان تكون ابرح ناقصة انتهى \* وقوله ارجعوا الى ابيكم الامر بالرجوع قيل هو من قول كبيرهم وقيل من قول يوسف والاول اظهر وذكر الطبري ان يوسف قال لهم اذا اتيتم اباكم فاقروا عليه السلام وقولوا له ان ملك مصر يدعوك ان لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ليعلم ان في ارض مصر صديقين مثله وقرأ الجمهور سرق وروي عن الكسائي وغيره سرق ببناءه للمفعول \* وما شهدنا الا بما علمنا اي باعتبار الظاهر والعلم في الغيب الى الله ليس ذلك في حفظنا هذا تاويل ابن اسحاق ثم استشهدوا بالقرية التي كانوا فيها وهي مصر قاله ابن عباس والمراد اهلها قال البخاري سولت اي زينت وقول يعقوب عسى الله ان ياتيني بهم جميعا يعني بيوسف ويامين وروبيل

الذى لم يبرح الارض ورجاؤه هذا من جهات منها حسن ظنه بالله سبحانه  
 فى كل حال ومنها رؤيا يوسف المتقدمة فانه كان ينتظرها ومنها ما اخبروه  
 عن ملك مصر انه يدعوله برؤية ابنه \* وقوله سبحانه وتولى عنهم اى  
 زال بوجهه عنهم ملتجأ الى الله وقال يا اسفى على يوسف قال الحسن خست  
 هذه الامة بالاسترجاع الاترى الى قول يعقوب يا اسفى قال (ع) والمراد  
 يا اسفى لكن هذه لفظة من يرد ياء الاضافة الفانحو يا غلاما ويا ابتا ولا  
 يبعد ان يجتمع الاسترجاع ويا اسفى لهذه الامة ويعقوب عليه السلام وروي  
 ان يعقوب عليه السلام حزن حزن سبعين ثكلى واعطى اجر مائة شهيد  
 وما ساء ظنه بالله قط رواه الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
 كظيم بمعنى كاظم كما قال والكاظمين الغيظ ووصف يعقوب بذلك لانه لم  
 يشك الى احد وانما كان يكمد فى نفسه ويمسك همه فى صدره فكان  
 يكظمه اى يرده الى قلبه (ت) وهذا ينظر الى قول النبي صلى الله عليه  
 وسلم القلب يحزن والعين تدمع ولانقول الا ما يرضى الرب الحديث ذكر  
 هذا صلى الله عليه وسلم عند موت ولده ابراهيم قال ابن المبارك فى رقايقه  
 اخبرنا معمر عن قتادة فى قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم  
 قال كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا انتهى قال ابن العربي فى احكامه وفى  
 الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى ابنه ابراهيم ان  
 العين تدمع والقلب يحزن ولانقول الا ما يرضى الرب وانا بفراقك يا ابراهيم  
 لمحزونون وقال ايضا فى الصحيح صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب بدمع العين  
 ولا يحزن القلب وانما يعذب بهذا وأشار الى لسانه او يرحم انتهى خرجه  
 البخاري وغيره \* وقوله تعالى قالوا تالله تفتؤا الآية المعنى تالله لا تفتأ  
 فتعذف لافى هذا الموضع من القسم لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول

امرئ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا \* ولو قطعوا رأسي لديك واوصالى  
ومنه قول الآخر \* تالله يبقى على الايام ذو حيد \* اراد لا ابرح ولا يبق  
وفتنى بمنزلة زال وبرح فى المعنى والعمل تقول والله لا فتئت قاعدا كما تقول  
لازلت ولا برحت وعبارة الداودي وعن ابن عباس تفتوا اي لا تزال تذكر  
يوسف حتى تكون حرضا انتهى والحرص الذى قد نهى الهرم او الحب  
او الحزن الى حال فساد الاعضاء والبدن والحس يقال رجل حارص اي ذو هم  
وحزن ومنه قول الشاعر

انى امرؤ لجبى حب فاحرضنى \* حتى بليت وحتى شفى السقم  
والحرص بالجملة الذى فسد ودنا موته قال مجاهد الحرض ما دون الموت وفى  
حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما من مومن يمرض حتى يحرضه المرض الا  
غفر له انتهى من رقائق ابن المبارك ثم اجابهم يعقوب عليه السلام بقوله انما  
اشكوا بئى وحزنى الى الله اى انى لست ممن يجزع ويضجر وانما اشكو  
الى الله والبث ما فى صدر الانسان مما هو معتزم ان يشبه وينشره وقال ابو  
عبيدة وغيره البث اشد الحزن قال الداودي عن ابن جبير قال من بث فلم  
يصبر ثم قرأ انما اشكوا بئى وحزنى الى الله انتهى \* وقوله وتأسوا من  
روح الله الآية الروح الرحمة ثم جعل اليأس من رحمة الله وتفرجه من صفة  
الكافرين اذ فيه اما التكذيب بالربوبية واما الجهل بصفات الله تعالى والبضاعة  
القطعة من المال يقصد بها شراء شيء ولزمها عرف الفقه فيما لاحظ لحاملها  
من الربح والمزجاة معناها المدفوعة المتحیل لها وبالجملة فمن يسوق شيئاً  
ويتلطف فى تسييره فقد ازجاء فاذا كانت الدراهم مدفوعة نازلة القدر تحتاج  
ان يعتذر معها ويشفع لها فهي مزجاة فقیل كان ذلك لانها كانت زيوفاً قاله

ابن عباس وقيل كانت بضاعتهم عروضاً وقولهم وتصديق علينا معناه ما بين الدراهم الجياد وبين هذه المزجاة قاله السدي وغيره وقال الداودي عن ابن جريج وتصديق علينا قال اردد علينا اخانا انتهى وهو حسن \* وقوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون روي ان يوسف عليه السلام لما قال له اخوته مسنا واهلنا الضر واستعطفوه رق ورحمهم قال ابن اسحاق وارفض دمعهم باكيا فشرع في كشف امره اليهم فروي انه حسر قناعه وقال لهم هل علمتم الآية وما فعلتم بيوسف واخيه اي من التفريق بينهما في الصغر وما نالهما بسببكم من المحن اذ انتم جاهلون نسبهم اما الى جهل المصيبة واما الى جهل الشباب وقلة الخنكة فلما خاطبهم هذه المخاطبة تنبهوا ووقع لهم من الظن القوي وقرائن الحال انه يوسف فقالوا ائتك لانت يوسف مستفهمين فاجابهم يوسف كاشفا امره قال انا يوسف وهذا اخي وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين هذا منهم استنزال ليوسف واقرار بالذنب في ضمنه استغفار منه واثرك لفظ يعم جميع التفضيل \* وقوله لا تثريب عليكم عفوا جميل وقال عكرمة اوحى الله الى يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت لك ذكرك والتثريب اللوم والعقوبة وما جرى معهما من سوء معتقد ونحوه وعبر بعض الناس عن التثريب بالتعير ووقف بعض القراءة عليكم وابتدأ اليوم يغفر الله لكم ووقف اكثرهم اليوم وابتدأ يغفر الله لكم على جهة الدعاء وهو تاويل ابن اسحاق والطبري وهو الصحيح الراجح في المعنى لان الوقف الاخر فيه حكم على مغفرة الله اللهم الا ان يكون ذلك بوحى \* وقوله اذ هبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي قال النقاش روي ان هذا القميص كان من ثياب الجنة كساه الله ابراهيم ثم توارثه بنوه قال (ع) وهذا يحتاج الى سند

والظاهر انه قميص يوسف كسائر القمص وقول يوسف يات بصيرا فيه دليل على ان هذا كله بوحى واعلام من الله تعالى وروي ان يعقوب وجد ريح يوسف وبينه وبين القميص مسيرة ثمانية ايام قاله ابن عباس وقال هاجت ريح فحملت عرفه وقول يعقوب انى لاجد ريح يوسف مخاطبة لحاضريه فروي انهم كانوا حفدته وقيل كانوا بعض بنيه وقيل كانوا قرابته وتفندون معناه تردون رأيى وتدفعون فى صدره وهذا هو التنفيذ لغة قال منذر بن سعيد يقال شيخ مفند اي قد فسند رأيه والذي يشبه ان تفنيهم ليعقوب انما كان لانهم كانوا يعتقدون ان هواه قد غلبه فى جانب يوسف وقال (ص) معنى تفندون تسفهون انتهى وقولهم انك لنى ضلالك القديم يريدون لنى انتلافك فى محبة يوسف وليس بالضلال الذى هو فى العرف ضد الرشاد لان ذلك من الجفاء الذى لا يسوغ لهم مواجهته به \* وقوله سبحانه فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا روي عن ابن عباس ان البشير كان يهودا لانه كان جاء بقميص الدم وبصيرا معناه مبصرا وروي انه قال للبشير على اي دين تركت يوسف قال على الاسلام قال الحمد لله الآن كملت النعمة \* وقوله تعالى قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا الآية روي ان يوسف عليه السلام لما غفر لاختوته وتحققوا ان اباهم يغفر لهم قال بعضهم لبعض ما يغنى عنا هذا ان لم يغفر الله لنا فطلبوا حينئذ من يعقوب عليه السلام ان يطلب لهم المغفرة من الله تعالى واعترفوا بالخطا فقال لهم يعقوب سوف استغفر لكم ربي (ت) وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم فى ثلث الليل الاخر فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لنيه سوف استغفر لكم ربي يقول حتى تاتي ليلة الجمعة وذكر الحديث رواه الترمذي وقال حسن غريب

لانعرفه الامن حديث الوليد بن مسلم ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين  
 وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلما انتهى من السلاح \*  
 وقوله سبحانه ءاوى اليه ابويه قال ابن اسحاق والحسن اراد بالابوين اباه وامه  
 وقيل اراد اباه وخالته قال (ع) والاول اظهر بحسب اللفظ الا ان يثبت بسند  
 ان امه قد كانت ماتت \* وقوله ان شاء الله هذا الاستثناء هو الذى ندب  
 القراء ان اليه ان يقوله الانسان فى جميع ما ينفذه فى المستقبل والعرش سرير  
 الملك وخروا له سجدا اي سجود تحية فليل كان كالسجود المعبود عندنا من  
 وضع الوجه بالارض وقيل بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه مما كان سيرة  
 تحياتهم للملوك فى ذلك الزمان واجمع المفسرون انه كان سجود تحية لا سجود  
 عبادة وقال الحسن الضمير فى له لله عز وجل ورد هذا القول على الحسن \*  
 وقوله عز وجل وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا المعنى  
 قال يوسف ليعقوب هذا السجود الذى كان منكم هو ما ءالت اليه رؤياي قديما  
 فى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر قد جعلها ربى حقا ثم اخذ عليه السلام  
 يعدد نعم الله عليه وقال وقد اخرجنى من السجن وترك ذكر اخراجه من الحب  
 لان فى ذكره تجدد فعل اخوته وخزيهم وتحريك تلك الفوائل وتحبيث  
 النفوس ووجه ءاخر انه خرج من الحب الى الرق ومن السجن الى الملك  
 فالنعمه هنا اوضح \* ان ربى لطيف لما يشاء اي من الامور ان يفعله \*  
 انه هو العليم الحكيم قال (ع) ولا وجه فى ترك تعريف يوسف اباه بحاله  
 منذ خرج من السجن الى العز الا الوحي من الله تعالى لما اراد ان يمتحن  
 به يعقوب وبنيه واراد من صورة جمعهم لا اله الا هو وقال النقاش كان ذلك  
 الوحي فى الحب وهو قوله سبحانه واوحينا اليه لتبئنه بامرهم هذا وهم  
 لا يشعرون وهذا محتمل \* وقوله رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من

تاويل الاحاديث الآية ذكر كثير من المفسرين ان يوسف عليه السلام لما عدد في هذه الآيه نعم الله عنده تشوق الى لقاء ربه ولقاء الجلة وصالحى سلفه وغيرهم من المومنين ورأى ان الدنيا قليلة فتمنى الموت في قوله توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين وقال ابن عباس لم يتمن الموت نبي \* غير يوسف وذكر المهدوي تاويلاً ١٠ اخر وهو الاقوى عندى انه ليس في الآيه تمنى موت وانما تمنى عليه السلام الموافقة على الاسلام لا الموت وكذا قال القرطبي في التذكرة ان معنى الآيه اذا جاء اجل توفنى مسلماً قال وهذا القول هو المختار عند اهل التاويل والله اعلم انتهى وقوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به انما يريد ضرر الدنيا كالفسق والمرض ونحو ذلك ويبقى تمنى الموت مخافة فساد الدين مباحا وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته واذا اردت بالناس فتنة فاقبضى اليك غير مفتون \* وقوله انت ولى اى القائم بامرى الكفيل بنصرتي ورحمتي \* وقوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ذلك اشارة الى ما تقدم من قصة يوسف وهذه الآيه تعريض لقريش وتنبيه على اية صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي ضمن ذلك الطعن على مكذبيه والضمير في لديهم عائد على اخوة يوسف واجمعوا معناه عزموا والامر هنا هو لقاء يوسف في الجب وحكى الطبري عن ابى عمران الجوني انه قال والله ما قص الله نبأهم ليعيرهم انهم الانبياء من اهل الجنة ولكن الله قص علينا نبأهم ليلا يقنط عبده \* وقوله سبحانه وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين الآيه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله وما تسألهم عليه من اجر الآيه توبيخ للكفرة واقامة للحجة عليهم ثم ابتداء الاخبار عن كتابه العزيز انه ذكر وموعظة لجميع العالم نفعا الله به ووفر حظنا منه \* وقوله سبحانه وكأين من آية في السموات والارض يعنى بالآية هنا المخلوقات

المنصوبة للاعتبار الدالة على توحيد خالقها سبحانه وفي مصحف عبد الله  
يمشون عليها \* وقوله سبحانه وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون  
قال ابن عباس هي في اهل الكتاب وقال مجاهد وغيره هي في العرب وقيل  
نزلت بسبب قول قريش في الطواف والتلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا  
هو لك تملكه وما ملك وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع  
احدهم يقول لبيك لا شريك لك يقول له قط قط اي قف هنا ولا ترد الا  
شريكا هو لك والفاشية ما يغشى ويفطى وينعم وبغثة اي فجأة وهذه الآية  
من قوله وكاين من آية وان كانت في الكفار فان العصاة ياخذون من الفاظها  
بجظ ويكون الايمان حقيقة والشرك لغويا كالرياء فقد قال عليه السلام الرياء  
الشرك الاصغر \* وقوله سبحانه قل هذه سبيلي ادعوا الى الله الآية  
اشارة الى دعوة الاسلام والشريعة باسرها قال ابن زيد المعنى هذا  
امرى وسنتى ومنهاجى والبصيرة اسم لمعتقد الانسان في الامر من الحق  
واليقين \* وقوله انا ومن اتبعني يحتمل ان يكون انا تأكيد للضمير المستكن  
في ادعوا ومن معطوف عليه وذلك بان تكون الامة كلها امرت بالمعروف  
داعية الى الله الكفرة والعصاة قال (ص) ويجوز ان يكون انا مبتدأ  
وعلى بصيرة خبر مقدم ومن معطوف عليه انتهى وسبحان الله تنزيه لله اي  
وقل سبحان الله متبريا من الشرك \* وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك  
الارجال الا يوحى اليهم الآية تتضمن الرد على من استغرب ارسال الرسل من  
البشر والقرى المدن قال الحسن لم يبعث الله رسولا قط من اهل البادية  
قال (ع) والتبدي مكروه الا في الفتنة وحين يفر بالدين ولا يعترض هذا  
بدو يعقوب لان ذلك البدو لم يكن في اهل عمود بل هو بتقر وفي منازل  
وربوع وايضا انما جعله بدوا بالاضافة الى مصر كما هي بنات الحواضر بدو



بالإضافة الى الحواضر ثم احوال سبحانه على الاعتبار في الامم السالفة ثم  
 حض سبحانه على الآخرة والاستعداد لها بقوله ولدار الآخرة خير الآية قال  
 (ص) ولدار الآخرة خرجه الكوفيون على انه من اضافة الموصوف لصفته  
 واصله ولدار الآخرة والبصريون على انه من حذف الموصوف واقامة صفته  
 مقامه واصله ولدار المدة الآخرة او النشأة الآخرة انتهى وبضمن قوله تعالى  
 افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ان الرسل  
 الذين بعثهم الله من اهل القرى دعوا اممهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم  
 المثالات فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فهذا المضمن حسن ان ندخل حتى  
 في قوله حتى اذا استيأس الرسل وقرأ نافع وابن كثير وابوعمر ووابن عامر  
 وظنوا انهم قد كذبوا بتشديد الذال وقرأ الباقون كذبوا بضم الكاف وكسر  
 الذال المخففة فاما الاولى فعنها ان الرسل ظنوا ان اممهم قد كذبتهم  
 والظن هنا يحتمل ان يكون بمعنى اليقين ويحتمل ان يكون الظن على بابه  
 ومعنى القراءة الثانية على المشهور من قول ابن عباس وابن جبير اي حتى اذا  
 استيأس الرسل من ايمان قومهم وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم  
 فيما ادعوه من النبوة او قيا توعدهم به من العذاب لما طال الامهال واتصلت  
 العافية جاءهم نصرنا واسند الطبري ان مسلم بن يسار قال لسعيد بن جبير  
 يا ابا عبد الله اية بلغت مني كل مبلغ حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم  
 قد كذبوا فهذا هو الموت ان تظن الرسل انهم قد كذبوا مخففة فقال له ابن  
 جبير يا ابا عبد الرحمن انما يش الرسل من قومهم ان يحببهم وظن قومهم  
 ان الرسل قد كذبتهم فقام مسلم الى سعيد فاعتنقه وقال فرجت عني فرج الله  
 عنك قال (ع) فرضي الله عنهم كيف كان خلقهم في العلم وقال بهذا التاويل جماعة  
 وهو الصواب واما تاويل من قال ان المعنى وظنوا انهم قد كذبهم من

اخبرهم عن الله فغير صحيح ولا يجوز هذا على الرسل وابن العصمة والعلم (ت) قال عياض فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن الرسل ذلك بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل الضمير في ظنوا عائذ على الاتباع والامم لاعلى الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء انتهى من الشفا \* وقوله سبحانه جاءهم نصرنا اي بتعذيب اممهم الكافرة \* فننجى من نشاء اي من اتباع الرسل \* ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اي الكافرين والبأس العذاب \* وقوله سبحانه لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب اي في قصص يوسف واخوته وسائر الرسل الذين ذكروا على الجملة ولما كان ذلك كله في القرآن قال عنه ما كان حديثا يفترى والذي بين يديه التوراة والانجيل وباقي الآية بين واضح (ت) كنت في وقت انظر في السيرة لابن هشام واتأمل في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وهي اول خطبة خطبها بالمدينة فاذا هاتف يقول لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى وقد كان حصل في القلب عبرة في امره صلى الله عليه وسلم وافاضل اصحابه رضي الله عنهم اجمعين وسلك بنا منا هجهم المرضية والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ تفسير سورة الرعد ﴾

قل مكية الابعض ءايات وقيل مدينة والظاهر ان المدني فيها كثير \* قوله عز وجل المرتلك ءايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق قال ابن عباس هذه الحروف هي من قوله انا الله اعلم وارى \* وقوله سبحانه الله الذي رفع السموات بغير عمد الآية قال جمهور الناس لا عمد للسموات البتة وهذا هو الحق والعمد اسم جمع \* وقوله سبحانه ثم استوى على العرش ثم هنا لعطف الجمل لا للترتيب لان الاستواء على العرش قبل رفع السموات ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وقد تقدم القول في هذا وفي معنى الاستواء (ت) والمعتقد في هذا انه سبحانه مستوعب العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزلها عن الماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته كان الله ولا شيء معه كان سبحانه قبل ان يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان \* وقوله سبحانه وسخر الشمس والقمر تنبيه على القدرة وفي ضمن الشمس والقمر الكواكب ولذلك قال كل يجري اي كل ما هو في معنى الشمس والقمر والاجل المسمى هو انقضاء الدنيا وفساد هذه البنية \* يدبر الامر معناه يبرمه وينفذه وعبر بالتدبير تقريبا للافهام وقال مجاهد يدبر الامر معناه

يقضيه وحده \* ولعلمكم ببقاء ربكم توقنوا اي توقنوا بالبعث \* وقوله سبحانه وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي لما فرغت ايات السماء ذكرت ايات الارض والرواسي الجبال الثابتة \* وقوله سبحانه جعل فيها زوجين اثنين الزوج فى هذه الآية الصنف والنوع وليس بالزوج المعروف فى المتلازمين الفردين من الحيوان وغيره ومنه قوله سبحانه سبحانه الذى خلق الزوجات كلها مما تنبت الارض الآية ومنه وابتنينا فيها من كل زوج بهيج وهذه الآية تقتضى ان كل ثمرة فموجود منها نوعان فان اتفق ان يوجد من ثمرة اكثر من نوعين فغير ضار فى معنى الآية وقطع جمع قطعة وهي الاجزاء. وقيد منها فى هذا المثال ما جاور وقرب بعضه من بعض لان اختلاف ذلك فى الاكل اغرب وقرأ الجمهور وجنات بالرفع عطفا على قطع وقرأ نافع وغيره وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان بالخفض فى الكل عطفا على اغاب وقرأ ابن كثير وغيره وزرع بالرفع فى الكل عطفا على قطع وصنوان جمع صنو وهو الفرع يكون مع الآخر فى اصل واحد قال البراء بن عازب الصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق فردا فردا وفى الصحيح العم صنو الاب وانما نص على الصنوان فى هذه الآية لانها بمثابة التجاور فى القطع تظهر فيها غرابة اختلاف الاكل والاكل بضم الهمزة اسم ما يوكل والاكل المصدر وحكى الطبري عن ابن عباس وغيره قطع متجاورات اي واحدة سبعة واخرى عذبة ونحو هذا من القول وقال قتادة المعنى قرى متجاورات قال (ع) وهذا وجه من العبرة كانه قال وفى الارض قطع مختلفات بتخصيص الله لها بجمان فهي تسقى بماء واحد ولكن تختلف فيما تخرجه والذى يظهر من وصفه لها بالتجاور انها من تربة واحدة ونوع واحد وموضع العبرة فى هذا ابين وعلى المعنى الاول قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بنى ادم

الارض واحدة وينزل عليها ماء واحد من السماء فتخرج هذه زهرة وثمره وتخرج هذه سبخة وملحا وخبثا وكذلك الناس خلقوا من ادم فنزلت عليهم من السماء تذكرة فرقت قلوب وخشمت وقست قلوب ولهمت قال الحسن فوالله ما جالس احد القرءان الا قام عنه بزيادة او نقصان قال الله تعالى ونزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا \*

وقوله سبحانه وان تعجب فعجب قولهم انذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد المعنى وان تعجب يا محمد من جهالتهم واعراضهم عن الحق فهم اهل لذلك وعجب غريب قولهم انمود بعد كونا ترابا خلقا جديدا \* اولائك الذين كفروا بربهم لتصميمهم على الجحود وانكارهم للبعث \* واولائك الاغلال في اعناقهم اي في الآخرة ويحتمل ان يكون خبرا عن كونهم مغفلين عن الايمان كقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون \*

وقوله سبحانه ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الآية تبين لخطاهم كطلبهم سقوط كسف من السماء وقولهم امطر علينا حجارة من السماء ونحو هذا مع نزول ذلك باناس كثير وقرأ الجمهور المثلث بفتح الميم وضم الثاء وقرأ مجاهد المثلث بفتح الميم والثاء اي الاخذة الفذة بالعقوبة ثم رجي سبحانه بقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ثم خوف بقوله وان ربك لشديد العقاب قال ابن المسيب لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ومغفرته ما تعنا احد عيشا ولولا عقابه لانتكل كل احد وقال ابن عباس ليس في القرءان ارجى من هذه الآية والمثلث هي العقوبات المنكلات التي تجعل الانسان مثلا يمثّل به ومنه التمثيل بالقتلى ومنه المثلة بالعبيد \* ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه هذه من اقتراحاتهم والآية هنا يراد بها الاشياء التي سمتها قريش كالملك والكنز وغير ذلك ثم اخبر تعالى بانه

منذر وهاد قال عكرمة وابو الضحى المراد بالهادى محمد صلى الله عليه وسلم  
فهاد عطف على منذر كانه قال انما انت منذر وهاد لكل قوم وهاد على  
هذا التاويل بمعنى داع الى طريق الهدى وقال مجاهد وابن زيد المعنى انما انت  
منذر ولكل امة سلفت هاد اي نبي يدعوهم اي فليس امرك يا محمد ببدع  
ولا منكر وهذا يشبه غرض الآية وقالت فرقة الهادى فى هذه الآية  
الله عز وجل والالفاظ تطلق بهذا المعنى ويعرف ان الله تعالى هو الهادى من  
غير هذا الموضع والقولان الاولان ارجح ما تأول فى الآية \* وقوله سبحانه  
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تفيض الارحام وما تزداد هذه الآيات امثال  
منبهات على قدرة الله تعالى القاضية بتجوز البعث وما تفيض الارحام معناه ما  
تنقص ثم اختلف المتأولون فى صورة الزيادة والنقصان وجمهور المتأولين على  
ان غيض الرحم هو نقص الدم على الحمل وقال الضحاك غيض الرحم ان تسقط  
المرأة الولد والزيادة ان تضعه لمدة كاملة ونحوه لقتادة \* وقوله وكل شيء  
عنده بمقدار عام فى كل ما يدخله التقدير والغيب ما غاب عن الادراكات  
والشهادة ما شوهد من الامور \* وقوله الكبير صفة تعظيم والمتمال من  
العلو \* وقوله سبحانه سواء منكم من اسر القول الآية اي لا يخفى على الله  
شيء والسارب فى اللغة المتصرف كيف شاء \* وقوله سبحانه له معقبات  
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله المعنى جعل الله للعبد معقبات  
يحفظونه فى كل حال من كل ما جرى القدر باندفاعه فاذا جاء المقدور الواقع  
اسلم المرء اليه والمعقبات على هذا التاويل الحفظة على العباد اعمالهم والحفظة  
لهم ايضا قاله الحسن وروى فيه عن عثمان بن عفان حديثا عن النبي صلى الله عليه  
وسلم وهذا اقوى التاويلات فى الآية وعبرة البخاري معقبات ملائكة حفظة  
يعقب الاول منها الآخر انتهى وقالت فرقة الضمير فى له عائد على اسم الله

المتقدم ذكره اي الله معقبات يحفظون عبده والضمير في قوله يديه وما بعده من الضائر عائد على العبد ثم ذكر سبحانه انه لا يغير هذه الحالة من الحفظ للعبد حتى يغير العبد ما بنفسه والمعقبات الجماعات التي يعقب بعضها بعضا وهي الملائكة وينظر هذا الى قول النبي صلى الله عليه وسلم يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث وفي قراءة ابي بن كعب من بين يديه وورقب من خلفه وقرأ ابن عباس ورقباء من خلفه يحفظونه بامر الله وقوله يحفظونه اي يجرسونه ويزبون عنه ويحفظون ايضا اعماله ثم اخبر تعالى انه اذا اراد يقوم سواء فلا مرد له ولا حفظ منه \* وقوله سبحانه هو الذي يريكم البرق الآية قد تقدم في اول البقرة تفسيره والظاهر ان الخوف انما هو من صواعق البرق والطمع في الماء الذي يكون معه وهو قول الحسن والسحاب جمع سحابة ولذلك جمع الصفة والثقال معناه يحمل الماء قاله قتادة ومجاهد والعرب تصفها بذلك وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده وقال ابن ابي زكريا من قال اذا سمع الرعد سبحان الله وبحمده لم تصبه صاعقة (ت) وعن عبد الله بن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك رواه الترمذي والنسائي والحاكم في المستدرک ولفظهم واحد انتهى من السلاح قال الداودي وعن ابن عباس قال من سمع الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي دية انتهى \* وقوله سبحانه ويرسل الصواعق الآية قال ابن جريج كان سبب نزولها قصة اربد وعامر بن الطفيل سألا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل الامر بعده لعامر بن الطفيل ويدخلا في دينه فابى عليه السلام ثم توارى في قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

عامر لا اريد انا اشغله لك بالحديث واضربه انت بالسيف فجعل عامر يحذنه واربد لا يصنع شيئا فلما انصرفا قال له عامر والله يا اربد لا خفتك ابدا ولقد كنت اخافك قبل هذا فقال له اربد والله لقد اردت اخراج السيف فما قدرت على ذلك ولقد كنت اراك بيني وبينه افاضريك فضيا للحشد على النبي صلى الله عليه وسلم فاصابت اربد صاعقة فقتلته والمحال القوة والاهلاك (ت) وفي صحيح البخاري المحال العقوبة \* وقوله عز وجل له دعوة الحق الضمير في له عائد على اسم الله عز وجل قال ابن عباس ودعوة الحق لا اله الا الله يريد وما كان من الشريعة في معناها \* وقوله والذين يراد به ما عبد من دون الله والضمير في يدعون لكفار قریش وغيرهم ومعنى الكلام والذين يدعونهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يحسبونهم بشيء الا ثم مثلاً سبحانه مثلاً لاجابتهم بالذى يبسط كيفية نحو الماء ويشير اليه بالاقبال الى فيه فلا يبلغ فيه ابداً فكذلك اجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع \* وقوله هو يريد به الماء وهو البالغ والضمير في بالغه للفم ويصح ان يكون هو يراد به الفم وهو البالغ ايضا والضمير في بالغه للماء لان الفم لا يبلغ الماء ابداً على تلك الحال ثم اخبر سبحانه عن دعاء الكافرين انه في انتلاف وضلال لا يفيد \* وقوله تعالى والله يسجد من في السموات والارض الآية تنبيه على قدرته وعظمته سبحانه وتسخير الاشياء له والظعن على الكفار التاركين للسجود ومن تقع على الملائكة عموماً وسجودهم طوع واما اهل الارض فالقومون داخلون في من وسجودهم ايضا طوع واما سجود الكفرة فهو الكره وذلك على معنيين فان جعلنا السجود هذه الهيئة المعهودة فالمراد من الكفرة من اسلم خوف سيف الاسلام كما قاله قتادة وان جعلنا السجود الخضوع والتذلل حسب ما هو في اللغة



فیدخل الکفار اجمعون فی من لانه لیس من کافر الا ویلحقه من التذلل والاستکانة لقدرة الله تعالى انواع اکثر من ان تحصى بحسب رزایاه واعتباراتہ \* وقوله سبحانه وظلالهم بالغدو والآصال اخبار عن ان الظلال لها سجود لله تعالى کقوله تعالى اولم یروا الی ما خلق الله من شیء یتفیؤا ظلاله الآیة وقال مجاهد ظل الکافر یسجد طوعا وهوکاره وروی ان الکافر اذا سجد لصنمه فان ظله یسجد لله حیثذ وباقی الآیة بین ثم مثل الکفار والمومنین بقوله قل هل یتسوی الاعمی والبصیر وشبه الکافر بالاعمی والکفر بالظلمات وشبه المومن بالبصیر والایمان بالنور \* وقوله سبحانه قل الله خالق کل شیء لفظ عام یراد به الخصوص کما تقدم ذکره فی غیر هذا الموضع \* وقوله سبحانه انزل من السماء ماء یرید به المطر \* فسالت اودیة بقدرها الاودیة ما بین الجبال من الانخفاض والحدائق وقوله بقدرها یحتمل ان یرید بما قدر لها من الماء ویحتمل ان یرید بقدر ما تحمله علی قدر صغرها وکبرها (ت) وقوله فاحتمل بمعنی حمل کاقدر وقدر قاله (ص) والزبد ما یحمله السیل من غشاء ونحوه والرابی المنتفخ الذی قد ربا ومنه الربوة \* وقوله سبحانه ومما توقدون علیه فی النار ابتغاء حلیة او متاع زبد مثله المعنی ومن الاشیاء الی توقدون علیها ابتغاء الحلیة وهی الذهب والفضة او ابتغاء الاستمتاع بها فی المرافق وهی الحدید والرصاص والنحاس ونحوها من الاشیاء الی توقدون علیها فاخبر تعالى ان من هذه ایضا اذا احیی علیها یمکن لها زبد مماثل للزبد الذی یحمله السیل ثم ضرب سبحانه ذلك مثلا للحق والباطل ای ان الماء الذی تشربه الارض من السیل فیقع النفع به هو کالحق والزبد الذی یخمد وینفش ویذهب هو کالباطل وكذلك ما یخلص من الذهب والفضة والحدید ونحوه هو کالحق وما یذهب فی الدخان هو کالباطل \* وقوله جفاء

مصدر من قولهم اجفأت القدر اذا غلت حتى خرج زبدها وذهب وقال (ص)  
جفاء حال اي مضجعا متلاشيا ابو البقاء وهمزته منقلبة عن واو وقيل  
اصل انتهى \* وقوله ما ينفع الناس يريد الخالص من الماء ومن تلك  
الاجبار \* وقوله سبحانه للذين استجابوا لربهم الحسنى ابتداء كلام والحسنى  
الجنة \* والذين لم يستجيبوا هم الكفرة \* وسوء الحساب هو التقصى  
على المحاسب وان لا يقع في حسابه من التجاوز شيء قاله شهر بن حوشب  
والنخعي وفرقد السنجي وغيرهم \* وقوله سبحانه افمن يعلم انما ازل اليك  
من ربك الحق كمن هو اعمى المعنى اسواء من هداة الله فلم صدق نبوتك وامن  
بك كمن هو اعمى البصيرة باق على كفره روي ان هذه الآية نزلت في  
حمزة بن عبد المطلب وابي جهل وهي بعد هذا مثال في جميع العالم \* انما  
يتذكر اولوا الالباب انما في هذه الآية حاصرة اي انما يتذكر فيومن  
ويراقب الله من له لب ثم اخذ في وصفهم فقال الذين يوفون بعهد الله الآية قال  
الثعلبي قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مسيرة الى ثمانية ابواب الجنة  
وقال ابو بكر الوراق هذه ثمان جسور فمن اراد القربة من الله عبرها انتهى  
وباقى الآية الفاظها واضحة وانوارها لذوى البصائر لائحة \* ويدرونها  
يدفعون قال الغزالي لما ذكر هذه الآية والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة  
فليس من ذوى الالباب ولذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب انتهى  
وجنات بدل من عقبي وتفسير لها \* وعدن هي مدينة الجنة ووسطها  
ومعناها جنات الإقامة من عدن في المكان اذا اقام فيه طويلا ومنه المعادن  
وجنات عدن يقال هي مسكن الانبياء والشهداء والعلماء فقط قاله  
عبد الله بن عمرو بن العاصي ويروى ان لها خمسة الاف باب \* وقوله ومن  
صلح اي عمل صالحا \* والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

اي يقولون سلام عليكم والمعنى هذا بما صبرتم وباقي الآية واضح \* وقوله سبحانه والذين ينقضون عهد الله الآية هذه صفة حال مضادة للمتقدمة نعوذ بالله من سخطه \* وقوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الآية لما اخبر عن من تقدم وصفه بان لهم اللعنة وسوء الدار انحي بعد ذلك على اغيائهم وحقر شأنهم وشأن اموالهم المعنى ان هذا كله بمشيئة الله يهب الكافر المال ليهلكه به ويقدر على المومن ليعظم بذلك اجره وذخره \* وقوله ويقدر من التقدير المناقض للبسط والاتساع \* ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء الآية رد على مقترحي الآيات من كفار قريش كما تقدم \* وقوله سبحانه الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الذين بدل من من في قوله من اناث وطمانينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله والسكون به كمالا به ورضى بالثواب عليه وجودة اليقين ثم قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب اي لا بالآيات المقترحة التي ربما كفر بعدها فنزل العذاب \* والذين الثاني مبتدأ وخبره طوبى لهم واختلف في معنى طوبى فقال ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحسبة وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى اسم شجرة في الجنة وبهذا تواترت الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى اسم شجرة في الجنة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث قال (ص) طوبى فعلى من الطيب والجمهور انها مفرد مصدر كسقيا وبشرى قال الضحاك ومعناها غبطة لهم قال القرطبي والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع انتهى (ت) وروى الشيخ الحافظ ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن الخطيب البغدادي في تاريخه عن شيخه ابي نعمان الاصبهاني بسنده عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له يا رسول الله طوبى لمن رآك وامن بك قال

طوبى لمن رآنى وامن بى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرى فقال له رجل يا رسول الله ما طوبى قال شجرة فى الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها انتهى من ترجمة احمد بن الحسن \* وقوله تعالى كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم اى كما اجرينا عادتنا كذلك ارسلناك الآية \* وقوله وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة نزلت فى قريش لما كتب فى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم فى قصة الحديدية فقال قائلهم نحن لانعرف الرحمن قال (ع) وذلك منهم اباية اسم فقط وهروب عن هذه العبارة التى لم يعرفوها الا من قبل النبي عليه السلام والمتاب المرجع كالمآب لان التوبة هي الرجوع \* وقوله سبحانه ولو ان قرأنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض الآية قال ابن عباس وغيره ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارح عنا وسير جبلي مكة فقد ضيقا علينا واجعل لنا ارضا قطع غراسه وحرث واحي لنا اباؤنا واجدادنا وفلانا وفلانا فنزلت الآية فى ذلك معلمة انهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كله \* وقوله تعالى افلم يأس الذين آمنوا الآية يأس معناه يعلم وهي لغة هوازن وقرأ علي بن ابي طالب وابن عباس وجماعة افلم يتبين ثم اخبر سبحانه عن كفار قريش والعرب انهم لا يزالون تصيبهم قوارع من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ثم قال او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم هذا تاويل ابن عباس وغيره وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى او تحل القارعة قريبا من دارهم ووعد الله على قول ابن عباس وغيره هو فتح مكة وقال الحسن الآية عامة فى الكفار الى يوم القيامة وان حال الكفرة هكذا هي الى يوم القيامة ووعد الله قيام الساعة والقارعة الرزية التى تقرع قلب صاحبها \* وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسلى الآية تائيس وتسلية له عليه السلام قال البخاري فاملت اى

اطلت من الملى والملاوة ومنه مليا ويقال للواسع الطويل من الارض ملى من الارض انتهى \* وقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي هو احق بالعبادة ام الجمادات \* وقوله قل سموهم اي سموا من له صفات يستحق بها الالهية ومكرهم يعم اقوالهم وافعالهم التي كانت بسبيل مناقضة الشرع \* ولهم عذاب في الحياة الدنيا اي بالقتل والاسر والجدوب وغير ذلك \* واشق من المشقة اي اصعب والواقى الساتر على جهة الحماية من الوقاية \* وقوله سبحانه مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها قد تقدم تفسير نظيره وقوله اكلها معناه ما يוכל فيها \* وقوله سبحانه والذين اتيناهم الكتاب يفرحون الآية قال ابن زيد المراد بالآية من آمن من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره قال (ع) والمعنى مدحهم وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه يحو الله ما يشاء ويثبت المعنى ان الله سبحانه يحو من الامور ما يشاء ويغيرها عن احوالها مما سبق في علمه محوه وتغييره ويثبتها في الحالة التي ينقلها اليها حسب ما سبق في علمه قال (ع) واصوب ما يفسر به ام الكتاب انه كتاب الامور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ان لا تبدل ويبقى المحو والتثبيت في الامور التي سبق في القضاء ان تبدل وتمحى وتثبت قال نحوه قتادة وقوله سبحانه واما نرينك بعض الذي نعدهم ان شرط دخلت عليها ما \* وقوله او نتوفينك او عاطفة \* وقوله فانما جواب الشرط ومعنى الآية ان نبئك يا محمد لترى بعض الذي نعدهم او نتوفينك قبل ذلك فلي كلا الوجهين فانما يلزمك البلاغ فقط والضمير في قوله او لم يروا عائد على كفار قريش كالذى في نعدهم \* وقوله نأتى معناه بالقدرة والامر \* والارض يريد بها اسم الجنس وقيل يريد ارض الكفار المذكورين المعنى او لم يروا

انا ناتي ارض هؤلاء بالفتح عليك فننقصها بما يدخل في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم فما يؤمنهم ان نمكنك منهم ايضا قاله ابن عباس وهذا على ان الآية مدنية ومن قال ان الارض اسم جنس جعل انتقص الارض بتخريب العمران الذي يحله الله بالكفار وقيل الانتقص بموت البشر ونقص الثمار والبركة وقيل بموت العلماء والاخير قاله ابن عباس ايضا وكل ما ذكر يدخل في لفظ الآية وجملة معنى هذه الآية الموعظة وضرب المثل وقال ابو عمر بن عبد البر في كتاب العلم بسنده عن عطاء بن ابي رباح في معنى نقصها من اطرافها قال بذهاب فقهاءها وخيار اهلها وعن وكيع نحوه وقال الحسن نقصانها هو بظهور المسلمين على المشركين قال ابو عمر وقول عطاء في تاويل الآية حسن جدا تلقاه اهل العلم بالقبول وقول الحسن ايضا حسن انتهى \* وقوله سبحانه قلله المكر جميعا اي العقوبات التي احلها بهم وسبهاها مكرها على عرف تسمية العقوبة باسم الذنب وباقي الآية تحذير ووعيد \* ويقولون الذين كفروا لست مرسلنا المعنى ويكذبك يا محمد هؤلاء الكفرة ويقولون لست مرسلنا \* قل كفى بالله شهيدا اي شاهدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب قال قتادة يريد من آمن منهم كمبد الله بن سلام وغيره كمل تفسير السورة صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

هذه السورة مكية الايتين وهما قوله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا الى اخر الايتين ذكره مكي والنقاش \* قوله عز وجل الركتاب

ازلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور قال القاضي بن الطيب وابو  
 المعالي وغيرهما ان الازال لم يتعلق بالكلام القديم الذي هو صفة الذات  
 لكن بالمعاني التي افهمها الله تعالى جبريل عليه السلام من الكلام \* وقوله  
 لتخرج الناس من الظلمات الى النور في هذه اللفظة تشريف للنبي صلى الله  
 عليه وسلم وعم الناس اذ هو مبعوث الى جميع الخلق وقرأ نافع وابن عامر  
 الله الذي له ما في السموات وما في الارض برفع اسم الله على القطع والابتداء  
 وقرأ الباقون بخفض الماء \* وويل معناه وشدة وبلاء وباقي الآية بين \*  
 وقوله سبحانه وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية  
 هذه الآية طعن ورد على المستغربين امر محمد صلى الله عليه وسلم وباقي  
 الآية بين \* وقوله سبحانه لموسى وذكرهم بايام الله اي عظمم بالتهديد  
 بنقم الله التي احلها بالامم الكافرة قبلهم وبالتعديد لنعمه عليهم وعبر عن النعم  
 والنقم بالايام اذ هي في ايام وفي هذه العبارة تعظيم هذه الكوائن المذكر  
 بها وفي الحديث الصحيح بينما موسى في قومه يذكرهم بايام الله الحديث  
 في قصة موسى مع الحضرة قال عياض في الاكمال ايام الله نعمائه وبلاؤه انتهى  
 وقال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بايام الله قال بنعم الله وعن  
 قتادة لايات لكل صبار شكور قال نعم والله العبد اذا ابتلي صبر واذا  
 اعطي شكر انتهى وقال ابن العربي في احكامه وفي ايام الله قولان احدهما نعمه  
 والثاني نقمه انتهى \* وقوله واذا تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم  
 الآية تاذن بمعنى اذن اي اعلم قال بعض العلماء الزيادة على الشكر ليست  
 في الدنيا وانما هي من نعم الآخرة والدنيا اهون من ذلك قال (ع) وجائز ان  
 يزيد الله المومن على شكره من نعم الدنيا والآخرة والكفر هنا يحتمل ان  
 يكون على بابه ويحتمل ان يكون كفر النعم لا كفر الجحد وفي الآية ترجية

وتخويف وحكى الطبري عن سفيان وعن الحسن انهما قالَا معنى الآية لئن شكرتم لازيدنكم من طاعتي قال (ع) وضعفه الطبري وليس كما قال بل هو قوي حسن فتأمله (ت) وتضعيف الطبري بين من حيث التخصيص والاصل التعميم \* وقوله الم ياتكم هذا ايضا من التذكير بإيام الله \* وقوله سبحانه فردوا ايديهم في افواههم قيل معناه ردوا ايدي انفسهم في افواه انفسهم اشارة على الانبياء بالسكوت وقال الحسن ردوا ايدي انفسهم في افواه الرسل تسكيئا لهم وهذا اشنع في الرد \* وقوله عز وجل قالت رسلهم افي الله شك التقدير افي الالهية الله شك او افي وحدانية الله شك وما في قوله ما اذيتونا مصدرية ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي قال الداودي عن ابي عبيدة لمن خاف مقامى مجازة حيث اقيمه بين يدي للحساب انتهى قال عبد الحق في العاقبة قال الربيع بن خيثم من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله انتهى وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد استفتحوا اي طلبوا الحكم والفتح الحاكم والمعنى ان الرسل استفتحوا اي سألوا الله تبارك وتعالى انفاذ الحكم بنصرهم وقيل بل استفتح الكفار على نحو قول قريش عجل لنا قطننا وعلى نحو قول ابي جهل يوم بدر اللهم اقطعنا للرحم وأتيانا بما لانعرف فاحنه الغداة وهذا قول ابن زيد وقرأت فرقة واستفتحوا بكسر التاء على معنى الامر للرسل وهي قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وخاب معناه خسر ولم ينجح والجبار المتعظم في نفسه والعنيد الذي يعاند ولا يناقد \* وقوله من ورائه قال الطبري وغيره معناه من امامه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى وكان وراءهم ملك وليس الامر كما ذكروا بل الورا هنا وهناك على بابه اي هو ما ياتي بعد في الزمان وذلك ان التقدير في هذه الحوادث بالامام



والوراء انما هو بالزمان وما تقدم فهو امام وهو بين اليد كما نقول في التوراة والانجيل انهما بين يدي القراءان والقراءان وراءهما وعلى هذا فما تأخر في الزمان فهو وراء المتقدم \* ويسقى من ماء صديد الصديد القبيح والدم وهو ما يسيل من اجساد اهل النار قاله مجاهد والضحاك \* وقوله يتجرعه ولا يكاد يسيغه عبارة عن صعوبة امره عليهم وروي ان الكافري يوتي بالشربة من شراب اهل النار فيتكبرها فاذا ادنيت منه شوت وجهه وسقطت فيها فرفة رأسه فاذا شربها قطعت امعاءه وهذا الخبر مفرق في آيات من كتاب الله عز وجل \* وياتيه الموت من كل مكان اي من كل شعرة في بدنه قاله ابراهيم التيمي وقيل من جميع جهاته الست \* وما هو بميت لا يراح بالموت \* ومن ورائه عذاب غليظ قال الفضيل بن عياض العذاب الغليظ حبس الانفاس في الاجساد وفي الحديث تخرج عنق من النار تكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بهما ولها لسان تكلم به فتقول اني امرت بمن جعل مع الله الهاء اخر وبكل جبار عنيد وبمن قتل نفسا بغير نفس فتنطلق بهم قبل سائر الناس بنحو مائة عام فتنتطوى عليهم فتقذفهم في جهنم خرجه البزار انتهى من الكوكب الدري \* وقوله في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف وهي من صفات الريح بالحقيقة لما كانت في اليوم كقول الشاعر \* ونبت وما ليل المطي بنائم \* وباقي الآية بين وبرزوا لله جميعا معناه صاروا في البراز وهي الارض المتسعة فقال الضعفاء وهم الاتباع للذين استكبروا وهم القادة واهل الرأي وقولهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص المحيص المفر والملجأ مأخوذ من حاص يحيص اذا ففر وفر ومنه في حديث هرقل فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب وروي عن ابن زيد وعن محمد بن كعب ان اهل النار يقولون انما نال اهل الجنة الرحمة

بالصبر على طاعة الله فتعالوا فلنصبر فيصبرون خمس مائة سنة فلا يستغفون فيقولون هلم فلنجزع فيضجون ويصيحون ويكون خمس مائة سنة اخرى فحينئذ يقولون هذه المقالة سواء علينا الآية وظاهر الآية انهم انما يقولونها في موقف العرض وقت البروز بين يدي الله عز وجل \* وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر المراد هنا بالشيطان ابليس الاقدم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق عقبة بن عامر انه قال يقوم يوم القيامة خطيبان احدهما ابليس يقوم في الكفرة بهذه الالفاظ والثاني عيسى بن مريم يقوم بقوله ما قلت لهم الا ما امرتني به الآية وروي في حديث ان ابليس انما يقوم بهذه الالفاظ في النار على اهلها عند قولهم مالنا من محيص في الآية المتقدمة فعلى هذه الرواية يكون معنى قوله قضي الامر اي حصل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة وهو تاويل الطبري \* وقوله وما كان لى عليكم من سلطان اي من حجة بينة والا ان دعوتكم استثناء منقطع ويحتمل ان يريد بالسلطان في هذه الآية الغلبة والقدرة والملك اي ما اضطررتكم ولا خوفتكم بقوة منى بل عرضت عليكم شيئاً فاقى رأيكم عليه \* وقوله فلا تلوموني يريد بزعمه اذ لا ذنب لى ولوموا انفسكم اي في سوء نظركم في اتباعى وقلة تشبكم \* ما انا بمصرخكم المصرخ المغيث والصارخ المستغيث واما الصريخ فهو مصدر بمنزلة البريح \* وقوله انى كفرت بما اشركتمون ما مصدرية وكأنه يقول انى الان كافر باشراككم اياي مع الله قبل هذا الوقت فهذا تبر منه وقد قال تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم \* وقوله عز وجل وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم الاذن هنا عبارة عن القضاء والامضاء \* وقوله سبحانه الم تركب الله مثلاً كلمة طيبة

الم تر بمعنى الم تعلم قال ابن عباس وغيره الكلمة الطيبة هي لا اله الا الله مثلها الله سبحانه بالشجرة الطيبة وهي النخلة في قول اكثر المتأولين فكان هذه الكلمة اصلها ثابت في قلوب المومنين وفضلها وما يصدر عنها من الافعال الزكية وانواع الحسنات هو فرعها يصعد الى السماء من قبل العبد والحين القطعة من الزمان غير محدودة كقوله تعالى وتعلمن نباء بعد حين وقد تقتضى لفظة الحين بقرينتها تحديدا كهذه الآية والكلمة الجبشة هي كلمة الكفر وما قاربها من كلام السوء في الظلم ونحوه والشجرة الجبشة قال اكثر المفسرين هي شجرة الخنظل ورواه انس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا عندى على جهة المثل \* اجتثت اى اقتعلت جثتها بنزع الاصول وبقيت فى غاية الوهن والضعف فتقلبها اقل ريح فالكافر يرى ان بيده شياً وهو لا يستقر ولا يفتنى عنه كهذه الشجرة الذى يظن بها على بعد او للجهل بها انها شىء نافع وهي خبيثة الجنى غير باقية \* وقوله سبحانه يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة القول الثابت فى الحياة الدنيا كلمة الاخلاص والنجاة من النار لا اله الا الله والاقرار بالنبوة وهذه الآية تعم العالم من لدن ادم عليه السلام الى يوم القيامة قال طاوس وقتادة وجهور من العلماء الحياة الدنيا هي مدة حياة الانسان وفى الآخرة وقت سؤاله فى قبره وقال البراء بن عازب وجماعة فى الحياة الدنيا هي وقت سؤاله فى قبره ورواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى لفظ متأول وفى الآخرة هو يوم القيامة عند العرض والاول احسن ورجحه الطبري (ت) ولفظ البخاري عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

انتهى وحديث البراء خرجه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه قال صاحب التذكرة وقد روى هذا الحديث ابو هريرة وابن مسعود وابن عباس وابو سعيد الخدري قال ابو سعيد الخدري كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطراق فاقعده فقال ما تقول في هذا الرجل الحديث وفيه فقال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما احد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق الا هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء انتهى قال ابو عمر بن عبد البر وروينا من طرق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر اذا جاءك منكرو ونكير اذا مت وانطلق بك قومك ففاسوا ثلاثة اذرع وشبرا في ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وخطوك ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم اهلوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك اناك فتانا القبر منكرو ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما معهما مرزبة لو اجتمع عليها اهل الارض لم يقلبوها فقال عمر يا رسول الله ان فرقنا حق لنا ان نفرق انبعث على ما نحن عليه قال نعم ان شاء الله قال اذن اكفيكما انتهى والظالمون في هذه الآية الكافرون \* ويفعل الله ما يشاء اي يحق للملك فلا راد لامره ولا معقب لحكمه وجاءت احاديث صحيحة في مسالة العبد في قبره وجماعة السنة تقول ان الله سبحانه يخلق للعبد في قبره ادراكات وتحصيلات اما بحياة كالتمعارفة واما بحضور النفس وان لم تتلبس بالجسد كالعرف كل هذا جائز في قدرة الله تبارك وتعالى غير ان في الاحاديث الصحيحة انه يسمع خفق النعال ومنها انه يرى الضوء كأن الشمس دنت للغروب وفيها انه يراجع

وفيهما فيعاد روحه الى جسده وهذا كله يتضمن الحياة فسبحان من له هذه القدرة العظيمة \* وقوله سبحانه لم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا المراد بالذين بدلوا نعمت الله كفرة قريش وقد خرج به البخاري وغيره مسندا عن ابن عباس انتهى والتقدير بدلوا شكر نعمت الله ~~كفرا~~ ونعمت الله تعالى في هذه الآية هو محمد صلى الله عليه وسلم ودينه \* واحلوا قومهم اي من اطاعهم وكأن الاشارة والتعنيف انما هو للرؤوس والاعلام \* والبوار الهلاك قال عطاء بن يسار نزلت هذه الآية في قتلى بدر والانداد جمع ند وهو المثل والمراد الاصنام واللام في قوله ليضلوا بضم الياء لام كي وبفتحها لام عاقبة وصيرورة والقراءتان سبعيتان \* وقوله سبحانه قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة الآية العباد جمع عبد وعرفه في التكرمة بخلاف العبيد والسر صدقة التنفل والعلاية المفروضة هذا هو مقتضى الاحاديث وفسر ابن عباس هذه الآية بركة الاموال مجملا وكذلك فسر الصلاة بانها الخمس وهذا عندي منه تقريب للمخاطب \* والحلال مصدر من خالل اذا واد وصافي ومنه الحلة والحليل والمراد بهذا اليوم يوم القيامة \* وقوله سبحانه الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم هذه الآية تذكير بالاله سبحانه وتنبيه على قدرته التي فيها احسان الى البشر لتقوم الحجة عليهم \* وقوله بامرهم مصدر امرهم وهذا راجع الى الكلام القديم القائم بالذات \* ودائبين معناه متمادين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الجمل الذي بكى واجهش اليه ان هذا الجمل شكا الي انك تجيعه وتدببه اي تديمه في الخدمة والعمل وظاهر الآية ان معناه دائبين في الطلوع والغروب وما بينهما من المنافع للناس التي لا تحصى كثرة وعن ابن عباس انه قال معناه دائبين في طاعة الله \* وقوله سبحانه واتاكم

من كل ما سألتموه المعنى ان جنس الانسان يجمته قد اوتي من كل ما شأنه ان يسأل ويستفح به وقرأ ابن عباس وغيره من كل ما سألتموه بتنوين كل ورويت عن نافع \* وقوله تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها اي لكثرتها وعظمها في الحواس والقوى والايجاد بعد العدم والهداية للايمان وغير ذلك وقال طلق بن حبيب ان حق الله تعالى اثقل من ان يقوم به العباد ونعمه اكثر من ان يحصيها العباد ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين (ت) ومن الكلم الفارقة ايها الحريص على نيل عاجل حظه ومراده الغافل عن الاستعداد لمعاده تنبه لعظمة من وجودك بايجاده وبقاؤك بازقاده ودوامك بامداده انت طفل في حجر لطفه ومهد عطفه وحضانه حفظه ينفذك بلبان بره ويقبلك بايدي اياهه وفضله وانت غافل عن تعظيم امره جاهل بما اولاك من لطيف سره وفضلك به على كثير من خلقه اذكر عهد الايجاد ودوام الامداد والارقاد وحالتي الاصدار والاياد وفاتحة المبدأ وخاتمة المعاد انتهى \* وقوله سبحانه ان الانسان يريد به النوع والجنس المعنى توجد فيه هذه الحلال وهي الظلم والكفر فان كانت هذه الحلال من جاحد فهي بصفة وان كانت من عاص فهي بصفة اخرى \* وقوله سبحانه واذا قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً تقدم تفسيره \* وقوله واجنبي وبني ان نعبد الاصنام واجنبي معناه امنعني يقال جنبه كذا واجنبه وجنبه اذا منعه من الامر وحماه منه (ت) وكذا قال (ص) واجنبي معناه امنعني اصله من الجانب وعبرة المهدوي اي اجعلني جانباً من عبادتها وقال الثعلبي واجنبي اي بعدني واجعلني منها على جانب بعيد انتهى وهذه الالفاظ كلها متقاربة المعاني واراد ابراهيم عليه السلام بني صلبه واما باقي نسله فمنهم من عبد الاصنام وهذا الدعاء من الخليل عليه السلام يقتضي افراط خوفه على نفسه ومن حصل في رتبته فكيف يخاف

ان يعبد صنما لكن هذه الآية ينبغي ان يقتدى بها في الخوف وطلب حسن الخاتمة والاصنام هي المنحوتة على خلقة البشر وما كان منحوتا على غير خلقة البشر فهي اوثان قاله الطبري عن مجاهد ونسب الى الاصنام انها اضلت كثيرا من الناس تجوزا وحقيقة الاضلال انما هي لمخترعها سبحانه وقيل اراد بالاصنام هنا الدنانير والدراهم \* وقوله ومن عصاني ظاهره بالكفر لمعادلة قوله فمن تبعني فانه مني واذا كان ذلك كذلك فقوله فانك غفور رحيم معناه بتوبتك على الكفرة حتى يؤمنوا لانه اراد ان الله يغفر لكافر وحمله على هذه العبارة ما كان ياخذ نفسه به من القول الجليل والنطق الحسن وجعل الادب صلى الله عليه وسلم قال قتادة اسمعوا قول الخليل صلى الله عليه وسلم والله ما كانوا طمانين ولا لعانين وكذلك قول نبي الله عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم واسند الطبري عن عبد الله بن عمرو حديثا ان النبي صلى الله عليه وسلم تلاهاتين الايتين ثم دعا لامته فبشر فيهم وكان ابراهيم التيمي يقول من يامن على نفسه بعد خوف ابراهيم الخليل على نفسه من عبادة الاصنام \* وقوله ومن ذريني يريد اسماعيل عليه السلام وذلك ان سارة لما غارت بهاجر بعد ان ولدت اسماعيل تشوش قلب ابراهيم منهما فروي انه ركب البراق هو وهاجر والطفل لجاء في يوم واحد من الشام الى بطن مكة فتركهما هناك وركب منصرفا من يومه ذلك وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى فلما ولي دعا بمضمن هذه الآية واما كيفية بقاء هاجر وما صنعت وسائر خبر اسماعيل في كتاب البخاري وغيره وفي السير ذكر ذلك كله مستوعبا (ت) وفي صحيح البخاري من حديث الطويل في قصة ابراهيم مع هاجر وولدها لما حملها الى مكة قال وليس بمكة يومئذ احد وليس فيها ماء فوضمها هنالك ووضع

عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل  
فقال يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه ايس ولا  
شيء فقال له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا  
قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثانية  
حيث لا يرونه استقبل بوجه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال  
رب انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ  
يشكرون الحديث بطوله وفى طريق قالت يا ابراهيم الى من تتركنا قال الى الله  
عز وجل قالت رضيت انتهى وفى هذا الحديث من الفوائد لارباب القلوب  
والمتوكلين واهل الثقة بالله سبحانه ما يطول بنا سردها فاليك استغراجها  
ولما انقطعت هاجر وابنها الى الله تعالى اوامها الله وانبع لهما ماء زمزم المارك  
الذى جعله غداء قال ابن العربي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ماء زمزم  
لما شرب له قال ابن العربي ولقد كنت مقيا بمكة سنة سبع وثمانين واربعائة  
وكنت اشرب ماء زمزم كثيرا وكلما شربت نويت به العلم والايمان ونسيت  
ان اشربه للعمل ففتح لى فى العلم وياليتنى شربته لهما معا حتى يفتح لى  
فيهما ولم يقدر فكان صفوى الى العلم اكثر منه الى العمل انتهى من الاحكام  
ومن فى قوله ومن ذريتى للتبعيض لان اسحاق كان بالشام والوادى ما بين  
الجبلىين وليس من شرطه ان يكون فيه ماء وجمعه الضمير فى قوله ليقموا  
يدل على ان الله قد علمه ان ذلك الطفل سيعقب هناك ويكون له نسل  
واللام فى ليقموا لام كي هذا هو الظاهر ويصح ان تكون لام الامر كانه  
رغب الى الله سبحانه ان يوفقهم لاقامة الصلاة والاقدة القلوب جمع فؤاد  
سوى بذلك لا تقاده مأخوذ من فاد ومنه المفتاد وهو مستوقد النار حيث  
يشوى اللحم \* وقوله من الناس تبعيض ومراده المومنون وباقي الآية بين \*



وقوله رب اجعلني مقيم الصلوة دعا ابراهيم عليه السلام في امر كان مثابرا عليه متمسكا به ومتى دعا الانسان في مثل هذا فانما المقصد ادامة ذلك الامر واستمراره قال السهيلي قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي بحرف التبويض ولذلك اسلم بعض ذريته دون بعض انتهى وفاقا لما تقدم الآن \* وقوله ربنا اغفر لي ولوالدي اختلف في تاويل ذلك فقالت فرقة كان ذلك قبل يأسه من ايمان ابيه وتبينه انه عدو لله فاراد اياه وامه لانها كانت مومنة وقيل اراد آدم ونوحا عليهما السلام وقرأ الزهري وغيره ولولدي على انه دعاء لاسماعيل واسحاق وانكرها عاصم الجحدري وقال ان في مصحف ابي بن كعب ولأبوي \* وقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الآية هذه الآية يحملتها فيها وعيد للظالمين وتسلية للمظلومين والخطاب بقوله تحسبن للنبي صلى الله عليه وسلم وتشخص فيه الابصار معناه تحد النظر لفرط الفزع وفرط ذلك يشخص المحتضر والمهطع المسرع في مشيه قاله ابن جبير وغيره وذلك بذلة واستكانة كاسراع الاسير ونحوه وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره الاهطاع شدة النظر من غير ان يطرف وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع رأسه قال ابو عبيدة قد يكون الاهطاع للوجهين جميعا الاسراع وادامة النظر والمقنع هو الذي يرفع رأسه قدما بوجهه نحو الشيء ومن ذلك قول الشاعر

يباكرن العضاء بمقنعات \* نواجزهن كالحمد الوقيع

يصف الابل عند رعيها اعالي الشجر وقال الحسن في تفسير هذه الآية وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر احد الى احد وذكر المبرد فيما حكى عنه مكي ان الاقتناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرأس من الذلة قال (ع) والاول اشهر \* وقوله سبحانه لا يرتد اليهم طرفهم اي لا يطرفون من الحذر والجزع

وشدة الحال \* وقوله وافندتهم هواء تشبيه محض وجهة التشبيه يحتمل  
 ان تكون في فراغ الافئدة من الخير والرجاء والطمع في الرحمة فهي متخرقة  
 مشبهة الهواء في تفرغه من الاشياء وانحراقه ويحتمل ان تكون في اضطراب  
 افندتهم وجيشانها في صدورهم وانها تذهب وتجيء وتبلغ على ما روي  
 خناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو ابدا في اضطراب \* وقوله  
 سبحانه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب المراد باليوم يوم القيامة ونصبه على  
 انه مفعول بانذر ولا يجوز ان يكون ظرفا لان القيامة ليست بموطن انذار  
 قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي حمزة يجب التصديق بكل ما اخبر  
 الله ورسوله به ولا يتعرض الى الكيفية في كل ما جاء من امر الساعة  
 واحوال يوم القيامة فانه امر لا تسمعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف  
 في الايمان وانما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما اخبر الله به انتهى قال  
 الغزالي فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب  
 والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعقل  
 هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الاحوال وما الذي ينكشف عنه الغطاء  
 من شقاوة لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر  
 والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين ايدينا انتهى من الاحياء \* وقوله  
 اولم تكونوا الآية معناه يقال لهم \* وقوله ما لكم من زوال هو المقسم  
 عليه وهذه الآية ناظرة الى ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله واقسموا بالله  
 جهدا ايمانهم لا يبعث الله من يموت \* وقوله سبحانه وسكنتم الآية المعنى  
 يقول الله عز وجل وسكنتم ايها المعرضون عن آيات الله من جميع العالم  
 في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم السالفة فنزلت بهم المثالات  
 فكان حكم الاعتبار والاتعاظ \* وقوله وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وقرأ

السبعة سوى الكسائي وان كان مكرهم لتزول بكسر اللام من لتزول وفتح  
الاخيرة وهذا على ان تكون ان نافية بمعنى ما ومعنى الآية تحقير مكرهم  
وانه ما كان لتزول منه الشرائع والنبوءات واقدار الله بها التي هي كالجبال  
في ثبوتها وقوتها هذا هو تاويل الحسن وجماعة المفسرين وتحتل عندى هذه  
القراءة ان تكون بمعنى تعظيم مكرهم اي وان كان شديدا وقرأ الكسائي  
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الاخيرة  
وهي قراءة ابن عباس وغيره ومعنى الآية تعظيم مكرهم وشدته اي انه  
مما يشقى به ويزيل الجبال عن مستقراتها لقوته ولكن الله تعالى ابطاه  
ونصر اولياءه وهذا اشد في العبرة وقرأ علي وابن مسعود وعمر بن الخطاب  
وابي وان كاد مكرهم وذكر ابو حاتم ان في قراءة ابي ولولا كلمة الله لزال من  
مكرهم الجبال \* وقوله سبحانه فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الآية  
تشبث للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من امته ولم يكن النبي عليه السلام  
ممن يحسبن مثل هذا ولكن خرجت العبارة هكذا والمراد بما فيها من  
الزجر غيره \* ان الله عزيز لا يمتنع منه شيء ذو انتقام من الكفرة \*  
وقوله سبحانه يوم تبدل الارض الآية يوم ظرف للانتقام المذكور قبله  
وروي في تبديل الارض اخبار منها في الصحيح يبدل الله هذه الارض  
بارض عفراء بيضاء كانها قرصة نقي وفي الصحيح ان الله يبدلها خبزة ياكل  
المومن منها من تحت قدميه وروي انها تبدل ارضا من فضة وروي انها  
ارض كالفضة من بياضها وروي انها تبدل من نار قال (ع) وسمعت من ابي  
رحم الله انه روي ان التبديل يقع في الارض ولكن يبدل لكل فريق بما  
يقتضيه حاله فالمومن يكون على خبز ياكل منه بحسب حاجته اليه وفريق  
يكون على فضة ان صح السند بها وفريق الكفرة يكونون على نار ونحو

هذا مما كله واقع تحت قدرة الله عز وجل واكثر المفسرين على ان التبديل يكون بارض بيضاء عفراء لم يمص الله فيها ولا سفك فيها دم وليس فيها معلم لاحد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون وقت التبديل في ظل العرش وروي عنه انه قال الناس وقت التبديل على الصراط وروي انه قال الناس حينئذ اضياف الله فلا يعجزهم ما لديه وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان في سؤال الخبر وقوله يا محمد اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر الحديث بطوله وخرجه مسلم وابن ماجه جميعا قالا حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة ثم اسندا عن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فain يكون الناس قال على الصراط وخرجه الترمذي من حديث عائشة قالت يا رسول الله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فain يكون المومنون يومئذ قال على الصراط يا عائشة قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من التذكرة \*

وترى المجرمين اي الكفار ومقرنين اي مربوطين في قرن وهو الجبل الذي تشد به رؤوس الابل والبقر والاصفاد هي الاغلال واحدها صفد والسرابيل القمص والقطران هو الذي تنأ به الابل وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قصص اهل النار منه وقرأ عمر بن الخطاب وعلي وابو هريرة وابن عباس وغيرهم من قطيراني والقطر القصدير وقيل النحاس وروي عن عمر انه قال ليس بالقطران ولكنه النحاس يسربلونه وان صفة وهو الذائب الحار الذي تنأى حره \* قال الحسن قد سمعت عليه جهنم منذ خلقت فتناهى حره \* وقوله سبحانه ليجزي الله كل نفس ما كسبت الآية جاء من لفظة الكسب بما يعم المسمى والمحسن لينبه على ان المحسن ايضا يجازى باحسانه خيرا \*

وقوله سبحانه هذا بلاغ للناس الآية اشارة الى القرءان والوعيد الذى تضمنه  
والمعنى هذا بلاغ للناس وهو لينذروا به وليذكر اولوا الالباب وصلى الله  
على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## تفسير سورة الحجر مكية

قوله عز وجل الرثاء آيات الكتاب وقرءان مبين قال مجاهد وقتادة  
الكتاب فى الآية ما نزل من الكتب قبل القرءان ويحتمل ان يراد  
بالكتاب القرءان ثم تعطف الصفة عليه \* وربما للتقليل وقد تجيء شاذة  
للتكثير وقال قوم ان هذه من ذلك وانكر الزجاج ان تجيء رب للتكثير  
واختلف المتأولون فى الوقت الذى يود فيه الكفار ان يكونوا مسلمين فقالت  
فرقة هو عند معاينة الموت حكي ذلك الضحائل وقالت فرقة هو عند معاينة  
اهوال يوم القيامة وقال ابن عباس وغيره هو عند دخولهم النار ومعرفتهم  
بدخول المؤمنين الجنة وروى فيه حديث من طريق ابى موسى \* وقوله  
سبحانه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وعيد وتهديد وما فيه من المهادنة  
منسوخ بآية السيف وروى ابن المبارك فى رقائقه قال اخبرنا الازواعي عن  
عروة بن رويم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتى الذين ولدوا  
فى النعيم وغذوا به همتهم الوان الطمام والوان الثياب يتشدقون بالكلام  
انتهى \* وقوله فسوف يعلمون وعيد ثان وحكى الطبري عن بعض العلماء انه

قال الاول في الدنيا والثاني في الآخرة فكيف تطيب حياة بين هذين الوعدين \* وقوله ويلهم الامل اي يشغلهم املهم في الدنيا والتزيد منها قال عبد الحق في العاقبة اعلم رحمك الله ان تقصير الامل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر ثم قال واعلم ان كثرة الاشتغال بالدنيا والميل بالكلية اليها ولذة امانها تمنع مرارة ذكر الموت ان ترد على القلب وان تلج فيه لان القلب اذا امتلأ بشيء لم يكن لشيء اخر فيه مدخل فاذا اراد صاحب هذا القلب سماع الحكمة والانتفاع بالموعظة لم يكن له بد من تفريقه ليجد الذكر فيه منزلا وتلقى الموعظة فيه محلا قابلا قال ابن السماك رحمه الله ان الموقى لم يبكوا من الموت لكنهم بكوا من حسرة الفوت فاتتهم والله دار لم يتزودوا منها ودخلوا دارا لم يتزودوا لها انتهى وانما حصل لهم الفوت بسبب استغراقهم في الدنيا وطول الامل الملهي عن المعاد الهما الله رشدنا بمنه \* وقوله سبحانه وما اهلكنا من قرية الاية اي فلا تستبطنن هلاكهم فليس من قرية مهلكة الا باجل وكتاب معلوم محدود \* وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر الاية القائلون هذه المقالة هم كفار قريش ولوما بمنى لولا فتكون تحضيضا كما هي في هذه الاية وفي البخاري لوما تاتينا هلا تاتينا \* وقوله الابلحق قال مجاهد المعنى بالرسالة والعذاب والظاهر ان معناه كما ينبغي ويحق من الوحي والمنافع التي اراها الله لعباده لاعلى اقتراح كافر ثم ذكر عاداته سبحانه في الامم من انه لم ياتهم بشاية اقتراح الاومها العذاب في اثرها ان لم يؤمنوا والنظرة التأخير \* وقوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر رد على المستخفين في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر \* وقوله وانا له لحافظون قال مجاهد وغيره الضمير في له عائذ على القرء ان المعنى وانا له لحافظون من ان يبذل او يغير \* وقوله سبحانه ولقد ارسلنا من قبلك

في شيع الاولين الآية تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يضيق صدرك يا محمد بما بفعله قومك من الاستهزاء في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر وغير ذلك والشيعا الفرقة التابعة لرأس ما (ت) قال الفراء في شيع الاولين انه من اضافة الموصوف الى صفته كحق اليقين وجانب الغري وتأوله البصريون على حذف الموصوف اي شيع الامم الاولين انتهى من (ص) \* وقوله سبحانه كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين يحتمل ان يكون الضمير في نسلكه يعود على الذكر المحفوظ المتقدم وهو القراء ويكون الضمير في به عائد عليه ايضا ويحتمل ان يعود الضميران معا على الاستهزاء والشرك ونحوه والباء في به باء السبب اي لا يؤمنون بسبب شركهم واستهزائهم ويحتمل ان يكون الضمير في نسلكه عائدا على الاستهزاء والشرك والضمير في به عائد على القراء والمعنى في ذلك كله ينظر بمضه الى بمض ونسلكه معناه ندخله والمجرمين هنا يراد بهم كفار قريش ومعاصرو النبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله لا يؤمنون به عموم معناه الخصوص فيمن حتم عليه \* وقوله وقد خلت سنة الاولين اي على هذه الوتيرة \* ولو فتحنا عليهم اي على قريش وكفرة العصر والضمير في قوله فظلموا عائد عليهم وهو تأويل الحسن ويعرجون معناه يصعدون ويحتمل ان يعود على الملائكة اي ولورأوا الملائكة يصعدون ويتصرفون في باب مفتوح في السماء لما آمنوا وهذا هو تأويل ابن عباس وقرأ السبعة سوى ابن كثير سكرت بضم السين وشد الكاف وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف تقول العرب سكرت الريح تسكر سكورا اذا ركدت ولم تنفذ لما كانت بسبيله اولاً وسكر الرجل من الشراب اذا تغيرت حاله وركد ولم ينفذ لما كان بسبيله ان ينفذ فيه وتقول العرب سكرت البثق في

مجارى الماء سكرًا اذا طمسته وصرفت الماء عنه فلم ينفذ لوجهه قال (ع) هذه اللفظة سكرت بشد الكاف ان كانت من سكر الشراب او من سكر الريح فهي فعل عدي بالتضعيف وان كانت من سكر مجارى الماء فتضعيفها للمبالغة لا للتعدى لان المخفف من فعله متعد ومعنى هذه المقالة منهم اى غيرت ابصارنا عما كانت عليه فهي لا تنفذ وتعطينا حقائق الاشياء كما كانت تفعل \*

وقوله سبحانه ولقد جعلنا فى السماء بروجاً البروج المنازل واحداها برج وسمي بذلك لظهوره ومنه تبرج المرأة ظهورها وبدوها وحفظ السماء هو بالرجم بالشهب على ما تضمنته الاحاديث الصحاح قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشياطين تقرب من السماء افواجا قال فينفرد المارد منها فيعلو فيسمع فيرمى بالشهاب فيقول لاصحابه انه من الامر كذا وكذا فيزيد الشياطين فى ذلك ويلقون الى الكهنة فيزيدون مع الكلمة مائة ونحو هذا الحديث والابمنى لكن ويظهر ان الاستثناء من الحفظ وقال محمد بن يحيى عن ابيه الامن استرق السمع فانها لم تحفظ منه \* وقوله موزون قال الجمهور معناه مقدر محرر بقصد وارادة فالوزن على هذا مستعار وقال ابن زيد المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة وغير ذلك مما يوزن والمعاش جمع معيشة \* وقوله ومن لستم له برازقين يحتمل ان يكون عطفا على معاش كأن الله تعالى عدد النعم فى المعاش وهي ما يوكل ويلبس ثم عدد النعم فى الحيوان والعبيد وغير ذلك مما ينتفع به الناس وليس عليهم رزقهم \* وقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه قال ابن جريج هو المطر خاصة قال (ع) وينبى ان يكون اعم من هذا فى كثير من المخلوقات \* وقوله سبحانه وارسلنا الرياح لواقح اى ذات لقح يقال لقحت الناقة والشجر فهي لاقحة اذا حملت فالوجه فى الريح ملقحة للاقحة قال الداودي وعن ابن عمر الرياح ثمان اربع رحمة واربع عذاب فالرحمة



المرسلات والمبشرات والناشرات والذاريات واما العذاب فالصرصر والعقيم والقاصف والعاصف وهما في البحر انتهى \* وقوله جلت عظمته وانا لنحن نحي ونميت الايات هذه الايات مع الايات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته المعنى وانا لنحن نحي من نشاء باخراجه من العدم الى وجود الحياة ونميت بازالة الحياة عمن كان حيا \* ونحن الوارثون اي لا يبقى شيء سوانا وكل شيء هالك الا وجهه لا رب غيره \* ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اي من لدن ادم الى يوم القيامة قال ابن العربي في احكامه روى الترمذي وغيره في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس انه قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ولا والله ما رأيت مثلها قط قال فكان بعض المسلمين اذا صلوا تقدموا وبعضهم يستأخر فاذا سجدوا نظروا اليها من تحت ايديهم فانزل الله الآية ثم قال ابن العربي في شرح المراد بهذه الآية خمسة اقوال احدها هذا القول الثاني المتقدمين في الخلق الى اليوم والمتأخرين الذين لم يخلقوا بعد بيان ان الله يعلم الموجود والمعدوم قاله قتادة وجماعة الثالث من مات ومن بقي قاله ابن عباس ايضا الرابع المتقدمين سائر الامم والمستأخرين امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الخامس قال الحسن معناه المتقدمين في الطاعة والمتأخرين في المعصية انتهى (د) والحديث المتقدم ان صح فلا بد من تاويله فان الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيه فيقول بان ذلك صدر من بعض المنافقين او بعض الاعراب الذين قرب عهدهم بالاسلام ولم يرسخ الايمان في قلوبهم واما ابن عباس فانه كان يومئذ صغيرا بلا شك هذا ان كانت الآية مدنية فان كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولية وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه انتهى وباقي الآية بين \* ولقد

خلقنا الانسان يعنى ٠ ادم قال ابن عباس خلق من ثلاثة من طين لازب وهو  
 اللازق الجيد ومن صلصال وهو الارض الطيبة يقع عليها الماء ثم ينحسر  
 فتشقق وتصير مثل الخزف ومن حمأ مسنون وهو الطين فيه الحمأة والمسنون  
 قال معمر هو المستن وهو من اسن الماء اذا تغير ورد من جهة التصريف وقيل  
 غير هذا وفي الحديث ان الله تعالى عز وجل خلق ٠ ادم من جميع انواع التراب  
 الطيب والحبيث والاسود والاحمر \* وقوله والجآن يراد به جنس الشياطين  
 وسئل وهب بن منبه عنهم فقال هم اجناس قال (ع) والمراد بهذه الحلقة ابليس  
 ابوالجن \* وقوله من قبل لان ابليس خلق قبل ٠ ادم بمدة والسموم في  
 كلام العرب افراط الحر حتى يقتل من نار او شمس او ريح واما اضافة النار  
 الى السموم في هذه الآية فيحتمل ان تكون النار انواعا ويكون السموم  
 امرا يختص بنوع منها فتصح الاضافة حينئذ وان لم يكن هذا فيخرج هذا  
 على قولهم مسجد الجامع ودار الآخرة على حذف مضاف \* قوله عز وجل  
 واذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا  
 سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون  
 الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما لك الا تكون مع  
 الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقت من صلصال من حمأ مسنون  
 اخبر الله سبحانه الملائكة بمعجب عندهم وذلك انهم كانوا مخلوقين من نور  
 فهي مخلوقات لطاف فاخبرهم سبحانه انه يخلق جسما حيا ذا بشرة وانه يخلقه  
 من صلصال والبشرة هي وجه الجلد في الاظهر من القول \* وقوله من روحي  
 اضافة خلق وملك الى خالق ومالك وقول ابليس لم اكن لاسجد لبشر  
 خلقت من صلصال الآية ليس ابايته نفس كفره عند الحدائق لان ابايته  
 انما هي معصية فقط وانما كفره بمقتضى قوله وتعليقه اذ يقتضى ان الله

خلق خلقا مفضولا وكلف خلقا افضل منه ان يذل له فكانه قال وهذا جور وقد تقدم تفسير اكثر هذه المعاني \* وقوله عز وجل قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض الآية قوله بما اغويتني قال ابو عبيدة وغيره اقسام بالاغواء قال (ع) كانه جملة بمنزلة قوله رب بقدرتك علي وقضائك ويحتمل ان نكون باء السبب \* وقوله سبحانه هذا صراط علي مستقيم المعنى هذا امر الي يصير والعرب تقول طريقك في هذا الامر علي فلان اي اليه يصير النظر في امرك والآية تتضمن وعيدا وظاهر قوله عبادي الخصوص في اهل الايمان والتقوى فيكون الاستثناء منقطعا وان اخذنا العباد عموما كان الاستثناء متصلا ويكون الاقل في القدر من حيث لا قدر للكفار والنظر الاول احسن وانما الغرض ان لا يقع في الاستثناء الاكثر من الاقل وان كان الفقهاء قد جوزوه \* وقوله لموعدهم اي موضع اجتماعهم عافانا الله من عذابه بمنه وعاملنا بحض جوده وكرمه \* وقوله سبحانه ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام الآية السلام هنا يحتمل ان يكون السلامة ويحتمل ان يكون التحية والعل الحقد قال الداودي عن النبي صلى الله عليه وسلم وزعنا ما في صدورهم الآية قال اذا خلاص المومنون من الصراط حبسوا على صراط بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض بمظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة والله لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة من منزله في الدنيا انتهى والسر جمع سرير ومتقابلين الظاهر ان معناه في الوجوه اذ الاسرة متقابلة فهي احسن في الرتبة قال مجاهد لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وقيل غير هذا مما لا يعطيه اللفظ والنصب التعب ونبي

معناه اعلم قال النزالى رحمه الله فى منهاجه ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين  
الرجاء والخوف قوله تعالى نبى عبادى انا الغفور الرحيم ثم قال فى عقبه  
وان عذابى هو العذاب الاليم لئلا يستولى عليك الرجاء بكرة وقوله تعالى  
شديد العقاب ثم قال فى عقبه ذى الطول لئلا يستولى عليك الخوف واعجب  
من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال فى عقبه والله رءوف بالعباد  
واعجب منه قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب فعلق الحشية باسم الرحمن  
دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه ليكون تحويها فى تامين وتحريكا  
فى تسكين كما تقول اما تحشى الوالدة الرحمة اما تحشى الوالد الشفيق  
والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب الى امن وقنوط جعلنا الله  
واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه الجواد الكريم  
انتهى \* وقوله سبحانه ونبئهم عن ضيف ابراهيم الآية هذا ابتداء قصص  
بعد انصرام الغرض الاول والضيف مصدر وصف به فهو للواحد والاثنين  
والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد \* وقوله انا منكم وجلون اى فزعون وانما  
وجل منهم لما قدم اليهم العجل الخنيز فلم يرهم ياكلون وكانت عندهم  
العلامة المؤمنة اكل الطعام وكذلك هو فى غابر الدهر امانة للنازل والمنزول  
به \* وقوله ان مسني الكبر اى فى حالة قد مسني فيها الكبر وقول ابراهيم  
عليه السلام فبم تبشرون تقرير على جهة التعجب والاستبعاد لكبرهما او على  
جهة الاحتقار وقلة المبالاة بالمسرات الدنيوية لمضى العمر واستيلاء الكبر  
وقولهم بشرناك بالحق فيه شدة ما اى ابشر بما بشرت به ولا تكن من  
القائطين والقنوط اتم اليأس \* وقوله سبحانه قال فما خطبكم ايها المرسلون  
لفظة الخطب انما تستعمل فى الامور الشداد وقولهم الاءال لوط استثناء منقطع  
والآل القوم الذين يثول امرهم الى المضاف اليه كذا قال سيبويه وهذا

نص في ان لفظة ءال ليست لفظة اهل كما قال النحاس والامراته استثناء متصل والاستثناء بعد الاستثناء يرد المستثنى الثانى فى حكم الامر الاول والغابرين هنا اي الباقين فى العذاب وغبر من الاضداد يقال فى الماضى وفى الباقى وقول الرسل للوط بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بما وعدك الله من تعذيبهم الذى كانوا يشكون فيه والقطع الجزء من الليل \* وقوله سبحانه واتبع اذارهم اي كن خلفهم وفى ساقتهم حتى لا يبق منهم احد ولا يلتفت ماخوذ من الالتفات الذى هو نظر العين قال مجاهد المعنى لا ينظر احد وراؤه ونهوا عن النظر مخافة العلقه وتعلق النفس بمن خلف وقيل ليلا تنفطر قلوبهم من معاناة ما جرى على القرية فى رفعها وطرحها \* وقوله سبحانه وقضينا اليه ذلك الامر اي امضيناه وحثمنا به ثم ادخل فى الكلام اليه من حيث اوحى ذلك اليه واعلمه الله به \* وقوله يستبشرون اي بالاضياف طمعا منهم فى الفاحشة وقولهم او لم نهك عن العالمين روي انهم كانوا تقدموا اليه فى ان لا يضيف احدا والعمر والعمر بفتح العين وضما واحد وهما مدة الحياة ولا يستعمل فى القسم الا بالفتح وفى هذه الآية شرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل اقسم بحياته ولم يفعل ذلك مع بشر سواه قاله ابن عباس (ت) وقال (ص) اللام فى لعمرك للابتداء والكاف خطاب للوط عليه السلام والتقدير قالت الملائكة له لعمرك واقتصر على هذا وما ذكره (ع) هو الذى عول عليه عياض وغيره وقال ابن العربي فى احكامه قال المفسرون باجمعهم اقسم الله فى هذه الآية بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ولا ادرى ما اخرجهم عن ذكر لوط الى ذكر محمد عليه السلام وما المانع ان يقسم الله بحياة لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطى الله للوط من فضل ويوتيه من شرف فلتبينا محمد عليه

السلام ضعفاه لانه اكرم على الله منه واذا اقسم الله بحياة لوط حياة نبينا محمد عليه السلام ارفع ولا يخرج من كلام الى كلام اخر غيره لم يحمله ذكر لغير ضرورة انتهى (ت) وما ذكره الجمهور احسن لان الخطاب خطاب مواجهة ولانه تفسير صحابي وهو مقدم على غيره \* ويمهون معناه يترددون في حيرتهم \* ومشرقين معناه قد دخلوا في الاشرار وهو سطوع ضوء الشمس وظهوره قاله ابن زيد وهذه الصيحة هي صيحة الوجبة وليست كصيحة ثمود واهلكوا بعد الفجر مصبحين واستوفاهم الهلاك مشرقين وباقي قصص الآبئة تقدم تفسيره \* والتوسمين قال مجاهد المتفرسون وقال ايضا المعتبرون وقيل غير هذا وهذا كله تفسير بالمعنى واما تفسير اللفظة فالتوسم هو الذى ينظر فى وسم المعنى فيستدل به على المعنى وكأن معصية هؤلاء ابقت من العذاب والاهلاك وسما فمن رأى الوسم استدل على المعصية به واقتاده النظر الى تجنب المعاصي ليلا ينزل به ما تزل بهم ومن الشعر فى هذه اللفظة قول الشاعر

توسمته لما رأيت مهابة \* عليه وقلت المرء من آل هاشم والضمير فى قوله وانها لبسبيل مقيم يحتمل ان يعود على المدينة المهلكة اي انها فى طريق ظاهرين للمعتبر وهذا تاويل مجاهد وغيره ويحتمل ان يعود على الآيات ويحتمل ان يعود على الحجارة ويقويه ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان حجارة العذاب معلقة بين السماء والارض منذ الفى سنة لعصاة امتى \* وقوله سبحانه وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم الايكة الغيضة والشجر الملتف المخضر قال الشاعر

الاغما الدنيا غضارة ايكة \* اذا اخضر منها جانب جف جانب وكان هؤلاء قوما يسكنون غيضة ويرتفقون بها فى معاشهم فبعث اليهم

شعيب فكفروا به فسلط الله عليهم الحر فدام عليهم سبعة ايام ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا بها فامطرت عليهم نارا وحكى الطبري قال بعث شعيب الى امتين فكفرتا فعذبنا بعدابين مختلفين اهل مدين عذبوا بالصيحة واصحاب الايكة بالظلة \* وقوله وانها لبامام مبين الضمير في انها يحتمل ان يعود على مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب الايكة ويحتمل ان يعود على لوط وشعيب عليهما السلام اي انها على طريق من الله وشرع مبين والامام في كلام العرب الشيء الذي يتهدى به ويؤتم به فقد يكون الطريق وقد يكون الكتاب وقد يكون الرجل المقتدى به ونحو هذا ومن رأى عود الضمير على المدينتين قال الامام الطريق وقيل على ذلك الكتاب الذي سبق فيه اهلاكمما واصحاب الحجر هم ثمود وقد تقدم قصصهم والحجر مدينتهم وهي ما بين المدينة وتبوك وقال المرسلين من حيث يلزم من تكذيب رسول واحد تكذيب الجميع اذ القول في المعتقدات واحد \* وقوله ينحتون من الجبال بيوتا امنين النحت النقر بالمعاول وامنين قيل معناه من انهدامها وقيل من حوادث الدنيا وقيل من الموت لاغترارهم بطول الاعمار واصح ما يظهر في ذلك انهم كانوا يامنون عواقب الآخرة فكانوا لا يعملون بحسبها \* وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي لم تخلق عبثا ولاسدى \* وان الساعة لا تية اي فلا تهتم يا محمد باعمال الكفرة فان الله لهم بالمرصاد \* وقوله عز وجل ولقد آتيناك سبعا من المثاني ذهب ابن مسعود وغيره الى ان السبع المثاني هنا هي السبع الطوال البقرة وءال عمران والنساء والمائدة والانعام والمص والانفال مع براءة وذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى ان السبع هنا آيات الفاتحة وهونص حديث ابي بن كعب وغيره (ت) وهذا هو الصحيح وقد تقدم بيان ذلك اول الكتاب \* وقوله سبحانه

لا تمدن عينيك الى ما معتنا به ازواجهم حكى الطبري عن سفيان بن عيينة انه قال هذه الآية امة بالاستغناء بكتاب الله عن جميع زينة الدنيا قال (ع) فكانه قال اتيئك عظيما خطيرا فلا تنظر الى غير ذلك من امور الدنيا وزينتها التي متعنا بها انواعا من هؤلاء الكفرة ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من اوتي القرآن فرأى ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (ت) وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال لا والله ما اخشى عليكم ايها الناس الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا الحديث وفي رواية اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال بركات الارض الحديث وفي رواية ان مما اخاف عليكم بعدى ما يفتح لكم من زهرة الدنيا وزينتها الحديث انتهى والاحاديث في هذه الباب اكثر من ان يحصيها كتاب قال الغزالي في المنهاج واذا انعم الله عليك بنعمة الدين فايك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا بضرب من التهاون بما اولاك مولاك من نعم الدارين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجهم الآية تقديره ان من اوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلتزم الشكر على ذلك فانه الكرامة التي حرص عليها الخليل لابييه والمصطفى عليه السلام لعمه فلم يفعل واما حطام الدنيا فان الله سبحانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة ويمن عليهم سبحانه بان لا يلطخهم بقدرها انتهى



وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم المعنى اعطيناك الآخرة فلا تنظر الى الدنيا وقد اعطيناك العلم فلا تتشاغل بالشهوات وقد منحناك لذة القلب فلا تنظر الى لذة البدن وقد اعطيناك القرآن فاستغن به فمن استغنى به لا يطمح بنظره الى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى حيي بالباقي وفني عن الفاني انتهى \* وقوله سبحانه وقل انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين قال (ع) والذي اقول به في هذا ان المعنى وقل انا نذير كما قال قبلك رسلنا ونزلنا عليهم كما انزلنا عليك واختلف في المقتسمين من هم فقال ابن عباس وابن جبير المقتسمون هم اهل الكتاب الذين فرقوا دينهم وجعلوا كتاب الله اعضاءا امنوا بهمض وكفروا ببعض وقال نحوه مجاهد وقالت فرقة المقتسمون هم كفار قريش جعلوا القرآن سحرا وشعرا وكهانة وجعلوه اعضاءا بهذا التقسيم وقالت فرقة عضين جمع عضة وهي اسم للسحر خاصة بلغة قريش وقاله عكرمة (ت) وقال الواحدي كما انزلنا عذابا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الايمان انتهى من مختصره \* وقوله سبحانه فوردبك لنسألنهم اجمعين الآية ضمير عام ووعد محض ياخذ كل احد منه مجسب جرمه وعصيانه فالكافر يسأل عن التوحيد والرسالة وعن كفره وقصده به والمومن العاصي يسأل عن تضييعه وكل مكلف عما كلف القيام به وفي هذا المعنى احاديث قال ابن عباس في هذه الآية يقال لهم لم عملتم كذا وكذا قال وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان معناه لا يقال له ماذا اذنت لان الله تعالى اعلم بذنبه منه وقوله سبحانه فاصدع بما تومر اصدع معناه انفذ وصرح بما بعث به \* وقوله واعرض عن المشركين من آيات المهادنة التي نسختها آية

السيف قاله ابن عباس ثم اعلمه الله تعالى بانته قد كفاه المستهزئين به من كفار مكة ببوائق اصابهم من الله تعالى قال ابن اسحاق وغيره وهم الذين قذفوا في قلب بدر كابي جهل وغيره انتهى \* وقوله سبحانه ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون آية تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم واليقين هنا الموت قاله ابن عمر وجماعة قال الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوحى الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين انتهى وباقي الآية بين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

### تفسير سورة النحل

وهي مكة غير آيات يسيرة ياتي بيانها ان شاء الله

قوله سبحانه اتي امر الله فلا تستعجلوه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال جبريل في سرد الوحي اتي امر الله وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فلما قال فلا تستعجلوه سكن وقوله امر الله قال فيه جمهور المفسرين انه يريد القيامة وفيها وعيد للكفار وقيل المراد نصر محمد صلى الله عليه وسلم فن قال ان الامر القيامة قال ان قوله تعالى فلا تستعجلوه رد على المكذبين بالبعث القائلين متى هذا الوعد واختلف المتأولون في قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح فقال مجاهد الروح النبوة وقال ابن عباس الروح الوحي وقال قتادة بالرحمة والوحي وقال الربيع بن انس كل كلام الله

روح ومنه قوله تعالى اوحينا اليك روحا من امرنا وقال الزجاج الروح ما تحي به القلوب من هداية الله عز وجل وهذا قول حسن قال الداودي عن ابن عباس قال الروح خلق من خلق الله وامر من امر الله على صور بني آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه روح كالحفيظ عليه لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله وعن مجاهد الروح خلق من خلق الله لهم ايد وارجل انتهى والله اعلم بحقيقة ذلك وهذا امر لا يقال بالرأي فان صح فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب الوقوف عنده انتهى ومن في قوله من يشاء هي للانبياء \* وقوله تعالى خالق الانسان من نطفة يريد بالانسان الجنس \* وقوله خصيم يحتمل ان يريد به الكفرة الذين يجادلون في آيات الله قاله الحسن البصري ويحتمل ان يريد اعم من هذا على ان الآية تعيد نعمة الذهن والبيان على البشر \* وقوله سبحانه والانعام خلقها لكم فيها دفء الدفء السخانة وذهاب البرد بالاكسية ونحوها وقيل الدفء تناسل الابل وقال ابن عباس هو نسل كل شيء والغنى الاول هو الصحيح والمنافع البانها وما تصرف منها وحرثها والنضج عليها وغير ذلك \* وقوله جمال اي في المنظر وتريحون معناه حين تردونها وقت الرواح الى المنازل وتسرحون معناه تخرجونها غدوة الى السرح والاثقال الامتعة وقيل الاجسام كقوله واخرجت الارض اثقالها اي اجساد بني آدم وسميت الخيل خيلا لاختيالها في مشيتها (ت) ويجب على من ملكه الله شيئا من هذا الحيوان ان يرفق به ويشكر الله تعالى على هذه النعمة التي خولها وقد روى مالك في الموطأ عن ابي عبيد مولى سليمان بن عبد الملك عن خالد بن معدان يرفعه قال ان الله رفيق يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف فاذا ركبت هذه الدواب العجم فازلوها منازلها فان كانت الارض جدبة فانجوا عليها بثقيها

وعليكم بسير الليل فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار واياكم والتعريس على الطريق فانها طرق الدواب ومأوى الحيات قال ابو عمر في التمهيد هذا الحديث يستند عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة فاما الرفق فمحمود في كل شي . وما كان الرفق في شي . الا زانه وقد روى مالك بسنده عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يحب الرفق في الامر كله وامر المسافر في الحصب بان يمشي رويدا ويكثر النزول لترعى دابته فاما الارض الجدة فالسنة للمسافر ان يسرع السير ليخرج عنها وبداته شي . من الشحم والقوة والنقي في كلام العرب الشحم والودك انتهى وروى ابو داود عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم مناير فان الله انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وجعل لكم الارض فاعلها فاقضوا حاجاتكم انتهى \* وقوله سبحانه ويخلق ما لا تعلمون عبرة منصوبة على العموم اي ان مخلوقات الله من الحيوان وغيره لا يحيط بعلمها بشربل ما يخفى عنه اكثر مما يعلمه \* وقوله سبحانه وعلى الله قصد السبيل الآية هذه ايضا من اجل نعم الله تعالى اي على الله تقويم طريق الهدى وتبيينه بنصب الادلة وبعث الرسل والى هذا ذهب المتأولون ويحتمل ان يكون المعنى ان من سلك السبيل القاصد فعلى الله ورحمته وتنعيه طريقه والى ذلك مصيره وطريق قاصد معناه بين مستقيم قريب والالف واللام في السبيل للعهد وهي سبيل الشرع \* وقوله ومنها جاز يريد طريق اليهود والنصارى وغيرهم فالضمير في منها يعود على السبل التي يتضمنها معنى الآية \* وقوله سبحانه فيه تسميون يقال اسام الرجل ماشيته اذا ارسلها ترعى \* وقوله سبحانه وما ذرا لكم ذرا معناه بث ونشر \* ومختلفا الوانه اي اصنافه ويحتمل ان يكون التنبيه على اختلاف الالوان

من حمرة وصفرة وغير ذلك والاول ابين \* وقوله سبحانه وهو الذى سخر  
البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك  
مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون البحر الماء الكثير ملحا  
كان او عذبا قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى وتستخرجوا منه  
حلية تلبسونها يعنى به اللؤلؤ والمرجان وهذا امتنان عام للرجال والنساء فلا  
يحرم عليهم شي من ذلك انتهى ومواخر جمع ماخرة والمخر فى اللغة الصوت  
الذى يكون من هبوب الريح على شي يشق او يصعب فى الجملة الماء فيترتب  
منه ان يكون المخر من الريح وان يكون من السفينة ونحوها وهو فى هذه  
الآية من السفن وقال بعض النحاة المخر فى كلام العرب الشق يقال مخر الماء  
الارض وهذا ايضا بين ان يقال فيه للفلك مواخر \* وقوله وسبلا لعلكم  
تهتدون يحتمل تهتدون فى مشيكم وتصرفكم فى السبل ويحتمل تهتدون بالنظر  
فى دلالة هذه المصنوعات على صانعها \* وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال ابن  
عباس العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية الليل وهذا قول حسن فانه  
عموم بالمعنى واللفظة عامة وذلك ان كان ما دل على شي واعلم به فهو علامة  
والنجم هنا اسم جنس وهذا هو الصواب \* وقوله سبحانه وان تعدوا نعمة  
الله لا تحصوها الآية وبحسب العجز عن عد نعم الله تعالى يلزم ان يكون الشاكر  
لها مقصرا عن بعضها فلذلك قال عز وجل لغفور رحيم اي عن تقصيركم فى  
الشكر عن جميعها نحا هذا المنحى الطبري ويرد عليه ان نعمة الله فى قول  
العبد الحمد لله رب العالمين مع شرطها من النية والطاعة يوازي جميع النعم  
ولكن اين قولها بشروطها والمخاطبة بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها  
عامة لجميع الناس \* والذين تدعون من دون الله اي تدعونهم الهة \* واموات  
يراد به الذين يدعون من دون الله ورفع اموات على انه خبر مبتدا مضمر تقديره

هم اموات \* وقوله غير احياء اي لم يقبلوا حياة قط ولا اتصفوا بها \* وقوله سبحانه وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يشعر الكفار متى يبعثون الى التعذيب \* وقوله سبحانه الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة اي منكرة اتحاد الاله (ت) وهذا كما حكى عنهم سبحانه في قولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا شيء عجاب \* وقوله لا جرم عبرت فرقة من اللغويين عن معناها بلا بد ولا محالة وقالت فرقة معناها حق ان الله ومذهب سيبويه ان لا نفي لما تقدم من الكلام وجرم معناه وجب او حق ونحو هذا مذهب الزجاج ولكن مع مذهبه لا ملازمة لجرم لا تنفك هذه من هذه \* وقوله سبحانه انه لا يجب المستكبرين عام في الكافرين والمؤمنين ياخذ كل احد منهم بقسطه قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن ابي جرة رحمه الله موت النفوس حياتها من احب ان يحيي يموت ببذل اهل التوفيق نفوسهم وهوانها عليهم نالوا ما نالوا ومحب اهل الدنيا نفوسهم هانوا وطراً عليهم الهوان هنا وهناك وقد ورد في الحديث انه ما من عبد الا وفي رأسه حكمة بيد ملك فان تماظم وارتفع ضرب الملك في رأسه وقال له اتضع وضعك الله وان تواضع رفعه الملك وقال له ارتفع رفعك الله من الله علينا بما به يقربنا اليه بمنته انتهى \* وقوله سبحانه واذا قيل لهم يعني كفار قريش ماذا انزل ربكم الآية يقال ان سببها النضر بن الحارث واللام في قوله ليحملوا يحتمل ان تكون لام العاقبة ويحتمل ان تكون لام كي ويحتمل ان تكون لام الامر على معنى الحتم عليهم والصغار الموجب لهم \* وقوله سبحانه ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من التبغيض وذلك ان هذا الرأس المضل يحمل وزر نفسه ووزرا من وزر كل من ضل بسببه ولا ينقص من اوزار اولئك شيء والاوزار هي الاثقال \* وقوله سبحانه قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم

الآية قال ابن عباس وغيره من المفسرين الاشارة بالذين من قبلهم الى نمرود الذى بنى صرحا ليصعد فيه الى السماء بزعمه فلما افترط فى علوه وطوله فى السماء فرسخين على ما حكى النقاش بعث الله عليه ريحا فهدمته وخر سقفه عليه وعلى اتباعه وقيل ان جبريل هدمه بجناحه والقى اعلاه فى البحر وانجمف من اسفله وقالت فرقة المراد بالذين من قبلهم جميع من كفر من الامم المتقدمة ومكر ونزلت به عقوبة وقوله على هذا فاقى الله بنيانهم من القواعد الى آخر الآية تمثيل وتشبيه اي حالهم كحال من فعل به هذا \* وقوله يجزيهم لفظ يعم جميع المكاره التى تنزل بهم وذلك كله راجع الى ادخالهم النار ودخولهم فيها \* وتشاقون معناه تحاربون اي تكونون فى شق والحق فى شق \* والذين اوتوا العلم هم الملائكة فيما قال بعض المفسرين وقال يحيى بن سلام هو المومنون قال (ع) والصواب ان يعم جميع من آناه الله علم ذلك من ملائكة وانبياء وغيرهم وقد تقدم تفسير الحزبي وانه الفضيحة المخجلة وفى الحديث ان العار والتخزية لتبلغ من العبد فى المقام بين يدي الله تعالى ما ان يتمنى ان ينطلق به الى النار وينجو من ذلك المقام اخرج به البغوي فى المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدرري \* وقوله سبحانه الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الذين نعت للكافرين فى قول اكثر المتأولين والملائكة يريد القابضين لارواحهم \* والسلم هنا الاستسلام واللام فى قوله فليس لام تأكيد والمشوى موضع الاقامة \* وقوله سبحانه وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم الآية لما وصف سبحانه مقالة الكفار الذين قالوا اساطير الاولين عادل ذلك بذكر مقالة المومنين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واوجب لكل فريق ما يستحق وقولهم خيرا جواب بحسب السؤال واختلف فى قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية هل هو ابتداء كلام او هو تفسير للخير الذى انزل

الله في الوحي على نبينا خبرا ان من احسن في الدنيا بالطاعة فله حسنة في الدنيا ونعيم في الآخرة وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة \* وقوله سبحانه جنات عدن يدخلونها الآية تقدم تفسير نظيرها \* وطيبين عبارة عن صالح حالهم واستعدادهم للموت والطيب الذي لاختبث معه وقول الملائكة سلام عليكم بشارة من الله تعالى وفي هذا المعنى احاديث صحاح يطول ذكرها وروى ابن المبارك في رقايقه عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استنقعت نفس العبد المومن جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرني عليك السلام ثم نزع بهذه الآية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم انتهى وقوله سبحانه بما كنتم تعملون علق سبحانه دخولهم الجنة باعمالهم من حيث جعل الاعمال امارا لادخال العبد الجنة ولا معارضة بين الآية وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فان الآية ترد بالتاويل الى معنى الحديث قال (ع) ومن الرحمة والتغمد ان يوفق الله العبد الى اعمال برة ومقصد الحديث في وجوب ذلك على الله تعالى بالعقل كما ذهب اليه فريق من المعتزلة \* وقوله سبحانه هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم ينظرون معناه ينتظرون ونظرمي كانت من رؤية العين فانما تعديها العرب بالي ومتى لم تتعد بالي فهي بمعنى انتظر ومنها انظرونا نقتبس من نوركم ومعنى الكلام ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم ظالمى انفسهم \* وقوله او ياتي امر ربك وعيد يتضمن قيام الساعة او عذاب الدنيا ثم ذكر تعالى ان هذا كان فعل الامم قبلهم فعوقبوا \* وقوله سبحانه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء ذلك في الدنيا والآخرة \*



وحاق معناه نزل واحاط \* وقوله سبحانه وقال الذين اشركووا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية تقدم تفسير نظيرها في الانعام وقولهم ولا حرمنا يريد من البحيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك \* وقوله سبحانه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله الآية الى قوله فان الله لا يهدي من يضل وقرأ حمزة والكسائي وعاصم لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال وذلك على معنيين اي ان الله لا يهدي من قضى باضلاله والمعنى الثاني ان العرب تقول هدى الرجل بمعنى اهتدى \* وقوله سبحانه واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الضمير في اقسموا لكفار قريش ثم رد الله تعالى عليهم بقوله بلى فاجب بذلك البعث واكثر الناس في هذه الآية الكفار المكذبون بالبعث \* وقوله سبحانه ليبين التقدير بلى يبعثه ليبين لهم الذي يختلفون فيه \* وقوله سبحانه انما قولنا لشيء اذا اردناه الآية المقصد بهذه الآية اعلام منكروى البعث بهوان امره على الله تعالى وقربه في قدرته لا رب غيره \* وقوله سبحانه والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هؤلاء هم الذين هاجروا الى ارض الحبشة هذا قول الجمهور وهو الصحيح في سبب نزول الآية لان هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية والآية تتناول كل من هاجر اولاً واخراً وقرأ جماعة خارج السبع لنسبهم واختلف في معنى الحسنة هنا فقالت فرقة الحسنة عدة ببقعة شريفة وهي المدينة وذهبت فرقة الى ان الحسنة عامة في كل امر مستحسن يناله ابن آدم وفي هذا القول يدخل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يعطي المال وقت القسمة الرجل من المهاجرين ويقول له خذ ما وعدك الله في الدنيا ولأجر الآخرة اكبر ثم تلو هذه الآية ويدخل في هذا القول النصر على العدو وفتح البلاد وكل امل بلغه المهاجرون والضمير في يعلمون عائد على كفار

قريش \* وقوله الذين صبروا من صفة المهاجرين \* وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم هذه الآية رد على كفار قريش الذين استبعدوا ان يبعث الله بشرا رسولا ثم قال تعالى فسنلوا اي قل لهم فسألوا واهل الذكر هنا احبار اليهود والنصارى قاله ابن عباس وغيره وهو اظهر الاقوال وهم في هذه النازلة خاصة انما يخبرون بان الرسل من البشر واخبارهم حجة على هؤلاء وقد ارسلت قريش الى يهود يثرب يسألونهم ويسندون اليهم \* وقوله بالبينات متعلق بفعل مضمر تقديره ارسلناهم بالبينات وقالت فرقة الباء متعلقة بارسلنا في اول الآية والتقدير على هذا وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزرير الا رجالا في الآية تقديم وتأخير والزرير المكتب المزبورة \* وقوله سبحانه لتبين للناس ما نزل اليهم الآية (ت) وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك فبين عن الله ووضح وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فاعرب عن دين الله وافصح ولنذكر الآن طرفا من حكمه وفصيح كلامه بحذف اسانيده قال عياض في شفاة واما كلامه صلى الله عليه وسلم المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فنما ما لا يوازي فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صجة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالحيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت عن شر فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم يوتك الله اجرک مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه \* ويدخل بما لا يعنيه \* وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونبيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع

وهات وعقوق الامهات وواد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة  
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احب  
حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوماما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة  
وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع  
بها امري وتلم بها شعئي وتصحح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتركي بها عملي  
وتلهمني بهار شدي وترد بها ألقتي وتعضمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك  
الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك  
من بيانه وحسن كلامه مما روته الكافة عن الكافة مما لا يقاس به غيره وحاز  
فيه سبقا لا يقدر قدره كقوله السعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن  
امه في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمونها ويذهب به الفكر في اداني  
حكمها وقال صلى الله عليه وسلم بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع  
الله له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها  
الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري انتهى وبالجملة  
فليس بعد بيان الله ورسوله بيان لمن عمر الله قلبه بالايمان \* وقوله سبحانه  
افأمن الذين مكروا السيئات الآية تهديد لكفار مكة ونصب السيئات بمكروا  
وعدى مكروا لانه في معنى عملوا قال البخاري قال ابن عباس في ثقلهم اي في  
اختلافهم انتهى وقال المهدوي قال قتادة في ثقلهم في اسفارهم الضحاك في  
ثقلهم بالليل انتهى \* وقوله على تخوف اي على جهة التخوف والتخوف  
التنقص وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفي عليه معنى التخوف في  
هذه الآية واراد الكتب الى الامصار يسأل عن ذلك فيروى انه جاءه فتى  
من العرب فقال يا امير المؤمنين ان ابى يتخوفنى مالى فقال عمر الله اكبر  
او ياخذهم على تخوف ومنه قول النابغة

تخوفهم حتى اذل سراتهم \* بطعن ضرار بعد فتح الصفائح  
وهذا التنقص يتجه به الوعيد على معنيين احدهما ان يهلكهم ويخرج ارواحهم  
على تخوف اي افذاذا يتنقصهم بذلك الشيء بعد الشيء ويصيرهم الى ما  
اعد لهم من العذاب وفي هذه الرتبة الثالثة من الوعيد رافة ورحمة وامهال  
ليتوب التائب ويرجع الراجع والثاني ما قاله الضحاك ان ياخذ بالعذاب طائفة  
او قرية ويترك اخرى ثم كذلك حتى يهلك الكل وقالت فرقة التخوف  
هنا من الخوف اي فياخذهم بعد تخوف ينالهم يعذبهم به \* وقوله سبحانه  
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء الآية قوله من شيء لفظ عام في كل  
شخص وجرم له ظل كالجبال والشجر وغير ذلك وفاء الظل رجع ولا يقال النبي  
الامن بعد الزوال في مشهور كلام العرب لكن هذه الآية الاعتبار فيها  
من اول النهار الى اخره فكأن الآية جارية في بعض على تجوز كلام العرب  
واقتضائه والرؤية هنا رؤية القلب ولكن الاعتبار برؤية القلب هنا انما  
تكون في مرئيات بالعين وعن اليمين والشمال هنا فيه تجوز واتساع وذكر  
الطبري عن الضحاك قال اذا زالت الشمس سجد كل شيء قبل القبلة من  
نبت او شجر ولذلك كان الصالحون يستحبون الصلاة في ذلك الوقت قال  
الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع قبل الظهر بعد الزوال تحسب  
بمثلن في صلاة السحر قال وليس شيء الا يسبح لله تلك الساعة وقرأ يتفيا  
ظلاله الآية كلها انتهى والداخر المتأخر المتواضع \* وقوله سبحانه يخافون ربهم  
عام لجميع الحيوان ومن فوقهم يريد فوقية القدر والعظمة والقهر \* وقوله  
سبحانه وله ما في السموات والارض السموات هنا كل ما ارتفع من الخلق  
من جهة فوق فيدخل في ذلك العرش والكرسي وغيرها والدين الطاعة  
والمملك والواصب الدائم قاله ابن عباس ثم ذكر سبحانه بنعمه ثم ذكر

باوقات المرض والتجاء العباد اليه سبحانه والضروان كان يعم كل مكروه  
 فاكثر ما يحىء عن ارزاء البدن وتجشرون معناه ترفعون اصواتكم باستغاثة  
 وتضرع \* ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بريهم يشركون الفريق  
 هنا يراد به المشركون الذين يرون ان للاصنام افعالا من شفاء المرضى  
 وجاب النفع ودفع الضر فهم اذا شفاهم الله عظموا اصنامهم و اضافوا ذلك  
 الشفاء اليها \* وقوله سبحانه ليكفروا يجوز ان تكون اللام لام الصيرورة  
 ويجوز ان تكون لام امر على معنى التهديد \* وقوله بما اتيناهم اي بما  
 انعمنا عليهم \* وقوله سبحانه ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم اي لما  
 لا يعلمون له حجة ولا برهانا ويحتمل ان يريد بنى العلم الاصنام اي لجمادات لا  
 تعلم شيئا نصيبا والنصيب المشار اليه هو ما كانت العرب سنته من الذبح لاصنامها  
 والقسم من الغلات وغيره \* وقوله سبحانه ويجعلون لله البنات سبحانه الآية  
 تعديد لقبائح الكفرة في قولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن قولهم والمراد  
 بقوله ولهم ما يشتهون الذكران من الاولاد \* وقوله ظل وجهه مسودا  
 عبارة عما يعلو وجه المغموم قال (ص) ظل تكون بمعنى صار وبمعنى اقام نهارا  
 على الصفة المسندة الى اسمها وتحتمل هنا الوجهين انتهى وكظيم بمعنى كاظم  
 والمعنى انه يخفى وجده وهمه بالانثى ومعنى يتوارى يتغيب من القوم وقبرا  
 الجحدري ايمسكها ام يدسها وقرأ الجمهور على هون وقرأ عاصم الجحدري  
 على هوان ومعنى الآية يدبر ايمسك هذه الانثى على هوان يتحملة وهم يتجلد  
 له ام يثدها فيدفنها حية وهو الدس في التراب \* وقوله سبحانه للذين لا  
 يؤمنون بالآخرة مثل السوء قالت فرقة مثل في هذه الآية بمعنى صفة اي  
 لهؤلاء صفة السوء \* والله المثل الاعلى قال (ع) وهذا لا يضطر اليه لانه  
 خروج عن اللفظ بل قوله مثل على بابه فلهم على الاطلاق مثل السوء في كل سوء

ولا غاية اخزي من عذاب النار والله سبحانه المثل الاعلى على الاطلاق ايضا اي الكمال المستغنى \* وقوله سبحانه ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة الضمير في عليها عائد على الارض وتمكن ذلك مع انه لم يجر لها ذكر لشهرتها وتمكن الاشارة اليها وسمع ابو هريرة رجلا يقول ان الظالم لا يهلك الانفسه فقال ابو هريرة بلى ان الله يهلك الحبارى في وكرها هزلا بذنوب الظلمة والاجل المسمى في هذه الآية هو بحسب شخص شخص \* وقوله ما يكرهون يريد البنات \* وقوله سبحانه وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد وقتادة الحسنى الذكور من الاولاد وقالت فرقة يريد الجنة قال (ع) ويؤيده قوله لاجرم ان لهم النار وقرأ السبعة سوى نافع مفرطون بفتح الراء وخفتها اي مقدمون الى النار وقرأ نافع مفرطون بكسر الراء المخففة اي متجاوزون الحد في معاصي الله \* وقوله سبحانه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك الآية هذه اية ضرب مثل لهم بمن سلف في ضمنها وعيد لهم وتأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم \* وقوله فهو وليهم اليوم يحتمل ان يريد باليوم يوم الاخبار ويحتمل ان يريد يوم القيامة اي وليهم في اليوم المشهور \* وقوله سبحانه الاتبين لهم الذى اختلفوا فيه لتبين في موضع المفعول من اجله اي الالجل البيان والذى اختلفوا فيه لفظ عام لانواع كفر الكفرة لكن الاشارة هنا الى تشريكهم الاصنام في الالهية ثم اخذ سبحانه ينص العبر المؤدية الى بيان وحدانيته وعظيم قدرته فبدأ بنعمة المطر التي هي ابين العبر وهي ملاك الحياة وهي في غاية الظهور لا يخالف فيها عاقل \* وقوله مما في بطونه الضمير عائد على الجنس وعلى المذكور وهذا كثير \* وقوله سبحانه سائغا للشاربين السائغ السهل في الشرب اللذيذ (ت) وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك

لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا قليل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي واللفظ له هذا حديث حسن انتهى من السلاح \* وقوله سبحانه ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا الآية السكر ما يسكر هذا هو المشهور في اللغة قال ابن عباس نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر وأراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يشرب ويوكل حالا من هاتين الشجرتين فالحسن هنا الحلال وقال بهذا القول ابن جبير وجماعة وصحح ابن العربي هذا القول ولفظه والصحيح ان ذلك كان قبل تحريم الخمر فان هذه الآية مكية باتفاق العلماء وتحريم الخمر مدني انتهى من احكام القرآن وقال مجاهد وغيره السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والنبيذ والرزق الحسن العنب والتمر قال الطبري والسكر ايضا في كلام العرب ما يطعم ورجح الطبري هذا القول ولا مدخل للخمر فيه ولا نسخ في الآية \* وقوله تعالى واوحى ربك الى النحل الآية الوحي في كلام العرب القاء المعنى من الموحى الى الموحى اليه في خفاء فمنه الوحي الى الانبياء برسالة الملك ومنه وحي الرؤيا ومنه وحي الالهام وهو الذي في آياتنا باتفاق من المتأولين والوحي ايضا بمعنى الامر كما قال تعالى بان ربك اوحى لها وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما في الجبال وكواها واما في متجوف الاشجار واما فيما يعرش ابن آدم من الاجباح والحيطان ونحوها وعرش معناه هيا والسبل الطرق وهي مسالكها في الطيران وغيره وذلك لا يحتمل ان يكون حالا من النحل اي مطيعة منقادته قاله قتادة قال ابن زيد فهم يخرجون بالنحل ينتجعون وهي تتبعهم وقرأوا لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما الآية ويجتمل ان يكون حالا من السبل اي

مسئلة مستقيمة قاله مجاهد لا يتوعد عليها سبيل تسلكه ثم ذكر تعالى على جهة  
تعدد النعمة والتنبية على العبرة امر العسل في قوله يخرج من بطونها شراب  
وجهور الناس على ان العسل يخرج من افواه النحل واختلاف الالوان في العسل  
بحسب اختلاف النحل والمراعى اى والفصول (ت) قال الهروي قوله تعالى يخرج  
من بطونها شراب مختلف الوانه وذلك انه يستحيل فى بطونها ثم تجبه من افواها  
انتهى \* وقوله فيه شفاء للناس الضمير للعسل قاله الجمهور قال ابن العربي فى  
احكامه وقد روى الائمة واللفظ للبخاري عن عائشة قالت كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وروى ابو سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه عسلا ثم اتاه الثانية  
فقال اسقه عسلا ثم اتاه فقال فعلت فما زاده ذلك الا استطلاقا فقال عليه  
السلام صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ وروى ان عوف  
ابن مالك الاشجعي مرض فقيل له الانعالمك فقال ائتوني بماء سماء فان الله  
تعالى يقول ونزلنا من السماء ماء مباركا وائتوني بعسل فان الله تعالى يقول فيه  
شفاء للناس وائتوني بزيت فان الله تعالى يقول من شجرة مباركة فجاءوه بذلك  
ككله فخلطه جميعا ثم شربه فبرأ انتهى \* وقوله سبحانه ومنكم من يرد  
الى ارذل العمر وارذل العمر الذى تفسد فيه الحواس ويختل العقل وخص  
ذلك بالرديلة وان كانت حالة الطفولة كذلك من حيث كانت هذه لارجاء  
معهما وقال بعض الناس اول ارذل العمر خمس وسبعون سنة روى ذلك عن  
علي رضي الله عنه قال (ع) وهذا فى الاغلب وهذا لا ينحصر الى مدة معينة  
وانما هو بحسب انسان انسان ورب من يكون ابن خمسين سنة وهو فى  
ارذل عمره ورب ابن تسعين ليس فى ارذل عمره واللام فى لى يشبه ان تكون  
لام الصيرورة والمعنى ليصير امره بعد العلم بالاشياء الى ان لا يعلم شيئا وهذه



عبارة عن قلة علمه لانه لا يعلم شيئاً البتة \* وقوله سبحانه والله فضل  
بعضكم على بعض في الرزق اخبار يراد به العبرة وانما هي قاعدة بني المثل  
عليها والمثل هو ان الفضلين لا يصح منهم ان يساهموا ممالكهم فيما اعطوا  
حتى تستوي احوالهم فاذا كان هذا في البشر فكيف تنسبون ايها الكفرة  
الى الله انه يسمح بان يشرك في الالهية الاوثان والاصنام وغيرها مما عبد  
من دونه وهم خلقه وملكه هذا تاويل الطبري وحكاة عن ابن عباس  
قال المفسرون هذه الآية كقوله تعالى ضرب لكم مثلاً من انفسكم هل  
لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء في ما رزقناكم فانتهم فيه سواء الآية ثم وقفهم  
سبحانه على جحدهم بنعمته في تنبيهه لهم على مثل هذا من مواضع النظر  
المؤدية الى الايمان \* وقوله سبحانه والله جعل لكم من انفسكم ازواجا  
هذه ايضا اية تعديد نعم والازواج هنا الزوجات وقوله من انفسكم يحتمل  
ان يريد خلقه حواء من نفس ادم وهذا قول قتادة والظاهر عندي ان يريد  
بقوله من انفسكم اي من نوعكم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم والخفدة  
قال ابن عباس هم اولاد البنين وقال الحسن هم بنوك وبنو بنيك وقال مجاهد  
الخفدة الانصار والاعوان وقيل غير هذا ولا خلاف ان معنى الخفدة الخدمة  
والبر والمشي مسرعا في الطاعة ومنه في القنوت واليك نسعى ونخضع والخفدان  
ايضا خب فوق المشي \* وقوله سبحانه فلا تضربوا الله الامثال الآية اي  
لا تمثلوا الله الامثال وهو ماخوذ من قولك هذا ضريب هذا اي مثله والضرب  
النوع \* وقوله تعالى ضرب الله مثلاً عبداً مملوكا الآية الذي هو مثال في هذه  
الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا امر نفسه  
وانما هو مسخر بارادة سيده مدير وبازاء العبد في المثال رجل موسع عليه  
في المال فهو يتصرف فيه بارادته واختلف الناس في الذي له المثل فقال

ابن عباس وقتادة هو مثل الكافر والمومن وقال مجاهد والضحاك هذا  
المثال والمثال الآخر الذى بعده انما هو مثال الله تعالى والاصنام فتلك كالعبد  
المملوك الذى لا يقدر على شيء . والله تعالى تتصرف قدرته دون معقب وكذلك  
فسر الزجاج على نحو قول مجاهد وهذا التاويل اصوب لان الآية تكون  
من معنى ما قبلها ومدارها فى تبين امر الله والرد على امر الاصنام \*  
وقوله الحمد لله اى على ظهور الحجة \* وقوله سبحانه وضرب الله مثلا  
رجلين احدهما ابكم الآية هذا مثل الله عز وجل والاصنام فهي كالابكم  
الذى لا نطق له ولا يقدر على شيء \* والكل الثقيل المثونة كما الاصنام  
تحتاج الى ان تثقل وتخدم ويتمذب بها ثم لا يأتى من جهتها خير ابدا والذى يامر  
بالعدل هو الله تعالى \* وقوله تعالى وما امر الساعة الآية المعنى على ما قاله  
قتادة وغيره ما تكون الساعة واقامتها فى قدرة الله تعالى الا ان يقول لها كن  
فلو اتفق ان يقف على ذلك محصل من البشر لكانت من السرعة بحيث يشك  
هل هي كلمح البصر او هي اقرب ولمح البصر هو وقوعه على المرءى \* وقوله  
سبحانه الم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء الآية الجو مسافة ما بين  
السماء والارض وقيل هو ما يلي الارض منها والآية عبرة بينة المعنى تفسيرها  
تكلف مَحْت \* ويوم ظعنكم معناه رحيلكم والاصواف للضأن والاوبار للابل  
والاشعار للمعز ولم تكن بلادهم بلاد قطن وكتان فلذلك اقتصر على هذه  
ويحتمل ان ترك ذكر القطن والكتان والحري اعراض عن السرف اذ ملبس  
عباد الله الصالحين انما هو الصوف قال ابن العربي فى احكامه عند قوله تعالى لكم  
فيها دفء فى هذه الآية دليل على لباس الصوف فهو اول ذلك واولاده لانه  
شعار المتقين ولباس الصالحين وشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين  
واليه نسب جماعة من الناس الصوفية لانه لباسهم فى الغالب انتهى

والاثاث متاع البيت واحدها اثاثه هذا قول ابي زيد الانصاري وقال غيره  
الاثاث جميع انواع المال ولا واحد له من لفظه قال (ع) والاشتقاق يقوى هذا  
المعنى الاعم لان حال الانسان تكون بالمال اثثة كما تقول شعرائث  
ونبات اثث اذا كثر والتف والسرابيل جميع ما يلبس على جميع البدن  
وذكر وقاية الحراذ هو امس بتلك البلاد والبرد فيها معدوم في الاكثر  
وايضا فذكر احدهما يدل على الآخر وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما  
اوارى به عورتى واتجمل به في حياتى ثم عمد الى الثوب الذى خلق فتصدق  
به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حيا وميتا رواه الترمذي  
واللفظ له وابن ماجه والحاكم في المستدرک وعن عائشة قالت قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما اشترى عبد ثوبا بدينار او نصف دينار فحمد الله عليه  
الام يبلغ ركبته حتى يغفر الله له رواه الحاكم في المستدرک وقال هذا الحديث  
لاعلم في اسناده احدا ذكر يخرج انتهى من السلاح والسرابيل التى تقى البأس  
هي الدروع ونحوها ومنه قول كعب بن زهير فى المهاجرين

شم العرانيين ابطال كبوسهم \* من نسج داود فى الهيجا سراويل  
والبأس مس الحديد فى الحرب وقرأ الجمهور تسلمون وقرأ ابن عباس تسلمون  
من السلامة فتكون اللفظة مخصوصة فى بأس الحرب \* وقوله سبحانه  
ويوم نمث من كل امة شهيدا اي شاهدا على كفرهم وايمانهم ثم لا يؤذن اي  
لا يؤذن لهم فى المذرة وهذا فى موطن دون موطن ويستعقبون بمعنى يعقبون  
تقول اعتبت الرجل اذا كفيته ما عتب فيه كما تقول اشكيتك اذا كفيته ما  
شكا وقال قوم معناه لا يسألون ان يرجعوا عما كانوا عليه فى الدنيا وقال  
الطبري معنى يستعقبون يعطون الرجوع الى الدنيا فتقع منهم توبة وعمل (ت)

وهذا هو الراجح وهو الذى تدل عليه الاحاديث وظواهر الآيات فى غير ما موضع \* وقوله سبحانه واذا رأى الذين اشرکوا شركاءهم اى اذا رأوهم بابصارهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الآية كانهم ارادوا بهذه المقالة تذيب المعبودين \* وقوله سبحانه فالتقوا اليهم القول الآية الضمير فى التقوا للمعبودين انطقهم الله بتكذيب المشركين وقد قال سبحانه فى الآية اخرى فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون الآية انظر تفسيرها فى سورة يونس وغيرها \* وقوله والتقوا الى الله يومئذ السلم الضمير فى التقوا هنا عائد على المشركين والسلم الاستسلام \* وقوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب الآية روي فى ذلك عن ابن مسعود ان الله سبحانه يسلط عليهم عتارب وحيات لها انياب كالنخل الطوال وقال عبيد بن عمير حيات لها انياب كالنخل ونحو هذا وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصى ان لجهنم سواحل فيها هذه الحيات وهذه العقارب فيفر الكافرون الى السواحل فتلقاهم هذه الحيات والعقارب فيفرون منها الى النار فتسبهم حتى تجد حر النار فتراجع قال وهي فى اسراب \* وقوله سبحانه ويوم نبعث فى كل امة شهيدا يعنى رسولها ويجوز ان يبعث الله شهودا من الصالحين مع الرسل وقد قال بعض الصحابة اذا رأيت احدا على معصية فانه فان اطاعك والا كنت شاهدا عليه يوم القيامة \* وقوله سبحانه وجئنا بك شهيدا على هؤلاء الاشارة بهؤلاء الى هذه الامة \* وقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية قال ابن مسعود رضى الله عنه اجمع اية فى كتاب الله هذه الآية وروي عن عثمان بن مظعون رضى الله عنه انه قال لما نزلت هذه الآية قرأتها على ابى طالب فوجب وقال يا ابا غالب اتبعوه تفلحوا فوالله ان الله ارسله ليامر بمكارم الاخلاق قال (ع) والعدل فعل كل مفروض والاحسان فعل كل مندوب اليه \* وايتاى ذى القربى لفظ

يقتضى صلة الرحم ويمم جميع اسداء الخير الى القرابة \* والفحشاء الزنا قاله ابن عباس ويتناول اللفظ سائر المعاصي التي شنعها ظاهرة \* والمنكر اعم منه لانه يعم جميع المعاصي والردائل والاذايات على اختلاف انواعها \* والبني هو انشاء ظلم الانسان والسعاية فيه وكفلا معناه متكفلا بوفائكم وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه ولا تكفروا كالتى نقضت غزلها الآية شبهت هذه الآية الذى يحلف او يعاهد ويبرم عقده بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تنقض قوى ذلك الغزل فتحله بعد ابرامه \* وانكاثا نصب على الحال والتكث النقص والعرب تقول انتكث الحبل اذا انتقضت قواه والدخل الدغل بعينه وهو الذرائع الى الخدع والغدر وذلك ان المحلوف له مطمئن فيتمكن الحالف من ضرره بما يريد \* وقوله سبحانه ان تكون امة هي اربي من امة المني لاتنقضوا الايمان من اجل ان تكون قبيلة ازيد من قبيلة فى العدد والعزة والقوة ويبلوكم اي يختبركم والضمير فى به يحتمل ان يعود على الربا اي ان الله ابتلى عبادہ بالربا وطلب بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد بنفسه ممن يتبع هواها وباقي الآية وعيد بيوم القيامة \* وقوله سبحانه ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الآية الدخول كما تقدم الغوائل والخذائع وكرر مبالغة قال الثعلبي قال ابو عبيدة كل امر لم يكن صحيحا فهو دخل انتهى \* وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها استعارة للمستقيم الحال يقع فى شر عظيم \* وقوله سبحانه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا الآية هذه اية نهى عن الرشا واخذ الاموال ثم اخبر تعالى ان ما عنده من نعيم الجنة ومواهب الآخرة خير لمن اتقى وعلم واهتدى ثم بين سبحانه الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بان هذه تنفذ وتنقض عن الانسان او ينقض عنها ومن الآخرة باقية دائمة وصبروا معناه عن الشهوات وعلى مكاره الطاعات

وهذه اشارة الى الصبر عن شهوة كسب المال بالوجوه المكروهة واختلف الناس في معنى الحياة الطيبة فقال ابن عباس هو الرزق الحلال وقال الحسن وعلي بن ابي طالب هي القناعة قال (ع) والذي اقول به ان طيب الحياة اللازم للصالحين انما هو بنشاط نفوسهم ونبلها وقوة رجائهم والرجاء للنفس امر ملذ فهذا تطيب حياتهم وانهم احتقروا الدنيا فزالت همومها عنهم فان انضاف الى هذا مال حلال وصحة او قناعة فذلك كمال والا فالطيب فيما ذكرناه راتب \*

وقوله سبحانه ولنجزينهم الآية وعد بنعيم الجنة قال ابو حيان وروي عن نافع ولنجزيهم بالياء التفاتا من ضمير المتكلم الي ضمير النسيبة وينبى ان يكون على تقدير قسم ثان لا معطوفا على فلنجزيه فيكون من عطف جملة قسمية على جملة قسمية وكتاها محذوفة وليس من عطف جواب لتغاير الاسناد انتهى \*

وقوله سبحانه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الآية التقدير فاذا اخذت في قراءة القرآن والاستعاذة ندب وعن عطاء ان التعوذ واجب ولفظ الاستعاذة هو على رتبة هذه الآية والرجيم المرجوم باللعنة وهو ابليس ثم اخبر تعالى ان ابليس ليس له ملكة ولا رياسة هذا ظاهر السلطان عندى في هذه الآية وذلك ان السلطان ان جعلناه الحجة فليس لابليس حجة في الدنيا على احد لا على مومن ولا على كافر الا ان يتأول متأول ليس له سلطان يوم القيامة فيستقيم ان يكون بمعنى الحجة لان ابليس له حجة على الكافرين انه دعاهم بغير دليل فاستجابوا له من قبل انفسهم ويتولونه معناه يحملونه وليا والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم الله عز وجل والظاهر انه يعود على اسم العدو الشيطان بمعنى من اجله وبسببه فكانه قال والذين هم بسببه مشركون بالله وهذا الاخبار بان لاسلطان للشيطان على المومنين بمقب الامر بالاستعاذة يقتضى ان الاستعاذة تصرف كيد كانه متضمنة للتوكل على الله والانقطاع اليه \*

وقوله سبحانه واذا بدلنا آية مكان آية ينعى بهذا التبديل النسخ \* قالوا  
 انما انت مفتر اي قال كفار مكة وروح القدس هو جبريل بلا خلاف \*  
 وقوله سبحانه ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر قال ابن عباس كان بمكة  
 غلام اعجمي لبعض قریش يقال له بلعام فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل  
 الاسلام ويرومه عليه فقال بعض الكفار هذا يعلم محمدا وقيل اسم الغلام جبر  
 وقيل يسار وقيل عيش والاعجمي هو الذي لا يتكلم بالعربية واما المعجمي فقد  
 يتكلم بالعربية ونسبته قائمة \* وقوله وهذا اشارة الى القران والتقدير  
 وهذا سرد لسان او نطق لسان \* وقوله سبحانه انما يفترى الكذب  
 بمعنى انما يكذب وهذه مقاومة للذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انما  
 انت مفتر ومن في قوله من كفر بدل من قوله الكاذبون فروي ان قوله  
 سبحانه واولائك هم الكاذبون يراد به مقيس بن ضبابة واشباهه ممن  
 كانوا امن ثم ارتد باختياره من غير اكراه \* وقوله سبحانه الامن  
 اكراه اي كبلال وعمار بن ياسر واهل وخباب وصهيب واشباههم ممن كان  
 يوذى في الله سبحانه فربما سامح بعضهم بما اراد الكفار من القول  
 لما اصابه من تعذيب الكفرة فيروى ان عمار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه  
 الله في هذه الآية وبقية الرخصة عامة في الامر بعده ويروى ان عمار  
 ابن ياسر شك الى النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما سامح  
 به من القول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال اجده  
 مطمئنا بالايمان قال فاجبهم بلسانك فانه لا يضرك وان عادوا فعد \* وقوله  
 سبحانه ولكن من شر بال كفر صدرا معناه انبسط الى الكفر باختياره  
 (ت) وقد ذكر (ع) هنا نبذا من مسائل الاكراه تركت ذلك خشية  
 التطويل واذحل بسطها كتب الفقه \* وقوله سبحانه ذلك بانهم استحجوا

الحياة الدنيا على الآخرة الآية ذلك اشارة الى الغضب والعذاب الذى توعده به قبل هذه الآية والضمير فى انهم لمن شرح بالكفر صدرا \* وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية قال ابن اسحاق نزلت هذه الآية فى عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد قال (ع) وذكر عماز فى هذا عندى غير قويم فانه ارفع من طبقة هؤلاء وانما هؤلاء من تاب ممن شرح بالكفر صدرا فتح الله له باب التوبة فى اخر الآية وقال عكرمة والحسن نزلت هذه الآية فى شان عبد الله بن ابي سرح واشباهه فكانه يقول من بعد ما فتنهم الشيطان وهذه الآية مدنية بلا خلاف وان وجد فهو ضعيف وقرأ الجمهور من بعد ما فتنوا مبني للمفعول وقرأ ابن عامر وحده من بعد ما فتنوا بفتح الفاء والتاء اي فتنوا انفسهم والضمير فى بعدها عائد على الفتنة او على الفعلة او الهجرة او التوبة والكلام يعطينا وان لم يحرك لها ذكر صريح \* وقوله يوم تاتي كل نفس المعنى لغفور رحيم يوم ونفس الاولى هي النفس المعروفة والثانية هي بمعنى الذات (ت) قال المهدوي يجوز ان ينتصب يوم على تقدير لغفور رحيم يوم فلا يوقف على رحيم وقال (ص) يوم تاتي ظرف منصوب برحيم او مفعول به باذكر انتهى وهذا الاخير اظهر والله اعلم \* وقوله سبحانه وتوفى كل نفس ما عملت اي يجازى كل من احسن باحسانه وكل من اساء باساءته \* وقوله سبحانه وضرب الله مثلا قريه كانت آمنة مطمئنة الآية قال ابن عباس القرية هنا مكة والمراد بهذه الضمائر كلها فى الآية اهل القرية ويتوجه عندى فى الآية انها قصد بها قرية غير معينة جعلت مثالا لمكة على معنى التحذير لاهلها ولغيرها من القرى الى يوم القيامة وهو الذى يفهم من كلام حفصة ام المؤمنين وانعم جمع نعمة \* وقوله سبحانه فاذا قما الله لباس الجوع والخوف



استعارات اي لما باشرهم ذلك صار كاللباس والضمير في جاءهم لاهل مكة والرسول محمد صلى الله عليه وسلم والعذاب الجوع وامر بدر ونحو ذلك ان كانت الآية مدنية وان كانت مكية فهو الجوع فقط \* وقوله سبحانه فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا الآية هذا ابتداء كلام اخر اي وانتم ايها المؤمنون لستم كهذه القرية فكلوا واشكروا الله على تباين حالكم من حال الكفرة وقوله حلالا حال وقوله طيبا اي مستلذا اذ فيه ظهور النعمة ويحتمل ان يكون الطيب بمعنى الحلال كرر مبالغة وتاكيدا \* وقوله سبحانه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الآية هذه الآية مخاطبة للكفار الذين حرموا البحائر والسوائب قال ابن العربي في احكامه ومعنى الآية لا تصفوا الايمان بانها حلال او حرام من قبل انفسكم انما المحرم والمحلل هو الله سبحانه قال ابن وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقال لهم هذا حلال وهذا حرام ولكن يقول انا اكره هذا ولم اكن لاصنع هذا فكان الناس يطيعون ذلك ويرضونه ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله كما تقدم بيانه فليس لاحد ان يصرح بهذا في عين من الاعيان الا ان يكون البارئ تعالى يخبر بذلك عنه وما يؤدي اليه الاجتهاد انه حرام يقول فيه اني اكره كذا وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل الفتوى انتهى \* وقوله متاع قليل اشارة الى عيشهم في الدنيا ولهم عذاب اليم بعد ذلك في الآخرة \* وقوله ما قصصنا عليك من قبل اشارة الى ما في سورة الانعام من ذى الظفر والشحوم \* وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذه آية تانيس لجميع العالم فهي تتناول كل كافر وعاص تاب من سوء حاله قالت فرقة الجهالة هنا العمد والجهالة عندى في هذا الموضع ليست ضد

العلم بل هي نعدى الطور وركوب الرأس ومنه قوله صلى الله عليه وسلم  
 او اجهل او يجهل على وقد تقدم بيان هذا وقلما يوجد في العصاة من لم يتقدم  
 له علم بحظر المعصية التي يواقع \* وقوله سبحانه ان ابراهيم كان امة قانتا لله  
 الآية لما كشف الله فعل اليهود وتحكمهم في شرعهم بذكر ما حرم عليهم  
 اراد ان يبين بعدهم عن شرع ابراهيم عليه السلام والامة في اللغة لفظة  
 مشتركة تقع للحين وللجمع الكثير وللرجل المنفرد بطريقة وحده وعلى  
 هذا الوجه سمي ابراهيم عليه السلام امة قال مجاهد سمي ابراهيم امة لانفراده  
 بالايمان في وقته مدة ما وفي البخاري انه قال لسارة ليس على الارض  
 اليوم مومن غيرى وغيرك وفي البخاري قال ابن مسعود الامة معلم الخير والقات  
 المطيع الدائم على العبادة والحنيف المائل الى الخير والصلاح \* وقوله سبحانه  
 واثناه في الدنيا حسنة الآية الحسنة لسان الصدق وامامته لجميع الخلق  
 هذا قول جميع المفسرين وذلك ان كل امة متشرعة فهي مقرة ان ايمانها ايمان  
 ابراهيم وانه قدوتها وانه كان على الصواب (ت) وهذا كلام فيه بعض  
 اجمال وقد تقدم في غير هذا الموضع بيانه فلا نطول بسرده \* وقوله سبحانه  
 ان اتبع ملة ابراهيم الآية الملة الطريقة في عقائد الشرع \* وقوله سبحانه  
 انما جعل السبت الآية اي لم يكن من ملة ابراهيم وانما جعله الله فرضا  
 عاقب به القوم المختلفين فيه قاله ابن زيد وذلك ان موسى عليه السلام امر  
 بنى اسرائيل ان يجعلوا من الجمعة يوما مختصا بالعبادة وامرهم ان يكون الجمعة  
 فقال جمهورهم بل يكون يوم السبت لان الله تعالى فرغ فيه من خلق مخلوقاته  
 وقال غيرهم بل نقبل ما امر به موسى فراجعهم الجمهور فتابعهم الآخرون  
 فالزمهم الله يوم السبت الزاماً قويا عقوبة لهم ثم لم يكن منهم ثبوت بل  
 عصوا فيه وتمدوا فاهلكهم وورد في الحديث الصحيح ان اليهود والنصارى

اختلفوا في اليوم الذي يختص من الجمعة فاخذ هؤلاء السبت واخذ هؤلاء  
الاحد فهدانا الله نحن الى يوم الجمعة قال صلى الله عليه وسلم فهذا يومهم الذي  
اختلفوا فيه فليس الاختلاف المذكور في الآية هو الاختلاف  
في هذا الحديث (ت) يعني ان الاختلاف المذكور في الآية هو بين  
اليهود فيما بينهم والاختلاف المذكور في الحديث الصحيح هو فيما بين اليهود  
والنصارى \* وقوله سبحانه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة  
هذه الآية نزلت بمكة امر عليه السلام ان يدعو الى دين الله وشرعه  
بتلطف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة \* وقوله سبحانه  
وان عاقبتهم فاعقبوا بمثل ما عوقبتهم به الآية اطبق اهل التفسير ان هذه الآية  
مدنية نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيره في يوم أحد ووقع ذلك في صحيح  
البخاري وغيره وقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن اظفرني الله بهم لامثلن  
بثلاثين وفي كتاب النحاس وغيره بسبعين منهم فقال الناس ان ظفرنا لنفعلن  
ولنفعلن فنزلت هذه الآية ثم عزم على النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر  
عن المجازاة بالتمثيل في القتلى ويروى انه عليه السلام قال لاصحابه اما انا  
فاصبر كما امرت فماذا تصنعون فقالوا نصبر يا رسول الله كما ندبنا \* وقوله وما  
صبرك الا بالله اي بمعونة الله وتأييده على ذلك \* وقوله سبحانه ولا تحزن  
عليهم قيل الضمير في قوله عليهم يعود على الكفار اي لا تتأسف على ان لم  
يسلموا وقالت فرقة بل يعود على القتلى حمزة واصحابه الذين حزن عليهم صلى  
الله عليه وسلم والاول اשוב \* ولا تك في ضيق مما يمكرون قرأ الجمهور  
في ضيق بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان \* ان الله مع الذين  
اتقوا اي بالنصر والمعونة واتقوا يريد المعاصي \* ومحسنون هم الذين يتزايدون  
فيما ندب اليه من فعل الخير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## ☆ تفسير سورة سبحان ☆

هذه السورة مكية الاثلاث ايات قال ابن مسعود في بني اسرائيل والكهف انهما من العتاق الاول وهن من تلادى يريد انهن من قديم كسبه \* قوله عز وجل سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام جل العلماء على ان الاسراء كان بشخصه صلى الله عليه وسلم وانه ركب البراق من مكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه وقالت عائشة ومعاوية انما اسرى بروحه والصحيح ما ذهب اليه الجمهور ولو كانت منامة ما امكن قريشا التشنيع ولا فضل ابو بكر بالتصديق ولا قالت له ام هانئى لا تحدث الناس بهذا فيكذبوك الى غير هذا من الدلائل واما قول عائشة فانها كانت صغيرة ولا حدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية قال ابن العربي قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا قال علماءنا لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم هو اشرف منه لسماه الله تعالى به فى تلك الحالة العلية وقد قال الاستاذ جمال الاسلام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن ما رفعه الله الى حضرته السنية وارقاد فوق النجى واكب العلوية الرمة اسم البوشة ترضعها اجلالا للالوهية انتهى من الاحكام وسبحان مصدر معناه تنزيه الله وروى طلحة بن عبيد الله الفياض احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله قال تنزيه الله من كل سوء وكان الاسراء فيما قال مقاتل وقتادة قبل المجرة بعام وقيل بعام ونصف والمتحقق ان ذلك كان بعد شق الصحيفة

وقبل بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك بن أبي نمر وهم في هذا المعنى  
فانه روى حديث الاسراء فقال فيه وذلك قبل ان يوحى اليه ولا خلاف بين  
المحدثين ان هذا وهم من شريك قال (ص) اسرى بعبدته بمعنى سرى وليست  
همزته للتعدية بل كسقى واسقى والباء للتعدية وليلا ظرف للتاكيد لان  
السرى لا يكون لغة الابليل وقيل يعنى به في جوف الليل فلم يكن ادلاجاً  
ولا ادلاجاً انتهى والمسجد الاقصى بيت المقدس والاقصى البعيد والبركة  
حوله من وجهين احدهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر  
وفي نواحيه والاخر النعم من الاشجار والمياه والارض المفيدة \* وقوله سبحانه  
لنريه يريد لنري محمداً بعينه ايتنا في السموات والملائكة والجنة والسدره  
وغير ذلك من العجائب مما رآه تلك اليلة ولا خلاف ان في هذا الاسراء  
فرضت الصلوات الخمس على هذه الامة \* وقوله سبحانه انه هو السميع  
البصير وعيد للمكذابين بأمر الاسراء اي هو السميع لما تقولون البصير بافعالكم \*  
واتينا موسى الكتاب اي التوراة \* وقوله الاتخذوا من دوني وكيلاً  
الآية التقدير فعلنا ذلك ليلا تتخذوا يا ذرية فذرية منصوب على النداء  
وهذه مخاطبة للعالم ويتجه نصب ذرية على انه مفعول بتتخذوا ويكون  
المعنى ان لا يتخذوا بشرا الاها من دون الله وقرأ ابو عمرو وحده لا يتخذوا بالياء  
على لفظ الغائب والوكيل هنا من التوكيل اي متوكلاً عليه في الامور فهو ند لله  
بهذا الوجه وقال مجاهد وكيلاً شريكاً ووصف نوح بالشكر لانه كان يحمد  
الله في كل حال وعلى كل نعمة من الطعام والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك  
صلى الله عليه وسلم قاله سلمان الفارسي وغيره قال ابن المبارك في رقائقه  
اخبرنا ابن ابي ذيب عن سعيده المقبري عن ابيه عن عبد الله بن سلام ان موسى  
عليه السلام قال يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك قال يا موسى لا يزال

لسانك رطباً من ذكرى انتهى وقد روينا مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم اعني قوله لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله \* وقوله سبحانه وقضينا الى بني اسرائيل الآية قالت فرقة قضينا معناه في ام الكتاب قال (ع) وانما يلبس في هذا المكان تعديّة قضينا بالي وتلخيص المعنى عندي ان هذا الامر هو مما قضاه الله عز وجل في ام الكتاب على بني اسرائيل والزهم اياه ثم اخبرهم به في التوراة على لسان موسى فلما اراد هنا الاعلام لنا بالامرين جميعاً في ايجاز جعل قضينا دالة على النفوذ في ام الكتاب وقرن بها الى دالة على ازال الخير بذلك الى بني اسرائيل والمعنى المقصود مفهوم خلال هذه الالفاظ ولهذا فسر ابن عباس مرة بان قال قضينا الى بني اسرائيل معناه اعلناهم وقال مرة قضينا عليهم والكتاب هنا التوراة لان القسم في قوله لتفسدن غير متوجه مع ان نجعل الكتاب هو اللوح المحفوظ وقال (ص) وقضينا مضمن معنى اوحينا ولذلك تعدى بالي واصله ان يتعدى بنفسه الى مفعول واحد كقوله سبحانه فلما قضى موسى الاجل انتهى وهو حسن موافق لكلام (ع) وقوله وتعلمن اي لتتجبرن وتطلبون في الارض العلم ومقتضى الآيات ان الله سبحانه اعلم بني اسرائيل في التوراة انه سيقع منهم عصيان وكفر لنعم الله وانه سيرسل عليهم امة تغلبهم وتذلهم ثم يرحمهم بعد ذلك ويجعل لهم الكرة ويردهم الى حالهم من الظهور ثم تقع منهم ايضا تلك المعاصي والقبائح فيبعث الله تعالى عليهم امة اخرى تحرب ديارهم وتقتلهم وتجليهم جلاء مبرحاً واعطى الوجود بعد ذلك هذا الامر كله قبل كان بين الميتين مائتا سنة وعشر سنين ملكاً مؤيداً بانبياء وقيل سبعون سنة \* وقوله سبحانه فاذا جاء وعد اولاهما الضمير في قوله اولاهما عائد على قوله مرتين وعبر عن الشر بالوعد لانه قد صرح بذكر المعاقبة قال (ص) وعد اولاهما اي موعود وهو المقاب لان الوعد سبق بذلك

وقيل هو على حذف مضاف اي وعد عقاب اولاهما انتهى وهو معنى ما تقدم  
واختلف الناس في العبيد المبعوثين وفي صورة الحال اختلافا شديدا متباعدة  
عيونه ان بنى اسرائيل عصوا وقتلوا زكريا عليه السلام فغزاهم سنجاريب ملك  
بابل قاله ابن اسحاق وابن جبير وقال ابن عباس غزاهم جالوت من اهل الجزيرة  
وقيل غزاهم بنجت نصر وروي انه دخل قبل في جيش من الفرس وهو حامل  
يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بنى اسرائيل على ما لم تعلمه الفرس فلما  
انصرف الجيش ذكر ذلك للملك الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس  
جيش وبعثه فخر بيت المقدس وقتلهم واجلاهم ثم انصرف فوجد الملك قد  
مات فلما كان موضعه واستمرت حاله حتى ملك الارض بعد ذلك وقالت فرقة  
انما غزاهم بنجت نصر في المرة الاخيرة حين عصوا وقتلوا يحيى بن زكريا وصورة  
قتله ان الملك اراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى عنها فمز ذلك على امرأته  
فزيت بنتها وجعلتها تسقى الملك الحمر وقالت لها اذا راودك عن نفسك  
فتمنى حتى يعطيك الملك ما تتمنين فاذا قال لك تمنى علي ما اردت فقولى رأس  
يحيى بن زكريا ففعلت الجارية ذلك فردها الملك مرتين واجابها في الثالثة  
فجىء بالرأس في طست ولسانه يتكلم وهو يقول لا تحل لك وجرى دم يحيى  
فلم ينقطع فجعل الملك عليه التراب حتى ساوى سور المدينة والدم ينبعث فلما  
غزاهم الملك الذى بعث عليهم بحسب الخلاف الذى فيه قتل منهم على الدم  
سبعين الفا حتى سكن هذا امتضى خبرهم وفي بعض الروايات زيادة ونقص  
وقرأ الناس فجاسوا وقرأ ابوالسعال بالخاء وهما بمعنى الغلبة والدخول قهرا وقال مؤرج  
جاسوا خلال الازقة (ت) قال (ص) جاسوا مضارعه يجوس ومصدره جوس  
وجوسان ومعناه التردد وخلال ظرف اي وسط الديار انتهى \* وقوله سبحانه ثم  
رددنا لكم الكرة عليهم الآية عبارة عما قاله سبحانه لبنى اسرائيل فى التوراة وجعل

رددنا موضع نزد لما كان وعد الله في غاية الثقة وانه واقع لا محالة فمهر عن المستقبل بالماضي وهذه الكرة هي بعد الجولة الاولى كما وصفنا فغلبت بنو اسرائيل على بيت المقدس وملكوا فيه وحسنت حالهم برهة من الدهر واعطاهم الله الاموال والاولاد وجميلهم اذا نفروا الى امر اكثر الناس فلما قال الله اني سأفعل بكم هكذا عقب بوصيتهم في قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الآية المعنى انكم بعملكم تجازون ووعد الآخرة معناه من المرتين \* وقوله ليسوا واللام لام امر وقيل المعنى بعثناهم ليسوا وليدخلوا فهي لام كي كلها والضمير للعباد اولى البأس الشديد والمسجد مسجد بيت المقدس وتبر معناه افسد بغشم وركوب رأس \* وقوله ما علوا اي ما علوا عليه من الاقطار وملكوه من البلاد وقيل ما ظرفية والمعنى مدة علوهم وغلبتهم على البلاد \* وقوله سبحانه عسى ربكم ان يرحمكم الآية يقول الله عز وجل لبقية بنى اسرائيل عسى ربكم ان اطعمتم في انفسكم واستقمتم ان يرحمكم وهذه العدة ليست برجوع دولة وانما هي بان يرحم المطيع منهم وكان من الطاعة اتباعهم لعيسى ومحمد عليهما السلام فلم يفعلوا وعادوا الى الكفر والمعصية فماد عقاب الله عليهم بضرب الذلة عليهم وقتلهم واذلالهم بيد كل امة والحصير من الحصير بمعنى السجن وبنحو هذا فسر عجاهد وغيره وقال الحسن الحصير في الآية اراد به ما يقترب ويبسط كالحصير المعروف عند الناس قال (ع) وذلك الحصير ايضا هو ماخوذ من الس \* وقوله سبحانه ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الآية يهدي في هذه الآية بمعنى يرشد ويتوجه فيها ان تكون بمعنى يدعو والتي يريد بها الحالة والطريقة وقالت فرقة التي هي اقوم لا اله الا الله والاول اعم والاخر الكبير الجنة وكذلك حيث وقع في كتاب الله فضل كبير واجر كبير فهو الجنة قال الباجي قال ابن رهب سمعت مالكا يقول ان استطعت



ان تجعل القرآن اماما فافعل فهو الامام الذي يهdy الى الجنة قال ابو سليمان الداراني ربما اقلت في الآية الواحدة خمس ليال ولولا اني ادع التفكير فيها ما جزتها وقال انما يوتي على احدكم من انه اذا ابتداء السورة اراد اخرها قال الباجي وروى ابن لبابة عن العتيبي عن سحنون انه رأى عبد الرحمن بن القاسم في النوم فقال له ما فعل الله بك قال وجدت عنده ما احببت قال له فاي اعمالك وجدت افضل قال تلاوة القرآن قال قلت له فالمسائل فكان يشير باصبعه كأنه يلشيهها فكنت اسأله عن ابن وهب فيقول لي هو في عليين انتهى من سنن الصالحين \* وقوله سبحانه ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا سقطت الواو من بدع في خط المصحف قال ابن عباس وقتادة ومجاهد هذه الآية زلت ذامة لما يفعله الناس من الدعاء على امواهم في وقت الغضب والضجر فاخبر سبحانه انهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت فلو اجاب الله دعاءهم اهلكهم لكنه سبحانه يصفح ولا يحيب دعاء الضجر المستعجل ثم عذر سبحانه بعض العذر في ان الانسان له عجلة فطرية والانسان هنا يراد به الجنس قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس وسلمان الاشارة الى ادم لما نفخ الروح في رأسه عطس وابصر فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه اعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلا لذلك فلم بقدر والمعنى على هذا فانتم ذووا عجلة موروثة من ابيكم وقالت فرقة معنى الآية معاقبة الناس في دعائهم بالشر مكان ما يجب ان يدعوه بالخير (ت) قول هذه الفرقة نقله (ع) غير ملخص فانا لخصته \* وقوله سبحانه وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية هنا العلامة المنصوبة للنظر والعبرة \* وقوله سبحانه فمحونا آية الليل قالت فيه فرقة سبب تعقيب الفاء ان الله تعالى خلق الشمس والتمر مضيئين فجاء بعد ذلك القمر محام جبريل بجناحه ثلاث مرات

فمن هنالك كلفه وقالت فرقة ان قوله فمحوناه اية الليل انما يريد في اصل خلقته \* وجعلناه اية النهار مبصرة اي يبصر بها ومعها ليبتغي الناس الرزق وفضل الله وجعل سبحانه القمر مخالفا لحال الشمس ليعلم به العدد من السنين والحساب للشهر والايام ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس وحكى عياض في المدارك في ترجمة الغازي بن قيس قال روي عن الغازي بن قيس انه كان يقول ما من يوم ياتي الا يقول انا خلق جديد وعلى ما يفعل في شهيد فخذوا مني قبل ان ابيد فاذا امسى ذلك اليوم خر لله ساجدا وقال الحمد لله الذي لم يجعلني اليوم العقيم انتهى والتفصيل البيان \* وقوله سبحانه وكل انسان الزمناه طائره قال ابن عباس طائره ما قدر له وعليه وخاطب الله العرب في هذه الاية بما تعرف وذلك انه كان من عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير في كونها سانحة وبارحة وكثر ذلك حتى فعلته بالطباء وحيوان الفلا وسمت ذلك كله تطيرا وكانت تعتقد ان تلك الطيرة قاضية بما يلقي الانسان من خير وشر فاخبرهم الله تعالى في هذه الآية باوجز لفظ وابلغ اشارة ان جميع ما يلقي الانسان من خير وشر قد سبق به القضاء والزم حظه وعمله وتكسبه في عنقه وذلك في قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه فعبر عن الحظ والعمل اذها متلازمان بالطائر قاله مجاهد وقتادة بحسب معتقد العرب في التطير ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا الكتاب هو عمل الانسان وخطيآته اقرأ كتابك اي يقال له اقرأ كتابك واسند الطبري عن الحسن انه قال يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ووكلك بك ملكان كريمان احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والاخر عن شمالك يحفظ سيئاتك فاملل ما شئت واقلل او اكثر حتى اذا مت طويت صحيفةك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قد عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك قال (ع) فلي هذه الالفاظ التي ذكر الحسن يكون الطائر ما يتحصل مع ابن آدم من عمله في قبره فتأمل لفظه وهذا قول ابن عباس وقال قتادة في قوله اقرأ كتابك انه سيقرا يومئذ من لم يكن يقرأ \* وقوله سبحانه واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيا قرأ الجمهور امرنا على صيغة الماضي وعن نافع وابن كثير في بعض ما روي عنهما امرنا بمد الهمة بمعنى كثرنا وقرأ ابو عمرو بخلاف عنه امرنا بتشديد الميم وهي قراءة ابي عثمان النهدي وابي العالية وابن عباس ورويت عن علي قال الطبري القراءة الاولى معناها امرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها وهو قول ابن عباس وابن جبير والثانية معناها كثرناهم والثالثة هي من الامارة اي ملكناهم على الناس قال الثعلبي واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة الجمهور قال ابو عبيد وانما اخترت هذه القراءة لان المعاني الثلاثة مجتمعة فيها وهي معنى الامر والامارة والكثرة انتهى (ت) وعبرة ابن العربي امرنا مترفيا يعني بالطاعة ففسقوا بالمخالفة انتهى من كلامه على الافعال الواقعة في القرآن والمترف الغني من المال المتنعم والثرف النعمة وفي مصحف ابي بن كعب قرية بمثنا اكابر مجرميها فمكروا فيها \* وقوله سبحانه فحق عليها القول اي وعيد الله لها الذي قاله رسولهم والتدمير الاهلاك مع طمس الآثار وهدم البناء \* وكم اهلكنا من القرون الآية مثال لقريش ووعيد لهم اي لستم ببعيد مما حصلوا فيه ان كذبتم واختلف في القرن وقد روى محمد بن القاسم في ختنه عبد الله بن بشر قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قلت كم القرن قال مائة سنة قال محمد بن القاسم فمازلنا نعد له حتى كمل مائة سنة ثم مات رحمه الله والباء في قوله بربك

زائدة التقدير وكفى ربك وهذه الباء انما تجيء في الاغلب في مدح او ذم وقد يجيء كفى دون باء كقول الشاعر \* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا \* وكقول الآخر

ويخبرني عن غائب المرء هديته \* كفى الهدى عما غيب المرء مخبرا  
وقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد  
الآية المعنى فان الله يعجل لمن يريد من هؤلاء ما يشاء سبحانه على قراءة  
النون او ما يشاء هذا المرید على قراءة الباء وقوله لمن زید شرط كاف  
على القراءتين وقال ابن اسحاق الفزاري المعنى لمن زید هلكته والمدحور  
المهان المبعد المذل المسخوط عليه \* وقوله سبحانه ومن اراد الآخرة اي ارادة  
يقين وايمان بها وبالله ورسالاته ثم شرط سبحانه في مرید الآخرة ان يسمى لها  
سميها وهو ملازمة اعمال الخير على حكم الشرع \* فالولائك كان سعيهم مشكورا  
ولا يشكر الله سعيها ولا عملا الا اثناب عليه وغفر بسببه ومنه قوله صلى الله عليه  
وسلم في حديث الرجل الذي سقى الكلب العاطش فشكر الله له فغفر له \* وقوله  
سبحانه كلا ثم هؤلأ وهؤلأ من عطاء ربك يحتمل ان يريد بالعطاء الطاعات لمريد  
الآخرة والمعاصي لمريد العاجلة وروي هذا التاويل عن ابن عباس ويحتمل ان يريد  
بالعطاء رزق الدنيا وهو تاويل الحسن بن ابى الحسن وقتادة المعنى انه سبحانه  
يرزق في الدنيا من يريد العاجلة ومريد الآخرة وانما يقع التفاضل والتباين في  
الآخرة ويتناسب هذا المعنى مع قوله وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا  
وقل ما تصلح هذه العبارة لمن يمد بالمعاصي \* وقوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض  
الآية تدل دلالة ما على ان العطاء في التي قبلها الرزق وباقي الآية معناه اوضح من  
ان يبين \* وقوله سبحانه لا تجمل مع الله الهأ آخر فتقدم مذموما مخذولا  
هذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد لجميع الخلق قاله الطبري وغيره

ولا مرية في ذم من نحت عودا او حجرا واشركه في عبادة ربه قال (ص) فتتعد اي فتصير بهذا فسرہ الفراء وغيره اه والخذلان في هذا باسلام الله لعبده وان لا يتكفل له بنصر والمخذول الذي اسلمه ناصروه والحاذل من الظباء التي تترك ولدها \* وقوله سبحانه وقضى ربك الاتعبدوا الاياه الاية قضى في هذه الاية هي بمعنى امر والزم واوجب عليكم وهكذا قال الناس واقول ان المعنى وقضى ربك امره فالقضي هنا هو الامر وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة ابن عباس وغيره والضمير في تعبدا لجميع الخلق وعلى هذا التاويل مضى السلف والجمهور ويحتمل ان يكون قضى على مشهورها في الكلام ويكون الضمير في تعبدا للمؤمنين من الناس الى يوم القيامة \* وقوله فلا تقل لهما اف معنى اللفظة انها اسم فعل كأن الذي يريد ان يقول اضجر او اتقذر او اكره ونحو هذا يعبر ايجازا بهذه اللفظة فتعطى معنى الفعل المذكور واذا كان النهي عن التافيف فما فوقه من باب اخرى وهذا هو مفهوم الخطاب الذي المسكوت عنه حكمه حكم المذكور قال (ص) وقرأ الجمهور الذل بضم الذال وهو ضد العز وقرأ ابن عباس وغيره بكسرهما وهو الانقياد ضد الصعوبة انتهى وباقي الآبة بين قال ابن الحاجب في منتهى الوصول وهو المختصر الكبير المفهوم ما دل عليه اللفظ في غير محل النطق وهو مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ان يكون حكم المفهوم موافقا للمنطوق في الحكم ويسمى خوى الخطاب ولحن الخطاب كتحریم الضرب من قوله تعالى فلا تقل لهما اف وكالجزء بما فوق المثقال من قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة وكتادية ما دون القنطار من قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك وعدم تادية ما فوق الدينار من قوله تعالى بدينار لا يؤده اليك وهو من قبيل التشبيه بالادنى على الاعلى والاعلى على الادنى فذلك كان الحكم في المسكوت اولى وانما يكون ذلك اذا عرف المقصود من الحكم

وانه اشد مناسبة في المسكوت ك هذه الامثلة ومفهوم المخالفة ان يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق به في الحكم ويسمى دليل الخطاب وهو اقسام مفهوم الصفة مثل في الغنم السائمة الزكاة ومفهوم الشرط مثل وان كن اولات حمل ومفهوم الغاية مثل حتى تنكح زوجا غيره ومفهوم انما مثل انما الربا في النسيئة ومفهوم الاستثناء مثل لاله الا الله ومفهوم العدد الخاص مثل فاجلدوهم ثمانين جلدة ومفهوم حصر المبتدأ مثل العالم زيد وشرط مفهوم المخالفة عند قائله ان لا يظهر ان المسكوت عنه اولى ولا مساويا كمفهوم الموافقة ولا خرج مخرج الاعم الاغلب مثل وربائبكم اللاتي في حجوركم فاما مفهوم الصفة فقال به الشافعي ونفاه الغزالي وغيره انتهى وفسر الجمهور الاوابين بالرجاعين الى الخير وهي لفظة لزم عرفها اهل الصلاح (ت) قال عبد الحق الاشبيلي واعلم ان الميت كالحى فيما يعطاه ويهدى اليه بل الميت اكثر واكثر لان الحى قد يستقل ما يهدى اليه ويستحق ما يتحف به والميت لا يستحق شيأ من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة او وزن مثقال ذرة لانه يعلم قيمته وقد كان يقدر عليه فضيعه وقد قال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له فهذا دعاء الولد يصل الى والده وينتفع به وكذلك امره عليه السلام بالسلام على اهل القبور والدعاء لهم ما ذاك الا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل اليهم ويأتيهم والله اعلم وروى عنه عليه السلام انه قال الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديقه فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها والاخبار في هذا الباب كثيرة انتهى من العاقبة (ت) وروى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان يقال ان الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده واشار بيده نحو السماء قال ابو عمرو وقد رويناها باسناد جيد ثم اسند عن ابى

هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع العبد الدرجة فيقول اي رب اني لى هذه الدرجة فيقال باستغفار ولدك لك انتهى من التمهيد وروينا في سنن ابى داود ان رجلا من بنى سلمة قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واکرام صديقيهما انتهى \* وقوله سبحانه وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل الآية قال الجمهور الآية وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم خوطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة والحق في هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه قال بنحو هذا الحسن وابن عباس وعكرمة وغيرهم والتبذير انفاق المال في فساد او في سرف في مباح \* وقوله تعالى واما تعرض عنهم اي عن من تقدم ذكره من المساكين وابن السبيل فقل لهم قولاً ميسوراً اي فيه ترجية بفضل الله وتأنيس بالمعاد الحسن ودعاء في توسعة الله وعطائه وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد نزول هذه الآية اذا لم يكن عنده ما يعطى يرزقنا الله واياكم من فضله والرحمة على هذا التاويل الرزق المنتظر وهذا قول ابن عباس وغيره والميسور من اليسر \* وقوله سبحانه ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك استعارة لليد المقبوضة عن الانفاق جملة واستعير لليد التي تستنفذ جميع ما عندها غاية البسط ضد الغل وكل هذا في انفاق الخير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام او الملامة هنا لاحقة ممن يطلب من المستحقين فلا يجد ما يعطى والمحسور الذي قد استنفدت قوته تقول حسرت البعير اذا اتعبته حتى لم تبق له قوة ومنه البصر الحسير قال ابن العربي وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء هذا المعنى في القرآن فان النبي صلى الله عليه

وسلم لما كان سيدهم وواسطهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك انتهى من الاحكام والحسير هو الكال \* ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر معنى يقدر يضيق \* وقوله سبحانه انه كان بعباده خبيراً بصيراً اي يعلم مصلحة قوم في الفقر ومصلحة الآخرين في الغنى وقال بعض المفسرين الآية اشارة الى حال العرب التي كانت يصلحها الفقر وكانت اذا شبت طفت (ت) وهذا التاويل يعضده قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض الآية ولا خصوصية لذكر العرب الا من حيث ضرب المثل \* وقوله سبحانه ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق الآية نهي عن الوأد الذي كانت العرب تفعله والاملاق الفقر وعدم المال وروى ابو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنة فلم يئدها ولم يعنها ولم يورث ولده عليها قال يعني الذكور ادخله الله الجنة انتهى والحق الذي تقتل به النفس قد فسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا يحل دم المسلم الا احدى ثلاث خصال كفر بعد ايمان اوزنى بعد احصان او قتل نفس اي وما في هذا المعنى من حرابة او زندقة ونحو ذلك \* ومن قتل مظلوماً اي بغير الوجوه المذكورة فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً ولا مدخل للنساء في ولاية الدم عند جماعة من العلماء ولهن ذلك عند الآخرين والسلطان الحجة والملك الذي جعل اليه من التخيير في قبول الدية او العفو قاله ابن عباس قال البخاري قال ابن عباس كل سلطان في القرءان فهو حجة انتهى وقال قتادة السلطان القود \* وقوله سبحانه فلا يسرف في القتل المعنى فلا يتعدى الولي امر الله بان يقتل غير قاتل وليه او يقتل اثنين بواحد الى غير ذلك من وجوه التعدى وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر فلا تسرف بالتاء من فوق قال الطبري على معنى الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والاغثة بعده قال (ع) ويصح ان يراد به



الولي اي فلا تسرف اي الولي والضمير في انه عائد على الولي وقيل على  
المقتول وفي قراءة ابي بن كعب فلا لسرفوا في القتال ان ولي المقتول كان  
منصورا وباقي الآية تقدم بيانه قال الحسن القسطاس هو القبان وهو  
القرسطون وقيل القسطاس هو الميزان صغيرا كان او كبيرا قال (ع) وسمعت  
ابي رحمه الله تعالى يقول رأيت الواعظ ابا الفضل الجوهري رحمه الله في جامع  
عمرو بن العاصي يعظ الناس في الوزن فقال في جملة كلامه ان في هيئة اليد  
بالميزان عظة وذلك ان الاصابع يجي منها صورة المكتوبة الف ولامان  
وها. فكان الميزان يقول الله الله قال (ع) وهذا وعظ جميل والتاويل في هذه  
الآية المثال قاله قتادة ويحتمل ان يكون التاويل مصدر تأول اي يتأول  
عليكم الخير في جميع اموركم اذا احسنتم الكيل والوزن وقال (ص) تاويلا  
اي عاقبة انتهى \* وقوله سبحانه ولا تقف معناه لا تقل ولا تتبع واللفظة  
تستعمل في القذف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر لا نقفوا امنا  
ولا ننتفي من ابينا واصل هذه اللفظة من اتباع الاثر تقول قفوت الاثر وحكي  
الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل عثا وعاث فمعنى الآية ولا تتبع  
لسانك من القول ما لا علم لك به وبالجملة فهذه الآية تنهى عن قول الزور  
والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والمردية \* ان السمع والبصر  
والنفوذ كل اولئك كان عنه مسؤولا عبر عن هذه الحواس باولئك لان لها  
ادراكا وجعلها في هذه الآية مسؤلة فهي حالة من يعقل (ت) قال (ص)  
وما توهمه ابن عطية من اولئك تختص بمن يعقل ليس كذلك اذ لا خلاف  
بين النحاة في جواز اطلاق اولاء واولئك على من لا يعقل (ت) وقد نقل  
(ع) الجواز عن الزجاج وفي الفية ابن مالك \* وباولى اشر لجمع مطلقا \*  
فقال ولده بدر الدين اي سواء كان مذكرا او مؤنثا واكثر ما يستعمل

فيمن يعقل وقد يحكي . لغيره كقوله

ذم المنازل بعد منزلة السوى \* والعيش بعد اولائك الايام  
وقد حكى (ع) البيت وقال الرواية فيه الاقوام والله اعلم انتهى والضمير  
في عنه يعود على ما ليس للانسان به علم ويكون المعنى ان الله تعالى  
يسئل سمع الانسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به فيقع تكذيبه  
من جوارحه وتلك غاية الحزني ويحتمل ان يعود على كل التي هي  
السمع والبصر والفؤاد والمعنى ان الله تعالى يسئل الانسان عما حواه  
سمعه وبصره وفؤاده قال صاحب الكلم الفارقي لا تدع جدول سمعك  
يجرى فيه اجاج الباطل فيهل باطنك بناء الحرص على العاجل السمع قمع  
تغورفيه المعاني المسموعة الى قرار وعاء القلب فان كانت شريفة لطيفة شرفته  
ولطفته وهذبته وزكته وان كانت رذيلة ذنية رذلته وخبثته وكذلك  
البصر منفذ من منافذ القلب فالحواس الخمس كالجدول والرواضع ترضع  
من اثناء الاشياء التي تلابسها وتأخذ ما فيها من معانيها واوصافها وتؤديها  
الى القلب وتنهيها انتهى \* وقوله سبحانه ولا تمش في الارض مرحاً قرأ  
الجمهور مرحاً بفتح الحاء مصدر مرح يرح اذا تسبب مسروراً بدياه مقبلاً على  
راحته فنهي الانسان ان يكون مشيه في الارض على هذا الوجه وقرأت  
فرقة مرحاً بكسر الراء ثم قيل له انك ايها المرح المختال الفخور لن تحرق  
الارض ولن تطاول الجبال بفخرك وكبرك وخرق الارض قطعها ومسحها  
واستيافاؤها بالمشي \* وقوله سبحانه كل ذلك كان سيئة قرأ نافع وابن كثير  
وابو عمرو سيئة فالاشارة بذلك على هذه القراءة الى ما تقدم ذكره مما نهي  
عنه كقوله اف وقذف الناس والمرح وغير ذلك وقرأ عاصم وابن عامر  
وحمة والكسائي سيئه على اضافة سيء الى الضمير فتكون الاشارة

على هذه القراءة الى جميع ما ذكر في هذه الآيات من بر ومعبية ثم اختص ذكر السي . منه بانه مكروه عند الله تعالى \* وقوله سبحانه ذلك مما اوحى اليك ربك الآية الاشارة بذلك الى هذه الآداب التي تضمنتها هذه الآيات المتقدمة والحكمة قوانين المعاني المحكمة والافعال الفاضلة (ت) فينبغي للعاقل ان يتأدب بآداب الشريعة وان يحسن العشرة مع عباد الله قال الامام فخر الدين بن الخطيب في شرح اسماء الله الحسنى كان بعض المشائخ يقول بمجامع الخيرات محصورة في امرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق انتهى وذكر هشام بن عبد الله القرطبي في تاريخه المسمى ببهجة النفس قال دخل عبد الملك بن مروان على معاوية وعنده عمرو بن العاصي فلم يلبث ان نهض فقال معاوية لعمرو ما اكمل مروءة هذا الفتى فقال له عمرو انه اخذ باخلاق اربعة وترك اخلاقا ثلاثة اخذ باحسن البشر اذا لقي وباحسن الاستماع اذا حدث وباحسن الحديث اذا حدث وباحسن الرد اذا خولف وترك مزاح من لا يوثق بعقله وترك مخالطة لثام الناس وترك من الحديث ما يعتذر منه انتهى \* وقوله سبحانه ولا تجعل مع الله الها آخر الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره والمدحور المهان المبعد \* وقوله سبحانه افاصفاكم الآية خطاب للعرب وتشنيع عليهم فساد قولهم \* وقوله سبحانه ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدركوا اي صرفنا فيه الحكم والمواعظ \* وقوله سبحانه اذا لا تبغوا الى ذى العرش سبيلا قال سعيد بن جبير وغيره معنى الكلام لا تبغوا اليه سبيلا في افساد ملكه ومضاهاته في قدرته وعلى هذا فالآية بيان للتمانع وجارية مع قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال (ع) ونقتضب شيأ من الدليل على انه لا يجوز ان يكون مع الله تبارك وتعالى اله غيره على ما قال ابو المعالى وغيره انالو

فرضناه لفرضنا ان يريد احدهما تسكين جسم والآخر تحريكه ومستحيل ان  
تنفذ الارادتان ومستحيل الاتنفذا جميعا فيكون الجسم لامتحركا ولا  
ساكنا فان صحت ارادة احدهما دون الآخر فالذى لم تتم ارادته ليس به  
فان قيل نفرضهما لا يختلفان قلنا اختلافهما جائز غير ممتنع عقلا والجائز في  
حكم الواقع ودليل آخر انه لو كان الاثنان لم يمتنع ان يكونوا ثلاثة وكذلك  
ويتسلسل الى ما لا نهاية له ودليل آخر ان الجزء الذى لا يتجزأ من المخترعات  
لا تتعلق به الافدرة واحدة لا يصح فيها اشتراك والآخر كذلك دأبا فكل  
جزء انما يخترعه واحد وهذه نبذة شرحها بحسب التقصى يطول \* وقوله  
سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده الآية اختلف في هذا التسبيح هل  
هو حقيقة او مجاز (ت) والصواب انه حقيقة ولولا خشية الاطالة لاتينا من  
الدلائل على ذلك بما يثلج له الصدر \* وقوله سبحانه واذا قرأت القرآن  
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة يعنى كفار مكة وحجابا مستورا يحتمل  
ان يريد به حماية نبيه منهم وقت قراءته وصلاته بالمسجد الحرام كما هو معلوم  
مشهور ويحتمل انه اراد انه جعل بين فهم الكفرة وبين فهم ما يقرأه  
صلى الله عليه وسلم حجابا فالآية على هذا التاويل فى معنى التى بعدها وقال  
الواحدى قوله تعالى واذا قرأت القرآن ان الآية نزلت فى قوم كانوا يؤذون النبى  
صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن فحجبه الله عن اعينهم عند قراءة القرآن  
حتى يكونوا يرون به ولا يرونه \* وقوله مستورا معناه ساترا انتهى والاكنة  
جمع كنان وهو ما غطى الشيء والوقر الثقل فى الاذن المانع من السمع  
وهذه كلها استعارات للاضلال الذى حفره الله به \* وقوله سبحانه نحن  
اعلم بما يستمعون به الآية هذا كما تقول فلان يستمع باعراض وتغافل  
واستخفاف وما بمعنى الذى قيل المراد بقوله واذهبهم نجوى اجتماعهم فى دار

الندوة ثم انتشرت عنهم \* وقوله سبحانه انظر كيف ضربوا لك الامثال  
 الآية حكى الطبري انها نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه \* وقوله سبحانه  
 فلا يستطيعون سبيلا اي الى افساد امرك واطفاء نورك وقولهم انذا كنا عظاما  
 ورفاتا الآية في انكارهم البعث وهذا منهم تعجب وانكار واستبعاد والرفات من  
 الاشياء مامر عليه الزمان حتى بلغ غاية اليأس وقربه من حالة التراب وقال  
 ابن عباس رفاتا غبارا وقال مجاهد ترابا \* وقوله سبحانه قل كونوا حجارة او حديد  
 الآية المعنى قل لهم يا محمد كونوا ان استطعتم هذه الاشياء الصعبة الممتنعة  
 التأتى لا بد من بعثكم ثم احتج عليهم سبحانه في الاعداء بالفطرة الاولى من  
 حيث خلقهم واختراعهم من تراب \* وقوله سبحانه فسينفضون معناه يرفعون  
 وينفضون يريد على جهة التكذيب والاستهزاء قال الزجاج وهو تحريك  
 من يبطل الشيء ويستطيعه ومنه قول الشاعر

انفض نحوى رأسه واقنعا \* كأنما ابصر شيئا اطمعا

ويقال انفضت السن اذا تحركت قال الطبري وابن سلام عسى من الله واجبة  
 فالمعنى هو قريب وفي ضمن اللفظ توعده \* وقوله سبحانه يوم يدعوكم بدل من  
 قوله قريبا ويظهر ان يكون المعنى هو يوم جوابا لقولهم متى هو ويريد يدعوكم  
 من قبوركم بالنفخ في الصور لقيام الساعة \* وقوله فتستجيبون اي بالقيام  
 والعودة والنهوض نحو الدعوة \* وقوله بحمده قال ابن جبير ان جميع العالمين  
 يقومون وهم يحمدون الله ويمجدونه لما يظهر لهم من قدرته (ص) ابو  
 البقاء بحمده اي حامدين وقيل بحمده من قول الرسول اي وذلك بحمد الله  
 على صدق خبري ووقع في لفظ (ع) حين قرر هذا المعنى عسى ان الساعة  
 قريبة وهو تركيب لا يجوز لاتقول عسى ان زيدا قائم انتهى \* وقوله  
 سبحانه وتظنون ان لبثتم الا قليلا يحتمل معنيين احدهما انهم لما رجعوا الى

حالة الحياة ونصرف الاجساد وقع لهم ظن انهم لم ينفصلوا عن حال الدنيا الا قليلا لمغيب علم مقدار الزمان عنهم اذ من في الآخرة لا يقدر زمن الدنيا اذ هم لامحالة اشد مفارقة لها من النائمين وعلى هذا التاويل عول الطبري والاخر ان يكون الظن بمعنى اليقين فكانه قال يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتتيقنون انكم انما لبستم قليلا من حيث هو منقضى منحصروا وحكى الطبري عن قتادة انهم لما رأوا هول يوم القيامة احتقروا الدنيا فظنوا انهم لبثوا فيها قليلا \* وقوله سبحانه وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن يختلف الناس فى التى هى احسن فقالت فرقة هى لا اله الا الله وعلى هذا فالعباد جميع الخلق وقال الجمهور التى هى احسن هى المحاورة الحسنة بحسب معنى معنى قال الحسن يقول يغفر الله لك يرحمك الله وقوله لعبادى خاص بالمومنين قالت فرقة امر الله المومنين فيما بينهم بحسن الادب وخفض الجناح والانة القول واطراح زغات الشيطان ومعنى النزغ حركات الشيطان بسرعة ليوجب فسادا وعداوة الشيطان البينة هى من قصة ادم عليه السلام فما بعد وقالت فرقة انما امر الله فى هذه الآية المومنين بالانة القول للمشركين بمكة ايام المهادنة ثم نسخت بآية السيف \* وقوله سبحانه ربكم اعلم بكم يقوى هذا التاويل اذ هو مخاطبة لكفار مكة بدليل قوله وما ارسلناك عليهم وكلا فكان الله عز وجل امر المومنين ان لا يخاشنوا الكفار فى الدين ثم قال للكفار انه اعلم بهم ورجاهم وخوفهم ومعنى يرحمكم بالتوبة عليكم من الكفر قاله ابن جريج وغيره \* وقوله سبحانه واتيئنا داود زبوراً قرأ الجمهور زبوراً بفتح الزاي وهو فعول بمعنى مفعول وهو قليل لم يجنى الا فى قدوع وركوب وحلوب وقرأ حمزة بضم الزاي قال قتادة زبور داود مواعظ ودعاء وليس فيه حلال ولا حرام \* وقوله سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا

يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هذه الآية ليست في عبدة الاصنام وانما هي في عبدة من يعقل كعيسى وامه وعزير وغيرهم قاله ابن عباس فلا يملكون كشف الضر ولا تحويله ثم اخبر تعالى ان هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب الى الله والتزلف اليه وان هذه حقيقة حالهم \* وقوله سبحانه ويرجون رحمته الآية قال عز الدين بن عبد السلام في اختصاره لرعاية المحاسبي الخوف والرجاء وسيلتان الى فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات ولكن لا بد من الاكباب على استحضار ذلك واستدامته في اكثر الاوقات حتى يصير الثواب والعقاب نصب عينيه فيحشاه على فعل الطاعات وترك المخالفات ولن يحصل له ذلك الا بتفريغ القلب من كل شيء سوى ما يشكر فيه او يعينه على الفكر وقد مثل القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ الذي لا تزول ادرانته الا بتكرير غسله وحته وقرضه انتهى وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه وان من قرية الا نحن مهلكوها الآية اخبر سبحانه في هذه الآية انه ليس مدينة من المدن الاهي هالكة قبل يوم القيامة بالموت والفناء هذا مع السلامة واخذها جزأ جزأ او هي معذبة ماخوذة مرة واحدة \* وقوله في الكتاب يريد في سابق القضاء وما خطه القلم في اللوح المحفوظ والمسطور المكتوب اسطارا \* وقوله سبحانه وما منعنا ان نرسل بالآيات الآية هذه العبارة في معناها هي على ظاهر ما تفهم العرب فسمى سبحانه سبق قضائه بتكذيب من كذب وتعذيبه منعاً وسبب هذه الآية ان قريشا اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يحمل لهم الصفا ذهباً ونحو هذا من الاقتراحات فاوحى الله الى نبيه عليه السلام ان شئت افعل لهم ذلك ثم ان لم يؤمنوا عاجلتهم بالعقوبة وان شئت استأنيت بهم عسى ان اجتبي منهم مومنين فقال عليه السلام بل استأنى بهم يا رب فاخبر

سبحانه في هذه الآية انه لم يمنعه جل وعلا من ارسال الآيات المقترحة الا الاستثناء اذ قد سلفت عادته سبحانه بمعالجة الامم الذين جاءتهم الآيات المقترحة فلم يؤمنوا. كشمود وغيرهم قال الزجاج اخبر تعالى ان موعد كفار هذه الامة الساعة بقوله سبحانه بل الساعة موعدهم فهذه الآية تنظر الى ذلك ومبصرة اي ذات ابصار وهي عبارة عن بيان امر الناقة ووضوح اعجازها \* وقوله فظلموا بها اي بمقرها وبالكفر في امرها ثم اخبر تعالى انه انما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد وهي آيات معها امهال فمن ذلك الكسوف والرعذ والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك و آيات الله المعتبر بها ثلاثة اقسام فقسم عام في كل شيء اذ حيث ما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة للعباء وقسم معتاد غالبا كان كسوف ونحوه وهنا فكرة الجبهة وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وانما يعتبر به توها لما سلف منه \* وقوله سبحانه واذا قلنا لك ان ربك احاط بالناس هذه الآية اخبار للنبي صلى الله عليه وسلم بانه محفوظ من الكفرة امن اي فتلبلغ رسالة ربك ولا تنيب احدا من المخلوقين قاله الطبري ونحوه للحسن والسدي \* وقوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريتاك الاية الجمهور ان هذه الرؤيا رؤيا عين ويقظة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان صبيحة الاسراء واخبر بما رأى في تلك الليلة من العجائب قال الكفار ان هذا لعجب واستبعدوا ذلك فافقتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فترأت هذه الآية فلي هذا يحسن ان يكون معنى قوله احاط بالناس في اضلالهم وهدايتهم اي فلا تهم يا محمد بكفر من كفر وقال ابن عباس لرؤيا في هذه الآية هي رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فمجل في سنة الحديبية فصعد فافقتن المسلمون



لذلك يعنى بعضهم وليس بفتنة كفر \* وقوله والشجرة الملعونة فى القرآن معطوفة على قوله الرؤيا اى جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة والشجرة الملعونة فى قول الجمهور هي شجرة الزقوم وذلك ان امرها لما نزل فى سورة والصافات قال ابو جهل وغيره هذا محمد يتوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تاكل الشجر وما نعرف الزقوم الا التمر بالزبد ثم احضر تمرًا وزبدا وقال لاصحابه ترقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة بعض الضعفاء قال الطبري عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة يريد الملعون اكها لانها لم يجر لها ذكر قال (ع) ويصح ان يريد الملعونة هنا فاكد الامر بقوله فى القرآن وقالت فرقة الملعونة اى المبعدة المكروهة وهذا قريب فى المعنى من الذى قبله ولا شك ان ما ينسب فى اصل الجحيم هو فى نهاية البعد من رحمة الله سبحانه \* وقوله سبحانه ونخوفهم يريد كفار مكة \* وقوله ارايتك هذا الذى كرمت على الكاف فى ارايتك هي كاف خطاب ومبالغة فى التنبيه لاموضع لها من الاعراب فهي زائدة ومعنى ارايت اتأملت ونحوه كان المخاطب بها ينبه المخاطب ليستجمع لما ينصه بعد \* وقوله لا حنكنك معناه لاملين ولاجرن وهو ماخوذ من تخنيك الدابة وهو ان يشد على حنكها بجبل او غيره فتسقاد والسنة تحتك المال اى تجتره وقال الطبري لا حنكنك معناه لاستأصلن وعن ابن عباس لاستولين وقال ابن زيد لاضلن قال (ع) وهذا بدل اللفظ لا تفسير \* وقوله اذهب فمن تبعك منهم وما بعده من الاوامر هي صيغة افعل بمعنى التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم والموفور المكمل واستفرز معناه استخف واخذع \* وقوله بصوتك قيل هو النساء والمزامير والملاهي لانها اصوات كلها مختصة بالمعاصي فهي مضافة الى الشيطان قاله مجاهد وقيل بدعائك اياهم الى طاعتك قال ابن عباس صوته دعا كل من دعا الى معصية الله والصواب ان يكون

الصوت يعم جميع ذلك \* وقوله واجلب اي هول والجلبة الصوت الكثير المختلط الهائل \* وقوله نجيك ورجلك قيل هذا مجاز واستعارة بمعنى اسم سبك وابلغ جهدك وقيل حقيقة وان له خيلا ورجلا من الجن قاله قتادة وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون في الباطل فانهم كلهم اعوان لابلis على غيرهم قاله مجاهد \* وشاركهم في الاموال والاولاد عام لكل معصية يصنعها الناس بالمال ولكل ما يصنع في امر الذرية من المعاصي كالايلااد بالزنا وكتسميتهم عبد شمس وابا الكوير وعبد الحارث وكل اسم مكروه ومن ذلك واد البنات ومن ذلك صبغهم في اديان الكفر وغير هذا وما ادخله النقاش من وطء الجن وانه يحبل المرأة من الانس فضعيف كله (ت) اما ما ذكره من الحبل فلا شك في ضعفه وفساد قول ناقله ولم ار في ذلك حديثا لاصحيا ولا سقيا ولو امكن ان يكون الحبل من الجن كما زعم ناقله لكان ذلك شبهة يدرا بها الحد عن من ظهر بها حبل من النساء اللواتي لا ازواج لهن لاحتمال ان يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل وهو باطل واما ما ذكره من الوطء فقد قيل ذلك وظواهر الاحاديث تدل عليه وقد خرج البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا فظاهر قوله عليه السلام اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا يقتضي ان لهذا اللعين مشاركة ما في هذا الشأن وقد سمعت من شيخنا ابي الحسن علي بن عثمان الزواوي الما نجلاقي سيد علماء بجاية في وقته قال حدثني بمض الناس ممن يوثق به يخبر عن زوجته انها تجد هذا الامر قال المخبر واصفيت الى ما اخبرت به الزوجة

فسمعت حس ذلك الشيء ، والله اعلم \* وقوله سبحانه ربكم الذى يزجى لكم  
 الفلك فى البحر ازجاء الفلك سوقه بالريح اللينة والمجاذيف ولتبتغوا من  
 فضله لفظ يعم التجز وغيره وهذه الآية المباركة توقيف على الله ، وفضله  
 ورحمته بعباده والضرب هنا لفظ يعم الفرق وغيره واهوال حالات البحر واضطرابه  
 وتوجهه وضل معناه تلف وفقد \* وقوله اعرضتم اى فلم تفكروا فى جميل  
 صنع الله بكم \* وقوله كفورا اى بالنعم والانسان هنا الجنس والحاصب  
 العارض الرامى بالبرء والحجارة ومنه الحاصب الذى اصاب قوم لوط والحاصب  
 الرمي بالحصاء والقاصف الذى يكسر كل ما يلقى ويقصفه وتارة معناه مرة  
 اخرى والتبعية الذى يطلب ثارا اودينا ومن هذه اللفظة قوله صلى الله عليه  
 وسلم اذا اتبع احدكم على ملي فليتبّع فالمنى لا يتجدون من يتبع فعلنا بكم  
 ويطلب نصرتكم وهذه لايات انوارها واضحة للمهتدين \* وقوله جلت  
 عظمته ولقد كرمنا بنى آدم الآية عدد الله سبحانه على بنى آدم ما خصهم  
 به من المزايا من بين سائر الحيوان ومن افضل ما اكرم به الادمي العقل  
 الذى به يعرف الله تعالى ويفهم كلامه ويوصل الى نعيمه \* وقوله سبحانه  
 على كثير ممن خلقنا المراد بالكثير المفضل الحيوان والجن واما الملائكة  
 فهم الخارجون عن الكثير المفضل وليس فى الآية ما يقتضى ان الملائكة  
 افضل من الانس كما زعمت فرقة بل الامر محتمل ان يكونوا افضل من  
 الانس ويحتمل التساوى \* وقوله سبحانه يوم ندعوا كل اناس بامامهم يحتمل  
 ان يريد باسم امامهم فيقول يا امة محمد ويا اتباع فرعون ونحو هذا ويحتمل ان  
 يريد مع امامهم ان تجي كل امة معها امامها من هاد ومضل واختلف فى  
 الامام فقال ابن عباس والحسن كتابهم الذى فيه اعمالهم وقال قتادة ومجاهد  
 نبينهم وقال ابن زيد كتابهم الذى نزل عليهم وقالت فرقة متبعهم من هاد

او مضل ولفظة الامام تعم هذا كله \* وقوله سبحانه فمن اوتي كتابه بيمينه حقيقة في ان في القيامة صحائف تستطير وتوضع في الايمان لاهل الايمان وفي الشرائل لاهل الكفر والخذلان وتوضع في ايمان المذنبين الذين ينفذ عليهم الوعيد فيستفيدون منها انهم غير مخلصين في النار \* وقوله سبحانه يقرءون كتابهم عبارة عن السرور بها اي يرددونها ويتأملونها \* وقوله سبحانه ولا يظالمون فتىلا اي ولا اقل وقوله سبحانه ومن كان في هذه اعمى قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وابن زيد الاشارة بهذه الى الدنيا اي من كان في هذه الدار اعمى عن النظر في آيات الله وعبره والايمان بانبيائه فهو في الآخرة اعمى على معنى انه حيران لا يتوجه لصواب ولا يلوح له نجاح قال مجاهد فهو في الآخرة اعمى عن حجته ويحتمل ان يكون صفة تفضيل اي اشد عى وحيرة لانه قد باشر الحيرة ورأى مخايل العذاب ويقوى هذا التاويل قوله عطا عليه واصل سبيلا الذى هو افضل من كذا والعمى في هذه الآية هو عى القلب وقول سيبويه لا يقال اعمى من كذا انما هو في عى العين الذى لا تفاضل فيه واما في عى القلب فيقال ذلك لانه يقع فيه التفاضل (ت) وكذا قال (ص) وقوله سبحانه وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره الآية الضمير في قوله كادوا هو لقريش وقيل لثقيف فاما لقريش فقال ابن جبير ومجاهد نزلت الآية لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لاندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس ايضا او ثاننا على معنى التشرع وقال ابن اسحاق وغيره انهم اجتمعوا اليه ليلة فعضموا وقالوا له انت سيدنا ولكن اقبل على بعض امرنا ونقبل على بعض امرك فنزلت الآية في ذلك قال (ع) فهي في معنى قوله ودوا لو تدهن فيدهنون واما لثقيف فقال ابن عباس وغيره لانهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يُوخرهم بعد اسلامهم سنة يعبدون فيها اللات

وقالوا انما نريد ان نأخذ ما يهدى لها ولكن ان خفت ان تنكر ذلك عليك العرب  
فقل اوحى الله ذلك الي فنزلت الآية في ذلك (ت) والله اعلم بصحة هذه  
التاويلات وقد تقدم ما يجب اعتقاده في حق النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه  
تفليح \* وقوله واذا لاتخذوك خيلا توقيف على ما نجاه الله منه من مخالة  
الكفار والولاية لهم \* وقوله سبحانه ولولا ان ثبتناك الآية تعدد نعمة  
على النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه  
الآية قال اللهم لا تكني الى نفسى طرفة عين وقرأ الجمهور تركن بفتح  
الكاف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يركن لكنه كاد بحسب همهم بموافقتهم  
طمعا منه في استيلائهم وذهب ابن الانباري الى ان معنى الآية لقد كادوا ان  
يخبروا عنك انك ركنك ونحو هذا ذهب في ذلك الى نفي الهمم عن النبي  
صلى الله عليه وسلم فحمل اللفظ ما لا يحتمل وقوله شيئا قليلا يبطل ذلك  
(ت) وجزى الله ابن الانباري خيرا وان تنزيه سائر الانبياء لواجب فكيف  
بسيد ولد آدم صلى الله عليه وعليهم اجمعين قال ابو الفضل عياض في الشفا  
قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين  
عاب الله تعالى نبينا عليه السلام قبل وقوع ما يوجب العتاب ليكون بذلك  
اشد انتهاء ومحافضة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف  
بدأ بشأته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه وفي اثناء عتبه  
برأته وفي طي تخوفه تأمينه قال عياض رحمه الله ويجب على المومن المجاهد  
نفسه الرائض بزمم الشريعة خلقه ان يتأدب بأداب القرآن في قوله وفعله  
ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية  
انتهى قال (ع) وهذا الهمم من النبي صلى الله عليه وسلم انما كان خطرة مما  
لا يمكن دفعه ولذلك قيل كدت وهي تعطى انه لم يقع ركون ثم قيل شيئا

قليلا اذ كانت المقاربة التي تضمنتها كدت قليلة خطرة لم تتأكد في النفس \*  
 وقوله اذا لا ذقناك الآية يبطل ايضا ما ذهب اليه ابن الانباري (ت) وما  
 ذكره (ع) رحمه الله تعالى من البطلان لا يصح وما قدمناه عن عياض  
 حسن فتأمله \* وقوله ضعف الحياة قال ابن عباس وغيره يريد ضعف عذاب  
 الحياة وضعف عذاب الممات \* وقوله سبحانه وان كادوا ليستفزونك من  
 الارض ليخرجوك منها الآية قال الحضرمي الضمير في كادوا ليهود المدينة وناحيتها  
 ذهبوا الى المكرب بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان هذه الارض ليست  
 بارض الانبياء فان كنت نبيا فاخرج الى الشام فانها ارض الانبياء فترزت  
 الآية واخبر سبحانه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرج لم يلبثوا بعده  
 الا قليلا وقالت فرقة الضمير لقريش قال ابن عباس وقد وقع استفزازهم واخراجهم  
 له فلم يلبثوا خلفه الا قليلا يوم بدر وقال مجاهد ذهبت قريش الى هذا ولكنه  
 لم يقع منها لانه لما اراد الله سبحانه استبقاء قريش وان لا يستأصلها اذن لرسوله  
 في الهجرة فخرج من الارض باذن الله لا بقهر قريش واستبقيت قريش ليسلم  
 منها ومن اعقابها من اسلم (ت) قال (ص) قوله لا يلبثون جواب قسم محذوف  
 اي والله ان استفزرت فخرجت لا يلبثون خلفك الا قليلا انتهى \* وقوله سبحانه  
 سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا الآية معنى الآية الاخبار ان سنة الله تعالى  
 في الامم الحالية وعادته انها اذا اخرجت نبيها من بين اظهرها نالها العذاب  
 واستأصلها فلم تلبث خلفه الا قليلا \* وقوله سبحانه اقم الصلوة لدلوك  
 الشمس الآية اجماع المفسرين على ان الاشارة هنا الى الصلوات المفروضة  
 والجمهور ان دلوك الشمس زوالها والاشارة الى الظهر والعصر وغسق الليل  
 اشير به الى المغرب والعشاء وقرء ان الفجر يريد به صلاة الصبح فالآية تعم  
 جميع الصلوات والدلوك في اللغة هو الميل فاول الدلوك هو الزوال واخره هو

الغروب قال ابو حيان واللام في لدلوك الشمس للظرفية بمعنى بعد انتهى  
 وغسق الليل اجتماعه وتكاثف ظلمته وعبر عن صلاة الصبح خاصة بالقرء ان  
 لان القرء ان هو عظمها اذ قرأتها طويلة مجبور بها \* وقوله سبحانه ان قرءان  
 الفجر كان مشهودا معناه يشهده حفظة النهار وحفظة الليل من الملائكة  
 حسبما ورد في الحديث الصحيح يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار  
 فيجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر الحديث بطوله وفي مسند البزار عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان افضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة  
 في جماعة وما احسب شاهدها منكم الا مغفورا له انتهى من الكوكب  
 الدري \* ومن الليل فتهجد به من للتبعض التقدير ووقتا من الليل اي قم  
 وقتا والضمير في به عائد على هذا المقدور ويحتمل ان يعود على القرءان وتهجد  
 معناه اطرح الوجود عنك والهجود النوم المعنى ووقتا من الليل اسهر به في  
 صلاة وقراءة وقال علقمة وغيره التهجد بعد نومة وقال الحجاج بن عمرو انما  
 التهجد بعد رقدة وقال الحسن التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة \* وقوله نافلة  
 لك قال ابن عباس معناه زيادة لك في الفرض قال وكان قيام الليل فرضا على  
 النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد انما هي نافلة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه  
 مغفور له والناس يحطون بمثل ذلك خطاياهم يعني ويجبرون بها فرائضهم حسبما  
 ورد في الحديث قال صاحب المدخل وهو ابو عبد الله بن الحجاج وقد قالوا ان من  
 كان يتفلت منه القرءان فليقم به في الليل فان ذلك يثبت له ببركة امتثال  
 السنة سيما الثالث الاخير من الليل لما ورد في ذلك من البركات والخيرات وفي  
 قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغي لطالب العلم ان يفوته منها شيء فمنها  
 انه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة الثاني انه  
 ينور القلب الثالث انه يحسن الوجه الرابع انه يذهب الكسل وينشط البدن

الخامس ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يترأى الكوكب الدري لنا في السماء وقد روى الترمذي عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه من دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قرينة الى الله تعالى ومنهاة عن الآثام وتكفير للسيئات ومطرقة للداء عن الجسد وروى ابو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين انتهى من المدخل \* وقوله سبحانه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا عدة من الله عز وجل لنبيه وهو امر الشفاعة الذي تدافعه الانبياء حتى ينتهي اليه صلى الله عليه وسلم والحديث بطوله في البخاري ومسلم قال ابن العربي في احكامه واختلف في وجه كون قيام الليل سببا للمقام المحمود على قولين للعلماء احدهما ان البارئ تعالى يجعل ما يشاء من فضله سببا لفضله من غير معرفة لنا بوجه الحكمة الثاني ان قيام الليل فيه الخلوة بالبارئ تعالى والمناجاة معه دون الناس فيعطى الخلوة به ومناجاته في القيامة فيكون مقاما محمودا ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم واجلهم فيه درجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعطى من المحامد ما لم يعط احد ويشفع فيشفع انتهى \* وقوله سبحانه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية ظاهر الآية والاحسن ان يكون دعا عليه السلام في ان يحسن الله حاله في كل ما يتناول من الامور ويحاول من الاسفار والاعمال وينتظر من تصرف المقادير في الموت والحياة فهي على اتم عموم معناه رب اصلح لي وردى في كل الامور وصدري وذهب المفسرون الى تخصيص اللفظ فقال ابن عباس وغيره ادخلني المدينة واخرجني من مكة وقال ابن عباس ايضا الادخال بالموت في القبر والاخراج البعث



وقيل غير هذا وما قدمت من العموم التام الذي يتناول هذا كله اصاب  
والصدق هنا صفة تقتضى رفع المذام واستيعاب المدح \* واجعل لى من لدنك  
سلطانا نصيرا قال مجاهد يعنى حجة تنصرنى بها على الكفار \* وقوله سبحانه  
وقل جاء الحق الآية قال قتادة الحق القرءان والباطل الشيطان وقالت فرقة الحق  
الايمان والباطل الكفران وقيل غير هذا والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة  
فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه وزهق الكفر بجميع ما انطوى  
فيه وهذه الآية نزلت بمكة وكان يستشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح  
مكة وقت طعنه الاصنام وسقوطها لطعنه اياها بالمحصرة \* وقوله سبحانه  
وننزل من القرءان ما هو شفاء الآية اي شفاء بحسب ازالته للريب وكشفه غطاء  
القلب وشفاء ايضا من الامراض بالرق والتعويد ونحوه \* وقوله سبحانه واذا  
انعمنا على الانسان اعرض وننأ بجانبه يحتمل ان يكون الانسان عاما للجنس فالكافر  
يبالغ في الاعراض والعاصى ياخذ بحظ منه ونأى اي بعد \* قل كل يعمل على  
شاكلته اي على ما يليق به قال ابن عباس على شاكلته معناه على ناحيته وقال قتادة  
معناه على ناحيته وعلى ما ينوى \* وقوله سبحانه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا  
توعده بين \* وقوله سبحانه ويسئلونك عن الروح روى ابن مسعود ان  
اليهود قال بعضهم لبعض سلوا محمدا عن الروح فان اجاب فيه عرفتم انه ليس  
بنبي قال (ع) وذلك انه كان عندهم فى التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولا  
يطلع عليه احد من عباده فسألوه فنزلت الآية وقيل ان الآية مكية والسائلون  
هم قريش باشارة اليهود واختلف الناس فى الروح المسئول عنه اي روح هو  
فقال الجمهور وقع السؤال عن الارواح التى فى الاشخاص الحيوانية ما هي  
فالروح اسم جنس على هذا وهذا هو الصواب وهو المشكل الذى لا تفسير له \*  
وقوله سبحانه من امر ربى يحتمل ان يريد ان الروح من جملة امور الله التى

استأثر سبحانه بعلمها وهي اضافة خلق الى خالق قال ابن راشد في مرقبته  
 اخبرني شيخى شهاب الدين القراني عن ابن دقيق العيد انه رأى كتابا  
 لبعض الحكماء في حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول قال رحمه الله وكثرة  
 الخلاف تؤذن بكثرة الجهالات ثم علماء الاسلام اختلفوا في جواز الخوض  
 فيها على قولين ولكل حجج يطول بنا سردها ثم القائلون بالجواز اختلفوا  
 هل هي عرض او جوهر او ليست بجوهر ولا عرض ولا توصف بانها داخل  
 الجسم ولا خارجه واليه ميل الامام ابي حامد وغيره والذي عليه المحققون  
 من المتأخرين انها جسم نوراني شفاف سار في الجسم سريان النار في الفحم  
 والدليل على انها في الجسم قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم فلو لم تكن  
 في الجسم لما قال ذلك وقد اخبرني الفقيه الخطيب ابو محمد البرجيني رحمه  
 الله عن الشيخ الصالح ابي الطاهر الركاكي رحمه الله قال حضرت عند  
 ولي من الاولياء حين النزاع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من  
 جسده ثم تشككت على رأسه بشكلة وصورته ثم صعدت الى السماء  
 وصعدت نفسى معها فلما انتهينا الى السماء الدنيا شاهدت بابا ورجل ملك ممدودة  
 عليه فازال ذلك الملك رجله وقال لنفس ذلك الولي اصعدى فصعدت  
 فارادت نفسى ان تصعد معها فقال لها ارجعى فقد بقي لك وقت قال فرجعت  
 فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات واخر يقول لم يت فدخلت  
 من انفى او قال من عيني وقت انتهى (ت) وهذه الحكاية صحيحة ورجال  
 اسنادها ثقات معروفون بالفضل فابن راشد هو شارح ابن الحاجب الفرعي  
 والبرجيني معروف عند اهل افريقية وابو الطاهر من اكابر الاولياء معظم  
 عند اهل تونس مزاره وقبره بالزلاج معروف زرتة رحمه الله وقرأ الجمهور  
 وما او يتيم واختلف فيمن خطب بذلك فقالت فرقة السائلون فقط وقالت

فرقة العالم كله وقد نص على ذلك صلى الله عليه وسلم على ما حكاه الطبري \* وقوله ولئن شئنا لنذهبن الآية المعنى وما او تيمم انت يا محمد وجميع الخلائق من العلم الا قليلا فالله يعلم من علمه بما شاء ويدع ما شاء ولو شاء لذهب بالوحي الذي ااتاك \* وقوله الارحمة استثناء منقطع اي لكن رحمة من ربك تمسك عليك قال الداودي وما روي عن ابن مسعود من انه سينزع القرآن من الصدور وترفع المصاحف لا يصبح وانما قال سبحانه ولئن شئنا فلم يشأ سبحانه وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون قال البخاري وهم اهل العلم ولا يكون العلم مع فقد القرآن انتهي كلام الداودي وهو حسن جدا وقد جاء في الصحيح ما هو ابين من هذا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلم بقبض العلماء الحديث \* وقوله سبحانه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن الآية سبب هذه الآية ان جماعة من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو جئتنا بآية غريبة غير هذا القرآن فانا نقدر نحن على المجيء بمثله فنزلت هذه الآية المصروفة بالتمجيز لجميع الخلائق قال (ص) واللام في لئن اجتمعت اللام الموطئة للقسم وهي الداخلة على الشرط كقوله لئن اخرجوا ولئن قوتلوا والجواب بعد للتسم لتقدمه اذا لم يسبق ذو خبره لالشرط هذا مذهب البصريين خلافا للفراء في اجازته الامرين الا ان الاكثر ان يجيء جواب قسم والظهير المعيز قال (ع) وفهمت العرب الفصحاء بخلوص فهمها في ميز الكلام ودربتها به ما لا نفهمه نحن ولا كل من خالطته حضارة ففهموا المعجز عنه ضرورة ومشاهدة وعلمه الناس بعدهم استدلالا ونظرا ولكل حصل علم قطعي لكن ليس في مرتبة واحدة \* وقوله سبحانه وقالوا لن نؤمن

لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية روي في قول هذه المقالة للنبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل مقتضاه ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن ابي امية والنضر بن الحارث وغيرهم من مشيخة قريش وساداتها اجتمعوا عليه فعرضوا عليه ان يملكوه ان اراد الملك او يجمعوا له كثيرا من المال ان اراد الغنى ونحو هذا من الاقاويل فدعاهم صلى الله عليه وسلم عند ذلك الى الله وقال انما جئكم بامر من الله فيه صلاح دينكم فان اطعتم فحسن والا صبرت حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا له حينئذ فان كان ما ترعم حقا ففجر لنا من الارض ينبوعا الحديث بطوله والنبوع الماء النابع وخالها ظرف ومعناه اثناوها وفي داخلها \* وقوله كما زعمت اشارة الى ما تلا عليهم قبل ذلك في قوله سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء الآية والكسف الشئ المقطوع وقال الزجاج المعنى او تسقط السماء علينا طبقا \* وقوله قبلا قيل معناه مقابلة وعيانا وقيل معناه ضامنا وزعيا بتصديقك ومنه القبالة وهي الضمان وقيل معناه نوعا وجنسا لا نظيره عندنا \* او يكون لك بيت من زخرف قال المفسرون الزخرف الذهب في هذا الموضع \* او ترقى في السماء اي في الهواء علوا ويحتمل ان يريد السماء المعروفة وهو اظهر (ت) وذكر (ع) هنا كلمات الواجب طرحها ولهذا عرضت عنها وترقى معناه تصعد ويروى ان قائل هذه المقالة هو عبد الله بن ابي امية ويروى ان جماعتهم طلبت هذا النحو منه فامرهم عز وجل ان يقول سبحانه ربني اي تنزيها له من الاتيان اليكم مع الملائكة قبلا ومن اقتراحى انا عليه هذه الاشياء وهل انا ابشر انما علي البلاغ المبين فقط \* وقوله مطمئنين اي وادعين فيها مقيمين \* وقوله سبحانه قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم روي ان من تقدم الآن ذكرهم من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم في اخر قولهم

فلتجنى معك بطائفة من الملائكة تشهد لك بصدقك في نبوءتك وروي  
 انهم قالوا فمن يشهد لك في ذلك نزلت الآية اي الله يشهد بيني وبينكم ثم اخبر  
 سبحانه انه يحشرهم على الوجوه حقيقة وفي هذا المعنى حديث قيل يا رسول  
 الله كيف يمشي الكافر على وجهه قال اليس الذي امشاه في الدنيا على رجلين  
 قادرا على ان يمشيه في الآخرة على وجهه قال قتادة بلى وعزة ربنا (ت) وهذا  
 الحديث قد خرجه الترمذي من طريق ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى  
 وجوههم الحديث \* وقوله كلما خبت اي كلما فرغت من احراقهم فسكن اللهيب  
 القائم عليهم قدر ما يعادون ثم يشور فتلك زيادة السعير قاله ابن عباس  
 قال (ع) فالزيادة في حيزهم واما جهنم فعلى حالها من الشدة لافتور وخبت  
 النار معناه سكن اللهيب والجمر على حاله وخمدت معناه سكن الجمر  
 وضعف وهمدت معناه طفت جملة \* وقوله سبحانه ذلك جزاؤهم بانهم  
 كفروا بآياتنا الآية الاشارة بذلك الى الوعيد المتقدم بجهنم \* قوله عز  
 وجل اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الآية الرؤية في هذه الآية  
 هي رؤية القلب وهذه الآية احتجاج عليهم فيما استبعدوه من البعث والاجل  
 هاهنا يحتمل ان يريد به القيامة ويحتمل ان يريد اجل الموت \* وقوله سبحانه  
 قل لوانتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية الرحمة في هذه الآية المال  
 والنعم التي تصرف في الارزاق \* وقوله خشية الانفاق المعنى خشية عاقبة  
 الانفاق وهو الفقر وقال بعض اللغويين انفق الرجل معناه افتقر كما تقول  
 اترب واقترب \* وقوله وكان الانسان قتورا اي ممسكا يريد ان في طبعه  
 ومنتهى نظره ان الاشياء تنتهي وتنتهي فهو لو ملك خزائن رحمة الله لا مسك  
 خشية الفقر وكذلك يظن ان قدرة الله تقف دون البعث والامر ليس

كذلك بل قدرته لا تتناهى \* وقوله سبحانه ولقد آتينا موسى تسع  
 آيات بينات الآية اتفق المتأولون والرواة ان الآيات الخمس التي في سورة  
 الاعراف هي من هذه التسع وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم  
 واختلفوا في الاربعة (ت) وفي هذا الاتفاق نظر وروى في هذا صفوان بن  
 عسال ان يهوديا من يهود المدينة قال لآخر سر بنا الى هذا النبي نسأله  
 عن آيات موسى فقال له الآخر لا تقل له انه نبي فانه لو سمعها صار  
 له اربعة اعين قال فسارا الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هي لا تشركوا  
 بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تمشوا  
 بيريء الى السلطان ليقته ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ولا  
 تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة معشر اليهود ان لا تعدوا في السبت انتهى  
 وقد ذكر (ع) هذا الحديث \* وقوله سبحانه فسأل بني اسرائيل اذ جاءهم اي اذ  
 جاءهم موسى واختلف في قوله مسحورا فقالت فرقة هو مفعول على بابه  
 وقال الطبري هو بمعنى ساحر كما قال حجابا مستورا وقرأ الجمهور لقد علمت  
 وقرأ الكسائي لقد علمت بآء المتكلم مضمومة وهي قراءة علي بن ابي طالب  
 وغيره وقال ما علم عدو الله قط وانما علم موسى والاشارة بهؤلاء الى التسع \*  
 وقوله بصائر جمع بصيرة وهي الطريقة اي طرائق يهتدى بها والمشهور المهلك  
 قاله مجاهد \* فاراد ان يستفزه من الارض اي يستخفهم ويقتلهم والارض  
 هنا ارض مصر ومتى ذكرت الارض عموما فانما يراد بها ما يناسب  
 القصة المتكلم فيها واقتضبت هذه الآية قصص بني اسرائيل مع فرعون وانما  
 ذكرت عظم الامر وخطيره وذلك طرفاه اراد فرعون غلبتهم وقتلهم  
 وهذا كان بدء الامر فاغرقه الله وجنوده وهذا كان نهاية الامر ثم ذكر  
 سبحانه امر بني اسرائيل بعد اغراق فرعون بسكنى ارض الشام ووعد الاخرة هو

يوم القيامة والليف الجمع المختلط الذى قد لف بعضه الى بعض \* وقوله سبحانه وبالحق انزلناه يعنى القرآن نزل بالمصالح والساد للناس وبالحق نزل يريد بالحق فى اوامره ونواهيه واخباره وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه ينياه ووضحناه وجعلناه فرقانا وقرأ جماعة خارج السبع فرقناه بتشديد الراء اي انزلناه شيئاً بعد شيء لاجلّة واحدة ويتناسق هذا المعنى مع قوله لتقرأه على الناس على مكث وتأولت فرقة قوله على مكث اي على ترسل فى التلاوة وترتل هذا قول مجاهد وابن عباس وابن جريج وابن زيد والتأويل الآخر اي على مكث وتطاول فى المدة شيئاً بعد شيء \* وقوله سبحانه قل آمنوا به او لا تؤمنوا فيه تحقير للكفار وضرب من التوعيد والذين اتوا العلم من قبله قالت فرقة هم مومنون اهل الكتاب والاذقان اسافل الوجوه حيث يجتمع اللحيان قال الواحدي ان كان وعد ربنا اي بازال القرآن وبعث محمد لمفعولاً انتهى \* وقوله سبحانه ويجزون للاذقان سيكون ويزيدهم خشوعاً هذه مبالغة فى صفتهم ومدح لهم وحض لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً ان يجري الى هذه الرتبة النفيسة وحكى الطبري عن التميمي ان من اوتي من العلم مالم يبيكه لخليق ان لا يكون اوتي علماً ينفعه لان الله سبحانه نعت العلماء ثم تلا هذه الآية كلها (ت) وانه والله لكذلك وانما يخشى الله من عباده العلماء اللهم انفعنا بما علمتنا ولا تجعله علينا حجة بفضلك ونقل الغزالي عن ابن عباس انه قال اذا قرأت سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قال الغزالي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب قال الغزالي واعلم ان الحشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بمظنة الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعاً فى الصلاة وغيرها

فان موجب الخشوع استشعار عظمة الله ومعرفة اطلاعه على العبد ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ثم قال وقد دلت الاخبار على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد قال واعلم ان المعاني التي بها تتم حياة الصلاة تجمعها ست جل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فحضور القلب ان يفرغه من غير ما هو ملابس له والتفهم امر زائد على الحضور واما التعظيم فهو امر وراء الحضور والفهم واما الهيبة فامر زائد على التعظيم وهي عبارة عن خوف منشأ التعظيم واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احدهما معرفة جلال الله سبحانه وعظمته والثانية معرفة حقارة النفس واعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما اهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل يكون حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه انتهى من الاحياء \* وقوله سبحانه قل ادعوا الله وادعوا الرحمن الآية سبب نزول هذه الآية ان بعض المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فقالوا كان محمد يامرنا بدعاء اله واحد وهو يدعوا الهين قاله ابن عباس فنزلت الآية مبينة انها اسماء لمسمى واحد وتقدير الآية اي الاسماء تدعوه به فانت مصيب فله الاسماء الحسنی وفي صحيح البخاري بسنده عن ابن عباس في قوله سبحانه ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخف بكمة كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن اثره ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقرأتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك فلا



تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا واسند البخاري عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك في الدعاء انتهى قال الغزالي في الاحياء وقد جاءت احاديث تقتضى استحباب السر بالقرءان واحاديث تقتضى استحباب الجهر به والجمع بينهما ان يقال ان التالي اذا خاف على نفسه الرياء والتصنع او تشويش مصل فالسر افضل وان امن ذلك فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته ايضا تتعدى الى غيره والخير المتعدى افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همته الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ويطرد عنه النوم برفع صوته ولانه يزيد في نشاطه في القراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهده تيقظ ناظم فيكون سببا في اعانته على الخير ويسمعه بطال غافل فينشط بسببه ويشتاق لخدمة خالقه فمهما حضرت نية من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات لتضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل الابرار وتتضاعف اجورهم انتهى \* وقوله سبحانه ولم يكن له ولي من الدن الله هذه الآية رادة على كفره العرب في قولهم لولا اولياء الله لذل تعالى الله عن قولهم وقيد سبحانه نبي الولاية له بطريق الذل وعلى جهة الانتصار اذ ولايته سبحانه موجودة بفضل ورحمته لمن والى من صالح عباده قال مجاهد المعنى لم يخالف احدا ولا ابتغى نصر احد سبحانه لا اله الا هو صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

بسم الله الرحمن الرحيم

## تفسير سورة الكهف

هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين وروى عن قتادة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله جرزا والاول اصح وهي من افضل سور القرآن وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بسورة عظمها ما بين السموات والارض ولمن جاء بها من الاجر مثل ذلك قالوا اي سورة هي يا رسول الله قال سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام وفي رواية انس من قرأها اعطي نورا بين السماء والارض ووقي بها فتنة القبر (ت) وعن البراء بن عازب قال كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه فرس مربوط بشطنتين ففشيته سبحانه فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت بالقرآن رواه البخاري واللفظ له ومسلم والترمذي والنسائي والرجل المبهم في الحديث هو اسيد بن حضير وفي الحديث الصحيح من طريق النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادرك الدجال منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وذكر الحديث رواه مسلم وغيره زاد ابو داود فانها جوارك من فتنته وعن ابى الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي واللفظ لمسلم وفي رواية لمسلم وابى داود من آخر الكهف وعن ابى سعيد

الحذري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه الترمذي والحاكم في المستدرک والنسائي وقال الحاکم صحيح على شرط مسلم وله في رواية من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة اضاء له من النور ما بين الجمعتين وقال صحيح الاسناد واخرجه الدارمي في مسنده موقوفا ورواته متفق على الاحتجاج بهم الا اباهاشم يحيى ابن دينار الرماني وقد وثقه احمد ويحيى وابو زرعة وابو حاتم انتهى من السلاح \* قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب كان حفص عن عاصم يسكت عند قوله عوجا سكتة خفيفة وعند مرقدنا في يس وسبب هذه البداية في هذه السورة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله قريش عن المسائل الثلاث الروح واصحاب الكهف وذى القرنين حسب ما امرتهم به يهود قال لهم صلى الله عليه وسلم غدا اخبركم بجواب ما سألتهم ولم يقل ان شاء الله فتابه الله عز وجل وامسك عنه الوحي خمسة عشر يوما وارجف به كفار قريش وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ منه فلما انقضى الامد الذي اراد الله عتاب نبيه جاءه الوحي بجواب ما سأله عنه وغير ذلك فافتتح الوحي بالحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وهو القراء \* وقوله ولم يحمل له عوجا اي لم ينزله عن طريق الاستقامة والعوج فقد الاستقامة ومعنى قيا اي مستقيما قاله ابن عباس وغيره وقيل معناه انه قيم على سائر الكتب بتصديقها ولم يرتضه (ع) قال ويضح ان يكون معنى قيم قيامه بامر الله على العالم وهذا معنى يؤيده ما بعده من النذارة والبشارة اللتين عمتا العالم والبأس الشديد عذاب الآخرة ويحتمل ان يندرج معه في النذارة عذاب الدنيا ببدر وغيرها ومن لدنه اي من عنده والمعنى لينذر العالم والاخر

الحسن نعيم الجنة ويتقدمه خير الدنيا \* وقوله تعالى ان يقولون الاكذبا اي ما يقولون فهي النافية \* وقوله سبحانه فلعلك باخع نفسك هذه آية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والباخع نفسه هو مهلكها قال (ص) لعل للترجي في المحبوب وللإشفاق في المحذور وهي هنا للإشفاق انتهى \* وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار وتباعد عن الإيمان فكانهم من فرط ادبارهم قد بعدوا فهو في آثارهم يحزن عليهم \* وقوله بهذا الحديث اي بالقرآن والاسف المبالغة في حزن او غضب وهو في هذا الموضع الحزن لانه على من لا يملك ولا هو تحت يد الأسف ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته ومملكه لكان غضبا كقوله تعالى فلما أسفونا اي اغضبونا قال قتادة أسفا حزنا \* وقوله سبحانه انا جعلنا ما على الأرض زينة لها الآية بسط في التسلية اي لاتهم بالدنيا واهلها فان امرها وامرهم اقل لفناء ذلك وذهابه فانا انما جعلنا ما على الأرض زينة وامتحانا واختبارا وفي معنى هذه الآية قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء \* لنبلوهم اي لختبرهم وفي هذا وعيد ما قال سفيان الثوري احسنهم عملا ازهدهم فيها وقال ابو عاصم العسقلاني احسن عملا الترك لها قال (ع) وكان ابي رحمه الله يقول احسن العمل اخذ بحق وانفاق في حق واداء القرائض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه \* وقوله سبحانه وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اي يرجع ذلك كله ترابا والجرز الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة فهي البقع وهذه حالة الأرض العامرة لا بد لها من هذا في الدنيا جزءا جزءا من الأرض ثم يعمها ذلك باجمعها عند القيامة والصعيد وجه الأرض وقيل الصعيد التراب خاصة \* وقوله سبحانه ام

حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من آيات الله اي فلا يعظم ذلك عليك بحسب ما عظمه السائلون فان سائر آيات الله اعظم من قصتهم وهو قول ابن عباس وغيره واختلف الناس في الرقيم ما هو اختلافا كثيرا ف قيل الرقيم كتاب في لوح نحاس وقيل في لوح رصاص وقيل في لوح حجارة كتبوا فيه قصة اهل الكهف وقيل غير هذا وروي عن ابن عباس انه قال ما ادرى ما الرقيم قال (ع) ويظهر من هذه الروايات انهم كانوا قوما مؤرخين وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد \* وقوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف الفتية فيما روي قوم من ابناء اشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقيانوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين بالذهب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى واختلف الرواة في قصصهم ونذكر من الخلاف عيونه وما لا تستغني الآية عنه فروي عن مجاهد عن ابن عباس ان هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسبا ذكره النقاش او من مومنى الامم قبلهم فآمنوا بالله ورأوا ببصائرهم قبيح فعل الناس فرفع امرهم الى الملك فاستحضرهم وامرهم بالرجوع الى دينه فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات والارض الآية فقال لهم الملك انكم شبان اغمار لا عقل لكم وانا لا اعجل عليكم وضرب لهم اجلا ثم سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب باديانهم فقال لهم احدهم انى اعرف كهفا في جبل كذا فلنذهب اليه وروت فرقة ان امر اصحاب الكهف انما كان انهم من ابناء اشراف فحضر عيد لاهل المدينة فرأى الفتية ما ينتحله الناس في ذلك العيد من الكفر وعبادة الاصنام فوقع الايمان في قلوبهم واجتمعوا على مفارقة دين الكفرة وروي انهم خرجوا وهم يلعبون بالصولجان والكرة وهم بدحرجونها

الى نحو طريقهم ليلا يشعر الناس بهم حتى وصلوا الى الكهف واما الكلب  
فروي انه كان كلب صيد لبعضهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا له  
كلب فاتبعهم الراعي على رأيهم وذهب الكلب معهم فدخلوا الغار فروت فرقة  
ان الله سبحانه ضرب على اذانهم عند ذلك لما اراد من سترهم وخفي على  
اهل المملكة مكانهم وعجب الناس من غرابة فقدهم فارخوا ذلك ورقوه  
في لوحين من رصاص اونحاس وجعلوه على باب المدينة وقيل على الرواية ان  
الملك بنى باب الغار وانهم دفنوا ذلك في بناء الملك على الغار وروت فرقة  
ان الملك لما علم بذهاب الفتية امر بقص اثارهم الى باب الغار وامر بالدخول  
عليهم فهاب الرجال ذلك فقال له بعض وزرائه الست ايها الملك ان  
اخرجتهم قتلهم قال نعم قال فاي قتلة ابغ من الجوع والعطش ابن عليهم باب  
الغار ودعهم يموتوا فيه ففعل وقد ضرب الله على اذانهم كما تقدم ثم اخبر الله  
سبحانه عن الفتية انهم لما اووا الى الكهف اي دخلوه وجعلوه مأوى  
لهم وموضع اعتصام دعوا الله تعالى بان يوتيهم من عنده رحمة وهي الرزق فيما  
ذكره المفسرون وان يهيئ لهم من امرهم رشدا خلاصا جميلا وهذا الدعاء منهم  
كان في امر دنياهم والفاظهم تقتضى ذلك وقد كانوا على ثقة من رشد الآخرة  
ورحمته وينبى لكل مومن ان يجعل دعاءه في امر دنياه بهذه الآية  
الكريمة فقط فانها كافية ويحتمل ذكر الرحمة ان يراد بها امر الآخرة \*  
وقوله تعالى فضربنا على اذانهم الآية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم \*  
وقوله عددا نمت للسنين والقصد به العبارة عن التكثير \* وقوله لنعلم  
عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود اي لنعلم ذلك موجودا والافقد كان  
سبحانه علم اي الحزبين احصى الامد والحزبان الفريقان والظاهر من الآية  
ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثانى هم اهل المدينة

الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عندهم التاريخ بأمر الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وأما قوله أحصى فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض وأمدا منصوب به على المفعول والامد الغاية ويأتي عبارة عن المدة وقال الزجاج أحصى هو أفعال ويعترض بأن أفعال لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ وأحصى فعل رباعي ويحتاج لقول الزجاج بأن أفعال من الرباعي قد كثر كقولك ما أعطاه للمال وكقوله عليه الصلاة والسلام في صفة جهنم أسود من القار وفي صفة حوضه أبيض من اللبن (ت) وقد تقدم أن أسود من أسود وما في ذلك من النقد وقال مجاهد أمدا معناه عددا وهذا تفسير بالمعنى \* وقوله سبحانه وزدناهم هدى أي يسرناهم للعمل الصالح والاقطاع إلى الله عز وجل ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الإيمان \* وقوله سبحانه وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب الانحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش إذا كان لا تفرق نفسه عند الفزع والحروب وغيرها ومنه الربط على قلب أم موسى \* وقوله تعالى إذا قاموا يحتمل أن يكون وصف قيامهم بين يدي الملك الكافر فانه مقام يحتاج إلى الربط على القلب ويحتمل أن يعبر بالقيام على انبعاثهم بالعزم على الهروب إلى الله ومنازمة الناس كما تقول قام فلان إلى أمر كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد وبهذه الالفاظ التي هي قاموا فقالوا تعلق الصوفية في القيام والقول والسطط الجور وتعدي الحد والحق بحسب أمر الأمر والسلطان الحجة وقال قتادة المعنى بعذر بين ثم عظموا جرم الداعين مع الله غيره وظلمهم بقولهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقولهم وإذا اعتزتموهم الآية المعنى قال بعضهم لبعض وبهذا يرجح أن قوله تعالى إذا قاموا فقالوا إنما المراد به إذا عزموا ونفذوا لأمرهم وفي مصحف ابن مسعود وما

يعبدون من دون الله ومضمن هذه الآية الكريمة ان بعضهم قال لبعض  
اذ قد فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف مأوى ونتكل على  
الله تعالى فانه سيسبط علينا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا  
وهذا كله دعاء بحسب الدنيا وهم على ثقة من الله في امرهم اخبرتهم وقرأ  
نافع وغيره مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وقرأ حمزة وغيره بكسر الميم وفتح  
الفاء ويقال ان معا في الامر وفي الجارحة حكاه الزجاج وقوله سبحانه وترى  
الشمس اذا طلعت تراور عن كهفهم ذات اليمين وتراور اي تميل وتقرضهم  
معناه تتركهم والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة وهو قول ابن عباس  
وحكى الزجاج وغيره قال كان باب الكهف ينظر الى نبات نعش وذهب  
الزجاج الى ان فعل الشمس كان آية من الله تعالى دون ان يكون باب  
الكهف الى جهة توجب ذلك والفجوة المتسع قال قتادة في فضاء منه ومنه  
الحديث فاذا وجد فجوة نص \* وقوله سبحانه ذلك من آيات الله الاشارة  
الى الامر بمجملته \* وقوله سبحانه ونقلبهم ذات اليمين الآية ذكر بعض  
المفسرين ان تقليبهم انما كان حفظا من الارض وروي عن ابن عباس انه  
قال لو مستهم الشمس لاحتقتهم ولولا التقلب لاكلتهم الارض وظاهر كلام  
المفسرين ان التقلب كان بامر الله وفعل ملائكته ويحتمل ان يكون ذلك  
باقدار الله اياهم على ذلك وهم في غمرة النوم \* وقوله وكلبهم اكثر المفسرين  
على انه كلب حقيقة قال (ع) وحدثني ابي رحمه الله قال سمعت ابا الفضل بن  
الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعائة  
من احب اهل الخير نال من بركتهم كلب احب اهل الفضل وصحبهم فذكره  
الله في محكم تنزيله والوصيد العتبة التي لباب الكهف او موضعها ان  
لم تكن وقال ابن عباس الوصيد الباب والاول اصح والباب الموصل هو



المعلق ثم ذكر سبحانه ما حفظهم به من الرعب واكتنفهم من الهيبة حفظا منه سبحانه لهم فقال لو اطلعت عليهم الآية \* وقوله سبحانه وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم الاشارة بذلك الى الامر الذى ذكره الله فى جهنم والعبرة التى فعلها فيهم والبث التحريك عن سكون واللام فى قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وقول القائل كم لبثتم يقتضى انه هجس فى خاطره طول نومهم واستعشر ان امرهم خرج عن العادة بعض الخروج وظاهر امرهم انهم انتبهوا فى حال من الوقت والهواء الزماني لايبان الحالة التى ناموا عليها وقولهم فابعثوا احدكم بورقكم يروى انهم انتبهوا وهم جياع وان المبعوث هو تليخا وروى ان باب الكهف انهدم بناء الكفار منه لطول السنين ويروى ان راعيا هدمه ليدخل فيه غنمه فاخذ تليخا ثيابا رثة منكرا ولبسها وخرج من الكهف فانكر ذلك البناء المهدم اذ لم يعرفه بالامس ثم مشى فجعل ينكر الطريق والمعالم ويتحير وهو فى ذلك لا يشعر شعورا تاما بل يكذب ظنه فيما تغير عنده حتى بلغ باب المدينة فرأى على بابها اماراة الاسلام فزادت حيرته وقال كيف هذا ببلد دقيوس وبالامس كنا معه تحت ما كنا فنهض الى باب آخر فرأى نحوا من ذلك حتى مشى الابواب كلها فزادت حيرته ولم يميز بشرا وسمع الناس يقسمون باسم عيسى فاستراب بنفسه وظن انه جن او انفسد عقله فبقي حيران يدعو الله تعالى ثم نهض الى باب الطعام الذى اراد اشتراؤه فقال يا عبد الله بعنى من طعامك بهذا الورق فدفع اليه دراهم كاخفاف الربع فيما ذكر فمجب لها البائع ودفعها الى آخر يمجبه وتعاطاها الناس وقالوا له هذه دراهم عهد فلان الملك من اين انت وكيف وجدت هذا الكثر فجعل يبهت ويعجب وقد كان بالبلد مشهورا هو وبितه فقال ما اعرف غيرانى واصحابى خرجنا بالامس

من هذه المدينة فقال الناس هذا مجنون اذهبوا به الى الملك ففزع عند ذلك فذهب به حتى جىء به الى الملك فلما لم يردقيوس الكافر تأس وكان ذلك الملك مومنا فاضلا يسمى تبدوسيس فقال له الملك اين وجدت هذا الكثر فقال له انما خرجت انا واصحابي امس من هذه المدينة فاوينا الى الكهف الذى فى جبل انجلوس فلما سمع الملك ذلك قال فى بعض ما روي لعل الله قد بعث لكم ايها الناس آية فلنسر الى الكهف حتى نرى اصحابه فساروا وروي انه او بعض جلسائه قال هؤلاء هم الفتية الذين ورخ امرهم على عهد دقيوس الملك وكتب على لوح النحاس بباب المدينة فسار الملك اليهم وسار الناس معه فلما انتهوا الى الكهف قال تليخا ادخل عليهم ليلا يربعوا فدخل عليهم فاعلمهم بالامر وان الامة امة اسلام فروي انهم سروا وخرجوا الى الملك وعظموه وعظاهم ثم رجعوا الى الكهف واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم تليخا فانتظرهم الناس فلما ابطأ خروجهم دخل الناس اليهم فرعب كل من دخل ثم اقدموا فوجدوهم موتى فتنازعوا بحسب ما ياتى وفى هذا القصص من الاختلاف ما تضيق به الصحف فاختصرته وذكرت المهم الذى به تفسر الفاظ الآية واعتمدت الاصح والله المعين برحمته وفى هذا البعث بالورق جواز الوكالة وصحتها وازكى معناه اكثر فيما ذكر عكرمة وقال ابن جبير المراد احل وقولهم يرجوكم قال الزجاج بالحجارة وهو الاصح وقال حجاج يرجوكم معناه بالقول وقوله سبحانه وكذلك اعثنا عليهم الاشارة فى قوله وكذلك الى بعثهم ليتساءلوا اي كما بعثناهم اعثنا عليهم والضمير فى قوله ليعلموا يحتمل ان يعود على الامة المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم والى هذا ذهب الطبري وذلك انهم فيما روي دخلتهم حينئذ فتنة فى امر الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك فى ذلك

بعض الناس واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح فشق ذلك على ملكهم  
وبقي حيران لا يدري كيف يبين امره لهم حتى لبس المسوح وقعد على  
الرماد وتضرع الى الله في حجة وبيان فاعثرهم الله على اهل الكهف فلما  
بهتهم الله وتبين الناس امرهم سر الملك ورجع من كان شك في بئس  
الاجساد الى اليقين به والى هذا وقفت الاشارة بقوله اذ يتنازعون بينهم  
امرهم على هذا التاويل ويحتمل ان يعود الضمير في يعلموا على اصحاب الكهف  
وقوله اذ يتنازعون على هذا التاويل ابتداء خبر عن القوم الذين بمشوا على  
عهدهم والتنازع على هذا التاويل انما هو في امر البناء او المسجد لا في امر القيامة  
وقد قيل ان التنازع انما هو في ان اطلعوا عليهم فقال بعضهم هم اموات  
وبعضهم هم احياء وروي ان بعض القوم ذهبوا الى طمس الكهف عليهم  
وتركهم فيه مغيبين فقالت الطائفة الغالبة على الامر لتتخذن عليهم مسجدا  
فاتخذوه قال قتادة الذين غلبوا هم الولاة \* وقوله سبحانه سيقولون ثلاثة  
رابعهم كلهم الآية الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة من معاصري  
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف \*  
وقوله رجما بالغيب معناه ظنا وهو مستعار من الرجم كأن الانسان يرمى الموضع  
المشكل المجهول عنده بظنه المرة بعد المرة يرجمه به عسى ان يصيبه والواو في قوله  
وثامنهم كلهم طريق النحاة فيها انها واو عطف دخلت في اخر الكلام اخبارا عن  
عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام  
وتقول فرقة منهم ابن خالويه هي واو الثمانية وذكر ذلك الثعلبي عن ابي  
بكر بن عياش وان قريشا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية تسعة فتدخل  
الواو في الثمانية قال (ع) وهي في القرآن في قوله والناهون عن المنكر وفي قوله  
وفتحت ابوابها واما قوله وابكارا وقوله وثمانية ايام فليست بواو الثمانية بل هي لازمة

اذ لا يستغنى الكلام عنها وقد امر الله سبحانه نبيه في هذه الآية ان يرد علم عدتهم اليه ثم قال ما يعلمهم الا قليل يعنى من اهل الكتاب وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم قال (ع) ويدل على هذا من الآية انه سبحانه لما حكى قول من قال ثلاثة وخمسة قرن بالقول انه رجم بالغيب ثم حكى هذه المقالة ولم يقدح فيها بشيء وايضا فيقوى ذلك على القول بواو الثمانية لانها انما تكون حيث عدد الثمانية صحيح \* وقوله سبحانه فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا معناه على بعض الاقوال اي بظاهر ما اوحينا اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى الظاهر ان يقول ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتاج هو على امر مقرر في ذلك وقال التبريزي ظاهرا معناه ذاهبا وانشد \* وتلك شكاة ظاهرك عارها \* ولم يبح له في هذه الآية ان يماري ولكن قوله الامراء مجاز من حيث يماريه اهل الكتاب سميت مراجعته لهم مرء ثم قيد بانه ظاهرا ففارق المرء الحقيقي المذموم والمرء مشتق من المرية وهو الشك فكانه المشاككة (ت) وفي سماع ابن القاسم قال كان سليمان بن يسار اذا ارتفع الصوت في مجلسه او كان مرء اخذ نعليه ثم قام قال ابن رشد هذا من ورعه وفضله والمرء في العلم منهى عنه فقد جاء انه لا تؤمن فتنته ولا تفهم حكمته انتهى من البيان والضمير في قوله ولا تستفت فيهم عائد على اهل الكهف وفي قوله منهم عائد على اهل الكتاب \* وقوله فلا تمار فيهم اي في عدتهم \* وقوله سبحانه ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله قد تقدم ان هذه الآية عتاب من الله تعالى لنبيه حيث لم يستثن والتقدير الا ان تقول الا ان يشاء الله او الا ان تقول ان شاء الله والمعنى الا ان تذكر مشيئة الله \* وقوله سبحانه واذكركم ربك اذا نسيت ا قال ابن عباس والحسن معناه الاشارة به الى الاستثناء اي ونسيتن

بعد مدة اذا نسيت اولاً لتخرج من جملة من لم يعلق فعله بمشيئة الله وقال  
 عكرمة واذكر ربك اذا غضبت وعبرة الواحدى واذكر ربك اذا نسيت اى اذا  
 نسيت الاستثناء بمشيئة الله فاذكره وقله اذا تذكرت اه \* وقوله سبحانه  
 وقل عسى ان يهدينى ربى الآيه الجمهور ان هذا دعاء مأمور به والمعنى  
 عسى ان يرشدنى ربى فيما استقبل من امرى والآيه خطاب للنبي صلى  
 الله عليه وسلم وهى بعد تعم جميع امته وقال الواحدى وقل عسى ان  
 يهدينى اى يعطينى ربى الآيات من الدلالات على النبوة ما يكون  
 اقرب فى الرشد وادل من قصة اصحاب الكهف ثم فعل الله له ذلك  
 حيث اتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم انتهى \* وقوله سبحانه ولبثوا  
 فى كهفهم ثلاث مائة سنين الآيه قال قتادة وغيره الآيه حكاية عن  
 بنى اسرائيل انهم قالوا ذلك واحتجوا بقراءة ابن مسعود وفى مصحفه وقالوا  
 لبثوا فى كهفهم ثم امر الله نبيه بان يرد العلم اليه رداً على مقالهم ولفظنا لهم  
 وقال المحققون بل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم الآيه خبر من الله تعالى  
 عن مدة لبثهم وقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى فليزل اختلافكم ايها  
 المخرصون وظاهر قوله سبحانه وازدادوا تسماً انها اعوام \* وقوله سبحانه ابصر  
 به واسمع اى ما اسمعه سبحانه وما ابصره قال قتادة لا احد ابصر من الله ولا  
 اسمع قال (ع) - وهذه عبارة عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به  
 اى بوحى وارشاده هداك وحججك والحق من الامور واسمع به العالم فتكون  
 اللفظتان امرين لا على وجه التعجب \* وقوله سبحانه ما لهم من دونه من  
 ولي الضمير فى لهم يحتمل ان يرجع الى اهل الكهف ويحتمل ان يرجع الى  
 معاصرى النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار ويكون فى الآيه تهديد لهم \*  
 وقوله سبحانه اتل ما اوحى اليك اى اتبع وقيل اسرد بتلاوتك ما اوحى

اليك من كتاب ربك لا نقض في قوله ولا مبدل لكلماته وليس لك  
سواه جانب تميل اليه وتستند والمتحد الجانب الذي يمال اليه ومنه اللحد  
(ت) قال النووي يستحب لتالي القرءان اذا كان منفردا ان يكون ختمه في  
الصلاة ويستحب ان يكون ختمه اول الليل او اول النهار وروينا في مسند الامام  
المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابي محمد الدارمي رحمه الله تعالى  
عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرءان اول الليل  
صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختمه اول النهار صلت عليه  
الملائكة حتى يمسي قال الترمذي هذا حديث حسن وعن طلحة بن مطرف  
قال من ختم القرءان اية ساعة كانت من النهار صلت عليه الملائكة حتى  
يمسي واية ساعة كانت من الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وعن مجاهد  
نحوه انتهى \* وقوله سبحانه واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية تقدم  
تفسيرها \* وقوله سبحانه ولا تمد عيناك عنهم اي لا تتجاوز عنهم الى ابناء  
الدنيا وقرأ الجمهور من اغفلنا قلبه بنصب الباء على معنى جعلناه غافلا والفرط  
يحتمل ان يكون بمعنى التفريط ويحتمل ان يكون بمعنى الافراط والاسراف وقد  
فسره التأولون بالعبارتين \* وقوله سبحانه وقل الحق من ربكم المعنى وقل لهم  
يا محمد هذا القرءان هو الحق (ت) وقد ذم الله تعالى الغافلين عن ذكره والمعرضين  
عن آياته في غير ما اية من كتابه فيجب الحذر مما وقع فيه اولئك ولقد احسن  
العارف في قوله غفلة ساعة عن ربك مكذرة لمرءاة قلبك فكيف بففتلك جميع  
عمرك وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس  
قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم بزة فان شاء  
عذبهم وان شاء غفر لهم رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في  
صحيحهما وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وقال الحاكم صحيح على

شرط مسلم والجرة بكسر التاء المشناة من فوق وتخفيف الراء النقص  
 وقيل التبعة ولفظ ابن حبان الاكان عليهم حسرة يوم القيامة وان دخلوا الجنة  
 انتهى من السلاح \* وقوله فمن شاء فليؤمن الآية توعده وتهديد اي  
 فليختر كل امرئ لنفسه ما يحده غدا عند الله عز وجل وقال الداودي عن ابن  
 عباس فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقول من شاء الله له الايمان امن  
 ومن شاء له الكفر كفر هو كقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله رب العالمين وقال  
 غيره هو كقوله اعمالوا ما شئتم بمعنى الوعيد والقولان معا صحيحان انتهى  
 واعتدنا ماخوذ من العباد وهو الشيء المعد الحاضر والسراق هو الجدار  
 المحيط كالحجرة التي تدور وتحيط بالفسطاط قد تكون من نوع الفسطاط  
 اديما او ثوبا او نحوه وقال الزجاج السراق كل ما احاط بشيء واختلف  
 في سراق النار فقال ابن عباس سراقها حائط من نار وقالت فرقة سراقها  
 دخان يحيط بالكفار وهو قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب  
 وقيل غير هذا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ابى سعيد الخدري  
 انه قال سراق النار اربعة جدر ككف عرض كل جدار مسيرة اربعين  
 سنة والمهل قال ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم هو دردي الزيت اذا  
 انتهى حره وقال ابو سعيد وغيره هو كل ما اذيب من ذهب او فضة وقالت  
 فرقة المهل هو الصديد والدم اذا اختلطا ومنه قول ابى بكر رضي الله  
 عنه في الكفن انما هو للمهلة يريد لما يسيل من الميت في قبره ويقوى  
 هذا بقوله سبحانه ويستقى من ماء صديد والمرتفق الشيء الذي يطلب  
 رفقه \* وقوله سبحانه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر  
 من احسن عملا تقدم تفسير نظيره والله الموفق بفضلہ واساور جمع اسوار  
 وهي ما كان من الحلي في الذراع وقيل اساور جمع اسورة واسورة جمع اسوار

والسندس رقيق الديباج والاستبرق ما غلظ منه قيل فهو استبرق من البريق  
والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجال والضمير في قوله وحسنت  
للجنات وحكى النقاش عن ابى عمران الجوني انه قال الاستبرق الحرير المنسوج  
بالذهب \* وقوله سبحانه واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب  
الآية الضمير في لهم عائد على الطائفة المتجبرة التي ارادت من النبي صلى  
الله عليه وسلم ان يطرد فقراء المومنين فامثل مضروب للطائفتين اذ الرجل  
الكافر صاحب الجنتين هو بازاء متجبرى قریش او بنى تميم على الخلاف في  
ذلك والرجل المومن المقرب الربوبية هو بازاء فقراء المومنين وحفظنا بمعنى جعلنا  
ذلك لهما من كل جهة وظاهر هذا المثل انه بامر وقع في الوجود وعلى ذلك  
فسره اكثر المتأولين فروي في ذلك انهما كانا اخوين من بنى اسرائيل ورثا  
اربعة الاف دينار فصنع احدهما بماله ما ذكر واشترى عبدا وتزوج  
واثرى وانفق الآخر ماله في طاعة الله عز وجل حتى افتقر والتقى فافتخر  
الغني ووبخ المومن فجرت بينهما هذه المحاورة وروي انهما كانا شريكين  
حدادين كسبا مالا كثيرا وصنعا نحو ما روي في امر الاخوين فكان من  
امرهما ما قص الله في كتابه قال السهيلي وذكر ان هذين الرجلين هما  
المذكوران في الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول  
اثنك لمن المصدقين الى قوله فاطلع فراه في سواء الجحيم الى قوله لمثل  
هذا فليعمل العاملون انتهى \* وقوله سبحانه كلتا الجنتين اتت اكلها  
الاكل ثمها الذى يوكل ولم تظلم منه شىء اى لم تنقص عن العرف الاثم  
الذى يشبه فيها ومنه قول الشاعر

ويظلمنى مالى كذا ولوى يدى \* لوى يده الله الذى هو غالبة  
وقرأ الجمهور ثم وبشره بضم الشاء والميم جمع ثمار وقرأ ابو عمرو بسكون الميم



فيهما واختلف المتأولون في الشر بضم الشاء والميم فقال ابن عباس وغيره الشر جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال ابن زيد هي الاصول والمحاورة مراجعة القول وهو من حار يحور \* وقوله انا اكثرتك مالا واعز نفرا هذه المقالة بازا، مقالة متجبري قريش او بنى تميم على ما تقدم في سورة الانعام (ت) وقوله واعز نفرا يضعف قول من قال انهما اخوان فتأملله والله اعلم بما صح من ذلك \* وقوله سبحانه ودخل جنته وهو ظالم لنفسه الآية افرد الجنة من حيث الوجود كذلك اذ لا يدخلها معا في وقت واحد وظلمه لنفسه هو كفره وعقائده الفاسدة في الشك في البعث وفي شكه في حدوث العالم ان كانت اشارته بهذه الى الهيئة من السموات والارض وانواع المخلوقات وان كانت اشارته الى جنته فقط فانما الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل كانه من شدة العجب بها والسرور افراط في وصفها بهذا القول ثم قاس ايضا الآخرة على الدنيا وظن انه لم يميل له في دياهه الا لكرامة يستوجبها في نفسه فقال فان كان ثم رجوع فستكون حالى كذا وكذا \* وقوله قال له صاحبه يعنى المومن \* وقوله خلقتك من تراب اشارة الى ادم عليه السلام \* وقوله لكنا هو الله ربى معناه لكن انا اقول هو الله ربى وروى هارون عن ابى عمرو ولكنه هو الله ربى وباقي الآية بين \* وقوله ولولا اذ دخلت جنتك الآية وصية من المومن للكافر ولولا تحضيض بمعنى هلا وما تحتمل ان تكون بمعنى الذى بتقدير الذى شاء الله كائن وفى شاء ضمير عائد على ما ويحتمل ان تكون شرطية بتقدير ما شاء الله كان او خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ما شاء الله او الامر ما شاء الله \* وقوله لا قوة الا بالله تسليم وضد لقول الكافر ما اظن ان تبعد هذه ابدا وفى الحديث ان هذه الكلمة اكثر من كنوز الجنة اذا قالها العبد قال الله

عز وجل اسلم عبدی واستسلم قال النووي وروينا في سنن ابى داود والترمذي والنسائي وغيرهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنك الشيطان قال الترمذي حديث حسن زاد ابو داود في روايته فيقول يعني الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي انتهى وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من قول لاحول والاقوة الا بالله فانها اكثر من كنوز الجنة انتهى قال المحاسبي في رعايته واذا عزم العبد في القيام بجميع حقوق الله سبحانه فليرغب اليه في المعونة من عنده على اداء حقوقه ورعايتها وناجاه بقلب راغب راهب انى انسى ان لم تذكرنى واعجز ان لم تقوفى واجزع ان لم تصبرنى وعزم وتوكل واستغاث واستعان وتبرا من الحول والقوة الا بربه وقطع رجاءه من نفسه ووجه رجاءه كله الى خالقه فانه سيجد الله عز وجل قريبا محييا متفضلا متحننا انتهى قال ابن العربي في احكامه قال مالك ينبى لكل من دخل منزله ان يقول كما قال الله تعالى ما شاء الله لا قوة الا بالله انتهى \* وقوله فمسى ربي ان يوتينى خيرا من جنتك هذا الترجى بمسى يحتمل ان يريد به في الدنيا ويحتمل ان يريد به في الآخرة وتبقى ذلك في الآخرة اشرف واذهب مع الخير والصلاح وان يكون ذلك يراد به الدنيا اذهب في نكايه هذا المخاطب والحسبان العذاب كالبرد والصر ونحوه والصعيد وجه الارض والزلق الذى لا تثبت فيه قدم يعني تذهب منافعها حتى منفعة المشي فهي وحل لا تثبت فيه قدم \* وقوله سبحانه واحيط بشره الآية هذا خبر من الله عز وجل عن احاطة العذاب بحال هذا المثل به ويقلب كفيه يريد يضع بطن احدهما على ظهر الاخرى وذلك فعل المتلف المتأسف \*

وقوله خاوية على عروشها يريد ان السقوف وقعت وهي العروش ثم تهدمت  
الحيطان عليها فهي خاوية والحيطان على العروش (ت) فسر (ع) رحمه الله لفظ  
خاوية في سورة الحج والنمل بخالية والاحسن ان تفسرها في الحج  
بساقطة واما التي في النمل فيتجه ان تفسر بخالية وبساقطة قال الزبيدي في  
مختصر العين خوت الدار باد اهلها وخوت تهدمت انتهى وقال الجوهري في  
كتابه المسمى بتاج اللغة وصحاح العربية خوت النجوم خيا انحلت وذلك  
اذا سقطت ولم تمطر في نوها واخوت مثله وخوت الدار خواء ممدودا اقوت  
وكذلك اذا سقطت ومنه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اي خالية  
ويقال ساقطة كما قال فهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها انتهى  
وهو تفسير بارع وبه اقول وقد تقدم ايضاح هذا المعنى في سورة البقرة \*  
وقوله ياليتني لم اشرك بربي احدا قال بعض المفسرين هي حكاية عن مقالة  
هذا الكافر في الآخرة ويحتمل ان يكون قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد  
حلول المصيبة ويكون فيها زجر لكفرة قريش وغيرهم والفئة الجماعة التي  
يلجأ الى نصرها \* وقوله سبحانه هنالك يحتمل ان تكون ظرفا لقوله  
منتصرا ويحتمل ان يكون الولاية مبتدأ وهنالك خبره وقرأ حمزة والكسائي  
الولاية بكسر الواو وهي بمعنى الرياسة ونحوه وقرأ الباقون الولاية بفتح الواو  
وهي بمعنى الموالاتة والصلة ونحوه وقرأ ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع على النعت  
للولاية وقرأ الباقون بالخفض على النعت لله عز وجل وقرأ الجمهور عقبا بضم العين  
والقاف وقرأ حمزة وعاصم بسكون القاف والعقب والعقب بمعنى العاقبة \*  
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا يريد حياة الانسان كما ازلناه من السماء فاختلط  
به اي فاختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء فاصبح هشيما اصبح عبارة عن  
صيرورته الى ذلك والهشيم المتفتت من يابس العشب وتذروه بمعنى تفرقه

فغنى هذا المثل تشبيه حال المرء في حياته وماله وعزته وبطره بالنبات الذى له خضرة ونضرة عن الماء النازل ثم يعود بعد ذلك هشياً ويصير الى عدم فمن كان له عمل صالح يبقّى فى الآخرة فهو الفائز \* وقوله سبحانه المال والبنون زينة الحياة الدنيا لفظه لفظ الخبر لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لانه فى المثل قبل حرق امر الدنيا وبينه فكانه يقول المال والبنون زينة هذه الحياة الدنيا المحقرة فلا تتبعوها نفوسكم والجمهور ان الباقيات الصالحات هي الكلمات المذكور فضلها فى الاحاديث سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد جاء ذلك مصرحاً به من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله وهن الباقيات الصالحات \* وقوله سبحانه خير عندك ربك ثواباً وخير املاً اي صاحبها ينتظر الثواب وينبسط امله فهو خير من حال ذى المال والبنين دون عمل صالح وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله رواه النسائي وابن حبان فى صحيحه انتهى من السلاح وفى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احب الكلام الى الله تعالى اربع سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضررك بايهن بدأت وفى صحيح مسلم عن ابى مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطهور شرط الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملأ ما بين السموات والارض الحديث انتهى قال ابن العربي فى احكامه وروى مالك عن سعيد بن المسيب ان الباقيات الصالحات قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروى عن ابن عباس وغيره ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس انتهى

(ت) وما تقدم اولى ومن كلام الشيخ الولي العارف ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال عليك بالمطهرات الخمس في الاقوال والمطهرات الخمس في الافعال والتبرى من الحول والقوة في جميع الاحوال وغص بقلبك الى المعاني القائمة بالقلب واخرج عنها وغنه الى الرب واحفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده امامك واعبد الله بها وكن من الشاكرين فالمطهرات الخمس في الاقوال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والمطهرات الخمس في الافعال الصلوات الخمس والتبرى من الحول والقوة هو قولك لا حول ولا قوة الا بالله انتهى \* وقوله سبحانه وترى الارض بارزة يحتمل ان الارض لذهاب الجبال والضراب والشجر برزت وانكشفت ويحتمل ان يريد بروز اهلها من بطنها للحشر والمغادرة الترك وعرضوا على ربك صفوا اي صفوفا وفي الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا يسمهم الداعي وينفذهم البصر الحديث بطوله وفي حديث آخر اهل الجنة يوم القيامة مائة وعشرون صفّا انتم منها ثمانون صفّا \* وقوله سبحانه لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يفسره قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون الى الله حفاة عرا غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده وقوله سبحانه ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية الكتاب اسم جنس يراد به كتب الناس التي احصتها الحفظة لواحد واحد ويحتمل ان يكون الموضوع كتابا واحدا حاضرا وباقي الآية بين \* وقوله سبحانه الا ابليس كان من الجن قالت فرقة ابليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن وهم الشياطين المخلوقون من مارج من نار وجميع الملائكة انما خلقوا من نور واختلفت هذه الفرقة فقال بعضهم ابليس من الجن وهو اولهم وبدأتهم كآدم من الانس وقالت فرقة بل كان ابليس وقبيله جنا لكن جميع الشياطين اليوم من ذريته فهو كنوح في الانس

واحتجوا بهذه الآية \* وقوله ففسق معناه فخرج عن امر ربه وطاعته \* وقوله عز وجل افتتخذونه يريد افتتخذون ابليس \* وقوله وذريته ظاهر اللفظ يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين يأمرون بالمنكر ويحملون على الاباطيل \* وقوله تعالى بيس للظالمين بدلا اي بدل ولاية الله عز وجل بولاية ابليس وذريته وذلك هو التعوض من الحق بالباطل \* وقوله سبحانه ما اشهدتهم خلق السموات والارض الآية الضمير في اشهدتهم عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة فتتضمن الآية الرد على طوائف من المنجمين واهل الطوائع والمتحكمين من الاطباء ومواهم من كل من يتخرص في هذه الاشياء وقيل عائد على ذرية ابليس فالآية على هذا تتضمن تحقيرهم والقول الاول اعظم فائدة واقول ان الغرض اولا بالآية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب المصدقين لهم والمعتظين للجن حين يقولون اعوذ بعزيز هذا الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اضل الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج هذه الطوائف في معناهم وقرأ الجمهور وما كنت وقرأ ابو جعفر والجحدري والحسن بخلاف وما كنت والعضد استعارة للمعين والموازر \* ويوم يقول نادوا شركاءي اي على جهة الاستغاثة بهم واختلف في قوله موبقا فقال ابن عباس معناه مهلكا وقال عبد الله بن عمر وانس بن مالك ومجاهد موبقا هو واد في جهنم يجري بدم وصديد قال انس يحجز بين اهل النار وبين المؤمنين \* وقوله سبحانه فظنوا انهم واقعوها اي مباشروها واطلق الناس ان الظن هنا بمعنى اليقين قال (ع) والعبارة بانظن لا تجيء ابدا في موضع يقين تام قد ناله الحس بل اعظم درجاته ان يجي في موضع متحقق لكنه لم يقع ذلك المظنون والافذ يقع ويحس لا يكاد توجد في

كلام العرب العبارة عنه بالظن وتأمل هذه الآية وتأمل كلام العرب وروى  
 ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الكافر ليرى جهنم ويظن  
 انها مواقفه من مسيرة اربعين سنة والمصرف المعدل والمراغ وهو ماخوذ  
 من الانصراف من شيء الى شيء \* وقوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القرآن  
 للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيئا جدلا الانسان هنا يراد به  
 الجنس وقد استعمل صلى الله عليه وسلم الآية على العموم في مروره بعلي ليلا  
 وامره له بالصلاة بالليل فقال نبي انما انفسنا يا رسول الله بيد الله او كما قال  
 فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يضرب فخذه بيده ويقول وكان الانسان اكثر  
 شيئا جدلا \* وقوله سبحانه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى  
 الآية الناس هنا يراد بهم كفار عصر النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الاولين  
 هي عذاب الامم المذكورة في القرآن \* او ياتيهم العذاب قبلا اي مقابلة  
 عيانا والمعنى عذابا غير المهود فتظهر فائدة التقسيم وقد وقع ذلك بهم يوم  
 بدر وكان حالهم تقتضى التأسف عليهم وعلى ضلالهم ومصيرهم بأرائهم الى  
 الحشر ان عاقبا الله من ذلك \* ويدحضوا معناه يزهدوا والدحض الطين \*  
 وقوله فلن يهتدوا اذا ابدا لفظ عام يراد به الخاص ممن حتم الله عليه انه لا  
 يؤمن ولا يهتدى ابدا كابي جهل وغيره \* وقوله بل لهم موعد قالت فرقة هو  
 اجل الموت وقالت فرقة هو عذاب الآخرة وقال الطبري هو يوم بدر والحشر \*  
 وقوله سبحانه لن يجدوا من دونه موثلا اي لا يجدون عنه منجى يقال وآل  
 الرجل يئس اذا نجا ثم عقب سبحانه وتوعدهم بذكر الامثلة من القرى التي  
 نزل بها ما توعده هؤلاء بمثله والقرى المدن والاشارة الى عاد وثمود وغيرهم  
 وباقي الآية بين قال (ص) وقوله لما ظلموا في لما ظلموا اشعار بعة الاهلاك  
 وبهذا استدلل ابن عصفور على حرفية لما لان الظرف لادلالة فيه على

العميلة \* وقوله سبحانه واذا قال موسى لفتاه لا ابرح الآية موسى هو ابن عمران وفتاه هو يوشع بن نون وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام جالس يوما في مجلس لبني اسرائيل وخطب فابلع فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله اليه بلى عبدنا خضر فقال يارب دلني على السبيل الى لقيه فاوحى الله اليه ان يسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فاذا فقد الحوت فانه هنالك وامر ان يتزود حوتا ويرتقب زواله عنه ففعل موسى ذلك وقال لفتاه على جهة امضاء العزيمة لا ابرح اسير اي لا ازال وانما قال هذه المقالة وهو سائر قال السهيلي كان موسى عليه السلام اعلم بعلم الظاهر وكان الخضر اعلم بعلم الباطن واسرار الملكوت فكانا مجرئين اجتماعا بمجمع البحرين والخضر شرب من عين الحياة فهوجي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن العربي رحمه الله مات الخضر قبل انقضاء المائة من قوله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليتكم هذه فان الى رأس مائة عام منها لا يبقى على الارض ممن هو عليها احد يعني من كان حيا حين قال هذه المقالة واما اجتماع الخضر مع النبي صلى الله عليه وسلم وتغزيته لاهل بيته فروي من طرق صحاح وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاهترت تحته خضراء قال الخطابي الفروة وجه الارض ثم انشد على ذلك شاهدا انتهى واختلف الناس في مجمع البحرين فقال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر الروم وقالت فرقة بمجمع البحرين هو عند طنجة وقيل غير هذا واختلف في الحقب فقال ابن عباس وغيره الحقب ازمان غير محدودة وقال عبد الله بن عمر ثمانون سنة وقال مجاهد سبعون وقيل سنة \* وقوله سبحانه فلما بلغا مجمع بينهما الضمير



في بيدهما للبحرين قاله مجاهد وفي الحديث الصحيح ثم انطلق وانطلق معه فتاه  
يوشع بن نون حتى اتيا الصخرة وضما رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل  
فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربا اي مسلكا في جوف  
الماء وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ  
نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتتهما حتى اذا كان من الغد  
قال موسى لفتاه: اتنا غدا؟ انا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ويعني بالنصب  
تعب الطريق قال ولم يحجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله به  
قال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت يريد ذكر ما جرى فيه  
وما انسانيه اي ان اذكره الا الشيطان واتخذ سبيله في البحر عجا قال فكان  
للحوت سربا ولموسى وفتاه عجا فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على  
اثارهما قصصا قال فرجعا يقصان: اثارهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل  
مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام قال انا موسى  
قال موسى بنى اسرائيل قال معم ايتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن  
تستطيع معي صبرا يعني لا تطيق ان تصبر على ما تراه من عملى لان الظواهر التي  
هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه يا موسى  
اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه يريد علم الباطن وانت على علم من علم الله علمكه  
الله لا اعلمه يريد علم الظاهر فقال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا  
اعصى لك امرا فقال له الخضر فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى احدث  
لك منه ذكرا اي حتى اشرح لك ما ينبغي شرحه فانطلقا يمسيان على ساحل  
البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول  
يقول بغير اجر فلما ركبا في السفينة لم يفجا موسى الا والخضر قد قلع لوحا من  
الواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الي سفينتهم

فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شياً امراً اي شنيعاً من الامور وقال مجاهد الامر المنكر قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال بن ابي كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الامثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر وفي رواية والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله الا كما اخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر وفي رواية ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله الامقدار ما غمس هذا العصفور منقاره قال (ع) وهذا التشبيه فيه تجوز اذ لا يوجد في المحسوسات اقوى في القلة من نقطة بالاضافة الى البحر فكانها لاشيء ولم يتعرض الخضر لتحرير موازنة بين المثال وبين علم الله تعالى اذ علمه سبحانه غير متناه ونقط البحر متناهية ثم خرجا من السفينة فينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر رأسه بيده فاقتله فقتله فقال له موسى اقتلت نفساً زاكية قال (ع) قل كان هذا الغلام لم يبلغ الحلم فلهذا قال موسى نفساً زاكية وقالت فرقة بل كان بالغاً \* وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس وهذا يدل على كبر الغلام والافلوكان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس ولا بغير نفس (ت) وهذا اذا كان شرعهم كشرعنا وقد يكون شرعهم ان النفس بالنفس عموماً في البالغ وغيره وفي العمد والخطأ فلا يلزم من الآية ما ذكر \* وقوله لقد جئت شياً نكراً معناه شياً ينكر قال (ع) ونصف القرءان بعد الحروف انتهى الى التون من قوله نكراً \* قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى \* قال ان سألتك عن شئ بعد هذا فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية

استطعما اهلها فابوا ان يضيفوها فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض قال مائل  
فتال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناكم فلم يطمعون ولم  
يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال سعيد بن جبير اجرا ناكله قال هذا  
فراق بيني وبينك الى قوله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وددنا ان موسى كان صبرا حتى يقص علينا من خبرها  
قال سعيد فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة  
غصبا وكان يقرأ واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مومنين وفي رواية للبخاري  
يزعمون عن غير سعيد بن جبير ان اسم الملك هُددُ بن بُددٍ والغلام المقتول  
اسمه يزعمون خيسور ويقال جيسور ملك ياخذ كل سفينة غصبا فاردت اذا  
هي مرت به ان يدعها لعيها فاذا جاوزوا اصلحوها فانتفعوا بها ومنهم من يقول  
سدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقاركان ابواه مومنين وكان كافرا فخشنا ان  
يرهبها طغيانا وكفرا ان يحملها حبه على ان يتابعاه على دينه \* فاردنا ان يبدلها  
ربهما خيرا منه زكوة لقوله ا قتلت نفسا زكية واقرب رحما بها به ارحم منهما  
بالاول الذي قتله خضروزعم غير سعيد انهما ابدلا جارية واما داود بن ابي عاصم  
فقال عن غير واحد انها جارية انتهى لفظ البخاري (ت) وقد تحرينا في هذا  
المختصر بحمد الله التحقيق فيما علقناه جهد الاستطاعة والله المستعان وهو المسئول  
ان ينفع به مجوده وكرمه قال (ع) ويشبه ان تكون هذه القصة ايضا اصلا  
للاجال في الاحكام التي هي ثلاثة وايام التلوم ثلاثة فتأمله \* وقوله  
سبحانه فابوا ان يضيفوها وفي الحديث انها كانا يميشيان على مجالس اولائك  
القوم استطعماهم قال (ع) وهذه عبرة مصرحة بهوان الدنيا على الله عز وجل  
(ص) وقوله فراق بيني الجمهور باضافة فراق ابو البقاء اي تفريق وصلنا  
وقرأ ابن ابي عتبة فراق بالتونين ابو البقاء فبين منصوب على الظرف انتهى

قال (ع) ووراءهم هو عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الوجود هو الامام والذي ياتى بعد هو الورا. وتأمل هذه الالفاظ فى مواضعها حيث وردت تجدها تطرد ومن قرأ امامهم اراد فى المكان قال (ع) وفى الحديث ان هذا الغلام طبع يوم طبع كافرًا والضمير فى خشينا للخضر قال الداودي قوله فخشنا ان يرهقهما اي علمنا انتهى والزكاة شرف الخلق والوقار والسكينة المنطوية على خير ونية والرحم الرحمة وروي عن ابن جريج انها بدلا غلاما مسلما وروي عنه انها بدلا جارية وحكى النقاش انها ولدت هي وذريتها سبعين نبيا وذكره المهدي عن ابن عباس وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الانبياء الا فى بنى اسرائيل وهذه المرأة لم تكن فيهم واختلف الناس فى هذا الكنز المذكور هنا فقال ابن عباس كان علما فى صحف مدفونة وقال عمر مولى غفرة كان لوحا من ذهب قد كتب فيه عجبا للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبا للموقن بالحساب كيف يغفل وعجبا للموقن بالموت كيف يفرح وروي نحو هذا مما هو فى معناه وقال الداودي وكان تحته كنز لهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذهب وفضة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه فالله اعلم اى ذلك كان \* وقوله سبحانه وكان ابوها صالحا ظاهر اللفظ والسابق منه الى الذهن انه والدهما دنية وقيل هو الاب السابع وقيل العاشر فحفظا فيه وفى الحديث ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح فى ذريته وقول الخضر وما فعلته عن امرى يقتضى انه نبى وقد اختلف فيه قليل هو نبى وقيل عبد صالح وليس بنبي وكذلك اختلف فى موته وحياته والله اعلم بجميع ذلك ومما يقضى بموت الخضر قوله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فان الى رأس مائة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال القرطبي فى تذكرته وذكر عن عمرو بن دينار الخضر والياس عليهما السلام حيان فاذا

رفع القراء ان ماتا قال القرطبي وهذا هو الصحيح انتهى وحكايات من رأى الخضر من الاولياء لا تحصى كثرة فلا نطيل بسردها وانظر لطائف المنن لابن عطاء الله \* وقوله ذلك تاويل اي مثال وحكي السهيلى انه لما حان للخضر وموسى ان يفترقا قال له الخضر لو صبرت لاتي على الف عجب كلها اعجب مما رأيت فبكى موسى وقال للخضر اوصني يرحمك الله فقال يا موسى اجعل همك في معادك ولا تحض فيما لا يمينك ولا تامن من الخوف في امك ولا تياس من الامن في خوفك وتدير الامور في علانيتك ولا تذر الاحسان في قدرتك فقال له موسى زدني يرحمك الله فقال له الخضر يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير احدا وابك على خطيئتك يا ابن عمران انتهى \* وقوله سبحانه ويسألونك عن ذى القرنين الآية ذو القرنين هو الملك الاسكندر اليوناني واختلف في وجه تسميته بذى القرنين واحسن ما قيل فيه انه كان ذا ظفيرتين من شعرهما قرناه والتمكين له في الارض انه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلها وروي ان جميع من ملك الدنيا كلها اربعة مومنان وكافران فالمومنان سليمان بن داود عليهما السلام والاسكندر والكافران غرود وبخت نصر \* وقوله سبحانه واتيناه من كل شىء سببا معناه علما في كل امر واقيسة يتوصل بها الى معرفة الاشياء وقوله كل شىء عموم معناه الخصوص في كل ما يمكنه ان يعلمه ويحتاج اليه \* وقوله فاتبع سببا اي طريقا مسلوكة وقرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم في عين حمئة اي ذات حمأة وقرأ الباقون في عين حامية اي حارة وذهب الطبري الى الجمع بين الامرين فقال يحتمل ان تكون العين حارة ذات حمأة واستدل ببعض الناس على ان ذا القرنين نبي بقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ومن قال انه ليس نبي قال كانت هذه المقالة من الله له بالهام قال (ع) والقول بانه نبي ضعيف واما

ان تعذب معناه بالقتل على الكفر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي ان امنوا وذهب الطبري الى ان اتخاذه الحسن هو الاسر مع كفرهم ويحتمل ان يكون الاتخاذ ضرب الجزية ولكن تقسيم ذى القرنين بعد هذا الامر الى كفر وايمان يرد هذا القول بعض الرد وظلم في هذه الآية بمعنى كفره وقوله عذابا نكرا اي تنكره الاوهام لعظمه وتستهوله والحسن يراد بها الجنة \* وقوله تعالى ثم اتبع سببا المعنى ثم سلك ذو القرنين الطرق المؤدية الى مقصده وكان ذو القرنين على ما وقع في كتب التاريخ يدور الارض بالجيوش الثقالة والديرة الحميدة والحزم المستيقظ والتأبيد المتواصل وتقوى الله عز وجل فمالقي امه والامر بمدينة الاذلت ودخلت في طاعته وكل من عارضه او توقف عن امره جعله عظة واية لغيره وله في هذا المعنى اخبار كثيرة وغرائب محل ذكرها كتب التاريخ \* وقوله وجدها تطلع على قوم المراد بالقوم الزنج قاله قتادة وهم الهنود وما وراءهم وقال الناس في قوله سبحانه لم نجعل لهم من دونها سترا معناه انهم ليس لهم بئان اذ لا تحتمل ارضهم البناء وانما يدخلون من حر الشمس في اسراب وقيل يدخلون في ماء البحر قاله الحسن وغيره واكثر المفسرون في هذا المعنى والظاهر من اللفظ انها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ولو كان لهم اسراب تغنى لكان سترا كثيفا \* وقوله كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الاولين اهل المغرب فاوجز بقوله كذلك \* وقوله حتى اذا بلغ بين السدين الآية السدان فيما ذكر اهل التفسير جيلان سدا مسالك تلك الناحية وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم وهذان الجبلان في طرف الارض مما يلي المشرق ويظهر من الفاظ التواريخ انهما الى ناحية الشمال \* وقوله تعالى ووجد عندها قوما قال السهيلي هم اهل جابلص ويقال لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم

الذين آمنوا بصالح \* وقوله تعالى ووجدناها تطلع على قوم هم اهل جابلق وهم من نسل مومنى قوم عاد الذين آمنوا بيهود ويقال لها بالسريانية مرقيسيا ولكل واحدة من المدينتين عشرة الاف باب بين كل بابين فرسخ ومربهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فدعاهم فاجابوه وآمنوا به ودعا من ورائهم من الامم فلم يحسبوه فى حديث طويل رواه الطبري عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم انتهى والله اعلم بصحته \* وياجوج وماجوج قبيلان من بنى آدم لكنهم ينقسمون انواعا كثيرة اختلف الناس فى عددها واختلف فى افسادهم الذى وصفوهم به ف قيل اكل بنى آدم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر وهذا اظهر الاقوال وقولهم فهل نجعل لك خراجا استفهام على جهة حسن الادب والخرج المجبى وهو الخراج وقرأ عاصم وحمة والكسائي خراجا وروي فى امر ياجوج وماجوج ان ارزاقهم هي من التنين يطرون به ونحو هذا مما لم يصح وزوي ايضا ان الذكر منهم لا يموت حتى يولد له الف والانى كذلك وروي انهم يتسافدون فى الطرق كالبهائم واخبارهم تضيق بها الصحف فاقتصرت ذلك لعدم صحته (ت) والذى يصح من ذلك كثرة عددهم على الجملة على ما هو معلوم من حديث اخرج بعث النار وغيره من الاحاديث \* وقوله ما مكنى فيه ربى خير المعنى قال لهم ذوالقرنين ما بسطه الله لى من القدرة والمملك خير من خراجكم ولكن اعينونى بقوة الابدان وهذا من تايد الله تعالى له فانه تهدى فى هذه المحاورة الى الانفع الاثره فان القوم لوجعوا له الخراج الذى هو المال لم يعنه منهم احد ولوكلوه الى البنيان ومعونتهم بالقوة اجمل به \* وقوله اتونى زبر الحديد الآية قرأ حمزة وغيره اتونى بمعنى جيشونى وقرأ نافع وغيره اتونى بمعنى اعطونى وهذا

كله انما هو استدعاء المناولة واعمال القوة والزبر جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه والمعنى فرصه وبناءه حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان \* وقوله قال انفخوا الى \* اخر الآية معناه انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها حتى تحمى ثم يوقى بالنحاس المذاب او بالرصاص او بالحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التأم واشتد استأنف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل وقال اكثر المفسرين القطر النحاس المذاب ويؤيد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله انى رأيت سد ياجوج وماجوج فقال كيف رأيته قال رأيته كالبرد المحبر طريقة صفراء وطريقة حمراء وطريقة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد رأيته ويظهره معناه يملونه بصمود فيه ومنه قوله في الموطأ والشمس في حجرتها قبل ان تظهر وما استطاعوا له نقبا لبعده عرضه وقوته ولا سبيل سوى هذين اما ارتقاء واما نقب وروي ان في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ وفي عرضه خمسين فرسخا وروي غير هذا مما لم نقف على صحته فاخصرناه اذ لا غاية للتخرص وقوله في الآية انفخوا يريد بالاكيار \* وقوله وهذا رحمة من ربى الآية القائل ذو القرنين وأشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به والوعد يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به وقت خروج ياجوج وماجوج وقرأ نافع وغيره دكا مصدر دك يدك اذا هدم ورض وناقة دكا لاسنام لها والضمير في تركنا الله عز وجل \* وقوله يومئذ يحتمل ان يريد به يوم القيامة ويحتمل ان يريد به يوم كمال السد والضمير في قوله بعضهم على هذا لياجوج وماجوج واستمارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولحين من هم وخوف ونحوه فشيهم بموج البحر الذى يضطرب بمضه في بعض \* وقوله ونفخ في



الصور الى ٠ اخر الآية يعنى به يوم القيامة بلا احتمال لغيره والصور فى قول  
 الجمهور وظاهر الاحاديث الصحاح هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل للقيامة \*  
 وقوله سبحانه وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا معناه ابرزناها لهم لتجمعهم  
 وتحطمهم ثم اكّد بالمصدر عبارة عن شدة الحال \* وقوله اعينهم كناية  
 عن البصائر والمعنى الذين كانت فكرهم بينها وبين ذكرى والنظر فى شرعى  
 حجاب وعليها غطاء \* وكانوا لا يستطيعون سمعا يريد لاعراضهم ونفارهم  
 عن دعوة الحق وقرأ الجمهور الخسب الذين كفروا بكسر السين بمعنى اظنوا  
 وقرأ علي بن ابي طالب وغيره وابن كثير بخلاف عنه الخسب بسكون السين  
 وضم الباء بمعنى أكافيهم ومنتهى غرضهم وفى مصحف ابن مسعود افطن الذين  
 كفروا وهذه حجة لقراءة الجمهور \* وقوله ان يتخذوا عبادى قال جمهور المفسرين  
 يريد كل من عبد من دون الله كالملائكة وعزير وعيسى والمعنى ان الامر  
 ليس كما ظنوا بل ليس لهم من ولاية هؤلاء المذكورين شيء ولا يحدون  
 عندهم منتفعوا واعتدنا معناه يسرنا والنزل موضع النزول والنزل ايضا ما  
 يقدم للضيف او القادم من الطعام عند نزوله ويحتمل ان يريد بالآية هذا المعنى  
 ان المعد لهؤلاء بدل النزل جهنم والآية تحتل الوجهين ثم قال تعالى قل هل  
 ننبئكم بالآخرين اعمالا الآية المعنى قل لهؤلاء الكفرة على جهة التوبيخ  
 هل نخبركم بالذين خسر عملهم وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم مع ذلك يظنون  
 انهم يحسنون فيما يصنعوه فاذا طلبوا ذلك فقل لهم اولئك الذين كفروا  
 بآيات ربهم ولقائه وعن سعد بن ابى وقاص فى معنى قوله تعالى وهم  
 يحسبون انهم يحسنون صنعا قال هم عباد اليهود والنصارى واهل الصوامع  
 والديارات وعن علي هم الخوارج ويضعف هذا كله قوله تعالى بعد ذلك  
 اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه وليس هذه الطوائف ممن

يكفر بالله ولقائه وانما هذه صفة مشركي عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما ذكرا قوما اخذوا بحظهم من صدر الآية \* وقوله سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا يريد انهم لاحسنه لهم توزن لان اعمالهم قد حبطت اي بطلت ويحتمل المجاز والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ وهذا معنى الآية عندي وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتي بالا كول الشروب الطويل فلا يزن جناح بموضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا \* وقوله ذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن \* وقوله سبحانه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس يختلف المفسرون في الفردوس فقال قتادة انه اعلى الجنة وربوتها وقال ابو هريرة انه جبل تتفجر منه انهار الجنة وقال ابو امامة انه سرّة الجنة ووسطها وروى ابو سعيد الخدري انه تتفجر منه انهار الجنة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألت الله فاسأله الفردوس (ت) ففي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألت الله فاسأله الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة انتهى \* وقوله تعالى لا يبينون عنها حولا الحول بمعنى المتحول قال مجاهد متحولا واما قوله سبحانه قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية فروي ان سبب الآية ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم كيف ترعم انك نبي الامم كلها وانك اعطيت ما يحتاجه الناس من العلم وانت مقصر قد سئلت عن الروح فلم تجب فيه ونحو هذا من القول فانزل الله الآية معلمة باتساع معلومات الله عز وجل وانها غير متناهية وان الوقوف دونها ليس ببدع فالمعنى لو كان البحر مدادا تكتب به معلوماته تعالى لتفد قبل ان يستوفيهها وكلمات ربي هي المعاني القائمة بالنفس وهي

المعلومات ومعلومات الله عز وجل لا تتناهى والبحر متناه ضرورة وذكر الغزالي في آخر المنهاج ان المفسرين يقولون في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول الله عز وجل لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام مما لا تكيفه الاوهام ولا يحيط به علم مخلوق وحق ان يكون ذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم والجلود الكريم الامثل هذا فليعمل العاملون انتهى \* وقوله مددا اي زيادة (ت) وكذا فسر الهروي ولفظه وقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اي زيادة انتهى \* وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي انا بشر ينتهي على الى حيث يوحى الي ومهم ما يوحى الي انما المهم اله واحد فمن كان يـ جوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا وباقي الآية بين في الشرك بالله تعالى وقال ابن جبير في تفسيرها لا يراى في عمله وقد ورد حديث انها نزلت في الرياء (ت) وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه انه كان يصف امر الرياء فيقول ما كان من نفسك فرضيته نفسك لها فانه من نفسك فعاتبها وما كان من نفسك فكرهته نفسك لها فانه من الشيطان فتعوذ بالله منه وكان ابو حازم يقول ذلك واسند ابن المبارك عن عبد الرحمن بن ابي امية قال كل ما كرهه العبد فليس منه انتهى وخرج الترمذي عن ابي سعيد ابن ابي فضالة الانصاري وكان من الصحابة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء عن الشرك قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب انتهى وقد خرج مسلم معناه (ت) ومما جربته وصح من خواص هذه السورة ان من اراد ان يستيقظ اي وقت شاء من الليل فليقرأ عند نومه قوله سبحانه الخسب الذين كفروا ان

يتخذوا عبادى من دونى اولياء الى ٠ اخر السورة فانه يستيقظ باذن الله فى الوقت الذى نواه ولتكن قراءته عند ٠ اخر ما يغلب عليه الناس بحيث لا يتجدد له عقب القراءة خواطر هذا مما لاشك فيه وهو من عجائب القرآن المقطوع بها والله الموفق بفضله تنبيه روينى فى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة فان اردت ان تعرف هذه الساعة فاقرا عند نومك من قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس الى ٠ اخر السورة فانك تستيقظ فى تلك الساعة ان شاء الله تعالى بفضله ويكرر تيقظك ومهما استيقظت فادع لى ولك وهذا مما الهمنيته الله سبحانه فاستنفذه وما كتبه الا بعد استخارة واياك ان تدعوه هنا على مسلم ولو كان ظلما فان خالفتنى فالله حسيبك وبين يديه اكون خصيمك وانا ارغب اليك ان تشركنى فى دعائك اذ افدتك هذه الفائدة العظيمة وكنت شيخك فيها والقرءان العظيم اسرار يطلع الله عليها من يشاء من اوليائه جعلنا الله منهم بفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليم

فهرست الجزء الثانى من كتاب الجواهر الحسان فى تفسير القرآن

٢	سورة الاعراف	٢٦٣	سورة الرعد
٨٠	سورة الانفال	٢٧٤	سورة ابراهيم
١١٤	سورة بـئـراة	٢٨٩	سورة الحجر
١٦٨	سورة يونس	٣٠٢	سورة النحل
١٩٦	سورة هـود	٣٢٨	سورة الاسراء
٢٢٤	سورة يوسف	٣٦٦	سورة الكهف